

١٧١

الجزء الثاني

من
جواهر

في تفسير القرآن الكريم
المشتمل على عجائب بدائع المكنونات وغرائب
الآيات الباهرات

(تأليف)

الأستاذ الحكيم الشيخ طنطاوى جوهرى
المدرس بمدرسة الجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا
متع الله المسامرين بحبانه آمين

طبع مطبعة

مصطفى البناى المحمديلى وأولاده بمصر

(وحقوق إعادة الطبع محفوظة)

شوال سنة ١٣٤٣ هـ

إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقسیم سورة آل عمران وهي عشرة اقسام

* القسم الأول معنى ألم * القسم الثاني الايمان إما تقليدي بالكتب السماوية وإما يقيني بالعلوم الطبيعية من قوله (الله إله إلا هو الحي القيوم الى قوله ان الله لا يخلف الميعاد) * القسم الثالث التخلية من الرذائل كالشهوات والتخلية بالفضائل من الأعمال الصالحة والعلوم وان هذا هو الاسلام الحق في كل العصور وهذا من قوله ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم الى قوله سريع الحساب * القسم الرابع كيف يعامل المعاندون والمجادلون وهذا من قوله فان حاجوك الى قوله فان الله لا يحب الكافرين * القسم الخامس قصة مريم وزكريا ويحيى وعيسى والحواريين من قوله (ان الله اصطفى آدم الى قوله والذكر الحكيم) * القسم السادس المحاورة المرتبة على هذه القصة كمحاجة النصارى في عيسى وإقامة الحجّة على أهل الكتاب وتكرار النداء لهم ست مرات بقوله يا أهل الكتاب من قوله ان مثل عيسى الى قوله وما الله بغافل عما تعملون * القسم السابع توجيه الخطاب للمؤمنين بقوله (يا أيها الذين آمنوا) وتكراره ثلاث مرات ليجتنبوا ما يفتروا أهل الكتاب من الاثم من قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب الى قوله ان الله بما يعملون محيط) * القسم الثامن مخاطبة الله النبي صلى الله عليه وسلم ليعلم المؤمنون نعم الله عليهم في غزوة أحد من قوله (واذ غدوت من أهلك الى قوله وخافون ان كنتم مؤمنين) * القسم التاسع ذكر المنافقين واليهود وكيدهم وان ذلك ابتلاء من الله للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ليصبروا فتقوى النفوس وترفع الى العلا من قوله (ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر الى قوله والله على كل شيء قدير) * القسم العاشر التفكير في خلق السموات والأرض والعروج الى عالم القدس بعد الصبر في القسم قبله كأنه تعالى يقول الصبر أولاً والعروج الى عالم الأرواح آخر من قوله تعالى (ان في خلق السموات والأرض الى آخر السورة)

(ملخص هذه السورة)

كأن الله عز وجل يقول في القسم الأول هذه الحروف الهجائية ا ل م ونحوها قد كررتها

في أول السور وجعلناهم من الأمرار التي توجب أن تفكروا فيها تدريجاً لعقولكم وتوجيه النفوسكم إلى المعاني المختلفة التي تحتلها فإن الكتب السماوية لهذا أنزلت أنزلت لترمز تارة وتصرح أخرى وتفتح للعقول مجال الفكر فعلمنا الوحي بالإشارة والتصريح وعليكم الفهم والتفكير تارة والعمل والامتثال أخرى (وسبأني عن بعض سر هذه الحروف)

ويقول في القسم الثاني - لقد أنزلت الكتب السماوية لكم أيها الناس فمنها ما نزل على نبيكم ومنها ما نزل على من قبله من الأنبياء لأفتح لكم باب الفهم فتؤمنوا بي كما نصبت لكم دلائل التوحيد في السموات والأرض ليظهر لكم جمالي وتبهركم حكمتي وتأنموا في أنفسكم وتعقلوا العجائب في الأعضاء الجسمية التي صورتها في الأجنة في بطون أمهاتهم ألوأوان هذه الكتب السماوية وهذه العجائب الطبيعية منها ما نفهمونه بسهولة كالآيات المحكمات وكالأعضاء المفصلة الواضحة في أجسامكم ومنها ما يشبه عليكم علمه مثل الم في التي في أول هذه السورة ومثل تكوين الجنين في بطن أمه وكيف يمر على درجات مختلفة من الرقي الحيواني فيشبهه هذان على كثير من الناس وليس يعلم ما أشبهه فيهما إلا الله وأكبر الحكماء والعلماء فتوجهوا إلى أحدكم وقولوا ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وكأنه تعالى يقول في القسم الثالث - لا يغرنكم هؤلاء الكافرون ولا تعجبكم أموالهم ولا أولادهم فهذه كلها لا تغني وحسبكم ماترون من خذلان الكافرين يوم بدر كما خذل آل فرعون واعلموا أيها الناس أنكم محبوسون مسجونون في هذه الدنيا في سجون سبعة الفناء والبنين والذهب والفضة والخيول والأنعام والزروع ولا يخرجكم من هذه السجون المؤصدة عليكم إلى النعيم والحرية والسعادة إلا الصبر والاستغفار والعبادة والصدق والفكر في هذه العوالم المحيطة بكم حتى تقفوا على العدل الذي نصبناه والحكمة التي أبرزناها في الأنفس والآفاق فإذن ذلك هو دين الإسلام العام الذي أنزلناه على الأنبياء وهو الذي يخرج الناس من سجن الشهوات والجهالات إلى نعيم الحكمة والعلم فيعلموا أن ملكنا ذو نظام جليل وأننا عادلون في عملنا وأن هذا العالم جنة المفكرين كما أنه سجن المغفلين ويقول في القسم الرابع - أسلم وجهك يا محمد لله ومن معك من المؤمنين ولا يضركم من ضلّ من هؤلاء الكافرين من العرب واليهود فأنما عليكم البلاغ وعلمنا الحساب واعلم يا محمد أنت ومن معك أي سأمملككم أرض الحيرة والفرس واليمن والروم فلا تخافوا ولا يتخذ بعضكم من الكافرين بطلانة فإني أعلم سرهم ونجواكم واتبعوا نبي محمد أحبكم وأغفر لكم ذنوبكم

ويقول في القسم الخامس - لقد مننت على حنة زوجة عمران بما طلبت من ربها فرزقها بمریم ورزقت زكريا الذي كفلهما استجابة لدعائه بيحيى واصطفيت مريم وخلقت منها عيسى وأجريت المعجزات على يديه كخلق الطير على يديه وإبراء الأكمه والأبرص وإخباره بالغيب وجعلته مصدقاً للتوراة ومصلحاً لديننا ليحل بعض ما حرم في التوراة ويخرج الناس من الظلمات التي أحاطت بهم من علماء السوء المقلدين الغافلين ويفتح لهم طريقاً إلى العلم لترقى الأمة ولندعى إلى الفلاح والنجاح فكفرت طائفة من بني إسرائيل كما كفر بعض العرب بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال الخواريون نحن أنصار الله (وأما الكافرون بعيسى) فإن الله جازاهم ورفع عيسى إلى السماء وجعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا به هكذا سيكون أتباعك يا محمد فوق الذين كفروا بك وسيعاوديك ويمحق الكفر ويحل محله الإسلام في جزيرة العرب وما شاء الله من البلدان

ويقول في القسم السادس - يا أهل الكتاب قد عرفناكم حقيقة عيسى وهذا هو القصص الحق فكيف تقولون أنه مصلوب مقتول دعوا الافتراء على الله في عيسى وفي إبراهيم أن إبراهيم كان قبل اليهودية وقبل النصرانية فإن موسى وعيسى من ذريته وكيف يكون الأب على دين الابن الذي لم يخلق أن إبراهيم هو الذي بنى الكعبة التي يحب على الناس الحج إليها فليكن الاتباع له ولينته أهل الكتاب عن الكفر فالحق أحق أن يتبع وكأنه يقول في القسم السابع - إياكم أيها المسلمون أن تصغوا لأهل الكتاب فانهم يريدون أن يردوكم عن

دينكم وكيف يكون ذلك وفيكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتصموا بحبل الله وكونوا بيدا واحدة وليكن منكم هداة يكونون بمنزلة العقل من الجسم وأنتم كجسم واحد ونفس واحدة واحذروا أن تكونوا كأهل الكتاب الذين تفرقوا بعد أنيائهم فاحذروهم فأنتم سلمي القلوب وحمي بكرهونكم ويفرحون لحزنكم ويحزنون لفرحكم وكأنه يقول في القسم الثامن - والتاسع - انك يا محمد قد غدوت الى أحد لمحاربة الكافرين وهمت بنو ساعدة وبنو حارثة أن تفشلا وكانا جناحي العسكر ولكن الله عصمهما من هذا الفشل فثبتهما ولما انهزم عدوكم اختاف الرماة منكم فترك أغلبهم مواقفهم التي أمروا بالبقاء فيها وعمدوا الى نهب الغنائم فأصابكم الهزيمة ابتلاء من الله وامتحانا ولقد نصرتكم في بدر على قتلهم فلئن خذلتكم في أحد لقد نصرتكم في بدر وتلك الايام نداؤها بين الناس وهذا الخذلان فيه تعاليم للصبر على الشدائد ولقد علمتم لما سمعتم أن محمدا قتل وكيف يكون ذلك ودور رسول والرسول ان ماتوا أو قتلوا يقوم أتباعهم بمساعدته اليه ثم اعلموا ان النصر من عند الله فلا القلة تمنعه ولا الكثرة توجهه والمصائب مقدرة في الأزل فلا تحزنوا ومن قتلوا في سبيل الله أحياء فلا تخافوا من الموت ولا تثبطنكم الأراجيف عن مواصلة القتال والمؤمنون يصابون بالشدائد ليظهر الخبيث من الطيب وأصول الايمان كلها راجعة الى الصبر وكأنه يقول في القسم العاشر - أيها الناس ان هذه الغزوات والعداوات ومحااجة الكفار ليست مقصودة لذاتها وانما المقصود الأهم أن تنظروا في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار وتذكروا ربكم على كل حال ولا يغرنكم ظهور الجاهلين والكافرين في هذه الحياة الدنيا فان الانسان يمتاز عن الحيوان بالعقل والعلم ودؤلاه انما امتازوا بالقلب في الأعراض الدنيوية وهو متاع قليل فالانسان خلق ليعلم الأشياء على ما هي عليه فاصبروا على الشدائد وصابروا واتقوا الله اعلمكم تفلاحون اه ملخص السورة الاجمالي

تفسير السورة

(مقدمة في مناسبة هذه السورة لما قبلها)

(١) اعلم أن هذه السورة كالمتمة لسورة البقرة ألا ترى ان لفظ البقرة يدل على بقرة بنى اسرائيل التي ذبحت لاطهار القتل وان القصة التي تخللت السورة هي قصة بنى اسرائيل وقد قدمت لك في البقرة انها مرتبة ترتيبا تاريخيا على حسب العصور فترى ان أول البقرة اشتمل على قصة بنى اسرائيل لما كانوا في مصر ثم الخروج منها ثم ذكر ازمان حكم الشيوخ السبعين ثم جاء في آخر السورة ذكر ملكهم بعد أن كانت حكومتهم شورية فلك الله عليهم طالوت ثم داود سليمان واستفحل ملكهم كما أوضحته هناك * وليس بعده هذا التاريخ الا خروج عيسى ابن مريم خذلت سورة آل عمران التي تلي قصة بنى اسرائيل السابقة فانظر كيف كان لفظ البقرة دالا على تاريخ بنى اسرائيل كما ان آل عمران رمز الى قصة مريم وذكر يا وحنة ويحيى وعيسى ثم تبع ذلك محاجة أهل الكتاب ونصيحة المسلمين أن لا يذيعونهم وأن تلك النصص تذكر للاستنتاج والعظة والاعتبار كما استرأه مفصلا في الآيات

(٢) ان أول البقرة وآخرها مشاهير آل عمران وآخرها * فابتداء البقرة بالايمان بالغيب وذكر الكتب السماوية وهكذا افتتاح آل عمران وختم البقرة بأن النبي ومن معه قد آمنوا بالله وجميع الكتب السماوية وختم آل عمران بمدح التفكر في خلق السموات والأرض وان دؤلاه المتفكرين يقولون اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان فآمنوا فهنا قالوا آمنا وفي البقرة قالوا آمنا انتهت المقدمة فلنبتدىء في تفصيل التفسير في هذه السورة فنقول

(القسم الاول)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ان هذه الحروف التي ذكرت في أول السور قد أطلق الله عليها كلام عليها فمن قائل لا علم للبشر بها ومن قائل كلا بل لابد أن يكون لها معنى يعرفه الناس وهذا هو الحق

فأعلم أن القرآن كتاب سماوي والكتب السماوية تصرح تارة وترمز أخرى والرمز والاشارة من المقاصد السامية والمعاني العالية والمغازي الشريفة وقديما كان ذلك في أهل الديانات ألم ترالى اليهود الذين هم كانوا منتشرين في المدينة وفي بلاد الشرق أيام النبوة كيف كانوا يضلحون فيما بينهم على أعداد الجمل المعروفة اليوم في الحروف العربية فيجعلون الألف بواحد والياء باثنين والجيم بثلاثة ولدال بأربعة وهكذا مارين على الحروف الأبجدية الى الياء بعشرة والكاف بعشرين وهكذا الى القاف بمائة والراء بمائتين وهكذا الى الغين بألف كما استراه في هذا المقام كذلك ترى أن النصارى في اسكندرية ومصر وبلاد الروم وفي سوريا قد اتخذوا الحروف رموزا دينية معروفة فيما بينهم أيام نزل القرآن وكانت اللغة اليونانية هي اللغة الرسمية في مصر وكانوا يمزون بلفظ (اكسيس) هذه الجلة يسوع المسيح ابن الله الخالص فالألف من اكسيس هي الحرف الاول من لفظ (يسوس) يسوع والكاف منها هي الحرف الأول من (كرستوس) المسيح والسين منها هي حرف الثاء التي تبدل منها في النطق في لفظ (نبو) الله والياء منها تدل على (ايوث) ابن والسين الثانية منها تشير الى (ثوير) الخالص ومجموع هذه السمكات يسوع المسيح ابن الله الخالص ولفظ (اكسيس) اتفق انه يدل على معنى سمكة فأصبحت السمكة عندهم رمزا لاهلهم فانظر كيف اتفقوا من الأسماء الى الرموز بالحروف ومن الرموز بالحروف الى الرموز بحيوان دلت عليه الحروف قال الخبر الانكبرى صموئيل مونتج انه كان يوجد كثير في قبور رومة صوراسماك صغيرة مصنوعة من الخشب والعظم وكان كل مسيحي يحمل سمكة اشارة لعارف فيما بينهم اه فاذا كان ذلك من طبائع الأمم التي أحاطت بالبلاد العربية وتغلغلت فيها ونزل القرآن لجميع الناس من عرب وعجم كان لابد أن يكون على منهج هذه الأمم ويكون فيه ما بالفرن ويستبد أنه لانسبة بين الرموز التي في أوائل السور وبين الجمل عند اليهود ورموز النصارى إلا كالنسبة بين علم الرجل العاقل والصبي أو بين علم العلماء وعلم العامة * فهذا تبين لك أن اليهود والنصارى كان لهم رموز وكانت رموز اليهود هي حروف الجمل

{ لطيفة }

قال ابن عباس رضي الله عنهما مامر أبو ياسر بن أخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ينزل سورة البقرة ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه ثم أتى أخره حي بن أخطب وكعب بن الأشرف فسألوه عن ألم وقالوا نشدك الله الذي لا إله إلا هو أحق أنها أتتك من السماء فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم كذلك نزلت فقال حي إن كنت صادقا اني لأعلم أجل هذه الأمة من السنين ثم قال كيف ندخل في دين رجل دلت هذه الحروف بحساب الجمل على ان ينتهي أجل أمته إحدى وسبعون سنة فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال حي فويل غير هذا فقال نعم المص فقال حي هذا أكثر من الاول هذا مائة واحدى وستون سنة فهل غير هذا قال نعم الر فقال حي هذا أكثر من الاولى والثانية فنحن نشهد ان كنت صادقا ما ملكك أمتك الامائتين واحدى وثلاثين سنة فهل غير هذا فقال نعم المر قال حي فنحن نشهد اننا من الذين لا يؤمنون ولا ندرى بأى أقوامك تأخذ فقال أبو ياسر أما أنا فأشهد على أن أنبياءنا قد أخبرونا عن ملك هذه الأمة ولم يدينوا انها كم تكون فان كان محمد صادقا فيما يقول اني لاراد سيجمع له هذا كله فقام اليهود وقالوا اشتبه علينا أمرك كله فلاندرى أبانة قليل نأخذ أم بالكثير * فهذا تعرف أيها الذكي أن الجمل كان متعارفا عند اليهود وهو نوع من الرموز الحرفية فكانت هذه الحروف لابد من نزولها في القرآن ليأخذ الناس في فهمها كل مذهب وتتصرف الفكر فيها

ولأقتصر لك مما قرأته على ثلاث طرائق فيما ترمز اليه هذه الحروف

{ الطريقة الأولى } أن تكون هذه الحروف مقطعات من أسماء الله كما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال الألف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وعنه أن (الر) و (حم) و (ن) مجموعها الرحمن وعنه

أن (الم) معناه أنا الله أعلم ونحو ذلك في سائر الفواتح وعنه أن الألف من الله واللام من جبريل والميم من محمد أي القرآن منزل من الله بلسان جبريل على محمد عليهما الصلاة والسلام * أقول إن ابن عباس رضي الله عنهما إنما أراد بذلك أن تكون الحروف مذكورة بالله عز وجل في أكثر الأحوال وذكر الله أجل شئ ويرجع الأمر إلى أنها أسماء مرموز لها بالحروف كما تقدم عن الأمم السانقة من النصارى في اسكندرية ورومة ولكن لا بد أن يكون هناك ما هو أعلى وأعلى

(الطريقة الثانية) إن هذه الحروف من أعجب المعجزات والدلالات على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وهذا ما ترضاه النفوس ألا ترى أن حروف الهجاء لا ينطق بها إلا من تعلم القراءة وهذا النبي الأمي قد نطق بها والذي في أول السور ١٤ حرفاً منها وهي ٢٨ حرفاً لم تعد الألف حرفاً برأسه و ١٤ نصفها وقد جاءت في ٢٩ سورة وهي عدد الحروف الهجائية إذا عدت فيها الألف وقد جاء من الحروف المهموسة العشرة وهي (خثثه شخض سكت) بنصفها وهي الحاء والهاء والصاد والسين والكاف

ومعلوم أن الحروف امامهموسة وهي ما يضعف الاعتماد عليها وهي ما تقدم واما مجهورة والمجهورة ١٨ نصفها ٩ وهذه التسعة ذكرت في فواتح السور ويجمعها (ان يقطع أمر) والحروف الشديدة ثمانية وهي (أجبت طبقة) وأربعة منها في الفواتح وهي (أطقك) والحروف الرخوة عشرون وهي الباقية نصفها عشرة وهي في هذه الفواتح يجمعها (جس على نصره) والحروف المطبقة أربعة (الصاد والصاد والطاء والطاء) وفي الفواتح نصفها (ص ط) وبقية الحروف وهي ٢٤ حرفاً تسمى منفتحة ونصفها وهو ١٢ في الفواتح

فانظر كيف أتى في هذه الفواتح نصف الحروف الهجائية إن لم تعد الألف وجعلها في ٢٩ سورة عدد الحروف وفيها الألف وكيف أتى بنصف المهموسة ونصف المجهورة ونصف الشديدة ونصف الرخوة ونصف المطبقة ونصف المنفتحة ولقد ذكرت لك قلامن كل مما ذكره العلماء في هذا المقام ولا أطيل عليك خيفة السآمة والممل وكفاك ما أمليته عليك في هذه الطريقة الثانية لتعرف كيف أتى بهذه الأنصاف وكيف وضعت الحروف على هذا النظام وإنني موقن أن المتعلم لو طلب منه أن يأتي بهذه الحروف منصفة على هذا الوجه ما استطاع لذلك سبيلاً فانه إن راعى نصف الحروف المطبقة فكيف يراعى الحروف الشديدة وكيف يراعى نصف المجهورة في نفس العدد إن ذلك دلائل على صدق صاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم ففائدة هذا الوجه أهم من الوجه الأول فالأول فائدته تذكير الإنسان بأسماء الله تعالى وأما الوجه الثاني ففيه اعجاز للعقول وحيرة فيقال كيف تنصف الحروف الهجائية وتنصف أنواعها من مهموسة وشديدة الخ وهذه الأنواع لم يكن لي درسها أحد في العالم أيام النبوة ولما ظهرت وافقت تلك الحروف بأنصافها إن ذلك يعطي العقول مثلاً من الغرابة الدالة على أن هذا لا يقدر عليه المتعلمون فاذن هو من الوحي وهذا الوجه على قوته يفضل ما بعده

(الطريقة الثالثة) إن الله تعالى خلق العالم منظمًا بحكماً متناسقاً متناسباً والكتاب السماوي إذا جاء مطابقاً لنظامه موافقاً لأبداءه سائر على نهجه دل ذلك على أنه من عنده وإذا جاء الكتاب السماوي مخالفاً لنهجه منافراً لفعاله منحرفاً عن سننه كان ذلك الكتاب مصطنعاً مقلداً متقولاً مكذوباً (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً)

والعالم المشاعدي به عدد (٢٨) في (١) مفاصل اليدين في كل يد ١٤ (٢) وفي خرزات عمود ظهر الإنسان منها ١٤ في أسفل الصلب و ١٤ في أعلاه و (٣) خرزات العمود التي في أصلاب الحيوانات الثمانية الخلقة كالبقرة والجل والحمر والسباع وسائر الحيوانات التي تلد وترضع أولادها منها ١٤ في مؤخر الصلب و ١٤ في مقدم البدن (٤) وهكذا عدد الريشات التي في أجنحة الطير المعتمدة عليها في الطيران فاتها ١٤ ظاهرة في كل جناح (٥) وعدد الخرزات التي في أذناب الحيوانات الطويلة الأذنان كالبقرة والسباع (٦) وعمود صلب الحيوانات الطويلة الخلقة

كالسماك والحيات وبعض الحشرات (٧) وعدد الحروف التي في لغة العرب التي هي أتم اللغات (٢٨) حرفاً منها ١٤ يدغم فيها لام التعريف وهي ت ث د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ل ن و ١٤ لا تدغم فيها وهي ا ب ج ح خ ع غ ف ق ك م ن و ي (٨) والحروف التي تخط بالقلم قسمان منها (١٤) معلم بالنقط ب ت ث ج خ ذ ز ش ض ط غ ف ق ن و ١٤ غير معلمة وهي ا ح د ر س ص ط ع ك م و ل لا وهذا الحرف هو الألف التي هي من حروف العلة أما الأولى فهي الهمزة فهذه ١٤ حرفاً بقيت الباء وهي تنقط في وسط الكلمة ولا تنقط في آخرها فأصبحت الحروف المعلمة ١٤ وغير المعلمة ١٤ والحرف التاسع والعشرون معلم وغير معلم لتكون القسمة عادلة والفضل في هذا العدل للحكيم الذي وضع حروف الهجاء العربية فإنه كان حكماً والحكيم هو الذي يتشبه بالله بقدر الطاقة البشرية وهذا جعل ٢٨ حرفاً مقسمة قسمين كل منها ١٤ كما في مفاصل اليدين وفقرات بعض الحيوانات (٩) ومنازل القمر ٢٨ منزلة في البروج الشمالية ١٤ وفي البروج الجنوبية ١٤ فهذا يفيد أن الموجودات التي عددها ٢٨ تكون قسمين كل منهما ١٤ فهكذا هنا في القرآن جاءت الحروف العربية مقسمة قسمين قسم منها ١٤ منطوقاً به في أوائل السور وقسم منها غير منطوق به في أوائلها وكأنه تعالى يقول أي عبادي إن منازل القمر ٢٨ وهي قسمان ومفاصل الكفين ٢٨ وهي قسمان وهكذا والحروف التي تدغم في حرف التعريف وهكذا التي هي معلمة كل منها ١٤ وضدّها ١٤ فلتعلموا أن هذا القرآن هو تنزيل مني لأنني نظمت حروفه على النمط الذي اخترته في صنع المنازل والأجسام الانسانية والأجسام الحيوانية ونظام الحروف الهجائية فمن أين لبشر كمحمد أو غيره أن ينظم هذا النظام ويجعل هذه الأعداد موافقة للنظام الذي وضعته والسنن الذي رسمته والنهج الذي سلكته إن القرآن تنزيل مني وقد وضعت هذه الحروف في أوائل السور لتستخرجوا منها ذلك فتعلموا أني ما خلقت السموات والأرض وما بينهما باطلاً بل جعلت النظام في العالم وفي الوحي متناسباً وهذا الكتاب سيبقى إلى آخر الزمان ولغته ستبقى حية معه إلى آخر الأجيال إن اللغات متغيرة وليس في العالم لغة تبقى غير متغيرة إلا التي حافظ عليها دين وهل غير اللغة العربية حافظة عليها دين

﴿ حكاية ﴾ حدثني عالم فاضل أنه قرأ رواية باللغة الألمانية ملخصها أن المؤلف الألماني تخيل رجلاً من هذه الأجيال نام فاستيقظ سنة ٨٥٣٢ ميلادية مثلاً فطاف في أنحاء المعمورة وصار يخاطب الناس ويسمع لهجات لم يألفها ولغات لم يسمعها ويرى وجوه لم ينظرها وأشكالاً لم يعرفها ومناظر لم يعهدها وبحث عن انكسار وفرنسا والمانيا ودول أوروبا فلم يجد أرضها وإنما وجدها كلها بحرًا ملحاً أجاباً فيه السمك العظيم فخاف في أمره وأخذ يفكر ويقول يا عجبا كل العجب ألم يكن هؤلاء من آتار ألم يكن لهم عمل ألم يتركوا ما يدل عليهم وبينما هو سائر في سهل من السهول وقد ألم من الحروق الظهيرة فلبجاً إلى كهف ليستريح فيه فجعل مشرف على هذا السهل جالس وهو يفكر في أمر نفسه وأمر الأمم الدارسة واللغات الذاهبة والعلوم الميتة والمدنية الخالية إذ لمح على صخرة بجانبه حروفاً فقال في نفسه يا ليت شعري أي لغة هذه ومن أي اللغات هي إن جميع اللغات متغيرة لا يستقر لها قرار فأخذ يقابل هذه الحروف التي على الصخرة بالحروف التي استصحبها معه وتذكرها مما كان يدرسه وهو مستيقظ أولاً إذا هي تشبه اللغة العربية

هنالك أخذ يفكر ويقول عجب أتبقى اللغات وتبقى العربية وأي شيء العربية ولماذا بقيت ثم قال نعم نعم إن اللغة العربية قبل نزول القرآن كانت تتغير على طول الزمان وتمسخ فلا يعرف إلا وائل الأوائيل الابشقي الانفس هكذا سائر لغات أوروبا فلما نزل القرآن وكان لا بد من حفظ العربية التي نزل بها حفظاً المسامون أصولها فلم تغير فأما الأمم الأخرى فإن لغاتها تغيرت ولم يبق إلا اللغة العربية حافظة شكلها حتى انقرضت الأمم وأصبحت أرضها بحاراً وصارت البحار يابسة وجاءت أمم فلم أعرف كيف أخطبها وقرأت كثيراً من الآثار فلم أعرف حرفاً واحداً من لغات الأمم الذاهبة الدارسة التي بقيت آثارها مطموسة في الأرض ثم أتى بالنتيجة والمقصود من هذه الرواية

فقال من أراد من علماء أوروبا أن يخلد علمه واحترامه ونتيجة عمله فليؤلفه باللسان العربي لأنه هو الباقي أما لغات أوروبا فلا يبقا لها ولا ديام اه فانظر كيف اتفق رأي علمائنا السابقين مع آراء بعض علماء الألمان وكيف يقول علماء ألمان ٢٨ في العالم السماوي والأرضي منسمة ١٤ و ١٤ والقرآن فصلها كذلك ليدل على أنه هو الباقي الظاهر فوق كل دين إلى يوم القيامة وإن المنظم لذلك كله واحد وكيف يرى هذا الرأي عالم ألماني ويقول إن لغة العرب باقية بعد سائر اللغات فانظر كيف اتفق الرأيان الأول علمي والثاني عملي وكلاهما يرمي لبقاء القرآن ولغة العرب إلى آخر الزمان

﴿ تحقيق هذا المقام ﴾

اعلم أيها الذكي أن الطريقة الثالثة لخصتها من كتب أسلافنا لاسيما كتاب اخوان الصفاء ولما كانت تلك الأعداد يعوزها التحقيق وتفتقر إلى التدقيق والالم يرافقتها الصدق ولم يؤيدها الحق أردت أن أبحث عنها بنفسى فأمام فاصل اليدين فهي كما ذكره وأما خزات العمود الفكري في الإنسان فهي كما سيأتي الرقبة ٧ الظهر ١٢ البطن ٥ المتحمة ٥ العصعص ٣ أو ٤ فتكون فقرات الظهر في الإنسان ٣٣ لا ٢٨ فكيف يقولون أنها ٢٨ فنقول إن الخمسة التي هي المتحمة تكون متصلة قبل ولادة الجنين فإذا ولدت اتصلت فصارت واحدة ظاهرا وإذا اعتبرنا أن العصعص ٣ لا أربعة لأن الثلاثة هي الثابتة أما الرابعة فلا ثبات لها تكون فقرات الظهر ٢٨ كما قاله القدماء فهذا تحقيق ما في (١) وفي (٢) وأما السابع والثامن والتاسع فهي محقة كما تقدم وأما ٣ و ٤ و ٥ و ٦ فهي التي تحتاج إلى التحقيق ولقد تاملت لك الجدول الآتي من الكتب الانجليزية في الحيوانات الآتية من علم الزبولوجي

الحيوان	الرقبة	الظهر	البطن	المتحمة	العصعص
١ الحصان	٧	١٣	٥ أو ٦	٥	١٥-١٨
٢ الثور	٧	١٣	٦	٥	١٦-٢٠
٣ النعجة	٧	١٣	٦-٧	٤	١٦-٢٤
٤ المعزة	٧	١٣	٦	٤	١١-١٢
٥ الجمل	٧	١٢	٧	٤	١٥-١٨
٦ الخنزير	٧	١٤	٦-٧	٤	٢١-٢٣
٧ الكلب	٧	١٣	٧	٣	١٦-٢١
٨ القط	٧	١٣	٧	٣	٢١
٩ الأرنب	٧	١٢	٧	٤	١٦-١٨

وجاء ما يوافقه في كلام العلامة جبرار الفرنسي اذ قال

إن سلسلة الحيوان الذي حافره مشقوق ليس فيها الا ستة وعشرون فقرة منها ٧ للعنق وثلاثة عشرة للظهر وستة للبطن وقال إن سلسلة الكلب والهر مركبة من ٢٧ فقرة منها ٧ للرقبة و ١٣ للظهر و ٧ للبطن وقد يكون البطن مركبا من ٨ فقرات وقال إن للخنزير سلسلة مركبة من ٢٨ فقرة ٧ عنقه و ١٤ ظهره و ٧ فطنه فتمين من هذا أن العلم الفرنسي موافق لعلماء انكرا لان المعلوم مشاهد محسوس

وتكون النتيجة أننا اذا حسبنا المتحمة فقرة واحدة في هذه الحيوانات كما اعتبرناها في الإنسان كانت الأعداد هكذا للإنسان ٢٨ وللثور والكلب والهر ٢٧ وللخنزير ٢٩ وللجمل

٢٧ وللارب ٢٧ فيكون كلام الدماء في هذا المقام كلاما تقريرا
 وعددت ريش الطائر فوجدت في كل جناح ٢١ ريشة وهكذا قال علماء البيطرة ولكن قدما نأرجعهم الله
 قالوا ان ما يعتمد عليه الطائر ١٤ لا ٢١ وأما ذيل الحيوانات فانك قد رأيت في الجدول السابق وهو مختلف من ١٨
 الى ٢٤ فهذه المسائل الاربعة الخاصة بالحيوانات الفموية بعضها يوافق كلام القدماء وبعضها يقاربه
 ﴿ ايقاظ ﴾ اعلم أن هذا التحقيق لا يخالف أصل الموضوع ولا ينافي حقيقة المسألة لحروف أوائل السور
 من العجائب فتدوافقت المنازل السماوية ومفاصل اليدين وخزات ظهر الانسان وظهر السكب والهر والحيوانات
 الكاسرة والحروف الهجائية المعلمة وغير المعلمة والمدغمة في لام التعريف والتي لم تدغم وهكذا
 فتعجب من العلم والحكمة وغرائب الابداع وعجائب العلوم ﴿ موازنة رموز المسيحيين برموز المسلمين ﴾
 تأمل كيف كانت رموز المسيحيين قد دعت في آخر أمرها الى تدريس الرمز نفسه والاعجاب به واتخاذة مقدسا
 فالسمكة التي وافقت حروفها الخمسة في اللغة اليونانية أوائل حروف الجلة التي فيها ذكر المسيح أصبحت مقدسة أما
 الرموز في القرآن فان المسلمين الصادقين والحكماء المحققين أخذوا يبحثون بسببها في علم الطبيعة وفي علم الفلك
 وفي علم التفسير وقالوا ان كتابنا يرمز بهذه الحروف الى نظام السموات والأرض وانه موافق للطبيعة وأنه باق بقاءها
 وأنه خير الأديان

فانظر كيف كان قدماؤنا يدرسون وكيف أصبح المتأخرون يجهلون وبعضهم صم بكم عمى فهم لا يعقلون
 كان قدماؤنا يجمعون الطبيعة والفلك من أوضح ما يطبق على الرموز القرآنية فاما المتأخرون فانهم في النية
 غافلون وفي الخفيض نائمون وبالجهل قانعون وللموت يحضرون وبالشقاوة ينعمون وفي الضلال يعمهون وفي
 القيود يرسفون وفي الذلة يعيشون وفي السلاسل يسحبون وفي جهنم الاستعباد يحرقون وقد آن أو ان السعادة
 وأقبلت أيام السيادة وسيدبّل الأمن بالخوف والعلم بالجهل والله يتذكر الليل والنهار مالك الملك - قل اللهم مالك الملك
 تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير توجّل الليل
 في النهار وتوجّل النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب -
 ﴿ كيف نام المسلمون في القرون الأخيرة ﴾

انظر كيف كان قدماؤنا يجمعون هذه العلوم دراسة للقرآن ومعاني له ولكن يا حسرتنا ان أولئك العلماء كانوا
 قليلا فأما العامة والملوك وصغار العلماء فانهم كانوا معرضين عن هذه العلوم ويظنونها كفرا ولو كانت حكوماتهم
 جمهورية نظامية لانتشرت هذه الآراء واظهرت أجيال منهم لم يعرفها الانسان ولكن قد آن أو انه وجاء إبانها
 وسيظهر العلم عما قريب وسيدرس المسلمون هذا التفسير وأمثاله من مؤلفات العلماء في أقطار الاسلام وسيكون في
 هذه الأمة جيل ونظام لم يألفه الانسان ولم يعرفه أبناء الزمان - كل يوم هو في شان - وتلك الأيام ندا وها بين الناس
 - ولتعلمن نبأه بعد حين - ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون -

﴿ جمال هذه الحروف وعجائبها ﴾

فانظر كيف حل الرمز بهذه الحروف في أوائل السور العلماء على التفكير فمن رمز الى أسماء الله الحسنى الى أنها فيها
 نصف الجهورية والمهموسة والشديدة والمطبقة والمنفتحة الخ ثم كيف اعتلوا فوق ذلك الى سماء الخيال وسافروا في باحات
 الجمال فنظروا فقرات الحيوان ومنازل السماء وحروف الهجاء وبحثوا ودققوا وفكروا وحققوا ثم انظر كيف
 كان عدد ٢٨ الذي نصفه القرآن في أوائل السور في علم الارتماطيقى من الأعداد العجيبة القليلة النظير النادرة
 المثال المبهجة للمناظرين المعجبة للقوم المفكرين

وكيف يرون ان هذا العدد ليس له نظير في العشرات كما ان عدد ٦ ليس له نظير في الآحاد و (٤٩٦) ليس له
 نظير في المئات و (٨١٢٨) ليس له نظير في الألوف فان كل عدد اذا جمعت أجزاؤه كانت أكثر منه أو أقل أما هذه

الأعداد الأربعة فإن أجزاءها إذا جعت كانت مساوية لها وبيانها

ان ٢٨ مثلًا نصفها ١٤ ورابعها ٧ ومخرج النصف ٢ ومخرج الربع ٤ ثم الجزء من ٢٨ فيكون الجميع ٢٨ وهذا معنى كونه تاما وأما بقية الأعداد فاما إما ناقصة واما زائدة فأما الناقصة فهي نادرة كما يندر المعدن المسمى (راديوم) الذي يظهر خفايا الأجسام - ان في ذلك لذكرى لقوم يعقلون - وما يعقلها إلا العالمون - فانظر لو لم تكن تلك الرموز لم نبحت تلك المباحث ولم نوازن ما بين كلام قدمائنا وكلام العالم الألماني وكيف ينصح العلماء أن لا يؤلفوا أعز آرائهم إلا بلغتنا لأنها باقية ما بقى الحدثنان - فبأي آلاء ربكم أن كندبان -

﴿ ملخص هذا المقال ﴾

أنظر أيها اللبيب وتفكر في العلم وجماله وفي هذه الحروف التي ينظر اليها الناس نظرهم إلى أجسامهم يعيشون ويموتون وهم لا يفكرون وكل حزب بطعامه وشرابه وشهوته مفتون وهذه الحروف في أوائل السور سكنت عن صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم ليطلق الحرية للعقول في فهمها ويذري الناس يبحثون علمها فأخذوا يتأمسون معانيها ويصيدون بشباك العلم شواردها لا بطريق البرهان ولا بتدقيقات اليقين بل بمجرد المناسبات والمنشآت كالات والمناظرات فماذا فعلوا ولماذا وصلوا وصلوا إلى علم غزير ومقام رفيع شريف فرأوا هذه الحروف التي جاءت في أول السور واحدة واحدة أو ثلث أو رباع أو خماس مثل ق وح م والم وجمع ق وانها ترجع بعد حذف المكرر منها إلى أمر عجيب

(١) هي نصف الحروف العربية (٢) وفيها نصف المطبقة (٣) وفيها نصف المنفتحة (٤) وفيها نصف الحروف الشديدة (٥) وفيها نصف الرخوة (٦) وفيها نصف المهموسة وفيها نصف المجهورة (٧) وانها وضعت في أول ٢٩ سورة عدد ٢٩ حرفا في اللغة العربية بعد الألف اللينة من الحروف (٨) وكيف كانت تقسم الثمانية والعشرون كقسمة منازل القمر (٩) ومفاصل اليدين (١٠) وفقرات الظهر من الانسان (١١) وفقرات الظهر في بعض الحيوان على ما قدمناه (١٢) ثم كيف كانت الحروف الهجائية منها المدغم في لام التعريف ومنها غير المدغم وهذا موافقان لهذا العدد من حيث القسمة (١٣) والمنقوطة كذلك وغير المنقوطة (١٤) وكيف كان عدد ٢٨ الذي قسم إلى قسمين صحيحين في القرآن من الأعداد النادرة الوجود الشريفة التي تساويها أجزاءها كما تقدم وان جميع الأعداد إما زائدة وإما ناقصة

ولما كان هذا العلم مفقودا في الأمم الإسلامية اليوم إلى مسائل ضئيلة في علم الحساب أردت ذكر مسألتين للعدد الزائد والعدد الناقص لتكون على بصيرة في الأمر

العدد الزائد مثل ١٢ نصفها ٦ ثلثها ٤ ربعها ٣ سدسها ٢ ونصف سدسها واحد فجعلنا الأجزاء ١٦ وهي أكثر من ١٢

أما العدد الناقص فهو مثل ٨ نصفها ٤ ربعها ٢ ثمنها ١ وجعلناها ٧ فهي أقل من ٨ فالأعداد جميعها إما زائدة وإما ناقصة وليس فيها تام إلا هذه الأربعة في الأحاد والعشرات والمئات والالوف فتعجب من القرآن لما ألم يذكرك في أول السور ١٢ حرفا أو ١٥ بل ذكرها ١٤ وكان من نتائجها أن نظر العلماء في الفلك وخواص الأعداد وعدد الفقرات والحروف الهجائية وأقسامها وان هذا القرآن ثابت ما بقى الفرقان وما دام الملوان

﴿ الأسرار الكيمائية في الحروف الهجائية للام الإسلامية في أوائل السور القرآنية ﴾

ها أنت ذا أيها الذكي قد اطلعت على مأسطره القدماء وآبائنا الحكماء من الأنوار الإلهية في الحروف الهجائية وفهمتم أنهم في فهمهم درجات ليوتوا كل عاقل ما يوتى طبعه ويناسب عقله ويشابه درجته العلمية وتعالجه العقلية فهل لك أن أبرز لك الجوهر المكنون والسر المصون وأفتح لك بتوفيق الله بعض خزائن العلم لتستخرج منها

لتعارف الحكمية والانور القدسية والتمتع السنية ولدرر البهية ولسعادة الدنيوية ولنعم الابدية للامة الاسلامية
أقول سترى ان شاء الله في سورة العنكبوت وفي سورة يس وما بينهما من أسرار هذه الحروف ما يشرح الصدر
ويوضح الامر ولكني الآن لا أدع هذه لفرضة تمر بدون أن أذكر لك لمحة يزدان بها تفسير هذه السورة فأقول

أنزل الله هذا القرآن ذكرى للناس وقال - ولندبرنا القرآن لندكر فهل من مدكر - وقال - ان هو الاذكر
للعالمين - وقال - أفلم يدبروا الذول - وقال - أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها - فهذه الآيات وغيرها
أعلمتنا أن القرآن انما هو للذكر وللتفكير ولا يحرم من الفكر إلا القلوب المقفلة

تفكرنا في هذه الحروف التي في أوائل السور وتفكرنا فيما سطره قدماؤنا وعلمنا انها جعلت مشارا للنظر وقدحا
للفكر فالاولون والآخرون يفكرون ولا تكبر عليهم ولا راد لقولهم فكما صنف علماءنا في الفقه آلاف الكتب ولا
تكبر ولا منازع هكذا هذه الحروف ونحوها تنوعت فيها الآراء ولا منكر

نقول أيضا ان القرآن اذا كان مشارا للفكر والعلم فهذه الحروف الهجائية المذكورة في أول السور لم جيء بها
ومعلوم أن الحروف على قسمين حروف لها معنى وحروف لا معنى لها فهذه من القسم الثاني والانبياء جاؤا مشرعين
ولم يرسلوا لتعليم مبادئ القراءة والكتابة وانما ذلك لطائفة تقوم به في مبادئ التعليم فاذن هذه الحروف للذكر
وللتفكير فلننظر نظرة عامة تشمل جميع الاقوال السابقة وتضم الآراء المختلفة والمذاهب المنشعبة وهي الكبريت
الاحمر والمسك الاذفر هي رقى الاسلام ومناط السلام وسعادة الامم وبهجة المسلمين

أنظر رعاك الله تأمل يقول الله ا ل م - ا ل ر - طس - حم وهكذا يقول لنا أيها الناس ان
الحروف الهجائية اليها تحمل الكلمات اللغوية فما من لغة في الارض إلا وأرجعها أهلها الى حروفها الاصلية سواء
أ كانت اللغة العربية أم اللغات العجمية شرقية وغربية فلا صرف ولا إملاء ولا اشتقاق إلا بتحليل الكلمات الى
حروفها ولا سبيل لتعليم لغة وفهمها إلا بتحليلها وهذا هو النانون المسنون في سائر العلوم والفنون ولا جرم أن
العلوم قسمان لغوية وغير لغوية فالعلوم اللغوية منتمية في التعليم لانها وسيلة الى معرفة الحقائق العامة من رياضية
وطبيعية والهيبة فاذا كانت العلوم التي هي آلة لغيرها لا تعرف حنائها إلا بتحليلها الى أصولها فكيف اذن
تكون العلوم المقصودة لنتائجها المادية والمعنوية فهي أولى بالتحليل وأجدد بارجاعها الى أصولها الاولية
لا يعرف الحساب إلا بمعرفة بسائط الاعداد ولا الهندسة إلا بعد علم البسائط والمتنمات ولا علوم الكيمياء إلا بمعرفة
العناصر وتحليل المركبات اليها فرجع الامر الى تحقيق العلوم

بهذا وحده ارتقت أوروبا وبهذا وحده يرتقى الاسلام أنظر وتفكر فيما ألتيه عليك الآن تأمل فيما
ستسمعه مما يقرؤه أكثر الناس في مصر وغير مصر وأكثرهم ساهون لاهون لأذ كرك مسائل من علم الكيمياء

﴿ المخاليط المعدنية ﴾

ماهي المخاليط المعدنية لا ضرب لك منها أمثالا

(أولا) هناك معدن يقال له (كدميوم) وهناك القصدير والرصاص وهما معروفان ورابع يسمى (بزموت)
هذه المعادن اذا خلطت بنسب معلومة أمكن صهرها على درجة بين ٦٦ و ٧١ درجة مع ان كلامنا وحده يصهر
على درجة أكثر من هذه الدرجة فأعلاها على درجة (٣٦٠) وهو (كدميوم) وأدناها وهو القصدير على درجة
(٢٢٩) فاجتماعها وتركبها بنسب خاصة بأن يكون بعضها (٨) أجزاء وبعضها (٢) وبعضها (٤) هكذا
٢ : ٤ : ٨ وهي النسبة الهندسية العجيبة هو الذي أكسبها هذه الخاصية وهي انها تصهر على درجة غير درجات كل
واحد من العناصر الداخلة فيها

(ثانيا) النحاس الاحمر مثلا ين يصنع بسهولة ولكن ليس فيه صلابة كافية فاذا صهر جزآن منه مع جزء
من الخارصين تكون مخلوط معدني صلب هو النحاس الاصفر سهل الصنع لونه أصفر واذا تغير مقدار الخارصين أمكن

اكسابه لون الذهب

فإن النحاس الأصفر لا يمكن برده لأنه يلتصق بالمبرد كالجسم الدسم وذ أضيف لى مائة جزء منه جزء أو ثلاثة أجزاء من القصدير أو الرصاص زال منه هذا العيب

(ثالثا) الرصاص يصهر بسهولة ويمكن عمل أحرف طبع منه بصبه فى القوالب المعروفة بالأمهات لكن هذه الأحرف لا تتحمل ضغط الطبع فتتهدت ويتغير شكلها بسبب رخاوة الرصاص ود عمت أحرف أصبع من الانديمون وحده فإن هذه الأحرف تنفتت بضغط الطبع لهاشة الانديمون فإذا مزجت أربعة أجزاء من الرصاص بجزء من الانديمون تحصل مخلوط صالح لأن تصنع منه أحرف الطبع بصبه فى الأمهات وهذه الأحرف تتحمل ضغط الطبع فلا تتهدت ولا تنفتت

(رابعا) صنع المدافع يحتاج الى معدن صلب غير هش يمكن اصهاره وخرطه والنحاس وحده فيه معظم هذه الاوصاف غير أنه رخو فاذا خلطت (٩٠) جزأ منه بعشرة أجزاء من القصدير تحصل مخلوط معدنى أكثر صلابة من النحاس وفيه المداومة الكافية لأن تصنع منه المدافع وهذا المخلوط يسمى (برونز) وكلما زاد مقدار القصدير فى هذا المخلوط زاد صلابة ولكن يكون أكثر قابلية للافسار

(خامسا) اذا أضيف (٧٨) جزأ من النحاس و (٢٢) جزأ من القصدير كان المخلوط صلبا له رنة تعمل منه الاجراس والنواقيس

هذه الأمثلة الخمسة ذكرتها لك لتتظرف فى أمره كيف كان المركب فى المثال الأول اذا كان على هيئة مخصوصة بمقادير محدودة كان صهر المركب فيه أسهل من صهر كل واحد من العناصر وحده

أنظر كيف كان النحاس الأحمر فى المثال الثانى لا يكسب الصلابة الكافية ولا لون الذهب الا اذا خلط بمقدار من الخارصين معين فيكون نحاسا أصفر ثم كيف كان النحاس الأصفر غير قابل برده بالمبرد الا باضافة القصدير أو الرصاص اليه لكل مائة جزء أو ثلاثة فبالخارصين صار نحاسا أصفر وبالقصدير أو الرصاص صار قابلا لعمل المبرد

وانظر الى حروف الطبع فى المثال الثالث كيف كان الرصاص وحده رخوا لا يتحمل الطبع والانديمون وحده يتفتت وكيف كان أربعة أجزاء من الأول وجزء من الثانى اذا خلط تم الطبع فهذا التفسير لا يمكن طبعه الا بهذه النسبة التى لو زادت أو نقصت أو انفرد أحد المعدنين لم يمكن طبع هذا التفسير

وانظر الى صنع المدافع كيف كان النحاس الأحمر وحده لا يجدى فيه فاذا أضيف اليه الخارصين لكل تسعة أجزاء جزء واحد بحيث لا يزيد ولا ينقص أمكن صنع المدافع

هأنذا قد كشف لك أمر صنع المدافع وأحرف الطبع والاجراس والنحاس الأصفر - هذه الأمثلة منظار معظم أو مرآة تنظر بها صور العلوم كلها وهذه العلوم ترجع مركباتها الى أصولها فكما رجعت الكلمات والجل فى النثر والنظم الى الحروف الهجائية هكذا رجعت جميع المركبات فى العلوم الطبيعية والرياضية الى أصولها الأولية فجل الله وما أبدع العلم وأجل الحكمة . علم الله أن الأمم الاسلامية سيأتى لها زمان أصبح فيه نائمة لا تلبث ثمانية سنين وازدادوا تسعا بل ستمائة سنين وازدادوا ثمان عشرة بل أكثر من ذلك

فأنزل الله هذه الحروف وأمرنا بقراءتها ولم ير در رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقيدنا بمعنى مخصوص فيها بل ان اليهود لما حسبوها بالجل تبسم ضاحكا ولم يتكلم تلك حكمة وأية حكمة آية وآية آية كأن الله يقول أيها المسلمون هذه الحروف اذا تركت بلا تركيب تكون بلا معنى ال م فاذا ركبت على نسب مخصوصة كانت لها معانى على مقتضى التركيب فزيادة حرف أو نقصه من الكلمة تغير المعنى ومن لم يعرف الحروف التى هى أصول الكلمات لم يقبىن حقائق اللغة مع أن من الناس من يتكلم ولا يعرف الحروف الهجائية هكذا العلوم والصنائع ترجع الى أصولها فاذا لم يعرف الناس خصائص الرصاص والانديمون فكيف يصنعون حروف الطبع واذا جهلوا خواص النحاس والقصدير

فن أين يتأتى لهم عمل البر ونز الذي يصنعون منه المدافع وإذا جهلوا خواص الخارصين إذا اجتمعت مع خواص النحاس الأحمر فن أين يتأتى لهم النحاس الأصفر أو جهلوا خواص الرصاص مع ما تقدم فن أين يصلحون العيب الطارئ عليه

هذه أمثلة تبين لك أيها الذكي ان الله تعالى جعل عالم الماديات كعالم اللغات وان خصائص المركبات تفارق خصائص المفردات فكما لا يكون ألف ولا لام ولا ميم مفيدة للمعاني متفرقة هكذا لا يصلح النحاس وحده لصنع المدافع ولا الرصاص وحده لصنع حروف الطبع وكما ان تركيب حرف الألف مع اللام المشددة بعد هامة مع الهاء على هذا الترتيب تفيد معنى الذات الواجب الوجود وإذا غير التركيب أو العدد أو شكل الحروف تغير المعنى هكذا إذا زاد النحاس على تسعين جزءاً في صب المدافع أو نقص وهكذا القصدير إذا زاد عن عشرة أجزاء أو نقص لا يصلح المخلوط لصنع المدافع

ولقد علمت ان هذه العلوم والصناعات جميعها نبغ فيها الفرنجة والمسلمون لم يوقظهم أحد الى درمها مع ان علماء المذاهب جميعاً أجمعوا انها فرض كفاية وان آيات القرآن طافحة بذلك عجايب الصنعة الالهية فأنزل هذه الحروف سبحانه حتى تكون رمزا يظهر به سره العجيب وابداعه الغريب واتقانه العالي

عجبا لك الحديا الله ركبت النبات ونظامته وجعلته من عناصر بموازين محدودة وهكذا الحيوان وأهلتم عبادك أن ينهجوا نهجك ويصنعوا بأجزاء محدودة وأتمت المسلمين آمدا وآمدا ثم كنزت لهم في كتابك كنزا أظهرت سره لهم الآن وقلت أي عبادي ادرسوا نظامي وتخلقوا بأخلاقى وحلوا العناصر وادرسوها واقرؤا العلوم وافهموها فقد وعظمتكم بالمدافع القاتلة والطائرات القاتكة والأمم الظالمة كل هؤلاء أرسلتهم رحمة لكم لا عذابا - ان ما يفتح باب العلم ليس تعذيبا انه تهذيب نعم يكون تعذيبا إذا لم تعظوا ولم تتذكروا فيكون الهلاك حتما عليكم لانكم لا تصلحون للحياة ولا تصلحون للوجود وكيف يصلح لوجود من ينظر ولا يعقل أليس هذا التفسير يطبع بحروف مركبة تركيبا منظما من معدنين فكيف تطبعونه وغيره إذا لم تدرسوا هذه العلوم والصناعات أفلا تبصرون أفلا تسمعون

مدافع أرسلتها وطائرات بعثتها وغارات خائفة أطلقتها وآيات بينات فصاحتها وحروف هجائية أنزلتها أفلا تتذكرون نظرتم بأنفسكم المدافع وحروف الطبع ولكنكم أكثرتم عن التفكر فيها معرضون فإذا لم تعقلوا المبصرات فيها أناداً أسمعكم الحروف الهجائية في أول السور لأذكركم بذلك أفلا تتذكرون

﴿ منطق حروف الطبع بالسان حالها ﴾

لونطقت حروف الطبع لقات بالسان فصيح قد ركبت صورتى من عناصر بحساب كما ركبت الحاصلات الزراعية والأعضاء الحيوانية والعقاقير الطبية وسائر المصنوعات الانسانية فهذا أناذا اليوم أمثل ذلك التركيب والتحليل بنظام فى الاحرف الهجائية اقرؤا ان شئتم - ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور - كل ذلك اشارات قدسية فى الحروف العربية بأوائل السور القرآنية

﴿ حكمة ﴾ لا تظن أيها الذكي ان هذه المعانى التى ذكرناها تجول بخواطرها علماء الكيمياء أو علماء النبات أو علماء الصناعات والذين يصبون المدافع صبا أو الذين يقرؤن علم التشريح ان هؤلاء يقرؤن علومهم ولا يخطر ببالهم ما ذكرناه لأنها علوم جزئية والعلم السكلى هو الذى يسميه القدماء علم ما وراء الطبيعة أو العلم الاعلى وهو الباحث عن النظام العام فأهل هذا العلم وهم الحكماء أشبه بمنشئ القصيدة والخطيب وأهل تلك العلوم أشبه بعالم النحوى أو الصرف أو الخط فكل منهم لا يهتم إلا العلم الجزئى من اللغة الذى هو بصدده وهذا هو السبب فى ان أكثر من قرؤا العلوم الطبيعية يجهلون العلوم الالهية كما ان المختص بعلم النحوى والصرف من المدرسين وقضى حياته فيه منسكبا عليه لا يتعداه لا يحسن قرض الشعر ولا الخطب ولا الدثر كما هو معروف مشهور

وكما أن الشاعر والخطيب والنثر يكفهم من النحو والصرف وأمثالهما ما به يصلح لفظهم هكذا الحكماء يحجزهم من العلوم الطبيعية والرياضية ما به يدرسون نظام الوجود حسب ولا يعنهم التبحر في العلوم الجزئية والفريقان خلفوا في كل أمة ودين رحمة للناس وكما أن الشاعر وأخويه يحنون الجهور على الأدب والأخلاق والنظام المدني هكذا الحكماء الذين هم صفوة الله في الأرض بعد الأنبياء يلقون في القلوب الحكمة ويوحدون عقائد الخواص في الأمم والأديان كما يوحد الوعاظ الحقائق عند العوام

إن الناظر نظرة عامة في العلوم الطبيعية والفلسفية ومقدماتها هو الذي يفهم قوله تعالى في هذه السورة - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط - وهو الذي يعرف قوله تعالى - وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - وقوله - إن الله سرير الحساب - وقوله - وكل شيء عنده بمقدار - وقوله - ووضع الميزان ألا تظفروا في الميزان - ها أنت أيها الذكي بما يدكر في هذا المقام وفي غيره من هذا الكتاب رأيت الميزان والحساب واطلعت على رتبة أولي العلم الذين عطفوا على الملائكة حتى يلحقوا بهم

على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له منها نصيب ولا سهم

ما الناس سوى قوم عرفوا ----- واهم همج الهمج

انتهى الكلام على القسم الأول من سورة آل عمران وهو (الم)

(الكلام على القسم الثاني من سورة آل عمران)

الم * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ * وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ * إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ * هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ * لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ * وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ * فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ * وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ * وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا * وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ * رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً * إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ * رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ * إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ *

قوله الم تفتح الميم في المشهور بنقل حركة الهمزة في اسم الجلالة إليها وقرئ بكسر هاء على توهم التثنية الساكنين وقرئ بسكونها والابتداء بما بعدهما وهو الأصل (الحى القيوم) تقدم في آية الكرسي (نزل عليك الكتاب) القرآن على مقتضى الواقع (بالحق) بالعدل والصدق في أخباره والحجج المحققة أنه من عند الله (مصدق لما بين يديه) من الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء (وأنزل التوراة والإنجيل) على موسى وعيسى (من قبل) أى من قبل تنزيل القرآن (هدى للناس) عامة ونحن منهم إذا قلنا إننا متعبدون بشرائع من قبلنا أو قومهم فقط إن لم نقل ذلك

فهو ما رأيان (وأُنزل الفرقان) جنس الكتب الإلهية من هذه الثلاثة وغيرها (ان الذين كفروا بآيات الله) من كتبه المنزلة وغيرها (لهم عذاب شديد) بما كفروا (والله عزيز ذو انتقام) أى غالب ذو انتقام عظيم لا نظير له (ان الله لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء) فليس يغيب عن علمه كل شيء ولا جزئى ولا ذرة ولا أصغر منها ولا أكبر (هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء) من الصور المختلفة فىو الذى يتقن خلق الجنين ويتم تصويره بحكمة وابداع (لا إله الا هو العزيز الحكيم) كامل لقدرة تام الحكمة (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات) لم تكن بمجمل العبارات ولا محتملة المعانى (حق أم الكتاب) أصله الذى يرد اليه ما عداه (وأخر متشابهات) محتملات غير متضحات بمجمل العبارات أو مخالفة لمظواهر ولا يدرك المراد منها الا باستنباط العلماء والموازنة بينها وبين المحكمات وقوله فى آية أخرى - أحكمت آياته - حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ وقوله فى أخرى - كتابا متشابها - أى يشبه بعضه بعضا فى صحة المعنى وجزالة اللفظ (فأما الذين فى قلوبهم زيغ) عدول عن الحق من أهل البدع (فيتبعون ما تشابه منه) ناظرين الى ظواهره أو مؤولين تأويلا باطلا (ابتغاء الفتنة) طلب أن يفتنوا الناس فى الدين ويوقعوا الشك فى قلوبهم بالتلبيس ومناقضة المحكم للتشابه أو طلب الغرام به والافتتان بحيث لا يصغون لنصح الناصحين (وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله) الذى يجب أن يحمل عليه (الا الله والراسخون فى العلم) أى الذين ثبتوا وتمكنوا فيه (يقولون آمنا به) أى حال كونهم يقولون آمنا به (كل من عند ربنا) ويصح ان تكون الجملة مستأنفة لتوضيح حال الراسخين وهذا على أن الراسخون معطوف على لفظ الجلالة ويصح الوقف على لفظ الجلالة ويكون الراسخون مبتدأ خبره يقولون آمنا به ويكون التشابه بمعنى ما استأنث الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الأعداد الواردة كعدد الزبانية (وما يذكركم الا أولوا الألباب) وهم الراسخون فى العلم الذين جادت أذهانهم وحسن نظرهم فهم مستعدون للاهتمام الى تأويله (ربنا لاترغ قلوبنا) أى يقول الراسخون فى العلم ربنا لاترغ قلوبنا عن الحق والهدى الى اتباع التشابه بتأويل لارضاء قال عليه الصلاة والسلام قلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن ان شاء أقامه على الحق وان شاء أزاغه عنه أولاتيلنا بلبائز يزع قلوبنا فيها (بعد إذ خدعنا) أى وفقتنا لدينك والايان بالمحكم والتشابه من كتابك (وهب لنا من لدنك رحمة) ترافقنا اليك ونفوز بها عندك باعطائنا توفيقا وتثبيتا للذى نحن عليه من الايمان والهدى وبغفران ذنوبنا (انك أنت الوهاب) والوهاب من يعطى بلا عوض ولا غرض والله يعطى كل أحد على قدر استحقاقه (ربنا انك جامع الناس ليوم) لحساب يوم أجزائه (لا ريب فيه انك لاتخاف الميعاد) وهذا من بقية دعاء الراسخين فى العلم طلبوا من الله ألا يزيغ قلوبهم وأن يهديهم ويرحمهم وذلك من مصالح الدين والدنيا معا ثم ذكر وافية نتيجة ذلك فى الآخرة وقالوا انك جامع الناس للجزاء ووعدك حق فمن أرغت قلبه فهو هالك ومن مننت عليه بالرحمة فهو سعيد * انتهى التفسير الاجالى للقسم الثانى من السورة

﴿ تفصيل الكلام على هذه الآيات فى القسم الثانى ﴾

اعلم ان هذه الآيات اشتملت على نمطين * النمط الأول فى هداية العامة من سائر الأمم والأجيال وتلك الهداية تكون بالحجج التى اشتملت عليها تلك الكتب ثم الانذار والتخويف بالوعيد والجز والعقاب الشديد فذكر الكتب السماوية من القرآن والتوراة والانجيل وسائر الكتب ثم أنذر بالعذاب الشديد وختم ذلك بأنه عزيز ذو انتقام * النمط الثانى هداية الخواص من تلك الأمم التى أنزلت عليها الكتب وذلك راجع الى علمهم بأمرين سعة علم الله تعالى وسعة حكمته وقدرته فأشار الى الأول بقوله - ان الله لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء - وهذا هو سعة علمه جل جلاله والى الثانى بقوله - هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء - وبقوله تعالى - هو الذى أنزل عليك الكتاب الخ - فهو يقول ان الخواص من الناس وأرباب العقول يعرفون ربهم بسعة علمه واحكام قدرته وانتظام أعماله انتظاما تاما كما يرى فى تصوير الأجنة فى الأرحام وابداع العقول العظيمة فى تلك النفوس لتفقه الكتاب وتبين التشابه وترجعه الى المحكم فنظام الاجسام وجمال العقول من عجائب قدرته عز وجل واحكامه خلقه

وانفصل الكلام على الامرين (الاول) قوله تعالى ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء (الثاني) قوله تعالى (هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم)

﴿ الكلام على الامر الاول ﴾ لقد عرفت فيما مضى ان العامة غير مهتمين بالنظر فالكاتب السماوية كافلة بايمانهم أما الخاصة فهم المجدون بمخاوتهم في الارض وفي السماء فيعرفون سعة علم الله تعالى من علم الطبيعة وعلم الفلك وعجائب هذه الدنيا التي خلقنا فيها وهؤلاء هم أكابر الحكماء وعظماء الامم القائمون بانتشارها واسعادها واعزازها وفي القرآن آيات كثيرة دالة على سعة علم الله داعية ومشوقة لذوى العقول الكبيرة أن يبحثوا ويجدوا بقرائنهم في هذا العالم كقوله تعالى في سورة لقمان - يا بني انما انك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير - وكقوله - وما تكون في شأن وما تلومته من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين - وكقوله تعالى - يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور - وكقوله تعالى - وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين -

فيري العقل انه ذكر انه يعلم ما في السموات وما في الارض كالرطب واليابس والاجسام التي لا يحصى عددها من الورق النابت في الشجر الساقط من اليبس بل ما هو أقل من ذلك كالحبة من الخردل بل ما هو أصغر منها وتجاوز ذلك الى ما هو أبعد من المادة غورا ألا هو ما في النفوس من الآراء والاعتقادات والمقاصد فهذه الآيات يترؤها العقلاء فيرون أنها تصف الله بعلم الاجرام الكبيرة والصغيرة وما تناعى منها في الدقة وهكذا ما وراءها من المعاني والافكار فينظرون فيرون ذلك انما يعرف بعلم الطبيعة في العصر الحاضر وبه ويعلم الفلك يعجبون من هذا النظام البديع المملوء من الغرائب والبدائع

واعلم أن الله لما انزل القرآن بالوحي على نبيه أنزل أيضا نورا على العقول فأبرزت مكنون العلم في هذه العوالم المشاهدة حتى يوازن ذوو العقول الكبيرة ما بين الوحي النبوي في الكتاب السماوي وبين العلم العقلي المضى بالعقول السليمة المستخرجة لكنوزه من جواهر الطبيعة وهنا التقى البهران واتحد المنهجان منهج العقول السليمة والنفوس الشريفة ومنهج الوحي الالهي وهنا يحسن الكلام في مبحثين * المبحث الأول فيما هو أصغر من الذرة * المبحث الثاني فيما هو أكبر من الذرة

﴿ المبحث الأول وفيه لطائف ﴾

(اللطيفة الأولى) اعلم أن المادة لها صفات عامة وصفات خاصة - اذا سحبتنا مسبارا حتى صار شريطا فصفات الحديد الخاصة لا تتغير وأما اذا وضعناه في الماء فان صفاته تتغير ويصير أجري لنا قصفا خشنا بالصديد فالأول يسمى تغيرا طبيعيا والثاني يسمى تغيرا كيميايا وعلى ذلك يكون هناك علمان الطبيعة والكيمياء

فالطبيعة علم يبحث فيه عن تغير المادة تغيرا طبيعيا والكيمياء علم يبحث فيه عن تغير المادة تغيرا كيمياويا والاجسام صفات عامة كالامتداد وعدم التدخل والتجزئة وان فيها مسام

(اللطيفة الثانية) ان العلماء قد بحثوا في تجزئة المادة حتى وصلوا الى ما يدعش العقل ويحير الفكر فقد رأوا بعض العناكب تنسج خيوطا دقيقة عجيبة جدا محيرة للناظرين مدحشة للفكرين فانها تنسج بيتها من خيوط كل خيط منها مؤلف من أربعة خيوط أدق منه وكل واحد من هذه الأربعة مؤلف من ألف خيط وكل واحد من الألف يخرج من قناة مخصوصة في جسم العنكبوت فانظر كيف كان الخيط الواحد مؤلفا من ٤ في ١٠٠٠ تساوي ٤٠٠٠ ومن عجب أن بعض علماء الالمان قال انه اذا ضم ٤٠٠٠٠٠٠٠٠ ٤ أربعة بلايين خيط الى بعضها لم تكن أغلظ من شعرة واحدة من شعرات لحية ولقد علمت ان كل خيط من تلك الخيوط مؤلف من أربعة آلاف خيط

(اللطيفة الثالثة) ان قححة من (الستركنين - وهو ضرب من السم مستعمل في الطب كثيرا) اذا وضعناها في ١٧٥٠٠٠٠ قححة من الماء شعرنا بطعمها في كل قححة وعلى ذلك يكون في كل قححة من الماء $\frac{1}{1750000}$ من قححة من (الستركنين) ومع ذلك يشعربه من يذوقه

(اللطيفة الرابعة) اذا أذبناقطعة من الفضة بقدر $\frac{1}{1000000}$ من القيراط المكعب في الحامض
النريك ثم صببناه في مائة قيراط مكعب من الماء وأذبنافهم اقليلًا من ملح الطعام فان المذوب يتعكر ويصير أبيض
لبنبا ويبقى هذا اللون ظاهرا للعين ولو فيما ساوى $\frac{1}{100}$ من القيراط المكعب وفي ذلك من الفضة
 $\frac{1}{1000000}$ من القيراط المكعب

(اللطيفة الخامسة) اننا نرى الهباء الذي يسقط في البيوت من ضوء الشمس الداخل من النوافذ ونحن عادة لانفكر فيه مع ان فيه كثيرا من بزور النباتات فاذا وقع هذا البزر على ارض رطبة كانت منه عفونة وهذه العفونة اذا نظرناها بالماكر سكوب وجدنا غابات كثيرات الاشجار مشبكة الاغصان واعيننا لا تميز شيئا من ذلك

(اللطيفة السادسة) ان آلاف الآلاف من الحيوانات تعيش في نقطة ماء صغيرة تعلق برأس الابرة مثلا وتتمو هناك وتكاثر وتموت كما تعيش حيوانات البر في القفار وحيوانات الماء في البحار ويسطو بعضها على بعض ويقاتل ويفترس بعضها بعضا كالكواسر والجوارح وهي كثيرة الوجود وقاما يخلو منها مستنقع أيام الصيف وهي تصعد في البخار الذي يتصاعد عن الماء بحرارة الشمس وتطير في الجو مع الهباء ثم تعيش وتكثر حيثما تركت ووافقتها الرطوبة والحرارة

(اللطيفة السابعة) ان الحيوانات السابقة مع تنهاى صغرها قد تحجرت منها طوائف لا تحصى حتى كانت منها طبقات كبيرة من الصخور الطباشيرية فى الأرض ولا يساوى هيكلى الحيوان الواحد منها أكثر من ١٠٠٠ ر ١٨٧ من القمح ومع هذا الصغر المتناهى لهذه الحيوانات كان لكل حيوان منها معدة أو أكثر تضم طعامه وأعضاء باطنة وأخرى ظاهرة فإذ اتناهى الحيوان فى الصغر فماذا تكون تلك الأعضاء وهذا داخل فى قوله تعالى - وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين - وكيف يعزب عنه ذلك

وقد ظهر ان تلك الحيوانات الطباشيرية مثلا عند خلقها وموتها لم تكن لها فائدة واضحة فلما أن كثرت وكان منها الطباشير وانتفع به الناس عرفنا ان خلق ذلك الحيوان كان مقصودا لحكمة . كما كان خيط العنكبوت الذي هو واحد من ألف خيط خارج من جسمه لا يشعر بمنفعته إلا بعد ما انضم الى الخيوط الأخرى ثم كان النسيج فظهرت المنفعة حينئذ . فاذا رأى الناس عالم الحيوان وعالم النبات وعميت عليهم طرق الصواب في فهمها وقالوا لم خلق نبات كذا وما فائدة هذه الحيوانات الكثيرة قلنا لهم ما طوائف الحيوانات والنبات التي لم تظهر حكمتها لنا إلا كطوائف الخيوط الدقيقة العنكبوتية قبل التمام . فاذا فهمنا العنكبوت وخيوطه والطباشير ومنفعته فهمنا فيهما إقناعا أن لهذه العوالم حلا عالية تظهر فيها فائدتها . وهذا داخل في قوله - ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين - وإنما كان في كتاب مبين لأنه سائر غاية والغايات لا تكون إلا تابعات للعالم والعلم لا بد له من عالم

(اللطيفة الثامنة) ان المادة مع صغرها ليست متصلة بذراتها اتصالا تاما بل هناك فضاء متسع بين أجزاء الماء والهواء والحجر والحديد والذهب وقالوا لو ان حيوانا عاش على سطح ذرة من ذرات أى جسم من حديد أو حجر أو ذهب وأراد أن يرفع رأسه الى الذرة الأخرى لراها بعيدة بعد ما بيننا وبين الشمس أو النجوم . وأنت ترى أن هذا القول الذي قالوه لا تصدقه العقول ولا تدركه الأبصار ولكن العلم أثبتته ويقر به لك ما أذكره فأقول (١) اذا وضعنا في إناء ماء ثم وضعنا في الماء ملحاً ثم بعد ذوبانه وضعنا فيه سكرًا فان الماء لا يزيد حجمه لأن دقائق الماء وسعت الملح ودقائق الملح وسعت السكر لأنه أدق من الملح فدلنا هنا على مسام الماء ومسام الملح (٢) أتى بعض العلماء بكثرة من الذهب مجوفة فلا عاماء ثم ضغطها فسطحت قليلا وخرج الماء من مسامها حتى يرتشح ويصير زبدًا على سطوحها ثم يتجمع ويقطر عنها (٣) والأعمدة الحجرية تقصر اذا كانت تحت بناء عظيم لزيادة ثقله

(اللطيفة التاسعة) اعلم أن الذهب والفضة والبلاتين أقبل المعادن للسحب وان ٣٦ درهما من الذهب يمكن أن يعمل منها خيط طوله مائة ميل والبلاتين وهو أثقل من الحديد نحو ثلاث مرات يمكن أن يستل منه شريط طوله مائة ميل من قحمة واحدة منه والذهب ينسج من شريطه نسيج كالشبكة بحيث يكون فيه سبعة وستون ألف خرب في مساحة قيراط مربع

(اللطيفة العاشرة) ان أشد المعادن قبولا لطرقه وترقيقه الذهب حتى انهم صنعوا من اثني عشر درهما منه ٣٦٠٠٠ قطعة بحيث كان سمكها كلها معا قيراطا واحدا

﴿ تذكرة ﴾ فتعجب من المادة وكيف تناهت في صغرها الى درجة بعيدة الغور فمن خيط العنكبوت المتماهى في الدقة بحيث تكون خيوطه التي تكون منها أربعة آلاف خيط خارجات من جسمه على هيئة عجب الى أن واحد من مليون وسبعمائة وخمسين ألفا من قحمة من الستركنين تتجزأ في قحمة من الماء بحيث يظهر فيها طعمها الى ذلك الهباء الذي يظهر في البيوت الحامل بزور يخرج بعد سقوطها بسايتين ذات أثمار وأزهار وأوراق وسوق والناس لا يرونها بأعينهم إلا عفونة يا نقون من منظرها الى حيوانات تعد باللايين تعيش في قطرة ماء على رأس ابرة ولقد شاهدت أنا بنفسى بعض ذلك (بالمجهر) وهو الآلة المعظمة . وهذه الحيوانات من بعضها يكون الطباشير مثلا فانظر وتعجب وافهم قوله تعالى - وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين - وهذه المذكورات من الذي هو أصغر من الذرة . ولا يدري إلا الله الى أى حد تنتهي المادة في الصغر . وأنت ترى أن ما يساوى واحد من مائة من قيراط مكعب من الماء يتلون بمقدار واحد من عشرة ترليون من القيراط المكعب من الفضة وأنت خبير أن هذا المقدار لا يتصوره الوهم حتى ان العلماء قالوا لو أن آدم وحواء أخذتا بعدان هذا العدد واحدًا واحدًا كل ثانية من يوم أن خلقهما الله ولم ينما ليلًا ولا نهار على الحال المذكورة ماذا النوم إلا بعد مضي عشرة آلاف سنة وهذا في عدد

لما انتهى الى ما وصلنا اليه قال انكم ايها الناس لاطاقة لكم بما فوق عقولكم - ما شهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم - وهذا بعينه كلام العام في أوروبا فانا قدّمنا لك ان هذا الجوهر الفرد لم يروه وانما استنتجوه ولم يشاهدوه * انتهى الكلام على المبحث الأول أي ما هو أصغر من الذرة في قوله تعالى - ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين -

المبحث الثاني فيما هو أكبر من الذرة في الآية وفيه لطائف

(اللطيفة الأولى) اعلم أن الذرة منها تتركب هذه الأجسام وقد قلنا انها هي مركبة من الجواهر الفردة ومن الأجسام تكون هذه الأجرام العظيمة من السموات والأرض أما الشمس والأقمار والأرضون فقد استوفيناها في قوله تعالى في سورة البقرة - ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم - انما الذي يهمنا الآن أن نبحث فيما هو فوق ذلك مما كشف حديثا ولأذكر لك خلاصة ما قيل عن العوالم السديمية في آخر تقرير رفع الى أكاديمية العلوم بفرنسا في هذا العام فأقول

إذا أرسلت نظرك الى السماء في ليلة صافية الأديم أبصرت غيوما بيضا كأنها لبن وهي عبارة عن سديم أي سحب سباحة في الفضاء الذي لا يتناهى كما كانت أرضنا وشمسنا في الأحقاب والدخور قبل ملايين الملايين من السنين ثم ان المسافات التي تفصل هذه العوالم عنا لا تقع تحت حصر فالكيلومتر لا يصلح فيها مقياسا ولا قطر الأرض ولا قطر دائرتها حول الشمس وقد اصطلحوا على مسافة هذا القياس تبلغ ثلاث سنين و سادس سنة نورية و سموها «برسك» والسنة النورية أمر يفوق الوصف فان النور يسير في الثانية بسرعة ٣٠٠ ألف كيلومتر فبالت إذا جرى سنة ثم ثلاث سنين و سادس سنة الذي جعلناه مقياسا

فانظر الآن ما جاء في ذلك التقرير الذي رفع في شهر مارس سنة ١٩٢٣ أثناء تفسير القرآن فقد جاء فيه ان سديم (ماجلون) يبعد عن الأرض ٣٥ ألف برسك أي نحو ١١٠ ألف سنة نورية وان السديم التي تمكن العلم من قياسها هي كياتي :

- (١) ستة سديم تبعد عنا ٦٥ برسك أي نحو ٢٠٧ سنة اذا نحن سرنا اليها بسرعة النور
 - (٢) ثلاث نجوم سديمية معروفة باسم «نوكا» تبعد عنا ١٧٥ برسك أي نحو ٤٣٥ سنة نورية
 - (٣) خمسون سديما مظهروا نيرا تبعد عنا ٣٢٠ برسك أي نحو ١٠١٤ سنة نورية
 - (٤) سبعون سديما تبعد عنا ٩٠٠ برسك
 - (٥) تسعة وستون سديما تبعد عنا ٢٣ ألف برسك أي نحو ٧٢٨٤٧ سنة نورية
 - (٦) سديمان حلزونيان على بعد ٢٠٠ برسك أي نحو ٦٣٥ سنة نورية
 - (٧) ستة عوالم سديمية تبعد عنا ١٥٠ ألف برسك أي نحو ٤٧٥ ألف سنة نورية
- ويبعد السديم «اندروميد» عنا ٤٥٠ ألف برسك أي نحو مليون وأربعمائة وخمسة وثمانين ألف سنة نورية ويسير هذا السديم بسرعة ١٢٠٠ كيلومتر في الثانية وكذلك السديم المعروف باسم ماجلون فانه يبعد عن النظام الشمسي بسرعة ٥٦٨ كيلومتر في الثانية وتسير المجرة التي يعد النظام الشمسي والسيارات وفي جملتها الأرض من تواليها بسرعة ٥٦٠ كيلومتر في الثانية جاذبة وراءها الشمس والسيارات مع الأرض وكل نجوم السماء

هذه هي الخلاصة التي رفعت الى أكاديمية العلوم فانظر كيف اطلعنا على أصغر الكائنات وعلى أعظم الكائنات واتصل أصغر عابا كبيرا في النظام وسرعة الجري وأصبح في نظر العالم أنه لا فرق بين السيارات في مداراتها وحبيبات الكهرباء الجاريات حول النواة في الجوهر الفرد فاتصل أولها بأخرها وليس هذا بعينه هو قوله تعالى - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - أي تناقض - فارجع البصر هل ترى من فطور - شقوق - ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير -

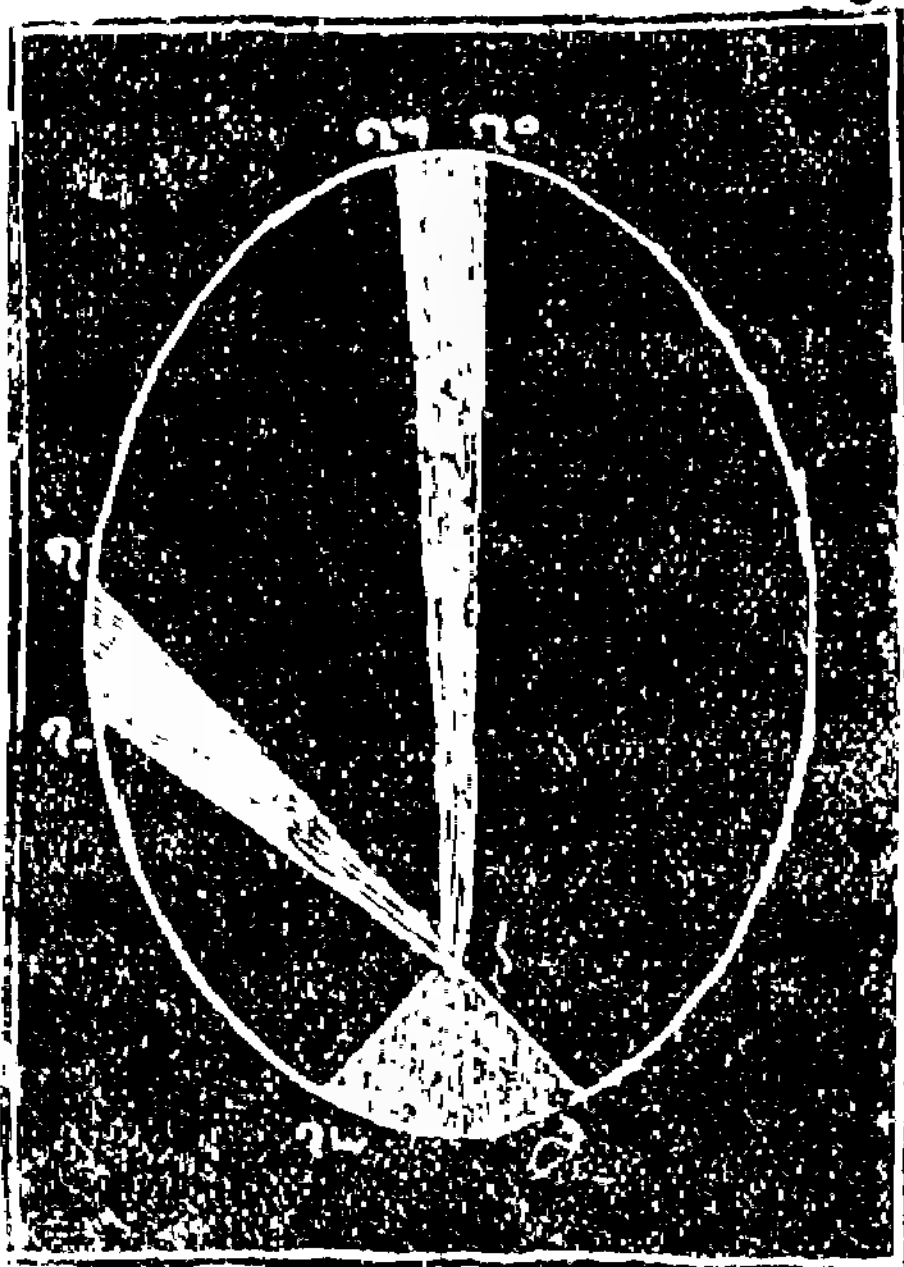
ألم تركيب أشبه أعظم العوالم أصاغرهما وصار العالم كله جارياً على قاعدة واحدة وهذه هي الوحدة العامة التي ظهر الكون بظهورها أوليس هذا هو البرهان على وحدة صانعها فإن النظام لم يتغير فالأول هو الآخر - هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم -

(اللطيفة الثانية) قوانين كبلير ونيوتن * قد تبين لك فيما سبق في اللطيفة الأولى وما قبلها أن الأجرام العليا السماوية والأجرام الصغيرة الذرية ذات حركات سريعة منتظمة بهيئة المنهج ذات قوانين سارية جميلة. والآن نبين بعض تلك القوانين التي تربط العوالم بعضها ببعض فالشمس جاذبة والأرض مجذوبة والعمر تابع الأرض والشمس وما حولها تجري حول كوكب آخر والعالم كله جارٍ بقانون عام يسمونه الجذب ومن أهم تلك القوانين هذه الثلاثة التي تنسب للعلامة كبلير

﴿ القانون الأول ﴾ شكل مدارات السيارات - جميع السيارات ترمم حول الشمس في جهة واحدة منحنيات مقفلة مستديرة تقر بامتساوياتها مائل بعضها على بعض قليلاً

وهذا القانون الأول يتعلق بشكل المدارات ونصه ان مدار كل سيار قطع ناقص تشغل الشمس إحدى بؤرتيه ومعلوم ان ذلك هو مدار الأرض المعلوم بتغير بعدها عن الشمس أو بالتغيرات التي تحصل للقطر الظاهري للشمس . وتوضيحه أن الأرض لا يكون قربها من الشمس واحداً في جميع السنة بل هي كل يوم بل كل ثانية مختلفة البعد فهي في الصيف بعيدة وفي الشتاء قريبة وفي الخريف والربيع متوسطة وهذا هو بعينه القطع الناقص وينتج من هذا القانون كما أوضحته لك ان بعد سيار عن الشمس يتغير دائماً في مدة دورة وان هذا البعد يأخذ جميع المقادير المحصورة بين مقدارين نهائيين مطابقين لوضعين يشغلهما السيار حينما يوجد في طرفي المحور الأكبر للدار ويسمى الوضعان المذكوران الرأس والذنب . وبعبارة أخرى أن الأرض مثلاً حينما تكون بعيدة من الشمس يقال انها في الرأس وحينما تكون قريبة يقال انها في الذنب والبعد المتوسط هو المساوي نصف المحور الأكبر للقطع الناقص

﴿ القانون الثاني ﴾ قانون المساحات - وهو المساحات المرسومة بأنصاف الأقطار البورية لسيار حول البورة الشمسية مناسبة للزمن المستعمل لقطعها وبيان ذلك أن أقول



إن هذا القطع الناقص بشكل ١ فترى ش هي الشمس ودار سيار كالأرض حولها وقد قلنا ان هذا السيار في كل لحظة يتغير بعده عن الشمس كما هو ظاهر لأن البعد يكون ثابتاً في الدائرة أما ههنا فهو متغير فوجد كبلير

والعاما مقاطعة ان القوس ق ه ق ه والقوس ق ق ١ والقوس ق ٢ ق ٣ التي قطعها السيار في أزمنة مختلفة بأوقات متساوية فكان ق ه ق ه حينما كان السيار في الرأس وق ٢ ق ٣ حينما كان السيار في الذنب الذي هو قريب من الشمس وهكذا تكون غير متساوية فأما المثلثات المرسومة وهي ق ه ش ق ه و ق ش ق ١ وق ٢ ش ق ٣ التي قواعدها مرسومة في أزمان متساوية فانها تكون متكافئة فاذا صارت المدد لضعف أو ثلاثة أمثال فان مساحة المثلثات المتكونة بأصاف الأقطار تكون متساوية فتأمل في هذا تجد أن السيار لما بعد عن الشمس كانت المساحة التي قطعها بنصف القطر كالمساحة التي قطعها وهو قريب منها وان كان بليثا في الأولى مسرعا في الثانية فلحسن النظام والدقة في السير صار المثلثان متساويين مساحة لتساوي الزمنين

فعلى هذا تكون الأقواس المرسومة في أزمنة متساوية صغيرة كلما كان السيار بعيدا عن الشمس وكبيرة كلما كان السيار قريباً منها وبعبارة أخرى ان سرعة السيار تزداد بنقص بعده عن البؤرة وتكون في نهايتها الصغرى في الذنب وفي نهايتها العظمى في الرأس

﴿ القانون الثالث ﴾ مربعات مدد دورات السيارات حول الشمس مناسبة لمكعبات أبعادها المتوسطة عنها أول مكعبات المحاور الكبرى لمداراتها

﴿ البعد المتوسط هو المساوي نصف المحور الأكبر للقطع الناقص ﴾ وبواسطة هذا القانون العجيب يكفي معرفة مدد دورات السيارات لاستخراج منها أبعادها المتوسطة عن الشمس أو مفادير محاورها الكبرى منسوبة الى أحدها المأخوذ وحده

وقد ظهر نيوتن بعد كيلير وبين أن القوانين الثلاثة المتقدمة ناتجة بالطبع من قاعدة الجذب * فالجذب العام هو قوة تتبادلها جميع الأجسام السماوية وتتأثر بها والتناقل في سطح الأرض ليس إلا نوعا منها وقد استنتج نيوتن من قاعدة الفصور الذاتي للمادة التي تستلزم كون حركة الجسم المطلق بالضرورة مستقيمة منتظمة ان السيارات التي ليست حركتها منتظمة ولا مستقيمة يجب أن تكون متأثرة بقوة خارجية وأثبت بالقانون الثاني ان القوة الحافظة للسيارات في أفلاكها لا بد أن تتجه نحو الشمس واستنتج من القانون الأول أيضا ان القوة المذكورة تختلف شدتها في نقط المدار الذي يجري فيه السيار وانها مناسبة لعكس مربعات أبعاد السيار عن بؤرة الجذب فكما كان مربع البعد أكبر كانت القوة المذكورة أضعف وكلما كان المربع أقل كانت القوة أكبر وهذا ظاهر للتعليمين صعب على من لم يمارس هذا الفن

واستنتج نيوتن أيضا من القانون الثالث أن هذه القوى مناسبة لمجسمات الأجسام التي هي واقعة عليها * وقد خلاص هذه القاعدة مما تقدم فقال

جميع أجزاء المادة ينجذب بعضها الى بعض بقوة مناسبة طردا لمجسماتها وعكسا لمربعات أبعاد بعضها عن بعض وهكذا حركات التوابع حول السيارات وحركات ذوات الأذنان حول الشمس تجري فيها هذه القوانين الثلاثة لكيلير وكذلك قانون الجذب العام

﴿ ايضاح ما تقدم ﴾

يظهر لي أيها الذكي ان هذه القاعدة لم تظهر لك واضحة وأنا الآن أبينها لك في الأمور المتاعدة فأقول خذ فليمة واقطعها قطعتين إحداها صغيرة والأخرى كبيرة وضعهما على المسة فانك تراهما تقتربان من بعضهما والأكبر تجذب الصغيرة والصغيرة تجذب الكبيرة وكل منهما يجذب على مقدار جسمه لا غير هذا معنى قولنا ان الجذب مناسب للمجسمات * واذا بعدت إحداها عن الأخرى بمقدار ذراعين فان الجاذبية تكون أقل مما لو كان بينهما ذراع واحد بعكس المربع فربع الواحد واحد ومربع الاثنين أربعة فتكون السرعة في الجذب اذا كان بينهما ذراع بمقدارها اذا كان بينهما ذراعان أربع مرات ففي الاثنين تكون ربع ما اذا كانت بواحد وقس عليه

٢ و ٣ يكون في أولهما أكثر مما في ثانيهما بنسبة ٩ الى ٤ فالأول ٩ وفي الثاني ٤ فكل منهما يعطى في السرعة مربع الآخر فالأثنان هما مربع الثلاثة والثلاثة هما مربع الاثنين فهنا معنى قولهم انها تنجذب عكس مربعات أبعاد بعضها عن بعض . فاذا عرفت هذا ففسر عليه نظام الكواكب وجذب بعضها لبعض على هذا النمط ولقد بينت لك هذا انما بإيضاح فتعجب من هذه الجاذبية العامة أيها الفطن واعلم أن جميع الأجرام السماوية مرتبطة ببعضها ببعض بالجاذبية العامة

(اللطيفة الثالثة) هناك جاذبية تسمى جاذبية الثقل وهي بعينها كالجاذبية العامة فاذا كان الجسم في مركز الأرض فإنه لا تفل له لأنه مجذوب من سائر الجهات بالتساوي واذا كان مرتقيا عن سطح الأرض نقص ثقله بابتعاده عن السطح المذكور كزيادة مربع بعده عن مركزها

وبعد سطح الأرض عن المركز نحو ٤٠٠٠ ميل فاذا كان جسم وزن مائة رطل وهو على سطح الأرض ثم رفعناه في طائرة عن وجه الأرض ألف ميل فالتناقص نسبة ٢٥٠٠٠ الى ٢٤٠٠٠ كنسبة ١٠٠ رطل الى ٦٤ وهو الجواب الآتي من قسمة ١٠٠ في ٢٤٠٠٠ على ٢٥٠٠٠ وهو المطلوب فقد نقص الجسم بارتفاعه عن سطح الأرض ألف ميل وصار ٦٤ بعد أن كان مائة

أنظر أيها الفطن وتعجب لهذا النظام والاتفاق تعجب من الجاذبية المسكة السائرة بنظام تام فيكون الجسم عند خط الاستواء أخف وعند القطبين أثقل لأن خط الاستواء بعيد عن المركز أكثر من القطبين لأن حركة الأرض هناك سريعة وبالعكس يكون القطبان فان الأرض منبسجة عندهما فالجسم يكون أقرب الى المركز والحركة هناك الطاردة ضعيفة عنها في خط الاستواء وعليه تكون الأجسام في مصر أثقل منها في خط الاستواء وأخف منها في القطبين لأن أرض مصر أبعد من القطبين عن المركز والحركة فيها أشد وعلى هذا ففسر

(اللطيفة الرابعة) ان سرعة الأجسام الساقطة الى الأرض تكون بحسب ١٦ قدما مضروبة في (١) للثانية الأولى وفي (٣) للثانية الثانية وفي (٥) للثالثة وفي (٧) للثالثة الرابعة وبعبارة أخرى ضرب ١٦ في الاعداد الوترية ١ - ٣ - ٥ - ٧ - ٩ - ١١ - ١٣ - ١٥ وهكذا لكل ثانية على التوالي

واذا ضربنا عدد الثواني مربعا في ١٦ قدما كان ذلك هو البعد الذي سقطه الجسم فالثانيتين يكون البعد فيهما ٤ في ١٦ والثالثة ٩ في ١٦ والرابعة ١٦ في ١٦ وبعبارة أخرى ١ و ٣ و ٥ و ٧ و ٩ و ١١ و ١٣ و ١٥ اذا ضرب كل منها في ١٦ كان الحاصل هو الذي سقطه الحجر في تلك الثانية ففي الأولى ١٦ في ١ في الثانية ١٦ في ٣ وفي الثالثة ١٦ في ٥ وهكذا

واذا جمعنا الثلاثة كان هكذا ٩ في ١٦ وهو مساو (٥ + ١ + ٣) ١٦ × ٩ وهذا من أعجب العجائب في علم الطبيعة كيف يتصافح علم الارتباط في علم الطبيعة كيف يجمع العلمان وكيف تكون الاعداد الفردية المتلاحقة اذا جمعت كانت هي بعينها المربعات الزمنية وكيف يكون هذا قانونا عاما كيف يكون في الثانية الرابعة سقوط الحجر يساوي ٧ × ١٦ واذا ضم الى ما قبله كان هكذا (٧ + ٥ + ٣ + ١) ١٦ × ٩ يساوي ٤ × ٤ × ١٦ فرم ٤ هو عينه مساو لجمع المفردات الاربعة من ١ الى سبعة ان عجائب الحساب من الفرد والزوج ظهرت هنا في سقوط الاجزاء عجائب الحساب وخواصه ظهرت في قوانين نيوتن وكيلبير وفي الاجزاء الساقطة والجاذبية العامة * أليس هذا بعينه هو قوله تعالى - وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين - فما المناسبة بين الاتيان بمثقال حبة من خردل وبين كفاية الحساب فدخل الحساب هنا أفليس هذا هو السر في مثقال حبة من خردل وأكبر منها وأصغر كل ذلك لا يأتي إلا بحساب هذا هو الحساب وهذا هو السر الذي حجب عن الجهال وكشفه الله للناس في هذا الزمان . ثم انظر كيف يقول الله - والشفع والوتر - أليس هذا هو سر الشفع والوتر هذا الشفع وهذا الوتر ظهر سرهما في هذا العالم العجيب هنا ظهر سر الشفع والوتر فللوتر سلطان في عدد الاقدام في سقوط الثانية الواحدة

وللشفع سلطان عند تربيعة جميع الثواني . ان الطبيعة متميزة بالحساب امتزاجات ما هذا هو من سر قوله تعالى - وكفى بنا حاسبين - وهذا هو سر قوله تعالى - ان الله سريع الحساب - وقوله - ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ولن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا - أليس هذا هو سر القرآن كيف يقول الله تعالى - ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا - وكيف يكون هذا العلم الذي ظهر بالعقول البشرية موافقا له فان المادة كلها ليست إلا كهرباء والكهرباء تكاد تكون أمرا معنويا وكأنها حركات وتلك الحركات منها كانت الذرات بجواهرها والاجسام وبسرعتها وانظماها دامت موجودة فانه هو المسك لها

ههنا تبين لك أيها الذكي كيف كان هذا العالم نظاما واحدا أوله يشبه آخره وكبيره يشبه صغيره والحيرة في الحقيير كالخيرة في العظيم . فانظر كيف كانت الفمحة من الفضة فيما تقدم وأن جزأ صغيرا منها يقسم على ماء غزير فيملونه وأن هذا العدد من أجزائه يتعذر عدته كما يتعذر عد نجوم السماء . فقد بهرنا العظيم وبهرنا الحقيير . كما أدهشنا نظام الكواكب في قوانين نيوتن وكبلير . أدهشنا سقوط الحجر بحساب بديع فهناك يقال ان المتلثات التي يرسمها الكوكب في الاوقات المتساوية في أزمان مختلفة تكون متساوية المساحة وهذا يقال ان الحجر في سقوطه يحسب تارة بالافراد وتارة بمربع الأزواج

الى هنا انتهى الأمر الأول وهو تفسير قوله تعالى - ان الله لا يخفى عليه شئ في الأرض ولا في السماء - وقد أتممنا الكلام على المبحثين مبحث ما هو أصغر من الذرة ومبحث ما هو أكبر من الذرة وفصلنا في الأول عجائب الذرات وصغرها وخيوط العنكبوت ودقتها وفي الثاني عجائب الكواكب والسدم والاحجار الساقطة وقوانين السيارات فلنشرع في الامر الثاني

﴿ الامر الثاني ﴾

وهو تفسير قوله تعالى ﴿ هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم ﴾ قد قلنا ان الخاصة ينظرون في علم الله بما يطلعون من عجائب الفلك والطبيعة والذرات اليدوية وفي قدرته وهو ما أردنا في هذه الآية فانه هو الذي يصور الناس في الارحام وبحكم الخلق وذلك انه غالب قاهر لهذه العوالم وقهره لها بحكمة لا بمجرد اللعب - وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا عبيد ما خلقنا من الا بالحق ولكن أكرمهم لا يعلمون - وكيف يعرف الناس أن السموات والارض وما بينهما مخلوقة بالحق والعدل والنظام الا بهذه العلوم وكيف يعقل الناس أن هذه العوالم سائرة بقصد الا بالعلم فانظر كيف يقول - ولكن أكرمهم لا يعلمون -

ومما يؤسف له ويحزني أن يكون أكثر المسلمين هم الذين ينطبق عليهم قوله تعالى - ولكن أكرمهم لا يعلمون - فيا ليت شعري من أين يعرف الناس قوله تعالى في هذه السورة - شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم - كيف يعرفون أنه قائم بالقسط وأنه عزيز يغلب هذه الكائنات ويقهرها بعزه وجبروته حكيم بدقة واحكام ونظام كيف يعرفون ذلك الا بمثل ما بسطنا في هذا المقام . كيف ينال المسلمون عن هذه العلوم . يا قوم الى هذا دعا القرآن وبهذا أمر الله فيا أسفا على أمة هلكت وربوع خلت ومدن أقفرت فليرجع المسلمون الى محمدهم فانه قد غضب على مجموعنا بسبب جهلنا والافرنج هم المفكرون ولكني أبشركم بأنه قد آن أو ان ظهور ذلك المجد الباذخ والله عو الولى الحميد

﴿ سلطان القدرة والمحبة العامة ﴾

هذه الآية قد أظهرت سلطان القدرة في خلقة الجنين في الرحم ومن هذا القبيل قوله تعالى - ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قلتما أتيناطاعين - هنا يقول الله انه قال للسموات وقال للارض لتأتيا طوعا أو كرها فأتتا طاعتين ويقول في آية أخرى - يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في فجرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله - وقال في آية أخرى - بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون - وفي

أخرى - ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون - وقال في أخرى - ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا - فهذا الآيات كلها داعية للظفر في هذا العالم فمدبر مرة بالطاعة ومرة بالامساك ومرة بالقنوت ومرة بالسجود ومرة بأنه يأتي بحبة الخردل من أي مكان

فانظر أيها العالم وانظر أيها الحكيم وانظر أيها المسلم من أين نفهم أن حبة الخردل يأتي بها الله ومن أين نعرف أن من في السموات والأرض يأتون لله طائعين لا مكرهين وما السرف في هذا ولا عبر بالطاعة ولم يجعل امتثالها لله اكراهيا أقول لا يفهم هذا المقام إلا بالأساوضحه لك في هذه اللطائف لطيفة الجاذبية ولطيفة الماء ولطيفة الناحج ولطيفة علم التشريح ولطيفة السمع ولطيفة البصر ولطائف الرحمة في قلوب الوالدين ولطائف الحب في أفئدة المعلمين والحكماء والعلماء والأنبياء ولطائف الشهوات الغريزية ومنها في آية - زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين الخ - ولطائف خلق الآساد ونحوها ولطائف الغرام بزرع الاشجار التي يكتسب بثمرها الانسان وبذلك يخدم عوالم من الحيوان كما خدم الله الانسان - وكل له قانتون - ثم لطائف الحب العام المرتب على ما تقدم وكيف السبيل الى نشر العلوم والفضيلة بين الناس وان ذلك لا يكون إلا بالحبية وعمومها في أفئدة الناشئين تبعاً للنظام العام

(اللطيفة الأولى - لطيفة الجاذبية العامة)

لقد تبين لك فيما أسلفته لك الجاذبية العامة وكيف كانت لم تذر الكواكب في أفلاكها ولا الأججار في مساقطها إلا سلطت عليها تلك الجاذبية فأنت ترى أن الكوكب السيار وهو يجري حول الشمس متقاداً لها من أثرا بها جار على نظام فان بعد عنها فهو اليها ناظر يجري على نهج معلوم وان اقترب منها كان مسرعاً شديداً سرع طاعته لها فهذا هو قوله تعالى - قالنا أتينا طائعين - فالكواكب طائعات الشمس والشمس وما حولها طائعات كوكب آخر والحجر الساقط من أعلى الى أسفل نراه يجري طائعا فالجاذبية عبرتها القرآن بالطاعة

هذا هو معنى القرآن وقوله - ان تلك مثقال حبة من خردل فتسكن في صحرة أوفى السموات أوفى الأرض يأتي بها الله - ظاهر فيما مضى أن الذرات الصغيرة المسماة الكثر ونات تجري بادب وطاعة حول النواة التي تقدم ذكرها كما تجري السيارات حول الشمس فهذه المخلوقات الصغيرة التي كانت في الكبرياء التي هي أصل المدة يأتي بها الله والانيان فيه معنى الحركة فتراها متحركة حول أصولها فالسموات طائعات والذرات طائعة يأتي بها الله على سبيل الطاعة ولولا أنها طائعة ما كانت منتظمة لان المطيع مؤدب والماصي غير منتظم والأدب ظاهر في قوانين كبلير ونيوتن في جري السيارات كما أوضحته لك وظاهراً أيضاً في سقوط الأججار ولا فساد هذا النظام

١٥	١٣	١١	٩	٧	٥	٣	١
٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢
٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١

فالبحر الساقط كما أوضحته لك فيما مضى يجري على هذين القانونين فالقانون الأول لجريه في الشواني فالثانية الأولى ١٦ قدما في ١ والثانية ١٦ في ٣ والثانية الثالثة ١٦ في ٥ وهكذا الرابعة في ٧ الخ وجميع ما قطعته البحر يتضح في الصف الثاني فيكون في الثانية الأولى ١ في ١٦ وفي الثانية الثانية ٢ في ١٦ وفي الثانية الثالثة ٣ في ١٦ وفي الرابعة ٤ في ١٦ وهكذا

أنا وان كنت ذكرت لك سابقاً أعدته هنا ليحجر الجدولان معاوية تضح معنى الطاعة في قوله - أتينا طائعين - أما الاتيان في الحركة وأما الطاعة في النظام الذي تراه في هذين الجدولين . يمثل هذا فليفهم القرآن ويمثل هذا فليدرك المسامون هذه الطاعة أيضاً ظاهرة في الجسمين اللذين يلتقيان على سطح الماء من نوع واحد كالفلين ففيه عكس التبريع المتقدم ذكره ويظهر أيضاً في رقاصي الساعة اللذين قصر أحدهما وطال الآخر فان بينهما نسبة كما هنا وكذلك ميزان الزبان فالنظام تام في هذه الكائنات من حيث طاعتها فهذه هي الطاعة فالجاذبية هي الطاعة - والله يقول الحق وهو يهدي السبيل -

(اللطيفة الثانية لطيفة الماء)

(١) ان الماء يعدل هواء البلاد فيمتصها تعاقب الحر والبرد عليها اما قبا جافا لانه يمتص حرارة كثيرة في الصيف فيلطف حره ويلطف برده الشتا وفي الربيع يذوب الثلج والجليد فيمتص ماؤهما حر الشمس فلا تخرج الأشجار براعمها سريعا ولا تتعرض لتقلبات البرد والحر

ان الثلج والجليد لا يذوبان إلا بحرارة شديدة وعلى ذلك لا يذوبان إلا ببطء في الربيع ولولا ذلك الناموس لكانت مياهم تغطي على الأرض فتجرف تربتها وتمهل المخلوقات الحية التي عليها - ان الماء وضع بهيئة عجيبة حافظة لحالة الجو بنظام عجيب

(٢) ان الماء فيه هواء ولذلك يعيش فيه السمك ولو خلا الماء من الهواء لكان يفرقع كثيرا كما تجاوزت حرارته ٥٢١٢ ف أعنى درجة الغليان فكان الناس لا يتجرؤون أن يغلوه في وعاء الا وهم مراقبون درجة حرارته بالترمومتر كما يراقبون الآن الآلات البخارية مخافة أن ينحصر بخاره فيشق القدر ويتلف ماحولها وانما لوجود الهواء فيه كلما زادت حرارته عن ٥٢١٢ فارق الزائد وتركه على درجة ٥٢١٢ ف

ومن العجب أن الماء قد شذ عن بقية السوائل ان السائل اذا برد جد وهكذا الماء اذا وصل الى درجة ٣٩ ف تقلص بالبرد ثم يأخذ في التمدد بزيادة البرد حتى يصل الى درجة ٣٢ ف فيجمد جميع السوائل ومنها الماء تتمدد بالحرارة وتقلص بالبرودة والماء وحده قد شذ عن ان يذوب من ان تقلص مثلها بالبرودة ثم ازدادت برودته تتمدد ثانيا الى حد محدود وانظرأيها الذكي لهذا الشذوذ العجيب شذوذه حياة كل حي شذوذ عليه تتوقف حياتنا وحياة الحيوان والنبات أفليس ذلك داعيا للتفكير لم يختص الماء بأن الثلج الناجم من تجمده يصير كبير الخلق في ذلك بقية السوائل ذلك أن الماء لو كان يجري مجرى بقية الأجسام اذا برد لكان اذا برد سطحه تنزل دقائمه الباردة الى قعره وتصل دقائمه الأخرى من قعره الى سطحه حتى تبرد كلها الى درجة الجليد فتجمد معا ويصير الماء كله قطعة واحدة من الجليد فيقتل ما فيه من الحيوان والنبات ثم اذا جاء فصل الصيف وتعاظم حر الشمس يذوب وجه ذلك الجليد فقط فيصير ماء لكن ماتحته يبقى جليدا لان الماء غير موصل للحرارة فيصد الشمس عما تحته ولا يمكنها من تذويبه وعلى ذلك يبقى الجليد في البحار والبحيرات والأنهار وفي الأماكن الباردة طول الأيام

فلهذا الشذوذ يتمدد بالبرد فيخف ويجمد ويعوم على الوجه ويبقى ماتحته من الجود لأنه جليد وهو موصل رديء للحرارة فتبقى حرارة الماء العميق تحته على درجة واحدة ولو اشتد البرد فلم يمت ما فيه فلولا خفته وعومته لم تكن هذه المنافع

(٣) ان الندى اذا تكوّن على النبات منه من الاشعاع فلا تبرد أوراقه بردا شديدا ولا تصقع فالندى نافع لانه يمنع الاشعاع ثم الماء يرتقي من البرد والبحر بخار فيبرد الهواء ويرطبه صيفا وبعد برده شتاء كأنه ميزان يزن الله به الحرارة والغيم المنكأ منه يظل الأرض من شعاع الشمس نهارا وينجيهما من شر الاشعاع الزائد ليلا وينقي مطره الهواء ويحيي النبات أو ينزل ثلجا فيحتضن الأعشاب وبراعم الأشجار لتنجو من الموت وينبع عيوننا تروى الغليل وينقي الأبدان ويحيي به الأرض بعد موتها فتبارك الله أحسن الخالقين

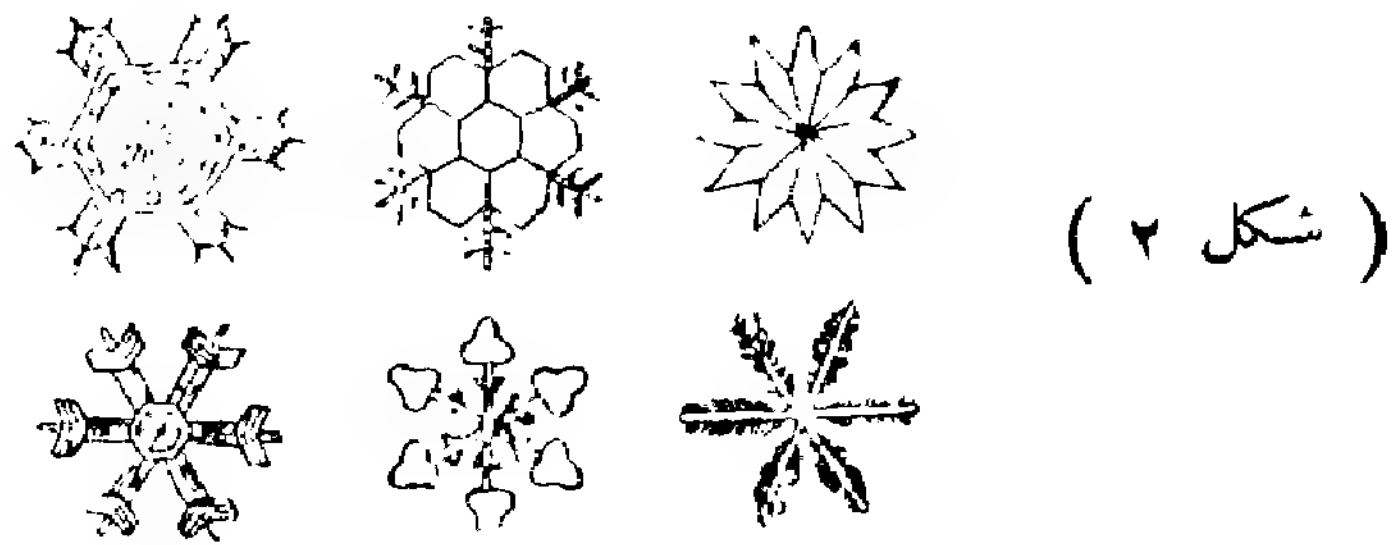
وبهذه الخاصية المخالفة لبقية السوائل اذا برد فصار ثلجا في جرة كسرهما وبهذه الطريقة يكسر لأشجار في الجبال فتنبع العيون فانظر هذه الخاصية كيف منعت ماء البحر من أن يكون ثلجا وشقت بها العيون فتنبعت فتبارك الله أحسن الخالقين وهذا داخل في قوله تعالى - قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ - فالماء بخضوعه لتلك النواميس لطف الحرارة وشق العيون وجري في الأنهار وأحيا النبات والانسان كل ذلك طاعة وتسخير والله الأمر وهو على كل شيء قدير

(اللطيفة الثالثة الثلج وأشكاله)

لقد رأيت في كتب الطبيعة أشكال الثلج غار لي فيها وفكرت في أمرها وعجبت من نظمها وأدهشني جاهلها

ونظامها . لو أن خلقا كثيرا اجتمعوا في قاعة صغيرة في البلاد حتى اشتد بردها وكان البرد شديدا وفتحت نافذة من نوافذ القاعة لجمد البخار في هوائها ووقع ثلجا بأشكال تدعش الماظرين . ولقد رأيت رسمها على ستة أشكال وكلها أشكال مسدسة فهما اختلفت الأشكال فالتدريس ثابت فتارة تكون بهيئة أشجار منظمة بديعة وتارة بهيئة أزهار في غاية الجمال فتبارك الله أحسن الخالقين . ولذا رأيتها قلت في نفسي لم كان هذا النظام لا يختلف في الثلج وحل كان إلا كسوجين والأدروجين عند اتحادهما قد تحالفا أن يكونا وقت الجود على هيئة منظمة ولعل الماء لما كان فيه حياة كل شيء كان مستعدا للنظام التام كما نرى في الحيوان والنبات أنها مشتركات في أمور مختلفات في أخرى حافظات للأصول كالغذية والتوالد ومختلفات في غيرها كالحواس والعقل وهكذا فكذلك هنا نرى الأشكال في الثلج تحفظ الشكل السداسي مهما اختلفت أوضاعها وكأن هذا يرمله قوله تعالى - وجعلنا من الماء كل شيء حي - والحياة لا تكون إلا مع النظام وهذا داخل في قوله تعالى - يابئنا اننا ان تلك مثقال حبة من خردل فتكن في محرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله ان الله لطيف خبير - فهذا الماظر والخبرة نظم الثلج وأحكامه . ولقد أتى الله بذرات الماء وحكم عليها فخفضت للنظام وأطاعت واجتهدت بشكل يسر الناظرين كما خضع الحجر الساقط للقوانين السابقة في الترتيب في الأعداد الفردية وكما خضعت السيارات لقوانين كبلير ونيوتن وأي فرق بين خضوع ذرات الماء في ذلك الشكل المنظم وبين خضوع (الالكترونات) المتقدمة شرحها حول نواتها في الجوهر انفراد والسيارات في مداراتها والأشجار في مساقطها كل يطيع على مقتضى القوانين السماوية وقوانين السقوط وقوانين الثلج وتجمده - ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين - وان من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم -

أنظر صور الثلج في الشكل الثاني وهو هذا



(اللطيفة الرابعة لطيفة علم التشریح)

التي وردت بها هذه الآية التي نحن بصدد الكلام عليها يقول الله تعالى (هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم)

ان الله جعل جسم الانسان كمدينة فابتدع لها أربع طبائع منفردات ثم ألف بين كل اثنين منها فكانت أربع أركان مزدوجات ثم كان منها أربعة أخلاط سببت تسعة جواهر وبتركيبها بعضها فوق بعض كانت عشر طبقات أقمت على مائتين وثمانية وأربعين عمودا ثم مد لها سبع مائة وخمسين جبلا وجعل فيها إحدى عشرة خزنة مملوءة من الجواهر وجعل لها ثلثمائة وستين مسلكا لسكانها وجعل أنهارها ثلثمائة وتسعين جدولا وفتح على سورها اثني عشر روزناما مزدوجات مسالك لجريانها وجعل لها خمسة حراس وجعلها على عهودين فهذه ثلاثة عشر نوعا

الطبائع . الأركان . الأخلاط . الجواهر . الطبقات . الأهمدة . الحبال . الخزائن . المسالك . الأنهار . الأبواب . الحراس . العمودان .

(١) الطبائع أربع - الحرارة . البرودة . الرطوبة . اليوسة

(٢) الأركان على رأي القدماء أربعة - النار . الهواء . الماء . الأرض . والعلم الآن جعل هذه الأربعة مركبات من عناصر تبلغ نحو ٧٥ ولكن نتيجة العلم واحدة لأن المتقدمين والمتأخرين يرجعون الجميع الى أصل

واحد وهو الهيولى وبعبارة أخرى شئ لا وزن له ولا لون بل يكاد يكون فرضيا

(٣) الأخلاط الأربعة المتعادية وهى - الصفراء والدم والبلغم والسوداء * والمتأخرون زادوا غير ذلك ولكن نحن الآن فى مقام الاجال لا التفصيل انما ذلك بهم الأطباء ونحن فى مقام الانعام بالأمور العامة

(٤) الجواهر تسعة - عظم مخ عصب عرق دم لحم جلد ظفر شعر

(٥) الطبقات عشر - رأس رقبة صدر بطن جوف حقو وركان نخدان ساقان قدامان

(٦) الأعمدة ٢٤٨ هى العظام

(٧) الحبال ٧٥٠ حبلا هى الرباطات الممتدة المشدودة على العظام وهى الأعصاب

(٨) الخزائن الاحدى عشرة هى - الدماغ والنخاع والربة والقلب والكبد والطحال والمرارة والمعدة والامعاء والكلىتان والأثنى

(٩) والمسالك والشوارع والطرق هى العروق الضوارب ٣٦٠

(١٠) وأنهارها هى الأوردة ٣٩٠

(١١) والأبواب الاثنا عشر - العينان الأذنان المنخران السيلان الشديان الفم السرة

(١٢) الحراس هى الحواس الخمس - السمع والبصر والشم والذوق واللمس

(١٣) العمودان هما الرجلان

وليس فى أعداد هذه إلا إجمال القول فى الجسم أما التفصيل فبعيد الغور فلنقتصر على حاسة السمع وحاسة البصر للاستدلال بهما على الباقي

﴿ اللطيفة الخالصة لطيفة السمع وهى الأذن ﴾

كما انك فيما مضى حارقتك فى العنكبوت مع دقة جسمه وضموه وحار فى الكواكب السابحة فى الفضاء بحيث لا يرى فرق فى الخبرة بين العظيم والصغير فكذلك انما رأيت الجسم الانسانى مركبا من أعضاء وحواس وعروق الخ وترى حاسة السمع وحدها لا تقل عن جسم الانسان بل عن العالم كله فى عجائب تركيبها وكثرة تفاصيلها وبدائع دقتها وأنظمتها الدقيقة البديعة فتأمل تجد أنك لأن أمام مدينتين وبشرى المدينة الأولى خالية من السكان مقووسة البنيان دائرية السور ليس فيها إلا الهوا ويغدو ويروح ثم ترد عليها الرسل أفواجا كل آن بأشكال مختلفة يريدون أن يتوصلوا الى الملك المعظم الذى هو جالس خاف ذلك النهر على عرشه العظيم وتلى هذه المدينة المدينة الثانية وفيها ثلاث أمان كن للبريد كل منها يوصل للآخر ما يرده من الرسائل ويلى هذه المدينة النهر وهو أهم من السابقتين فلورأيته لأدهشك ما فيه من العجب فانك تراه نهرا عظيما متلاطم الأمواج وهذا النهر ليس كالأنهار يجرى على شبه استقامة بل هو ملتو ثلاث ليات كما تلتوى الحيات من ناحية ومن الناحية الأخرى ملتف كما تلتف التوقعة وبالجلة ان هذا النهر كثير الانعطاف ليس فيه استقامة وتجدى مائة كرات كثيرة من الحجارة وآلات برقية (تغرافية) تبلغ ثلاثة آلاف منبثة فى الجهة التى تشبه القوقعة وعلى شواطئ البحر تجدد أسلاك أخرى برقية (تغرافية) ووراء هذا البحر الملك وعنده صحاب البريد ينبثون جهة الأسلاك البرقية التى على الشاطئ وجهة الأسلاك التى فى البحر وترى أولئك الرسل الذين يأتون المدينة الأولى يرسلون الأخبار الخارجية الى المحطة الأولى فى المدينة الثانية ومنها الى الثانية ومن الثانية الى الثالثة ثم تنقل الأخبار الى البحر خلفهم فتنقل فى تلك الأسلاك التى هى ثلاثة آلاف بعد مرورها على تلك السكرات الحجرية النافعة لحفظها ويتملقفها رسل الملك المنبثون فى تلك الجهات وبذلك يعرف أخبار الممالك الأخرى هذه هى أوصاف الأذن

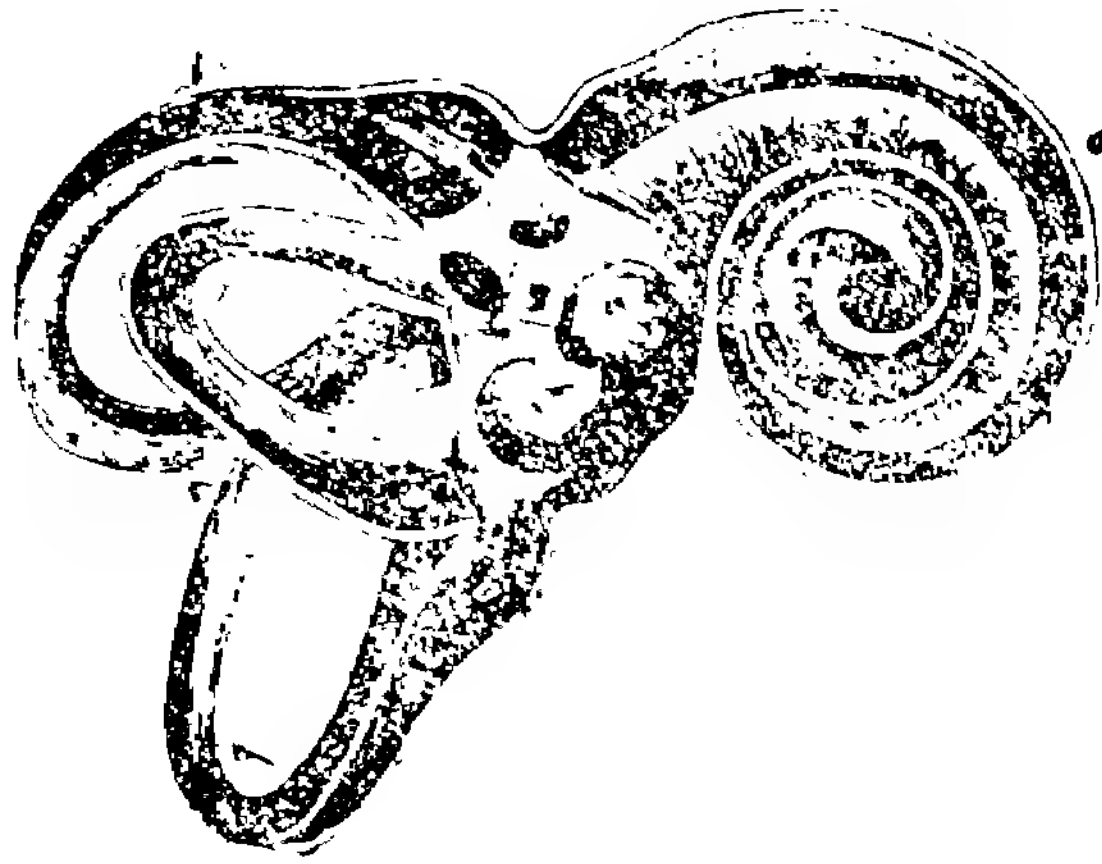
أما المدينة الأولى فهى التى يسمونها الاذن الظاهرة المؤلفة من الصوان الذى يجمع أمواج الصوت ومن الصماخ السمعى الظاهر وهو خرق الاذن الذى يؤدى تلك الامواج الى الاذن المتوسطة وطوله نحو قيراط وأما الافواج التى ترد

عليها فهي الحروف الهجائية ومركبتها وأصوات لغناء والإحسان وما يسمع وهذه لا حصر لعددتها
وأما المدينة الثانية فهي الأذن المتوسطة أو الطيلة وهي تجويف بين الأذن الظاهرة والباطنة وتنفصل عن
الظاهرة بالغشاء الطبلي وأما الأماكن الثلاثة التي للبريد فهي ثلاث عظام دقيقة يتصل بعضها ببعض تسمى أحداها
المطرقة والثانية بالسندان والثالثة بالتركاب للشبهات بينها وبين هذه الثلاثة

وأما البحر العظيم وراءها فهو المسمى بالأذن الداخلة أو البنية وهي عضو السمع الخاص وانما سميت بالنية لكثرة
ما فيها من التجاريف والمجائب وفيها سائل فيه خيوط دقيقة مرنة شعرية وكثيرة متبلورة وفيه نبتة آلاف جسم
صغير تسمى عصي (كورتى) فهذه العصي هي آلات البرق المذكورة فيما تقدم فاذا قرع الأذن الظاهرة صوت تجت
أمواجه إلى الأذن المتوسطة بسبب حفظ الصيوان للصوت فيقع على الغشاء الطبلي فتتزلز العظام الثلاث في الأذن
المتوسطة وينتقل إلى السائل ويصادف تلك الكرات الدقيقة التي سميناهما حجارة فيمضى وإذا ذلك يتلف كل سلك
من الأسلاك المسماة عصي (كورتى) التي تبلغ ثلاثة آلاف خبرا من الأخبار وصوتا من الأصوات بحيث يكون مناسبه
فان لمسموعات كثيرة جدًا من حيوان وشجر وحجر توزع على تلك الثلاثة آلاف بحيث يمر كل صوت في السلك المناسب
له وكأن هذه الثلاثة الآلاف مختلفات القوى كاختلاف الأصوات والصوت يتجه للسلك المناسب ثم هذه تتصل
بالشعرات التي في تلك القنوات التي عبرنا عنها بأسلاك برقية أيضا وهناك يمتد العصب السمعي واصلًا من المخ فيلتقط
تلك الأخبار ويوصلها للمخ الذي عبرنا عنه بالملك في عرشه

هذه هي حال السمع قد أوضحته لك بما في الامكان وهذا يكفيك اذا لم تجد مقدما للدراسة العلمية - فتبارك
الله أحسن الخالقين -

فانظر كيف جعل لاجل وصول الصوت بالكلام وبالنفحات وغيرها عجائب تبلغ ١٤ عجبًا من صيوان وصباح
وطيلة وثلاث عظام ودهليز وقنوات حلالية وأخرى قوقعية وسائل ورمالات حافظات للصوت وعصي كورتى
وشعرات في القوقعة وغيرها وأعصاب سمعية فهذه أربعة عشر كأنها ليالي الهلال ليصير فيها بدرا كاملا
ينقل الصوت فيها حتى يصل إلى المخ فتعجب من الجسم الذي نسكنه كيف كان الهواء يحتاج إلى آلات مظهر لنا
منها (١٤) مختلفات الصور والاشكال بحيل دقيقة ليصل الخبر إلى نفوسنا إذ لا سمع الا حيث يصل الصوت إلى المخ
وانظر كيف نستعمل ما نجهل ولا أبالغ اذا قلت ان أكبر عالم بالطبيعة غافل عن هذه العجائب إلا من علت مداركه
وارتقت نفسه وفكر واعتبر وقرأ هذه الآيات مثل وعرفها - هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء - فالتصوير
قد عرفته في الأذن وأما قوله - لا إله الا هو العزيز الحكيم - فالعزة والفهر قد ظهر في التصوير فانه نوع أعضاء
الأذن (١٤) نوعا فقد قهرها وذلها لذلك وقوله حكيم راجع للشيئة فالعزة للتصوير والحكمة للشيئة فكأنه
يقول سبحانه ان تصويري لكم في الرحم يكن عن هوى ولكنه عن حكمة وعناية أوجبت دقايق الصنع
والحق أن هذا الابداع غفل عنه أكثر المسلمين وهم نائمون وترى أبناءهم الذين قرؤوا هذا يحفظونه لأجل نيل
الشهادة أما قراءته لأجل الحكمة وارتقاء العقل فلا - بل منهم من كفر إذ يظن المسكين أنه أعلم من الانبياء عليهم
الصلاة والسلام قد اطاع على ما جهلوه وأدرك ما لم يبلغوه والحق ما قاله الامام الغزالي اننا أعلم بالطبيعة من أولئك
الذين يدعون أنهم طبيعيون بل أقول أنا ان أهل زماننا كثير منهم أهل مكابرة وادعاء وقد أن يرجع المسلمون
لأيام مجدهم - والله هو الولي الجيد - وهناك ايضا الأذن
أما الأذن الظاهرة فهي مشاهدة وأما الأذن المتوسطة أو الطيلة فقد وضحت فيما قد مناه بالتمثيل فأما الأذن
الداخلة وتسمى البنية فتحتاج إلى المشاهدة وهناك رسمها



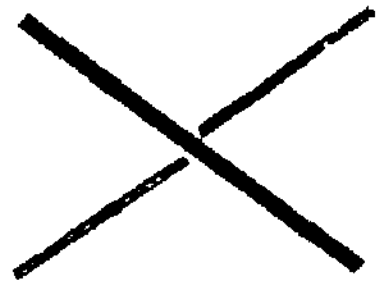
(شكل ٣)

ا ب ج الفئوات الهلالية الثلاث ، الدهليز ه القوقعة م معلقة افتين ونصف لفة و الكوة المستديرة ز الكوة البيضية

﴿ اللطيفة السادسة العين ﴾

تصوّر ثلاثة أطباق مستديرات أمامك على مائدة وهذه الاطباق كل منها أشبه بنصف كرة أقل أو أكثر ثم تصوّر أن كلام من هذه الثلاثة قد وضعت عليها أغطية مستديرة أيضا مجوفة وهذه الاطباق الثلاثة موضوعة في داخل بعضها فماذا ترى أليس ترى أن عندك كرة في داخلها فراغ وفوق الفراغ ثلاثة أغشية وتحت ذلك فإذا وضعت فوق هذه الاغطية الثلاثة منديلا أبيض مثلاً صارت الطبقات سبعة فإذا وضعت في جوف هذه الاطباق مادة رقيقة شفافة لالون لها فكان أسفلها كالزجاج الذائب ووسطها جامد كالجليد وأعلاها كيباض البيض السائل إذا فعلت ذلك في هذه الاطباق فقد صورت طبقات العين وعرفتھا

ولست عين الانسان شيئاً غير هذه الطبقات السبع والرطوبات الثلاث فتمت تصوّر ما تلونه عليك من هذا المثل تصوّر العين وانما ضربت لك هذا المثل لتفهم ما سيرد عليك بسهولة . لقد قدّم ان الدماغ منشأ الاعصاب التي للحس والتي للحركة ومنها ما يكون من النخاع وهناك في الدماغ للقوة الباصرة عصبان متقابلتا الشكل هكذا



شكل ٤

فاحداهما توجه جهة اليمين والاخرى تتجه جهة اليسار وتصل كل منهما الى العين التي في جهتها وهذه العصبية مجوفة وعليها غشاء آن غشاء أعلى غليظ وغشاء أسفل رقيق كما يكون للبيضة والمجوزة والسلك الكهربائي وهذه قاعدة مطردة أن كل ما كان لطيفاً يجعل له أغشية قليلة أو كثيرة فالغشاء الغليظ متى وصلت العصبية الى العين فارقها وكسا عظم العين بلباس ويسمى إذ ذاك الطبقة الصلبة ولكنه لا يكون تام التكوير كما قدّمنا وهكذا يفارق العصبية الغشاء الرقيق ويصير لباساً وغشاء دون الطبقة الصلبة وتسمى الطبقة المشيمية لانها تشبه المشيمة وأما العصبية نفسها فانها تصير غشاء فوق الغشاءين المذكورين ويسمى الغشاء الشبكي . أفلا ترى أن هذه الثلاثة أي الصلبة والمشيمية والشبكية هي التي ضربت لها فيما تقدم مثل الاطباق الثلاثة التي هي مدوّرة

فإذا فكرت في الاغطية الثلاثة فوق هذه الثلاثة فلتسم غطاء الصلبة وهي الاولى (القرنية) وهي جسم كثيف صافٍ شبيه بصفيحة رقيقة من قرن أبيض . ولتسم الجسم الذي تحت القرنية (بالعنبية) لانه مثل قشر العنبية أسود أو أزرق أو نحو ذلك وانما كانت ملونة لتمحصن الاجسام المشعة من ورأها فلا ينتشر ما حصل فيها من الضوء والصورة المنطبعة لان سواد اللون يمنع انتشار الضوء . ان الضوء يدخل من ثقب في العنبية فيتضائق ويتسم بحسب

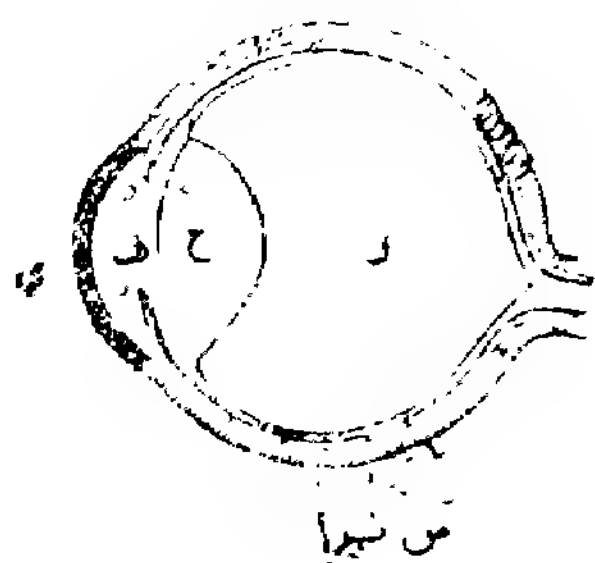
كثرة الضوء وقته فكما قل الضوء تسع الثقب وكلما كثر ضوء ضاق الثقب . فهذه العنبية غطاء للمشمية . ونقسم الغطاء الذي على الشبكية الذي هو تحت الغطاءين الآخرين بالعنكبوتية لأنه تكيوط نسيج العنكبوت ولم يكن للدراك بل لضبط السوائل التي تحته فيها هناسات طبقات - القرنية . العنبية . العنكبوتية . الشبكية . المشمية . الصلبة - فرجعت الطبقات الست الى لطباق الثلاثة وأغطيتها . والطبقة السابعة جسم أبيض اللون صلب يسمى الملتحمة وهو بياض العين وهو امتداد من الجلد الذي هو خارج القحف فهو امتد الى العين من جميع الجهات التي من خارج الى قرب الوسط ثم انه لم يكن شفافا لممتد على بقية العين ولو امتد لمنع الابصار فاستعمل منه مقدارا ما يكفي في احكام رباط العين وترك موضع الابصار مكشوقا ليصل الضوء الى آلات الابصار من الطبقات والرطوبات * أما الرطوبات فهي ثلاثة

(١) أول جسم كالزجاج الذائب الذي هو وسط الشبكية ويسمونها (الجسم الزجاجي)
(٢) ويسمون الجسم الشفاف الذي لالون له الصلب الفوام المستدير الشكل المائل للتفرطح كأنه قطعة من الجلد (الرطوبة الجليدية) وتسمى أيضا (العنسية) واتما سميت جليدية لانها شبيهة بالجليد في صفاته ثم ان الزجاجية تحيط بالجليدية بمقدار النصف ويعاها النصف الآخر العنكبوتية المتقدمة (٣) ويسمون الجسم الثالث وهو السائل الابيض الذي يشبه بياض البيض وهو أرق من الأول الذي يشبه الزجاج الذائب (الرطوبة البيضية) وهي التي يعاها العنبية المتقدمة أي الغطاء الثاني في مثال الطباق فكان جوف الطبقة الداخلي فيه لمن يعوم فيه زبد قد غرق الى نصفه وفوقه بياض البيض

فانظر كيف كان العصب الممتد الى العين قد صار كأنه لالك البرق (التلغراف) لينقل الاخبار الواردة الى الجليدية فوقه فترسم فيها الصور وهو ينقلها مارة فيه الى الدماغ وكيف كان ماتحت الشبكية من الصلبة والمشمية يأتیان بالغذاء للعين من الاوعية اشعرية الوريدية والشريانية فلذلك عبرنا بالطباق التي تعاطى منها الطعام فالعين إذن تستمد من العروق الوريدية والشريانية تلك المادة الصافية الزجاجية الشفافة المناسبة للابصار وضوء الشمس وقد وضعت تلك المادة على ثلاث درجات مندرجة في البعد والقرى بمقادير لو اختلفت لاختل الابصار وكانت القرنية محدبة والرطوبة البيضية فيها تماسكها والجليدية مفرطحة فيها صلابية والزجاجية وراءها مالئة لا كان لتوافق ارتسام الصور الواردة مع الضوء فالتحديب يجمع الصور والجسم التخزين يزيد الصور ثبوتا وبقاء وكما تستحق العين الغذاء من العروق تستحق الاحساس من الدماغ فلها من الغذاء المواد الزجاجية الخالصة من الدم الوارد من الطعام المهضوم ولها من الدماغ الاحساس الروحي الشريف فانظر ما أعجب العلم والحكمة وما أجملها كيف عرفنا في العين من العلم ما لم يحلم به الغافلون وكيف نرى أن طعامنا الذي نتعاطاه قد كانت فيه المادة التي تشبه الزجاج الذي هو مركب من الرمل مع المغنيسيا والقلبي فهذان الاخير ان متى أضيفا الى الرمل صار شفافا فكيف (١) جعلت القوى التي في أجسامنا آلات لانعرفها خلصت من الطعام المهضوم أي من الدم تلك المادة المشبهة للزجاج (٢) ثم اختير موضع العين في الحجاج (٣) ثم كيف كانت العين التي دبرت هذا التديير موضوعة أمام البدن لتكون حارسة للاعضاء الشريفة التي غطاؤها ضعيف كالبدن وغيره (٤) وأيضاً عمل الاعضاء الخارجة كاليدين والرجلين من الامام فتكون العين مشاهدة لاعمالها ولعمري ان من لم تطر به هذه الكامات ولم يشرح صدره تلك العبارات ليلتحقق بالبحجوات ومن لم يحركه العود وأوتاره والرييح وأزهاره فهو فاسد المزاج يحتاج الى العلاج (٥) ثم كيف جدت الجليدية لتزيد النور انحصارا (٦) وليكون الجود أعون على حفظ الصور فتصل الى الشبكية المتصلة بالدماغ (٧) وكيف كان الجسم البيضي أمامها والزجاجي وراءها ليكونا لها غذا لانها لا يتهيأ لها قبول الغذاء من الدم (٨) وكيف يكونا سببا لاستضاءتها (٩) ولتكون هي بهما دائمة الرطوبة (١٠) وليكونا ردا لها فلا تتصل بحجر العين ولا غيره من كل صلب (١١) وجعلت شعبة الدماغ المتقدمة شبكية لضبط الزجاجية حتى لا تكون سائلة (١٢) ولتتمكن المشمية

من تغذيتها أمامها (١٣) وجعلت البيضية أرق قواما لتكون أعون على تأدية المبصرات (١٤) والعنكبوتية جعلت لحفظ الرطوبة البيضية (١٥) واللوان العنبية لتحفظ الصور المرسومة فلا تذوب وتضيع (١٦) والثقب يضيق ويتسع بالاختيار كما تقدم (١٧) وجعلت القرنية جسما صلبا لتحفظ العين كلها وهي تتلون بلون العنبية (١٨) وجعلت مشقة ثلاثية لتأخذ الصور من الأضواء الخارجة (١٩) والمتحمة ربط يمسك العين أن تزول إذا لم يمسك لها سواها (٢٠) وهي غير شفافة فلذلك امتدت خوف من جميع جهاتها إلا الثقب لأنها تمنع الصور عنه بخلاف القرنية (٢١) والجفن يمتد من الجملدولة عضلاتان من جهة الموقين لينزله إلى أسفل (٢٢) وعضلة من جهة وسطه لرفعها (٢٣) وجعل الأسفل من ثلاث ليدبر شيئا من الحدة وهو ساكن دائما (٢٤) ولثلاث يجمع الدمع وغيره من الفضلات داخل إذا كان كبيرا (٢٥) والجفن يمنع الأذى عن العين والغبار والدخان والضوء عند الاقفال (٢٦) والاحدا ب تمنع الغبار وتدخل الضوء عند الحاجة إليه كما في أوقات هبوب الرياح فهذه ٢٦ حكمة من حكم العين وهي بعض مظاهر للناس من العلم فيها - والله يعلم ولكن أناس لا يعلمون - أنظر رسم العين وطبقاتها في شكل ٥ الآتي

(موازنة العين بالخزانة المظلمة التي يستعملها المصور بالصور الشمسية (الفوتوغرافية))
اعلم أن النور يأتي من الشمس والكواكب فينعكس على الأجسام التي تنعكس على العين ولقد ترى أن الرسامين في أيديهم الخزانة المظلمة وفي باطنها ثقب وراد عدسية وهناك لوح قابِل للصور على كيفية مخصوصة والعين هي كنفس تلك الخزانة وبؤبؤها أي ثقبها بمنزلة الثقب وبلوريتها بمنزلة العدسية وشبكيتها بمنزلة ذلك اللوح الذي تلقى الصور عليه باستعداده لذلك بمواد كيميائية ثم إن النور إذا مر من وسط أنطف إلى وسط أكتشف فانه يكون أقرب إلى اجتماع أشعته وإذا مر من وسط أكتشف إلى وسط أطف يكون أقرب إلى الافتراق والابتعاد وإذا مر من عدسية محدبة الوجهين كالمحارة أو محدب بوجه واحد كالأنف الاقنى أو هلالية أي صورتها كصورة الخلال فإن النور ينضم بدخوله فيها وإن دخل من مزدوجة التغير التي ترى كالنوام الأهيف أو من مفردة التغير بأن كانت مستوية من ناحية منقوعة من أخرى أو من منقوعة محدبة فإن النور في هذه الثلاثة يكون مفرقا متفرجا فهذه أربعة نواويس ناموسان للاجتماع وناموسان للافتراق فلمنظر ماذا حصل في العين فانا نرى أن القرنية أشبه بالخلال وهو مما يجمع النور والرطوبة المائية أكتشف من الهواء والبلورية محدبة الوجهين جامعة للنور والزجاجية جامعة أيضا فانظر كيف اختير في خلق العين ما يهيئها للبصار فالقرنية والرطوبة المائية والبلورية والرطوبة الزجاجية انطبق عليها ناموس اجتماع النور اثنان من حيث الزجاجات وهي الهلالية والعدسية محدبة الوجهين واثنان من حيث انهما جسم أكتشف فإذا دخل النور انكسر أولا في القرنية ثم في الرطوبة المائية ثم في البلورية كثيرا ثم في الزجاجية ويقع على الطبقة الشبكية فيترسم الصورة عليها مغلوطة ولم يعرف إلى الآن لماذا ترى الأشياء معتدلة وهناك ناموس آخر وهو أن السواد جامع للضوء يمتصه فلونت المشيمية به فهي تمتص النور لئلا يشوش الصورة بانعكاسه من جهة إلى جهة داخل العين



(شكل ٥)

فما عبر عنه بالأطباق الثلاثة المستديرة في المثال المتقدم هو الصلبة ١ والمشيمية ب والشبكية س وما عبرنا

عنه بالأغطية الثلاثة هو القرنية ي والقرحية د د ولونها إما أسود وإما أزرق وإما أشهل فأما العنكبوتية فلم توجد في هذا الرسم واضحة فهي ملتصقة بالقرحية والفتحة د د هي البؤبؤ

وأما الملتحمة فهي التي تكون فوق القرنية وليس لها في الرسم وجودها وأما الرطوبة المائية وهي السائل الصافي فهو موضوع في غرفة ف وأما البلورية أو العدسية وهي الجسم اللون الأملس الشفاف المزدوج التحديق المؤلف من طبقات كالصلة وهي أكتف في الوسط منها في الجوانب فهي ح وأما السائل الزجاجي فهو جسم شفاف لزج كبيض البيض النقي وهو يشغل ما بقي من الخلاء وراء البلورية داخل العين د

﴿ من عجائب العين إحصاؤها ﴾

اعلم أن العدسية المزدوجة التي تشبه البلورية في العين لكل قرب الشبح منها بعدت بؤرتها أي محل تجمع النور المتعكس وراءها فبعدت الصورة وكلما بعد عنها قربت صورته منها

وعلى هذه القاعدة لا يمكن أن يرسم المصور الأجسام في خزائنه المظلمة إلا على بعد مخصوص لو تركه لاختل ولكن في العين رأينا عجبا رأينا أن الإنسان منا يرى الشبح وهو بعيد عنه كما يراه وهو قريب منه لما إذا هذا لأن الإنسان أعطى كما أعطى الحيوان قدرة على تشكيل البلورية فيزيد تعذب العين في النظر إلى البعيد وينال في النظر إلى القريب بحيث تقع الصورة على الشبكية تماما

ألا ترى أنك إذا أدمت النظر إلى شبح قريب ثم حوّلته بغمّة إلى شبح بعيد رأيت أنه أولا غير جلي ثم ينجلي بعد قليل في مدة يمكن الرائي فيها أن يحكم عينه ويجعل بؤرتها مطابقة لذلك البعد وهذا لمن يكون في الخزانة المظلمة التي زاجتها جامدة لا تحوّل لها عن صورتها فتعجب من الحكمة والنظام

نوايس النور والسواد والقدرة على تنويع البلورية والبعد المخصوص الذي وصفت فيه الشبكية بحيث تقع الصورة عليها ولو اختلف شرط من هذه لكان الناس والحيوان عميا - ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم -
﴿ لطيفة في عجائب العين ﴾

مما يجعل ذكره في هذا المقام ما جاء في كتاب مسرات الحياة للورد اقبري الانجليزى الذي نقلنا عنه سابقا قال في فصل كتبه في الصحة

ان في الجسم الانساني أكثر من مائتي عظم ولكل منها شكل مخصوص بها ولولا حسن صنعها لعاقت حركاتها التي نأتمها كل يوم (يقول مؤلف هذا التفسير وسيرد عليك قريبا هندسة الأعضاء وقياسها العجيب منتولا عن آباءنا حكماء الاسلام) ثم قال وفيه (٥٠٠) عضلة كل منها تغذى بمئات الأوردة والعروق تدبرها أعصاب كثيرة والقلب وهو بين هذه العضلات ينبض في السنة ثلاثين مليون مرة فإذا توقف عن الخفقان قضى الأمر وانقطعت الحياة ولو تأملنا في أدوات الحس كالعين مثلا بما فيها من قرنية وعدسية وطبقات مائية وزجاجية تنتهي في الشبكية لتولانا العجب فان هذه الشبكية التي لا تزيد عن نخن الورقة تتألف من تسع طبقات مختلفة أبعادها تألف من نحو ثلاث ملايين مخروط ونحو ثلاثين مليون اسطوانة وأعجب من هذا كله الدماغ فقد حسب أحد الفيلولوجيين أن المادة السنجابية التي في تلافيق الدماغ نحو ستمائة مليون خلية تتألف كل منها من ألوف من الدقائق الظاهرة وكل دقيقة تكون من ملايين الجواهر وقد قال قبل ذلك لقد نحيا السنين الطوال ولا نكد نشعر أن لنا جسما اه

﴿ مسارح الفكر ﴾

فانظر أيها الذي القطن وتأمل كيفية قول الله تعالى في هذا المقام - هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم - انظر كيف وضع البطورية والرطوبة المائية والزجاجية والقرنية والشبكية والمشمية والقرحية وكيف جعلها مائة لاو اميس النور الذي لم يشاهده الجنين ولا يزال في الظلمات . تأمل أيها الذي وغض النظر عن كتب الديانات وعن آراء الفلاسفة وتأمل باستقلال في نفسك ولا تقلدني ولا تقلد أحدا بل حكم عقلك فهل المادة

التي هي مكوّنة من ذرات جارية أجزاءها بعضها على بعض بسرعة مختلفة القدر هي التي كانت تدبر هذه الحكمة وهل هي التي كانت قارئة نواويس النور وأحواله فوضعت في الجنين تلك الحديقة ملائمة للنور الذي لم يصل له الطفل بعد فتكون قد لاحظت ذلك كله وخافت أن لا تقع الصورة على الشبكية فوضعتها قريبة منة ثم اوحافظت على الصورة بالسواد وأخذت تنقّي الأشكال الملائمة للإبصار . انظر بعقلك الفكرة هو المسيطر الأكبر في هذا العالم

على نفسه فليبتك من ضاع عمره . وليس له منها نصيب ولا سهم
هذه هي الحياة وهذه هي السعادة وكأنتا ونحن نقرأ هنا ننظر في أصول الحكم العالية والنواويس الشريفة الراقية

فياليت شعري أمواج النور تجري من الكواكب سارية إلى الأرض كيف كانت هي أهم ما ينتفع الناس به لولا أنوار الشمس وحرارتها ما عاش حيوان ولا نبات فالحرارة الشمسية تذيب الجليد ويهاجر الأنهار وبها الحياة ثم ضوءها جعلت العيون مناسبة له مناسبة تامة فأبصر بها الحشرات وسائر الحيوان والانسان - إن ربّي لطيف لما يشاء أنه هو العليم الحكيم -

واعلم أن النور ينفذ في كل شفاف ولو اختلفت مصادره وأما أشعة الحرارة فلا تنفذ في كل جسم شفاف إذا اختلفت مصادرها . ان حرارة الشمس تنفذ في كل الاجسام الشفافة كالنور وأما الحرارة المنعكسة عن جسم في الأرض فانها لا تنفذ في بعض الاجسام الشفافة

وترى أن حرارة الشمس تنفذ في الهواء والبخار المائي الذي فيه وزجاج النوافذ ثم تصبها الأرض وما عليها وتشتعها أمواجاً مظلمة طويلة بطيئة . وعلى ذلك لا نستطيع أن نخترق بخار الماء في الهواء بل نحبس فيه لتدفأ بها المخلوقات الأرضية

فكيف تنفذ الحرارة من البخار ثم وقعت على الأرض وبقيت مخزونة بين البخار والأرض وأصبح البخار كالباب يفتح لحرارة الشمس ثم يقفل عليها التمتع المخلوقات . وياليت شعري لقد وجدنا فيما كتبناه هنا حكماً عالية وتديراً متقناً ضوء ينفذ وحرارة تخزن وماء في الهواء صار بخاراً وضوء يجري فتبصر به العين التي جمعت حكماً لا تحصى فهل ذلك كله كان بتدبير تلك الذرات التي لا تملك الاحركات فهل تلك الحركات كانت تدرس كل هذه النظم . على العاقل أن يفكر ويتبصر - إن الله عليم حكيم -

﴿ المظيفة السابعة الرحمة في قلوب الوالدين ﴾

قد ذكرنا فيما مضى أن ناهوس الجاذبية عام في الكواكب وفي الأحجار وفي الذرات ويتبع ذلك النواويس العامة في العين والاذن والماء والثلج والحرارة كل هذه جارية على نواويس طائفة منقاداة خاضعة ومن هذا القبيل الرحمة التي نراها سارية في قلوب كل والد من حيوان وانسان فاذا انجذب الحجر الى مسقطه والكوكب في مداره والنور يجري في العين بالصورة المرئية والهواء في الاذن بالاصوات هكذا نرى كل انثى مغرمة بولدها تفديه بنفسها لم كان هذا الناموس عاماً . نعم إنه من قوله تعالى قاتلوا نينا طائعين فهذا انقياد وخضوع على سبيل المحبة والغرام لا الاكراه والله تعالى يقول - لا اكره في الدين - ويقول - قاتلوا نينا طائعين - فالعلموم تعرف بالميل اليها والحب لها والولد يربى بالحب له والعطف عليه

﴿ حكاية خادمة ﴾

كنت أكتب في هذا المقام إذ قصت على الخادمة قصصاً وقت الافطار في هذا الشهر (شهر رمضان) قالت لقد رأيت عجبا رأيت الأرنبة ومعهما أولادها فذهمت لمن خبزاً فأخذت تدفعه برأسها وتمنع أولادها من تعاطيه فأخذتها خارج الحجر وأقفلت الباب على أولادها وأخذت أضربها بالمنعها أولادها من الأكل ومع شدة الضرب كانت تجري نحو الباب فقلت في نفسي لا بد أن يكون هناك أمر ففتشت الخبز فرائت فيه دوداً فعلمت خطئى وبكيت وقبلتها ورميته بالخبز

وأبعده عن أولادها وأخذت هي تلحسهم عطفًا ومودة انتهى كلام الخادمة قال مجيب كيف عرفت الضار وجهه - له
الانسان وكيف كان العطف يعم كل حيوان

﴿ اللطيفة الثامنة الشهوات الغريزية في الحيوان ﴾

إن الحيوان ومنه الانسان ليس يأكل ولا يشرب ولا يقرب انثاه إلا طوعا بإرادته وشهوته التي زينته فيخلق
فيه الجوع والعطش والشبق فيأكل ويشرب ويتزوج كل ذلك طاعة لا جبر فيها وحب لا كراهة فيه . ولو أن الناس
كفوا أن يأكلوا ليعيشوا وليس لهم داعية شهوية بما عاش انسان ولا حيوان وهذا من قوله تعالى - قالتا أيينا طائعين -
أطاع الانسان غريزته فأكل والأم وجدانها فرب الولد والحجر مسقطه والكوكب قانونه كل ذلك حب واحد و غرام
منتظم - وما كنا عن الخلق غافلين -

الله خلق الشهوات وزينها في القلوب ليكون هذا النظم الانساني والحيواني ولذلك تراه يقول في هذه السورة
انه سبحانه زين للناس شهواتهم وعددها سبعة وهي انفساء والبنون والذهب والفضة والخيول والانعام والزرع
انزل في ذلك في القلوب فعشق الرجال في النساء وحب اليهم البنين والنقدين الخ وذلك في قوله تعالى - زين للناس
حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث - ثم أخذ يرمي
فيه فقال - ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب -

نعم حب الله ذلك للناس ولولا هذه الشهوات ما عاش حيوان ولا انسان ولا كان دين ولا دنيا ولم يكن علماء
ولا أنبياء وهذه الشهوات من الطاعة المذكورة في قوله تعالى - قالتا أيينا طائعين -

هذه منافع الشهوات التي سلطها الله على الاحياء ولكن لما كانت مقصودة لغيرها لالذاتها والمقصود من العالم الانساني
التعارف والتواد والغرض من المال بقاء الأجسام والغرض من شهوة الجنس انما هو وجود الأولاد لا غير . لذلك
سلط على الناس الروادع والزواج القاهرة حتى لا يتهادوا في تلك الأشياء فأنزل في العادات غالبا استة باح الزنا وكشف
العورة والتلفظ بالقبيح وأودع في النفوس احتقار الشره والفسق والجشع وحب الى الناس كل عفيف قانع ثم
أنزل الديانات فامر الناس بالانفاق وحرم عليهم الزنا وأمثلة كل ذلك ليريههم أن تلك الشهوات مقدمات والمقدمات
لا يجوز التغالي فيها كعلم النحو والصرف وأمثالها وهي مقدمات للقرآن والعلوم . فلتكن الاطالة في النتائج لا في
المقدمات

هكذا الحيوانات التي تأكل الحشيش لما كانت في قديم الزمان قد كثرت وملاأت السهل والجبل وقد وجدت
آثارها في علم طبقات الأرض وأن تلك الحيوانات كانت تتراكم في غار واحد من كثرتها وتموت جوعا لأن حشائش
الأرض ما كانت لتكفيها وبعد ذلك حدث خلق الآساد والنمور والضباع وما أشبه ذلك لتأكل لحائها فلا يتعفن
الجثث فلا يكون الوباء

هكذا هنا سلط على الناس الشهوات رجة منه ثم أنزل الديانات وألهم العلماء الحكمة ليحفظوا الناس من غوائل
التمادي فيها - إن الله حكيم عليم -

﴿ اللطيفة التاسعة القطن وزراعته اجابة لداعية حاسة اللمس والبصر ﴾

انما خصت الكلام على القطن وزرعه لما فيه من العجب العجيب وان الانسان وهو يزرعه مدفوع بحب الزينة
والمناظر البهجة وتوقى الحر والبرد وهو مع ذلك أشبه بالنحل يجمع العسل من الزهر والانسان منه حظ عظيم هكذا
هنا أصبح العالم الانساني مغرما بالقطن لدخوله في الثياب وهي زينة محبوبة فدعا ذلك الناس لزرعه كسب المال عند
الزارعين والحالجين والناسجين والصابغين والخائطين والبائعين وأصحاب العربات والسفن للنقل وكان
ذلك زينة لكل لابس ولا بس من الناس أجعين . لذلك زرعه أهل بلادنا المصريون وأهل أميركا وامم أخرى اجابة
لداعية الاتقاء من الحر والبرد ولداعية حب الجمال والزينة ذلك كله جاء طوعا لا كرها . ثم انك تجد أن هذا القطن

والناس يزرعونه قد جعل مرعى ومهدا وخصبا وبساتين وقصورا وأرائك وحرير العوالم لا تكاد تحصى ولا تستقصى يقول الانسان ان القطن قد خلق لى وأنا زرعته لنعمى وسعادتى وهو فى الحقيقة مسخر وهو لا يشعر كما سخر النحل لجنى العسل والناس يأكلون أكثره هكذا القطن يظن الناس أنهم هم الممتنعون به وفاتهم أنهم يعملون لمنفعة الدودة وحشرة أبى دقيق تلك الامم التى دخلت فى جنات ونعيم فى قصور الأشجار وحجرات الأوراق ومقاصير الأزهار ومخادع اللوز

فترى رعاك الله الدودة قد تبوأ تلك الأرائك الحربية الداخلة فى تلك اللوزة وهى فرحة ممتعة وحشرة أبى دقيق تضع بيضا على الورق منظما ثم يفقس بعد أيام ويصير دودا وذلك الدود يسمن وهو يرعى من الورق كما يرعى دود اللوز فى أحشاء شعر القطن وهو نائم فيه مستدفئ وتلك الأم سعيدة فى قصورها نائم فى خدورها والهواء عليل والجو جميل كل هذا والانسان المسكين يسعى لسقى القطن ويحاول جنيه فلا ينال منه إلا القليل فدودة الورق ودودة اللوز فى تبوءها وكأها الورق واللوز أشبه بالانسان إذ يأكل العسل والانسان وهو يسعى لسقيه أشبه بالنحل وهو يجمع العسل من الزهر أفلمست ترى أن الحيوان والانسان كل مسخر على سبيل الطاعة والحب والغرام فالمرأة لخب ولد هاربه والنحلة لخب عسلها جعته والانسان لخب القطن زرعه طاعة لا قهرا ولو كان ذلك قهرا لم يجمع النحل العسل ولم يزرع الانسان القطن حبا فى سواد عيون الفراشة والدودة ولكن حبا فى شهوته وهو بهجة نفسه وفى الوقت نفسه انتفع الحيوان - إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا -

ولقد ذكرت المجلة السورية التى تصدر فى نيويورك فصلا ضافيا فى دودة القطن فبينت أن هناك حشرة لا يتجاوز حجمها الذبابة ظهرت فى بلدة مونكلوفا ببلاد المكسيك نحو سنة ١٨٩٢ وانتشرت كجيش من الجراد حتى حرم أهل تلك الجهة زراعة القطن وهى ولاية (نكسس)

وقد فتكت بالقطن فتكا ذريعا وانتشرت فى الولايات المتحدة انتشارا مريعافتشقب الاقنى لجنها لوزة القطن فتعيق غوثها ثم تدخل وتعيش فيها وتبيض فيلطن بياض خيوط القطن ثم يخرج صغار الحشرة وقد فتكت باللوزة ولقد عملوا لها تجارب كثيرة لقتلها ورشوا القطن بسائل يقتلها ولكن الله غالب على أمره والحشرة لا تزال تخرب المزارع - والله عاقبة الامور - الانسان هنا قد زرع لتلك الحشرة ولما كثرت أخذ يقتلها طائفا بأنه يصون القطن وهو فى الحقيقة يفعل ما فعله الله عز وجل إذ خلق الحيوانات الكاسرة لفتك بالحيوانات المجتررة رحمة بها وبالعالم ليكفيها العشب الذى ينبت فى الأرض هذه بعض الحكم . ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاضعا وهو خاسر -

الانسان مسخر لعيش هذا الحيوان على القطن وجميع مزارع الانسان نافعة للحيوان وهو يزرع حبا لمنفعة نفسه ولكن الله سخره لغيره ومن نظائر هذا تلك الحيوانات العائشة فى أجسامنا الماصات دماءنا فنحن نأكل حبا فى الغذاء ودفعنا للجوع وطلبنا للشهوات ولكن تلك الحيوانات تشاركنا فى داخل أجسامنا لجميع الأمراض انما تكون بحيوانات تعيش فى أجسامنا وأخص بالذكر الدود الذى يورث مرض البلهارسيا فإنه يعيش فى العروق الداخلة فى الكبد وفى فروعه المعدية فى المجارى البولية والأمعاء الغلاظ وترى الحيوان مسلحا بشوكته مدية فى جدر الأمعاء والمجارى البولية فتقرق الأوعية الدموية فيحصل النزف . ومنى قضى المريض حاجته سقطت بويضات البلهارسيا مع البول أو البراز وخرج الجنين بعد الفقس فيدخل التواقع وبعد أيام تسبح تلك المخلوقات فى الماء فإذا صادفها انسان خرقت جلده وباضت فى جدر الأمعاء والمجارى البولية . وذلك دأبها الى يوم الدين فتقتل الآلاف والآلاف فى البلاد المصرية وغيرها من قديم الزمان

الناس زرعوا القطن لمنفعتهم وأكلوا الخبز وهضموا الطعام لشهواتهم ولكن الحكمة المدبرة قد قضت أن يكون القطن مرعى للحشرات واجسامنا مرابع للديدان الفاتكات - إن فى ذلك لآيات للعالمين -

(اللطيفة العشرة حب العلماء والحكماء والأنبياء للتلاميذ والأمم)

ومن الطاعة المذكورة حب المعلمين للتلاميذ والعلماء والمؤلفين للأمم والحكماء والأنبياء للناس من سائر الأجناس ليعلموهم ولينقلوهم من حال النقص الى حال الكمال كما فعلت الأم بولدها ولزراع بنضته والحجر في سقوطه والسيار في جريه والألكترونات في الجوهر الفرد كل ذلك طاعة ولو نطق الحجر والكوكب لقال ما تقول الأم ويقول العالم وزراع القطن انهم جميعا يعملون لشوق في أنفسهم وغرام حل بقلوبهم والأنبياء خاصة بشوق علوى ووحى سماوى علوى لا كوحى النحل الذى هو من قبيل الغرائز أما هؤلاء فمن قوة قدسية علوية . هذه اللطائف العشر تريت تلك الطاعة العامة في المخلوقات

(اللطيفة الحادية عشرة)

لقد رأيت أن هذا العالم كجسم واحد وحيوان واحد واليه الإشارة بقوله تعالى - ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة - ها أنا ذا قد صطفت لك من العلوم أجلاها ومن الحكمة أبهاها ومن الطبيعة أغلاها ومن الدر أئمنه ومن الياقوت أبهره . قد عرض الله عليك جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتفكرين . أسمعك اختلاصة فافكر فيها فهي من الجلال الأبهى والحسن الأجلى والنظام الأسنى . كل ذلك لا إشراق نفسك واسعاد حياتك وصفاء ذاتك فالجاهلون كالفحم يحترقون والعلماء كالناس يشرقون ولا فرق بين الأتباع والفقهاء في أصل المدة ولكن الفرق في ترتيب الذرات عند تركيبها هكذا الجاهل والعالم تشابه ذاتا واختلافا في إشراق نفس بالعلم وإظلام أخرى بالجهل - هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون -

الى هنا انتهى الكلام على الأمر الثانى وهو قوله تعالى - هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم - وبه ختم الكلام فى تفسير قوله تعالى - ان الله لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم -

(خاتمة هذا المثل)

اهل أن هذه المباحث هي التى يطلبها الاسلام بل هي صبغة الله كما قال تعالى - صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون - ألا ترى أن هذه النظم والمجائب والحساب والهندسة والابداع هي المعبر عنها بقوله تعالى فى هذه السورة - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم - ثم انظر كيف يقول بعدها - ان الدين عند الله الاسلام - وأنت تعلم أن علماءنا قالوا ان الاسلام هو كل دين نزل على نبي قبل النسخ وانظر كيف ذكر الاسلام الذى هو الدين العام عقب ذكر هذه النظم العجيبة فكان الاسلام العام يدعو حيننا الى معرفة هذه العوالم واتقانها وانظر كيف يقول فى آية أخرى - انما يخشى الله من عباده العلماء - بعد قوله - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها الآية - كل ذلك تذكير للمسلمين ليعلموا أن أجل العلم هو علم الطبيعة والفلك والحيوان والنبات وأن العلماء بذلك هم أقرب الى الله وهم الذين صبغوا صبغة الله التى هي أحسن صبغة وقد قال العلماء الحكمة هي التشبه بالله بقدر الطاقة البشرية والتشبه بالله يكون بالعلم مثل ما يفتنه لك فى هذا التفسير وبالعمل ونشر الفضيلة والاعتدال . هؤلاء هم الاولياء وهم هم الصالحون وانظر كيف ابتدأ الله هذه السورة بوصف الله بأنه لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء وبأنه حكيم فى صنعه ثم ختمها أيضا بقوله - ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لاولى الألباب الآيات - وانظر كيف كان نبينا صلى الله عليه وسلم يقوم آخر الليل ويمسح وجهه وهو ينظر للنجوم ويقرأ هذه الآيات أفليس ذلك يعرفك تقصير هذه الأمة البائسة النائمة وأن المسلمين الخاليين لو عرفوا أنه صلى الله عليه وسلم كان نظره فى الكواكب من آخر الليل تقدم على صلاة التهجد كما فى البخارى لكانوا أغزر الأمم علما بالعلوم الكونية ولم تدسهم الفرنجة ولم يذلهم الطامعون

﴿ تبصرة في التعليم في ديار الاسلام ﴾

تبين لك أن الحب به قامت السموات والأرض وبه انطلق الحب والنوى وجرى النجم وهوى وسنطت الأحجار وانجذبت الأجسام وأرضعت الأمهات وأولادها وألف العدااء وعلم الأنبياء وبرهن الحكماء فالحب هو أصل الكائنات وابداع الموجودات . فليكن التعليم بطريق مشوق جميل سار لللاميذ مفرح لذيد أما التعليم الذي لا تقبله النفس فلا ثمرة فيه وعلى ذلك يخص كل امرئ فيما يميل اليه ويهواه ويهم به ويراه كما قدمناه في سورة البقرة في قوله تعالى - لا يكف الله نفسا إلاوسعها -

والعمرى لا سعادة لنوع الانسان في هذه الأرض إلا إذا كان العلم معشوقا محبوبا امرغوا به وأجل ما يرغب فيه أن يكون بوازع ديني فإذا اتفق في هذه الأرض أن ديننا يطلب العلوم ويعشق فيها وقرئت هذه الغاية ارتقى الانسان أربعة أضعاف ارتقاء الخالي لأن الناس يقرؤون إذ ذاك العلوم كأنهم يحبون علمها . وإذا كانت أمتنا الاسلامية لما احرمت بالغة نبغت فيه فبالك بها اذا ظهر أن العلوم التي هي أرقى من الغنى وألذ منه وأقرب الى رقى النوع الانساني وأملك طواه وأحق بعنايته من المنجوم الباهرة والرياض الناضرة والبحار والسفن الماخرة والدر والمرجان وما فيه من كل فاكهة زوجان اذا عرف المسلمون ذلك تظهروا فيهم أمة متميزين بتاريخ وتعود الأمم وتعلو الثريا واذا ذلك يظهر سر قوله تعالى - ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون -

﴿ الكلام على أن كل ركعة في الصلاة تتضمن دراسة علم الفلك وعلم التشريح وعجائب النفس

ثم الغرائز والنوى في العوالم العلوية والسفلية والكلام في أن العقول موازين نصبها الله في الأرض ﴾

تبين لك فيما سبق أن حركات الذرات في الجواهر الفردة وسقوط الأحجار وجرى الكواكب وانتظامها والنسب التي بينها راجعة الى الجاذبية الطبيعية وبعد ذلك تكون الغرائز الثابتة كرحمة الوالدين لأولادها من حيوان وانسان وحب مابه الحياة من طعام وشراب وتزواج ولباس ومسكن ودفع أعداء لما يطلب ذلك من غرائز الجوع والعطش والشبق والتأذى من الجوع ومن العدو وما أشبه ذلك . ويتلو ذلك العقول الانسانية المنظمة للقوى السابعة الحافظة لئلا يهان هذه العوالم وبعدها تأتي القوة القدسية والوحى الذى يختص به أناس هداية الناس . وتأمل كيف كان العقل وسطا فلا هو منحط لدرجة الغرائز كانه حل والنمل والوالدات من سائر الحيوان ولا هو سام جدا لدرجة النبوة والقوة القدسية وهو المسلط على ماتحته من غرائز فيبحث في النبات والحيوان والمعادن واتخذ المساكن والملابس والدواء واجتنب الداء . فانظر كيف قام هذا العقل مقام الراعى وكانت الغرائز الفطرية مقام الرعية وكذلك نظر بفتنته في القوة القدسية التي اختص بها الأنبياء وقال العقل انما بعض هذه اشارات فلا فكريما نزل من الوحي ولا استخراج جواهره فاتحلي بها - مثلا شرعنا الاسلامية جاءت على لسان رسولنا صلى الله عليه وسلم وسيكثر فيها كما قلنا أهل العقول فيقولون نحن نصلي وندعو الله ونخاطبه فنقول عند الاعتدال من الركوع ﴿ ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شئ بعد ﴾ لماذا يشر هذا الحمد . يشير الى أن الحمد على مقدار النعمة الواصلة للعبد وقد تبين في هذا التفسير أن الشمس والقمر والكواكب الثابتة والسيارة متضامنة في نفع العوالم وحركاتها مرتبطات ببعضها وكأن لأرض ومن عليها مرتبطون بالشمس وما معها بدليل الأنوار المتعبرة منها - وفي السماء رزقكم وما توعدون - فليس الرزق من الأرض وحدها بل الشمس والنجوم تغدق علينا النعم بالتسخير وذلك باضوائها باذن الله والنجوم الثوابت ترى احتياجا جناها بالاهتداء بها في ظلمات البر والبحر فكانت النتيجة لهذا أن السموات والأرض وما بينهما وما فوق ذلك كل ذلك متجاذب متحد في نفع الانسان فليكن الحمد ملء هذه العوالم والحمد على الجهور لرباء كاذب وعبث فكان هذا الدعاء وضع في الشريعة ليتنبه اليه ذوو العقول من المسلمين ويقولون كيف يكون ملء السموات والأرض ونحن بذلك جاهلون * لابد من العلم بها حتى نكون حامدين * ثم ان العلم بها قد فتح لك بابه في هذا التفسير ويستكمل المتعلمون في الأجيال المقبلة . هذا ما سيعرفه أبنائنا بعدنا . ويقولون أيضا اننا

عند الركوع تقول خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي وما استقلت به قدمي لله رب العالمين ﴿ ونقول في السجود : سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين ﴾ فبرونه في الركوع يذكر المصلي أنه خشع سمعه وبصره ومخي وعظمه وعصبه وجميع جسمه أليس معنى هذا أنه يقرأ علم التشريع حتى يعرف تفصيل هذه الأعضاء • أليس قوله في السجود : سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره هو عين ما قدمناه من معرفة علم التشريع وخلق العيز والسمع كما فصلناه

ويا ليت شعري هل يدرك المسلمون هذه الحكمة هل يعلمون لماذا كان ذكر السمع والبصر وما استقلت به القدم • وبعبارة أخرى لماذا كان علم التشريع في حالتي الركوع والسجود ثم لماذا كان ذكر السموات والأرض وما بينهما من العالم العلوي في حال الرفع والاعتدال • لو علموا ذلك لكانوا أمة عظيمة ولكنهم يصلون وأكثرهم نائمون ويعبدون وهم غافلون صم بكم عمي فهم لا يعقلون - إلا قليلا منهم - وقليل من عبادي الشكور -

﴿ الجواب وإيضاح المقام وبعض أمرار الصلاة ﴾

لما كان المصلي رافعاً رأسه في حال الاعتدال واقفاً ناسب أن يذكر السموات العلى ولما كان في حال السجود والركوع ناسب أن يذكر ما يخص جسمه من المجانب والتشريح وكأن الصلاة درس للمسلم تذكره أنه تارة يبحث في العلويات وتارة يبحث في السفليات فان رفع رأسه في السموات يكون فكره وان ركع أو سجد فالى النظر في أمر جسمه وكأن الركعة الواحدة للمسلم هي الحكمة كلها والفلسفة أجمعها اذ لا علم فيها بعد العلويات والسفليات وما يتصل بهما من العلوم • ان المسلمين في مستقبل الزمان غير من رأيتهم اليوم من النائمين • وقد سلكت سبيلا سيسلكونها وقصدت قصداً سيؤمونه والله هو الولي الحميد • فيجب على المسلمين بعدنا أن ينشروا علم الطبيعة وعلم الفلك والتشريح الخ وليعط كل امرئ من العلم على مقدار طاقته حتى العامة يكون لهم المصالح على مقدار حالهم فهذا هو مقصود هذا المقال • وهو ان العقول تفكر فيما هو أسفل منها من الغرائز فتحفظ الحرث والنسل والمدن والقرى وتفكر فيما هو أعلى منها وهو الوحي فتتنظر في رموزه وتسير في طرائقه ولا تنف عند لفظه - والله عاقبة الامور -

فكما نبغ آباءنا في الاحكام الفقهية من آيات قليلة فلينبغ في المستقبل المسلمون في آيات أكثر منها ولتستتر عقول المسلمين - والله لا يضيع أجر المحسنين -

فرجع الامر في الركعة الواحدة في الصلاة الى نظرتين نظرة في النفس ونظرة في الآفاق أما نظرة النفس ففي الركوع والسجود وأما نظرة الآفاق ففي الرفع والاعتدال فاذا رفع المصلي رأسه فذلك لدرس العالم من سموات وأرضين واذا ركع أو سجد نظر في نفسه والسجود أهم وفي الآية - فاسجد واقترب - ولا معنى للقرب الا العلم وفي الحديث أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فالقرب كما قال الغزالي بالعلم والعلم هنا علم النفس المرتبط بعلم التشريح المذكورين في قول المصلي وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين • وفي الحديث من عرف نفسه عرف ربه فالمصلي عند رفع رأسه ينظر نظرة نبينا صلى الله عليه وسلم كما قدمنا عن البخاري اذ كان يقف آخر الليل ويقرأ - ان في خلق السموات والارض الآيات - في آخر هذه السورة واذا ركع أو سجد فكأنما يفسر الآيات اقل هذه السورة - هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم - اهـ

﴿ الكلام في تفسير قوله تعالى - هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات الآيات - ﴾

ان الله عز وجل ذكر في هذا المقام العلوم الكونية والكتب السماوية وبدأ بالثانية فذكر منها التوراة والانجيل والقرآن ونهى بالعالم المحيية من الارض والسماء وتصوير الاجنة في الارحام • وأنت خبير أن العلوم امان الوحي الصادق واما من الحكمة العقلية والمشاهدات الطبيعية فالاولى للعموم والثانية للخصوص ثم ان القسمين قد يكون العلم فيهما مشوباً بالابهام مورتاً بالشكوك محوجاً للعقول الى الكشف فأبان سبحانه أن في الوحي ما هو محكم وما هو متشابه يرجع فيه الى المحكم المفهوم فلا عقول فيه جولان ولنفس فيه موازين بها يزنون الحق ويعرفون

مواضع الخطأ من القول ولم يذكر سبحانه محكما ومتشابهها في العالم الطبيعي فانظر كيف ذكر علم العموم وعلم الخصوص
وابان المحكم والمتشابه من الاول ولم يبينه في الثاني

وانما الآن ابين لك ما قصه الله من المحكم والمتشابه في القرآن ثم اقفى على آثره بالمحكم والمتشابه من العلوم الطبيعية
ان الله بين ان في كلامه محكما ومتشابهها وترك المحكم والمتشابه في أفعاله في السماء والارض للعقول والافهام فيها اناذرين
لك الامرين لتقف على الجمال وابها - والحسن والكمال والابداع والغرائب والابداع والمجائب وستطلع أيها
الذكي في هذا المقام على جمال الطبيعة وكيف انتظمت الكائنات الحيوانية والنباتية والمعدنية وكانت سلسلة واحدة
منظمة متناسبة لاخلل فيها ولا عوج وكيف كان الجنين يمر في أدواره على هذا النمط وهو نمط النسق المنتظم في أشكال
الحيوانات متنظما من أدناها الى أعلاها ثم أريك الجمال في تناسق الأعضاء في الأنواع المختلفة كيدى الانسان والقرود
وجناح الدائر وما أشبه ذلك من النسق البهيج الجميل وكيف كانت تلك الخلقة كأنها محكمة متناسبة كالآيات المحكمات
ثم كيف جا العلماء وتوقفوا في بعض المسائل فأورثت عندهم شبهات في كيفية الخلق كأمثال العلامة هيكال الالماني
وكيف خطأ العلماء فيما زعموا من الصور التي زادها فكان ذلك أشبه بالمتشابه في القرآن ثم تعرف بعد ذلك أن النفس
الانسانية مثلا التي تصور جسمها في الرحم بهذا النسق الجميل وكانت أشبه بالسلسلة الحيوانية كيف يكون ذلك الجمال
والبهاء والحسن في أشكالها وتنظيمها ضئيلا بالنسبة لفي نفوسهم من الغرائب وانها واسعة لانهاية لحدتها ولا منتهى
لأمدتها فهي تسع العالم المحسوس والعالم المعقول واليه انتهت العوالم وكأنها مركز الوجود ومهبط الأسرار . كل
ذلك سأشرحه لك ان شا الله شرحا وجيزا كافيا وتطلع على آراء الأمم الحاضرة وموجزة ملخصة مفهومة واضحة فتسكن
نفسك بالحقائق وتعلم على مصاف أولئك الذين يدعون العلم العصري وهم عن جهالة مغمضون وعن محاسنه ساهون
لاحدون ويقولون نحن عالمنا لم تعرفه الديانات ولم يصل اليه الأنبياء وأنت ستري أن ما سأقصه لك قد دخل في
مضمون المحكم والمتشابه المعامل للمحكم والمتشابه في القرآن وأن النسق الجميل والحسن في هذا النظام الحيواني هو الذي
يقول به القرآن - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - ويقول - الذي أحسن كل شيء خلقه - والآن أبتدىء
بالكلام على المحكم والمتشابه في الوحي وأقفى على آثاره بهما في الطبيعة فأقول

﴿ المحكم والمتشابه في الوحي ﴾

اعلم أن اللفظ الموضوع لمعنى اما أن يكون محتملا لغير ذلك المعنى واما أن لا يكون فاذا كان اللفظ موضوعا لمعنى
ولا يكون محتملا لغيره فهو النص وان كان محتملا لغيره فان كان احتماله لأحد هماراجا ولا آخر مرجوحا فان ذلك
اللفظ بالنسبة الى الراجح يسمى ظاهرا وبالنسبة الى المرجوح يسمى مؤولا واذا كان احتماله لهما على السواء كان اللفظ
بالنسبة لهما مشتركا وبالنسبة لكل واحد منهما على التعيين مجملا فاذن يكون اللفظ امانا واما ظاهرا واما مؤولا
واما مشتركا واما مجملا فالنص والظاهر هما من قبيل المحكم والمؤول والجمل يدخلان في المتشابه ومعنى المتشابه الذي
لا يعلم لان الذي يحصل فيه التشابه يصير غير معلوم فأطلق لفظ المتشابه على الذي لا يعلم واذا شبه أحد الشئيين الآخر
عجز الدفن عن التمييز بينهما وأما المحكم فهو من قولك بناء محكم أى وثيق يمنع من تعرضه وسميت الحكمة حكمة
لأنها تمنع عملا لا ينبغي والحاكم يمنع الظالم عن الظلم

﴿ مثال المتشابه ﴾

(١) واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا - فظاهر الآية
أنهم يؤمرون بأنهم يفسقون والمحكم قوله تعالى - ان الله لا يأمر بالفحشاء - رداعلى الكفار اذ حكى عنهم -
واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها -

(٢) وكذلك آية - نسوا الله ونسيهم فظاهر النسيان معلوم ومؤوله الترك والآية المحكمه فيه قوله تعالى - وما
كان ربك نسيا - وقوله تعالى - لا يضل ربي ولا ينسى فتؤول الآية على معنى الترك الذي هو خلاف الظاهر لآية

المحكمة المذكورة

(٣) قوله تعالى - وما تشاؤون إلا أن يشاء الله - يقول أهل السنة في هذه الآية إنها محكمة وآية - فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر - يقولون إنها متشابهة وبالأجل تقول أن جل اللفظ على المعنى المرجوح متشابه وجله على المعنى الراجح محكم وصرفه عن الراجح إلى المرجوح لا بد فيه من دليل كما تقدم

(٤) آيات الأنعام - قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبإلوالدين إحساناً ولا تشاؤوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالتقسط لا تكلف نفساً إلا وسعها . وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلك وصاكم به لعلكم تذكرون . وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون . فهذه الآيات الثلاث عند ابن عباس محكمات وهكذا كل أمر بطاعة واحترام من ظلم وجهل وكذب وقتل نفس بغير حق فهو محكم عند ابن عباس لأنه لا يختلف باختلاف الشرائع . وأما ما يختلف باختلاف الشرائع كأعداد الصلوات ومقادير الزكاة وشرائط البيع والنكاح وغير ذلك فهو المسمى بالمتشابه عنده وهو من نوع الجميل فيما تقدم أي ما يكون دلالة اللفظ بالنسبة إليه وإلى غيره على السوية * ومن المتشابه عند ابن عباس أيضاً أسماء حروف الهجاء المذكورة في أوائل السور وذلك أن اليهود ظنوا أنها جاءت لأعداد الجمل فطلبوا أن يستخرجوا منها مدة بقاء هذه الأمة فاخلمط الأمر عليهم واشتبه فكانوا إذا سمعوا الم يقولون إن أمة محمد ستبقى ٧١ سنة بعد دجل هذه الحروف ا ل م وكلمة سمعوا حروفاً غيرها الر مثلاً زادوا العدد حتى قالوا أخيراً أشكل علينا الأمر فهذه متشابهات تشابهت على اليهود هذا من كلام ابن عباس موضحاً وقوله تعالى - ما كان الله أن يتخذ من ولد - محكم وقوله في عيسى - روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم - متشابه فيرد إلى المحكم

(٥) الآيات الناسخات تسمى محكمات والآيات المنسوخات تسمى متشابهات وهذا لابن عباس أيضاً
(٦) العلم بوقت قيام الساعة والعلم بمقادير الثواب والعقاب في حق المكلفين كل ذلك متشابه فإنه لا سبيل إلى معرفته وأما ما يمكن تحصيل معرفته بدليل جلي أو خفي فهو محكم . هذا ملخص الامثلة في المحكم والمتشابه والاقوال المختلفة . ثم إن الخامس والسادس طريقان من طرق المحكم والمتشابه بخلافان ماقبلهما فتمثل وتدبر فقد قربت لك المقام بامهل أسلوب - والله هو الولي الجيد -

اعلم أن في وجود المتشابهات في القرآن فوائد منها الجد في الطلب لترقي العقول وازدياد الثواب ومنها أنه لو كان محكما كله لكان لا يصلح إلا للمذهب واحد ومنها أن المتشابه يدعو إلى الدليل العقل المخرج من التقليد ومنها أن ذلك يدعو إلى علوم كثيرة لأجل تحقيق التأويل ومنها أن القرآن يدعو العامة والخاصة والعامة لا بد لهم من كلام يوافق ظاهر عقولهم فلا بد من ألفاظ توهم الظواهر وألفاظ تبين الحقائق فيكون الأول متشابهاً والثاني محكما وقوله تعالى - فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله - فالفتنة في اللغة التعلق بشئ والغلو فيه وفلان مقتون بطلب الدنيا أي متجاوز الحد في طلبها

فالتمسك بذلك المتشابه في الدين يصير مقتوناً بدعاً كفاعلى باطله وضلاله وقد ينفضى إلى التقاتل وذلك فتنة أيضاً وقوله وابتغاء تأويله أي تفسيره ومرجعه ومصيره مثل طلبهم أن الساعة متى تقوم فهم يحملون المتشابه على غير الحق وبلا دليل وقد قدمنا الكلام في الوقوف على الإلانة أو على قوله والراسخون في العلم وما قلنا في هذا المقام في القرآن ينطبق على ما سأذكره في المتشابه والمحكم في الطبيعة . وسرى أن من الفلاسفة من يطلبون المتشابه فيها لأجل ابتغاء الفتنة وذلك في القسم الثاني وهو

﴿ المحكم والمنشابه في المظاهر الطبيعية ونظام الحيوان ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم وهو الذي ربى الكواكب والارض والمعدن والنبات والحيوان تربية مبدوءة بالرجة مخترعة بالنظام السائد في الملك كبد فهو الذي أدار الشمس وخلق منها السيارات دائرات حولها ومنهق الارض وهي ملتتهبة (١) ثم صارت تبرد شيئاً فشيئاً حتى أحاصت بها قشرة صلبة من المواد المعدنية والحجرية وهي في أول أمرها خفيفة ضعيفة لا تقاوم حرارة النار الارضية الملتتهبة في باطنها فلذلك تنمزيق حيناً وتنشقق تبرد في وقت آخر فتجمد ويكون هناك أمران اذابة للمعادن وتكليس الصخور فترتفع المعادن الذائبة في الجو وتنزل على هيئة مطر فتقع في الشقوق الصخرية وتبقى دهوراً متطاولة ولا يزال الاصحار والاذابة من جهة والتكليس واليابس من جهة أخرى دائبين حتى يحصل بعد الدهور الطويلة أن الارض قد أحيطت من جميع جهاتها بأحجار صوانية أحكمت السد على النار فلم تعد تندلع من جهة من جهاتها وزال الاضطراب إلا في أوقات قلائل وهذا هو الذي ذكره الله فقال - وجعلنا في الارض رواسي أن تمدبكم - فهذه الحجارة الصلبة منعت اندلاع النار حتى لا تميل القشرة بما عليها فيتبع العالم المتكون في النار الملتتهبة الأرضية وهذا هو دور تكوين الارض ألا ترى إلى أن القطبين منبعجان وأن خط الاستواء منتفخ

﴿ العصر الثاني - العصر النباتي ﴾

هناك سكنت النارة وقرت النار وثبت كل شيء في مكانه واستقر الماء في مواضع من الأرض فظهر عليها الطحلب وأخذ الماء يوجج موجاً ذاهباً إلى الشواطئ من كل ناحية . ثم ظهر فوق اليابسة الاحراش والغابات الناجمة من طوفان الماء عليها حيناً فحيناً ثم أخذت الزروع تبدو على وجه الأرض فكانت أشبه بشجر الجيز في عظم قدرها وارتفاعها أما الأشجار من الموز والنخل فكانت تهاطح السحاب وتعلق بأسباب السماء فتلك المزارع التي نعجب بها الآن كانت كالأشجار عظيمة والأشجار كالجبال وهنا ابتداء

﴿ العصر الحيواني وهو العصر الثالث ﴾

قد علمت أن النار قد سدت من جميع جهاتها بأحجار صلبة متمينة ولكن لما امتد الزمان ثارت النار وفارت فزقت تلك الأحجار من بعض الجهات فظهرت سلاسل الجبال وامتدت النار فأتت على سائر المخلوقات فوق الأرض وهذا هو الطوفان (الجيولوجي العام) وهناك من بعدها أنواع من الطوفان ليست عامة فهذا الطوفان ناري من باطن الارض والدليل على أن هناك أنواعاً من الطوفان بعد هذا أنهم رأوا عظاماً متحجرة في أعلى قتل الجبال وفي أعماق البحار وذلك في الدور الحيواني الذي سأشرحه . وبعد ما سكن هذا الطوفان العام واستقرت كل شيء في مكانه وأخذ الماء يوجج في كل جانب واستقرت البحار في أماكنها الخاصة بها ظهرت الحيوانات ذوات الأصداف وهناك على مر الدهور والعصور صارت ركائز كان منها المرمر وبعض الصخور الكاسية ثم كانت الحيوانات مرتبة هكذا الحيوانات السافلة كالاسفنج والحيوانات الشعاعية الكثيرة الأرجل فالحيوانات الشائكة الجلد كقنفذ البحر فالحيوانات الهلامية فالحيوانات المفصليه فالحيوانات الفقريه هذا اذا رتبناها من أسفل إلى أعلى ولنذكرها من أعلى إلى أسفل بإيضاح فنقول

- (١) الحيوانات اللابنه وهي الانسان وذوات الأربع - الطيور - الزحافات - الضفادع - السمك هذه الانواع الخمسة هي التي لها فتار كفقر الانسان ودم
- (٢) ويلها الحيوانات المفصليه مثل الحشرات - الشبث - العناكب - ذوات القشور ودود الارض فهذه تسمى المفصليه وجسمها مركب من حلقات وتسمى أيضاً حلقية
- (٣) ويلها الحيوانات الهلاميه وهي كقوام المعجين منها ذوات الرؤوس ومنها ما لا رؤوس لها
- (٤) ويلها الشعاعيه كقنفذ البحر شائكة الجلد وكنجوم البحر

(٥) ويلبها الكثرة الأرجل مثل الاخطبوط وهي من الشعاعية

(٦) ويلبها السافل مثل الاسفنجيات والنقاعيات

وهذا آخر ما وصل اليه النوع الانساني من العلم ومحصله يرجع الى أن الحيوانات قسمان قسم له دم كالحيوانات اللابنه والدبابات والنباتية كالسلاحف والضباب والطيور والحيات والسماك

وقسم لا دم له كالهلاميات وذوات النشور والحشرات

وهذا هو التقسيم القديم الذي ذكره أرسطو وما قبله وآخر ما وصل اليه نوع الانسان اليوم مثل هيكل الانثى وكوفيه وغيرهما فتعجب وتأمل

﴿ جال نظام السلسلة الحيوانية ﴾

انظر أيها الذكي الى هذه السلسلة وقأمل في أمر الحياة فانك تجد انها لم تتوقف على حال من الحالات فان قلنا لا بد لها من فقار كلبنر والطيور والضفادع والسماك ينقضه انما وجدنا الحياة بلا فقار فيما هو أسفل منها كالغذكيات والحشرات والشبث وأمثالها . وان قلنا أن الحياة لا بد فيها من قشور في ظاهر الحيوان رأينا الحيوانات الهلامية وان قلنا أنه لا بد من رؤوس كذبنا الحيوانات التي لا رؤوس لها

وان قلنا أنه لا بد أن يكون الحيوان صلب الجسم وجدنا النقاعيات والاسفنجيات فالناس جميعا يعرفون الاسفنج انه عظام حيوان داخلها مادة لطيفة هي جسم الحيوان فاذا فرغت من الهيكل استعمله الناس بعد موت الحيوان . أليس ترى من هذا ان العالم الحيواني عجيب ترى الأنعام ترضع أولادها بعد حملها في بطنها والطيور تحضن بيضها وأخرى من الحشرات تذر بيضها في العراء يتر في حضن الطبيعة بالرحمة الشاملة العامة - فتبارك الله أحسن الخالقين - فالعوالم مرتبة ترتيبا لطيفا بحيث ان كل درجة من درجات الرقي حلت فيها الحياة فالحياة عامة شاملة لا تتوقف على حال من الأحوال فلا البر ولا البحر ولا الهواء يصد عن الحياة ولا رخاوة الجسم ولا عدم الرأس ولا فند الفقرات ولا قلة الحواس وهذا هو الجلال الالهي الوارد في قوله تعالى - الذي أحسن كل شئ خلقه - وفي قوله أيضا - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير - أي ارجع البصر هل من شقوق في السماء وهل من تفاوت أي هل هناك ما يخجل بالنظام فالنظر في هذه السلسلة دل على تناسقها وجمالها وبهجتها

﴿ تشابه الأطراف في الحيوان ﴾

ومن أجل ما أبدع في الدهر وأبهج مظهره في كل عصر

ان يد الانسان وأعلى أنواع القرود من الكورلا والاورانغ تانغ والسكب وأطراف الفقم والدلفين وجناح الخفاش ويد الخلد التي تشبه المعول وأجنحة الطيور والأطراف الأمامية للحشرات والمحيوانات التي هي نصف مائية كل هذه الأنواع العشرة وما شاكلها تجد انها مركبة من خمسة أقسام كيد الانسان فيد الانسان ويد الفرد وجناح الخفاش والطيور وما أشبه ذلك كل هذه مكونة من خمسة أعضاء كأصابع اليدين

أليس هذا هو قوله تعالى - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - أليس ترى أن هذا التماثل بديع وأي عجب أعجب من تنوع اليد فتصير في الانسان كاتبة حاملة السيف جالبة الطعام دافعة الخصم عاملة أعمالا لا تنهاه وهي في الطائر تحمله في الهواء تنوع بديع عجيب كتنوع العناصر في النبات والحيوان أليس هذا دليلا على حسن النسق وأن القدرة التي ابتكرتها مبدعة منظمة بحكمة ثابتة لا تناقض فيها ولا اختلال

﴿ جال الخمسة من علم خواص الأعداد ﴾

واختيار الخمسة من أبدع ما علمه علماء الخواص العديدة

ألا ترى رعاك الله أن عدد الخمسة يسمى عددا دائرا فانك اذا ضربته في نفسه بالغاما بلغ فان حاصل الضرب يحفظ

الآحاد والعشرات دائماً وهذه الخاصة لا يشاركه فيها سواه مثل ٢٥ - ١٢٥ - ٦٢٥ وهكذا فعدد ٢٥ محفوظ دائماً وعدد الخمسة هو الذي عليه نظام الحساب في العالم الانساني لأن العشرة التي هي عدداً أصابع اليدين مثل تضاعف الى المئات والالوف . وهذه من نوع الجمال في علم الموسيقى لان نسبة المساواة والنصف والثلث عندهم هي النسبة الشريفة وهذه نسبة المساواة فساواة الأطراف في العدد من نوع الجمال ونسبتها هندسية لأنك اذا أردت النسبة بين أطراف حيوان مثل لطائر أو الفرد أو الانسان مثلاً فلت نسبة ٥ الى ١٠ كنسبة عشرة الى عشرين وحاصل ضرب الطرفين يساوي حاصل ضرب الوسطين ٥ في ٢٠ = ١٠٠ وهذه هي النسبة الموسيقية وهذه النسبة تمشي مع اطراف الحيوانات المتقدمة بنسبة بعضها الى بعض فتكون أشبه بالآليات الشعرية وأضروب الموسيقى وهذا هو الجمال وهو الحساب والنسبة الهندسية قال الله تعالى - إن الله سريع الحساب . وكفى بنا حاسبين -

﴿ نظام الأجنة في الأرحام ﴾

إن الماء المهيمن في الرحم يمر في درجات مختلفات من النظام الحيواني فيكون أولاً (١) كالجراثيم النفاغية وهي الطبقات الدنيا من الحيوان فيما تقدم (٢) ثم يكون علقه ملتفة شبيهة بثلاثة أرباع الدائرة (٣) ثم يصير مثل الضفدع (٤) ثم يظهر العمود الفقري وله منقار طائر وجسم الحشرة وهو المعمر ما بين عالم الطير ومرتبة الحيوانات الثديية (٥) ثم يصير كذوات الأربع فيشبه الفرد (٦) وتغور الرأس ويرسم الذراعان وله ذنب وتتهيأ مواضع الأعضاء للنمو وترسم العينان والمنخران والفم ثم يقصر ذنبه ويظهر الثأنيث فيه وهذا في الشهر الرابع ويظهر تصوير الجنين فيه وفي الشهر الخامس يفرق بين الذكر والانثى وفي السادس يكون طوله من ١١ عقدة الى ١٤ عقدة وفي السابع من ١٣ عقدة الى ١٦ عقدة وفي الثامن تفتح العينان ويكسى جلد الرأس بالشعر ويكون طوله من ١٦ عقدة الى ١٨ عقدة وفي الشهر التاسع من ١٨ الى ٢٠ عقدة فترى ان الجنين في أول أمره لا يعرف من أي طبقة هو ولقد رسموا جنين الدجاج والانسان والسلحفاة والكلب فلم يجدوا بينها فرقا فهذا تشابه الطائر وذوات الثدي والانسان والسلحفاة في أول نشأتها ثم يأخذ كل منها في التميز شيئاً فشيئاً . هذه هي الآراء المعروفة اليوم في علم الأجنة

﴿ نظام الجسم الانساني ﴾

وباليت شعري أي هندسة وأي نظام وأي مقياس كان في الرحم حتى صنع هذه المقاييس بمر الجنين في أطوار الحيوانات النفاغية والهلالية والفقرية من الطير وذوات الثدي وآخرها الفرد ثم ترسم أعضاؤه وحواسه مرتبة منظمه (١) بحيث تكون قامته ثم نية أشبار بشبره هو ويكون من رأس ركبتيه الى أسفل قدميه شبران ومن ركبته الى حقويه شبران ومن رأس فؤاده الى مفرق رأسه شبران ومن حقويه الى رأس فؤاده شبران بنسب متساوية كما تساوت نسب الأصابع في اليدين وفي الرجلين في الانسان وفي الحيوانات الاخرى كما تقدم (٢) واذا فتح يديه ومدّها يمنة ويسرة كما يفتح الطائر جناحيه وجد ما بين أصابع يده اليمنى الى رأس أصابع يده اليسرى ثمانية أشبار النصف من ذلك عند ترقوته والربع عند مرفقيه (٣) واذا مد يديه الى فوق رأسه ووضع رأس البركار على سرتة وفتح الى أصابع يديه ثم أدير الى رأس أصابع رجله كان البعد بينهما مساوياً عشرة أشبار وذلك طول قامته وربعا (٤) وطول وجهه من رأس ذقنه الى منبت الشعر فوق جبينه شبر وثلث شبر (٥) والبعد ما بين أذنيه شبر وربع (٦) وطول شق عينيه كل واحد ثمن شبره (٧) وطول أنفه ربع شبره (٨) وطول ابهامه وطول خنصره متساويان . هذا قل من كثير من المقاييس المحيية التي في جسم الانسان وذلك كما اذا كان معتدلاً وقد يزيد وينقص اذا قل اعتداله لعوارض يقل بها جالته وكما له وهذا الذي ذكرناه في المعتدل الخلقة الجليل الطلعه

﴿ النسبة الفاضلة ﴾

وهذه المقاييس ترجع الى ما جاء في علم الموسيقى أن النسبة تكون فاضلة اذا كانت مثلاً أو مثلاً ونصفاً أو مثلاً وثلاثاً

أومثلا دربعها أومثلا وثمنا وعلى هذا نجد صور وجه الانسان اذا كان معتدلا شبرا وثمنا وصول قدميه كل واحد شبر ورابع وهو مساو للبعد ما بين أذنيه فهنا مساواة من جهة ومثل ورابع من جهة أخرى وطول شق فيه وشفتيه كل واحد مساو لطول أنفه متى كان معتدلا

ففي هذه الأمثلة ظهر المثل والمثل والتمن والمثل والرابع المذكورة التي قال علماء الموسيقى انها هي الجمال ويقول علماء الموسيقى من علماء افلا عن اليونانيين أن نسبة التمن في ذراع الأوتار هي المستعملة دون الخمس والسادس والسبع وذلك أنها مشتقة من الثمانية التي هي أول عدد مكعب . والعدد المكعب فيه التساوي فطوله وعرضه وعمقه كلها متساوية وفيه اثنا عشر ضلعا متوازية متساوية وله ثلاث زوايا مجسمة وله أربع وعشرون زاوية قائمة متساوية وهي من ضرب ثلاثة في ثمانية وكل مصنوع كان التساوي فيه أكثر كان أفضل وعلى ذلك قالوا ان الانسان كثير فيه التساوي وكثير فيه المثل والنصف والتمن الخ وليس للسدس ولا للخمس ولا للسبع من وجود فيه لأن هذه ليست من الأشكال المحبوبة التي فيها التساوي . أنظر الى ما ذكرناه في شكله تجد ثمانية أشبار في طوله . فهنا التساوي ما بين أربعة أقسام من جسمه . وهكذا التساوي بين شق فيه وشفتيه وأنفه وطول قدميه كالمسافة ما بين أذنيه وهكذا فتأمل وتجب من العلم

﴿ تفصيل بعض ما تقدم للإيضاح ﴾

فالذي يساوي شبرا عند الاعتدال هو (١) طول كفيه من رأس الكوسوع الى رأس الأصبع الوسطى (٢) وبعد ما بين يديه (٣) وما بين صرته وعاقته (٤) ومن رأس فؤاده الى رأس رقبته والذي يساوي شبرين أربعة الأقسام المتقدمة (١) من القدم (٢) ومن الرأس (٣) ومن الحنوين (٤) ومن الفؤاد (٥) ثم ما بين المنكبين والذي هو ثمن شبر (١) زيادة رأس البنصر على الخنصر (٢) وزيادة الوسطى على البنصر (٣) وزيادة الوسطى على السبابة (٤) وطول شق عينيه

والذي يساوي ربع الشبر (١) طول أنفه (٢) وشق فيه (٣) وطول شفتيه

والذي يساوي شبرا ورعا (١) طول قدمه (٢) والبعد ما بين أذنيه

واعلم أني جئت لك في هذا المقام خلاصة علم القدماء والمحدثين في جمال الانسان ونظامه . فيا ليت شعري أين المقياس الذي كان في الرحم حتى فصل ذلك التفصيل وقاس تلك المسافات وفصل تلك الأعضاء وهندس وزوق وحسن الأشكال ونجيب المنحس في الأشكال كالخمس والسادس والسبع واصطفي أجل الأشكال وأحسن الأوضاع كالثلث والمثل والتمن والمثل والنصف وراعى جمال النظام وابتدع واخترع وزين وزوق وفضل الأجل والأكل وجعل الأجزاء مشتقة من الشكل المكعب الذي له ثمن ونصف ورابع وفيه الأمثال الكثيرة الجميلة حتى استعحق أن يقال فيه - الذي أحسن كل شيء خلقه - وقال - وخلق كل شيء فقدره تقديرا - وقال - لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم - وقال - خلفك فسوقك فعذلك في أى صورة ما شاء ربك - فهذا هو الحسن الذي ذكره الله لأنه أول ما اتقى أجل الأشكال الجسمية فمر على أدنى المخلوقات من الاسفنجيات وانتهى به في الشكل الى ما ذكرناه وثانيا اصطفي أحسن الأوضاع وناسب ما بين أصابع الأطراف في أكثر الحيوانات على النسبة الأفضل وهي المثل لان ذلك من جمال الموسيقى الذي يعقده الحكماء عند النظر في أشكال هذه المخلوقات فيقولون - ربنا خلقت هذا باطلا سبحانه ففنا عذاب النار - بالجهل والبعث عن العلم والكسل والغرور وبهذا تفهم قوله تعالى - ماترى في خلق الرحمن من تفاوت - وذلك لأن التفاوت يكون من الصانع العاقل أو من المصادفات أما التماثل فكثرة التماثل فهي من الصانع المحكم لعمله الذي يجعل فعله موسيقيا أشبه بما في المكعب من التساوي وكثيرته والمثلثات السارة للناظرين المبهجة للسامعين وهذا من سر قوله تعالى - ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا - فالعالم الذي أبرزه الله

كثر فيه الاتفاق الموسيقي كعدد الأصابع في أطراف الحيوان كما تقدم وتناسق السلسلة الحيوانية ونظام الأعضاء - والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم -

الجنين في الرحم كآب يبين الله به آياته للناس كما بينها بالقرآن

لقد استبان لك أن خلف الجنين في الرحم تصورات أنواع من صور الحيوان مرتبة من أدناها إلى أعلاها . وتبين لك أيضا أن أعضاء المفصلة لا تقايس تحارفها العتول بالشبر والشبر والثلث والشبر والرابع وأيضا تنوع الأعضاء والأشكال والصفات العجيبة . فكان الجنين في حمة مختصرة وكتاب مبين لا يدرك إلا العالمون . ولعلك تقول في نفسك هذه عبارات شائعة على ألسنة الناس وما هو الجنين حتى يقال أنه يبين للناس نذول أعلم أن الله قال في القرآن - ثم إن علينا بيانه - وقال - تبيان لكل شيء - وقال - لتبين للناس ما نزل إليهم - وقال - كذلك يبين الله لكم الآيات - فانظر ماذا قال في الجنين قال - يا أيها الناس إنا خلقناكم من تراب - لأن أبائكم آدم مخلوق منه وكذلك الأنثى التي يتكوّن منها الجنين - ثم من نطفة - منى - ثم من علقة - قطعة من الدم جامدة - ثم من مضغة - قطعة من اللحم وهي في الأذن قسما مضغ - مخلقة وغير مخلقة - مسواة لا تنقص فيها وغير مسواة أو صورة وغير صورة - لتبين لكم - بهذا التدرج قسرتنا وصنعتنا واحكامنا في الصنع - ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى - وهو وقت الوضع - ثم نخرجكم طفلا لا تعلمون شيئا ثم لتسكنوا شيوا - الآية . فانظر أيها الذكي قول الله تعالى مخلقة وغير مخلقة لتبين لكم كنهية ولجعل المضغة أو لا غير مسواة بل ناقصة الخلقة تشبه الحيوانات الأخرى كالكلب والسمكة والطيور وغيرها وثانياً ناقصة الخلقة بالصورة الإنسانية لما إذا خلقنا لتبين لكم * ماذا يبين لنا الله * بين أننا خلقنا في أحسن تقويم لأن صورتنا صرت على صور الحيوانات الأخرى ثم أكملها . يبين لنا أنه محكم الصنع عجيب الوضع . يبين لنا أنه وضع الأعضاء على هيئة موسيقية كما قدمناه . لتبين لنا أن الإنسان فيه قابلية لأخلاق سائر الحيوان من شبق الخنزير وضراوة الأسد وجبن الأرنب وزهو الطاووس وما أشبه ذلك مما قدمناه عند ذكر آدم في أول البقرة ثم انه لا نجاة لنا إلا بالارتقاء عن هذه الخصال الحيوانية إلى الصفات الملكية . يبين لنا أنكم أرقى من الحيوان فكيف عبدتموه . يبين لنا أن تتعلم علم (الأجنة) وهو المسمى باللسان الأفرنجى (علم البيولوجى) يبين لنا أن الإنسان لا ينزل أعلى الدرجات إلا بعد أن يتخطى أدناها بنظام سواء أكان في الأمور الدينية أم في الأمور الدنيوية وأن خلاف ذلك خلل في النظام والطفرة محال . يبين لنا أن سنة الكون الترقى من أسفل إلى أعلى . يبين لنا أن ندرس علم الحيوان ثم نعرف الإنسان يبين لنا أن يبتدأ بين الحيوان مناسبة وصلة فلنسكن له راحين وعليه عاطفين ولطبا نعه دارسين وبقوا منتفعين وعليه مسيطرين

في البيت شعري كيف ساغ للمسلمين أن يجهلوا هذا العلم ولا يقوم به إلا الفرنجة كيف يكونون أجهل من الأمم بعلم الأجنة وعلم الطبيعة . أيها المسلمون قد بينت لكم - ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أضح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم واليه ترجعون - الله يقول لكم انى بينكم خلف الجنين ويقول في القرآن الكريم - انه تبيان لكل شيء - فلا القرآن عرفنا ولا الجنين درسنا وكلاهما لا يمان ويقول الله تعالى - ولقد خلقنا الإنسان من سائل من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا علقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين -

ثم تمل في آية الحج فانه ذكر من أطوار الإنسان عشرة التراب النطفة العلقة المضغة النطفة الخلقة المضغة الناقصة الخلقة . الطفل . بلوغ الأشد . الشيخوخة . الوفاة . الرد إلى أرذل العمر ولم يذكر أنه يبين لنا إلا بعد قوله مخلقة وغير مخلقة أى غير مسواة كما شرحنا لأن هذه هي التى قامت طاقية العلماء في أوروبا أى بين هيكل وخصومه من الألمان كما سيأتى بعد هذا من النضال المشحون للألمان المتقوى للعتول - والله يهدي من يشاء

الحكم والتشابه في الطبيعة

لقد نظرت لانسان وحسن نسقه وجعل شكله . ولكن هذه السلسلة التي انتشمت فيها الحيوانات منتظمة متلازمة والتي ظهر فيها الجنين بأدوار مختلفة أحداث عند بعض العلماء حيرة . فقال قائلون منهم بل هذه العوالم قد ظهرت بعضها من بعض بالاشتقاق والدليل على ذلك مشابهة الانسان من ذى الحيوانات في أول تكوونه في الرحم ثم يتماهى في الرق حتى يصير كالقرد ثم يبر انسانا وهذه السلسلة بعينها هي التي تراها في الحيوانات المشاهدة فلمر كل طائفة مشتقة من نحتها مباشرة حتى ان حيكل الالماني الذي نشأ في المائة وقضى نحو نصف قرن أستاذ العلوم الطبيعية في كلية (أينا) قال ان الانسان نشأ بالتدريج من الحيوانات السفلى فالترج في الرحم من الأدنى الى الأعلى كالترج في السلسلة من الأدنى الى الأعلى من الحيوانات النقاوية الى انطلاقة الى الففارية

ولما بحث الدكتور (براس) مذهبه ونظر في تلك العوار التي استند اليه وجد انها لم تكن كلها صادقة بل بعضها مزور فان الدور ٣٠ تبدى بالبسيط . والصورة الرابعة عشرة التي سماها (السوزور) والصورة الواحدة والعشرين التي سماها (الانسان القرد) لم يكن لها وجود لينة

فكتب العلماء على صفحات الجرائد أنه من زور هاتين الصورتين فهتدهم . فعادى ثم رأى أنه لا مناص من الاقرار فكتب مقالة مؤرخة (٢٤ ديسمبر سنة ١٩٠٨) قال (تزوير ورا الأجنة) انى أعترف رسميا حسما للجدال في هذه المسألة أن عدد اقليل من صور الأجنة نحو ستة في المائة أو ثمانية موضوع أو مزور اذا عد الدكتور (براس) ذلك تزويرا وذلك فيما اذا كانت المواد التي يراد فحصها أو رسمها غير كاملة حتى يضطر فاحصها أو راسمها وهو يضع حلقاتها بعضا بالآخر بعض في سلسلة ارتقاها أن يلائمها بحلقات فرضية الى أن قال فبعد هذا الاعتراف يجب أن أحسب نفسي مفضيا على وخالكا ولكنه يعزى أن يرى بجاني في كرسى الاتهام مئات من شركائي في الجريمة وبينهم عدد كبير من الفلاسفة المعول عليهم في التجارب العلمية وغيرهم من علماء الأحياء (البيولوجيا) فان كثيرا من الصور التي توضح علم أبنية الأحياء وعلم التشريح وعلم الأنسجة وعلم الأجنة المنتشرة المعول عليها مزور مثل تزويري تماما لا يختلف عنه في شئ انتهى

ثم انه قدّم استقالته مكرها من الكلية بعد أن قضى ثلاثين سنة أستاذ فيها وهذه القصة نقلتها من الجزء الأول من كتاب نقد فلسفة داروين . أفلا ترى أن هذا الرأي الذي اتبعه قوم راجع الى التشابه في المادة كالتشابه في القرآن . فاذا قال الله تعالى - نسوا الله فنسيهم - وقال العلماء ان هذا تشابه والحكم قوله تعالى - وما كان ربك نسيا - هكذا في الطبيعة هنا هذه السلسلة عند قوم متشابهة لأنها في نظرهم الذي لا يتجه إلا الى وجهة واحدة تدل على أنه لا صانع لها لأنها مشتقة بعضها من بعض يتم الى الأرض فأن يحكمها إذن

الحكم في الطبيعة الذي يشبه الآيات المحكمة في الوحى وهو القرآن - حشرة أبى دقيق مثلا

قال الدكتور جوستاف جوليه يكفى أن نقارن حشرة أبى دقيق فانها تنادى على رؤس الأشهاد بإبطال نظريات داروين في وجود الأنواع وترقيتها ان الحشرة ظهرت من أقدم العصور وأنواعها ثابتة فهي تناقض تلك المذاهب القائلة بالتحوّل المستمر فأين التحوّل المستمر هنا أولا . ون أنها تقتل داخل الفيلاجية (الشرقة) من كونها دودة الى أنها طائر ثم قال وياليت شعري أين العلامة بين الدودة والحشرة ولقد نقض مذهب لادارك ومذهب داروين ومن العجب أن هذين المذهبين يعجزان عن تفسير تلك الغرائز العجيبة المدحشة التي تظهر في الحيوانات وأنا أقول أفلاست ترى أن كلام "علامة جوستاف جوليه يدلنا أن هناك شيئين : جمع اليهما وهما حشرة أبى دقيق والغرائز البديعة العجيبة التي لا تتناهى في أنواع الحيوانات انها لمعرك تعديا آلاف الآلاف بل لا عد لها فى الذى وضعها فى تلك الحيوانات فهذا نعد من الحكم . أما تلك السلسلة ونظامها فهو من التشابه والتشابه يرجع الى الحكم فهذا أشبه

بما جاء في الآيات التي نحن بصدد الكلام فيها منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب

ووافقه على هذا الرأي العلامة (فون باير) الألماني مؤسس علم الأجنة (الأمير بولوجيا) ومن عاملا الغز بولوجيا والعلامة الحفريين (٣) والأستاذ (إيلي دوسيون) في كتاب المطبوع سنة ١٩١٢ المعلنون (الله والعلم) والعلامة (٤) (فيركو) الألماني من عاملا (الأنثروبولوجيا) الترخيص الطبيعي للإنسان (٥) والعلامة الأنثروبولوجي الفرنسي دوكترفاج وكذلك الفيلسوف (٦) سينسرا الانجليزى (٧) والعلامة (ويسمان) (٨) والأستاذ (جورج بوهن) مدير معمل البيولوجيا والبسيكولوجيا الحيوانية (٩) والعلامة (أدمون برييه) في مجلة العالم الحى سنة ١٩١٢ قال ان البط وسائر الطيور المائية لها أرجل ذات أصابع متصلة بغشاء فيظنون أن نوع المعيشة قد أوجد هذه الأغشية ولكن الأمر على العكس في مذهب المسيو جينو يقول ان البط يعوم لأنه وجد لنفسه أرجلا مغطاة تسامح لهوم ان هذه الحيوانات أعدت قبل لهوم . ومثله العلامة (١٠) (بلوجر) الألماني والعلامة الفزيولوجي (١١) (دوبوار بنند) (١٢) ودائرة المعارف الكبرى الفرنسية ورأي الدكتور (١٣) إدوارد هارتمان (١٤) و (لويز بوردو) (١٥) و (كامبل فلاسريون) (١٦) و (لوجيل الفرنسي) والأستاذ (١٧) (ميلن ادورد) (١٨) ودائرة معارف القرن العشرين (١٩) وجوستاف لوبون والأستاذ (٢٠) هنري بوانكاريه العضو بالمجمع العلمي الفرنسي

(أكثر الناس مقلدون)

ولأختم القول في هذا المقام وأقول لك أيها الذكي أنظر في هذه الدنيا واتعجب من العقول الانسانية وانظر كيف ترى أن الناس في بلادنا في مصر في الشام في العراق في الهند في الصين في سائر الأمم والأجناس اذا قرؤوا مذاهب الفرنجة وسمعوا أن الانسان والحيوانات مشتقات بعضها من بعض ضلعت نفوسهم وانخلعت قلوبهم وتركوا مواهبهم وظنوا أن هذا جاء من علم فوق طاقتهم وعقل فوق عقولهم واذا رأوا عجائب الحيوان وغرائزه المدهشة والنظمات الفلكية وأضواء الكواكب وجمال المنجوم وبدائع الحياة قالوا نحن لسنا أعلم من أولئك العلماء انهم بحثوا فلم يجدوا إلها . فانظروا كيف جاء علماء العصر الحاضر منهم وهو القرن العشرون فقالوا بما نعرفه في نظرنا ونظروا جمال الصور ونظام الأعضاء والحكم المدهشة التي لا تكاد تعتدى أي حيوان وأي حشرة وقالوا ان ذلك القول هراء وزور وأن الحكمة ظاهرة باهرة في سائر العوالم . فيا أيها الذكي فلما لعلم التمام ولما التقليد النوحى . أما العلم الناقص فقد هدم ركن الشرق . والله من ورائهم محيط بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ .

فيا أيها الذكي هاتذا قد أودعت لك في هذا المقام ما لا تجد في كتاب آخر ومن جت لك العلم بالدين ولم أترك لك بابا للشك وأريتك أقوال علماء أوروبا قديهم وحديثهم وجعلت لعقلك سبيلا للنظر بنفسه وانغرام واهليام بهذا النظام والحسن والجمال . ان في ذلك لعبرة لأولي الأبصار .

(تفسير الآية منطبق على الطبيعة زيادة ايضاح لها)

وهي قوله تعالى "هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب"

ذكرت لك تفسير هذه الآية وفقا لساداتنا العلماء السابقين وأثبت لك أن الوحي فيه آيات محكمات وأخر متشابهات وقلت لك ان الطبيعة فيها ما في الوحي لان الوحي كلام الله والطبيعة فعل الله والكلام والفعل مصدرهما واحد فلا بد من تماثلهما احكاما وتشابها فقول

كما ان في القرآن آيات محكمات واضحات لا تشابه فيها كقوله تعالى - وما كان ربك نسيا - فيما تقدم هكذا في الطبيعة عجائب وضحات لا تندهي كعظم الانسان وانتظامها وجمالها وانها جرت على النظام ان كمل نظام الموسيقى ذات انواعها التابعة لأجل الأشكال وأجل الأشكال كثر فيه التساوي والذي كثر فيه التساوي الكرة لتساوي قطارها وأنصاف أقطارها والمكعب الذي فيه متوزيات متساويات كثيرة وفيه الثمن وفيه الثلث الناجان من ضرب ثمن زوايا مجسمة في ثلاث زوايا مسطحة فقد ظهر في أعضاء الانسان مثلا الأمثال الكثيرة والأثمان ومضاعفات الأثمان وهي الأربع والأصاف وكل هذه معتبرة في الموسيقى بحيث يستلذ السمع بها وتطرب النفس لها كما يحسن الشكل في العين بمنظرها فنظر الانسان مقبول ومنظر المكعب مقبول وسماع النغمات الموزونات بذلك التقدير مقبول . فهذا هو المحكم في الطبيعة الدال على مبدع مدبر حكيم ودود كثير الود لعباده لا تخافهم بالجيل وادخال السرور عليهم وأما التشابهات أي اللاتي لا تعلم في الطبيعة لبعض الناس لوقوف أذهانهم عندها وعكوفهم عليها فهي ما تقدم شرحها من تلك السلسلة الحيوانية وسير الجنين في الرحم على مقتضاها مما يقع في النفوس أنها مشتقة بعضها من بعض ولا خالق لها ولا رازق فذلك كالتشابه في القرآن كقوله تعالى - نسوا الله فأنسوا - فظاهر النسيان كما تقدم من التشابهات . فأما الذين في قلوبهم زيغ - عن الحق في القرآن فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة والفتون بالشئ المغرم به لعا كف عليه لا ينظرون سوادها ثم فيه . وفي الحديث حبك الشئ يعمى ويهيم فأهل المذاهب المنحرفة وأهل الفرق الضالة في الاسلام أغرموا وافتنوا بمسائل عدوها مذاهب وكفروا وأفسدوا غيرهم أو حكموا بكفرهم مع موافقتهم لبقية الفرق في الدين كله ولكنهم عكفوا على مسألة واحدة وظنوها كل شئ . هكذا هؤلاء العلماء الذين نظروا في سلسلة الحيوان ونظام الجنين على مقتضاه فتنبأوه وأغفلوا ما عداه من جمال الأشكال وحسن النظام وتبادل المنافع بين طوائف الحيوان والانسان والنبات وتوافق المزايا والتشارك المستقر بين أصناف المخلوقات وفتنوا بمسألة واحدة من آلاف الآلاف فقالوا ان الطبيعة لا صانع لها فجاء المحققون منهم في أوروبا في القرن العشرين وأظهروا الحقائق ورجعوا الى المحكم وردوا التشابه اليه كما ردونا نحن آية - نسوا الله فأنسوا - الى الآية المحكمة - وما كان ربك نسيا -

فيقال اذن هؤلاء المفتونون بمسألة واحدة العاكفون على وجه واحد صرفت أذهانهم عن غيره وباتوا لا يردون إلا ما قننوا به كما لا يرى المغفلون في هذه الحياة إلا ما أحبوا من جاه أو مال أو ولد أو صيت مع ان الحياة أكبر من أن تقتصر على وجه واحد بل هي عجائب وحكم وعالوم ونظام ودار اتقال هكذا المفتونون بمسألة واحدة في الدين كالامامة والخلافة والمفتونين من علماء أوروبا بسلسلة الحيوان وغفلوا عن جميع الجمال والحكم

نقول هؤلاء كلهم يقال لهم ان في قلوبهم زيغا وميلا فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة والفتون بالغرام وابتغاء تأويله ومعرفة حقيقته ومعلوم أن المفتون لا يعرف إلا ما تشابه - وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم - الذين ليسوا مفتونين بوجه واحد بل نظرهم عام في الدين وفي الطبيعة حال كونهم - يقولون آمنابه كل من عنده بنا - لأنهم نظروا نظرة عامة وقلبوا المسائل على جميع وجوهها المختلفة فظهرت الحقائق بالبرهان لا بالهوى والغرام بالشئ والافتتان به - وما يذكر إلا أولوا الأبواب - وما يعرف الحقائق إلا أولوا العقول الراجحة وهم الراسخون في العلم لا المفتونون الذين يعمون عن الحقائق ولا يصغون للبرهان . وهذا التفسير يجعل الراسخين في العلم معطوفا على لفظ الجلالة

ولا ننظر أن تفسير الآية بعلم الطبيعة لا يجعله نظيرا وشيها بما جاء في القرآن من باب المقايسة والمشاكلة والا فالآية مساقها لآيات القرآن وحدها

ولقد جاء في القرآن معنى آخر قد سبق وهو الوقوف على قوله إلا الله والابتداء بقوله والراسخون في العلم يقولون آمنابه الخ وأنهم يسلمون بأنهم لا يعلمون وقد جل العلماء هذا المعنى على المسائل التي لا يمكن معرفتها في الدين

كقوة قيام الساعة وكقوة آيات الثواب والعقاب وهكذا

ونظيره هنا معرفة عدم التناهي والاحاطة بالنفس الانسانية فان الانسان يدعش أمامها صغرا . فلا شرح لك علم النفس أى ظواهره التى وصل لها . لئلا ترى أن هذا الانسان الذى أدعشك شكرك ونظمه ونفسه وتزويقه واحكامه وعجائب جسمه له نفس أرقى وفيه من الحكم والغرائب ما لا يستقصى وستستغفر ما علمته الآن من نظام جسمه وعجائب خلقه فى جانب عجائب نفسه وما لا يتناهى من غرائبها فاقول
(النفس الانسانية وعجائبها)

اعلم أن أمر الانسان فى باطنه أعجب مما مر عليك فى ظاهره . ذلك أن حياته تدعوه الى ما لا حصر له من العلم والعمل . وبيانه أن نقول - ان الحياة توقف على الغذاء والملبس وسكن ودفاع عما ملكه وهذه تحتاج الى قوى داخلية فى نفسه وهى الشهوة والغضب والعقل أما الشهوة فهى يطلب الغذاء والملابس والسكن وأما الغضب فيه يحافظ عليها وأما العقل فانه يدبر الأمور لنظامها وادارتها

فالشهوة لا طعام أعانتها الحواس الخمس على جلبه واصطفائه فالذوق يعرف الحلو والحامض والمر والمالح وما أشبه ذلك والشم يدرك الروائح والسمع والبصر يدركان العدو والصديق والقريب والبعيد وأنواع الطعام والشراب والملابس والأدوات التى تبنى بها المساكن

هذه قوى عظيمة فانظر كيف كانت حياة الانسان تسخر لها هذه العوالم وكيف منح الانسان كالحوان قوة الشهوة والرغبة فى طلب الطعام مثلا فأعانتها قوة الذوق فى اللسان فعرف الحلو والحامض والمر فتجاوز التراب والحجر واصطفى المواد النباتية والحيوانية . ويميز بين الخبز والجير والطين والحديد ولم يدخل من الطعام إلا ما يصلح لتركيب جسمه ونظامه

عجب يعيش الانسان ويموت وهو غافل عما أعطى من المواهب والمنح يحجوع فى كل ويعطش فيشرب وهو لا يدرك تلك المنح والعطايا تلك المواهب الثمينة تلك الآيات البينات تلك الدرر الغواني تلك السعادات والحجائب ياليت شعري كيف يعيش ابن آدم ويموت وهو لم يدرس إلا ما حوله من نبات وحيوان وماء وطعام وقد غفل عن تلك العوالم التى هى فى داخل جسمه من شهوة جاذبة لتلك الأطعمة . وديدبان واقف على باب جوفه فى لسانه يتلقى ما يوافق جسمه ويطلب ما يصلح لأن يقوم مقام ما فى من أعضائه جسمه وما تحل منها يعيش المرء ويموت وهو لا يعرف تلك النعمة الجزيلة والآية الكبرى والحكمة العالمة . كيف يجد فى ذلك الحارس الدافع لما لا ينفع الجسم من التراب والحجر والطين والأطعمة المرة والحادة والحارة الشديدة الحرارة ولا يدخل إلا بعض ما نبت فى الأرض أو كان من الحيوانات أو الم، على طريقة خاصة

ثم دعو مجده هناك قريبا من ذلك الديدبان الجالس على اللسان ضابطا واقفا قريبا منه جالسا فى المنخرين وهو الشم يشم الروائح فينبه الذوق الجالس على اللسان ويقول له لنذقت هذا الحامض فرأيت لا يصلح للغذاء فلتهجره منها الديدبان فلا تدخله فتري الانسان ينبذه نبال النواة والبصر واقف من بعيد أشبه بأمر من أمراء الجند يتأمل الصور فيباعد عن الفهم ما لا ينبغي أكله فتري الطعام يمر أولا على البصر ثم الشم ثم الذوق فإذا ما انتهى اليه وقبله دخل فى الجسم بلا توان . بهذه الطريقة يدرس الانسان كل ما حوله يدرسه ببصره وشمه وذوقه

فالصور والروائح والطعوم وهى الصفات الملازمة لما حوله من طعام وشراب تطبع فى حواسنا من البصر والشم والذوق فتعطينا علمًا بما يوافق وما لا يوافق هذه الدراسة تشارك فيها الحيوان والانسان . اشترك فيها ولكن الانسان يزيد علمه عن الحيوان لا تساع دائرة عقله وازدياد حاجاته فى المساكن والملابس وكثرة أمراضه التى أوجبت طلب الدواء مما حوله وذلك ليزداد تأملاته ولا تفتقد

يا عجباهل حكم على الانسان أن لا يرتقى حتى يعرف ماحوله هل زادت حاجته في الملابس والسكن والأدوية حتى يفكر ويعتقل ماحوله ولا يظن في العوالم السفلية والا فلماذا كل هذه التكاليف يكف بم فوق طاقة الحيوان . يكف الملابس من حرير وقطن وكان وصوف . والأدوية ليستخرجها من النبات والحيوان ، والزينة ليستخرجها من المولوثا والمرجن من البحر . لم كل هذا . أليس ذلك ليتعرف ماحوله ليدرس هذا الوجود والا فقيمة الطعام والشراب حتى يحتاج لهذه الدروس والمدارس ثم ابتلاه بالمعادوات فصنع البارود والمدافع والطائرات والحصون . كل ذلك رقى لعقله وزيادة في شأنه وذلك في الظاهر محافظة على صورته الجسمية وحياته الانسانية وهيكلة المنسوب ووجوده المحبوب

﴿ كيف يفعل الغذاء في الجسم من العجائب ﴾

اذا دخل الطعام في الفم ونزل الى المعدة صار كيموسا . وهذا الكيموس أشبه بقوام اللبن فانظر كيف أعطى الانسان قوة التحليل وقوة التركيب أما قوة التحليل فانه لما مرق الطعام في الفم بالأنياب والأسنان ومضغه وابتلعه وامتزجت به العصارات التي في الفم والتي في المعدة انقلب الى مادة واحدة في الظاهر أشبه بما هو ظاهر في الطبيعة من أن الكواكب ترجع في آخر أمرها الى مادة سحابية (سديمية) ثم تتحول الى كوكب جديد . فاذا صارت تلك الأطعمة في المعدة كيموسا جذب الكبد ذلك الكيموس فأحاله دما وامتد الى القلب وإلى سائر العروق كل ذلك بطريق القوة الجاذبة فالجاذبة تطلب الطعام الى المعدة ثم السدد ثم القلب ثم العروق الغلاظ ثم الدقاق وهكذا الى أطراف الجسم فاذا وصل الى هذه الأعضاء أمسكته ريثما يتم نضجه فتري المعدة تمسكه حتى يهضم وهكذا البقية وهذه تسمى القوة الماسكة . ونرى أن في الجسم قوة تدفع مالا يلائم وهذه تسمى الدافعة فتدفع مالا ينبغي الى الخارج من السيلدين وهذه تسمى الدافعة ونرى أن الدم كلما وصل الى عضو تمثل بذلك العضو وهذه القوة تسمى الغذائية ومثى تغذى العضو نمنا بطريقة منظمة وهذه تسمى النامية . ثم ان الجنين في الرحم يصور طبق الأم والأب عادة وهذه تسمى المصورة فتكون لقوى التي تتناول الغذاء سبعا

وهي الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغذية والنامية والمصورة وهي متمعاونات متفقات متجاورات أشبه بما نرى في المدن والممالك من معاونة الحدادين للنجارين ومن معاونة النجارين للبنائين ومن معاونة النذافين للغزالين ومن معاونة الغزالين للنساجين ومن معاونة النساجين للخياطين هكذا هناك نجد القوة الجاذبة مسوقة لجلب الطعام وهي خادمة للقوة الهاضمة والهاضمة خادمة للغذية التي تعطي كل عضو ما يناسبه والنامية مخدومة بما تقدم كله

﴿ تفصيل أفعال القوى الانسانية في الجسم ونما أشبه بما في المدن من الصناعات ﴾

فتأمل أيها الفطن في المدن والقرى نجد أولا الخبازين والطباخين وثانيا العصارين الذين يستخرجون الشيرج من ثمر الأشجار والأدهان من حبوب النبات والزبد والسمن من لبن الحيوان وثالثا الخلالين والدباسين والذين يعملون السكتنجيين ورابعا الذين يعملون المارود ويصعدون الخل ويقطرون الرطوبات اللطيفة وخامسا الذين يعملون الأدهان اللطيفة كدهن البنفسج والنبيلوفر والزيتون وسادسا السكتناسين والزبالين والسمايين وسابعا الذين يحفرون الأنهار والقنى والآبار ليحجروا المياه في خلال المنازل وثامنا العجائين وصانعي الخلاوة وتاسعا الذين يطبخون الآجر والخزف والزجاج وعاشرا النجارين الذين ينحرون الأساطين وقوائم الأسرة حادي عشر صانعي المفاتيح والصناديق ثاني عشر صانعي السفن ثالث عشر الذين يعملون الفماقم والآباريق رابع عشر النحاتين خامس عشر الغزالين والحبالين والفقاليين سادس عشر الحاككة والنساجين سابع عشر الرفايين والخرازين والخياطين ثامن عشر الزراعين والغارسين (١٩) الذين يعملون الطنافس والمسوح والغليظ من الثياب (٢٠) صنع الذين ينسجون ثياب القطن والكتان (٢١) صنع الذين ينسجون الحرير والرقيق من الثياب (٢٢) أفعال الصباغين والمزوقين والدهانين (٢٣) صنع المصورين والنقاشين وأصحاب اللعب

هذه الثلاثة والعشرون من الصناعات لها نظائر في جسم الانسان والناس نائمون لا يعلمون أن تلك الصناعات في الطعام الذي أدخلوه في معداتهم وهي تدفع الطعام الى الأمعاء ثم يكون ما الفائدة فيه مدفوعا الى الأمعاء الغلاظ ثم يكون مستعدا للخروج

فلنذكر كل صناعة في المدينة ونظيرها في الجسم على هيئة جدول لتكون أسهل تناولا فيها

- | | |
|--|--|
| (١) صناعة الخبازين والطباخين | (١) إمساك المعدة الطعام وضمه وانضاجه بالحرارة الغريزية |
| (٢) صناعة العشارين الذين يستخرجون الزيت والأدهان والزبد | (٢) تصفية المعدة للكيموس وأخذ لطيفه ودفعه الى الكبد ودفع عكره الى الأمعاء |
| (٣) صنع الخلالين والدياسين وعمل السكنجبين | (٣) ضيق الكيموس في الكبد مرة ثانية ونضجه فيصير دما ودفع عكره الى الطحال واللاطيف الى المرارة والريق الى المثانة والمعتدل الى القلب |
| (٤) صنع الماورد وتصعيد الخلل وتقطير الرطوبات اللطيفة | (٤) تصفية الدم مرة ثالثة في الرئتين وجريه في القلب والعروق |
| (٥) صنع الأدهان اللطيفة كدهن لبنفسج ودهن النيلوفر والزيتون | (٥) تلطيف الدم في الدماغ حتى يصير رطوبة لطيفة روحانية في الأذنين والمنخرين والعينين واللسان ومابه انفعالات الحواس |
| (٦) صنع الكناسين والزبالين والسباكين | (٦) دفع ثقل الكيموس من المعدة الى الأمعاء والمصارين وإخراجها من الجسد |
| (٧) صنع الذين يحفرون الآبار والقنى والأنهار | (٧) إجراء الدم في الأوردة الى سائر الأطراف |
| (٨) صنع الذين يعملون الخلوة والعجائن | (٨) تخفيف المادة الدموية حتى تصبح لينة وشحما |
| (٩) صنع الذين يطبخون الآجر والخزف والزجاج | (٩) تصلب المادة حتى تصبح عظما |
| (١٠) صنع النجارين الذين ينحرون الأساطين وقوائم الأسرة | (١٠) تسوية عظام الفخذين والذراعين |
| (١١) صنع أسنان المفاتيح وهندسة الصناديق | (١١) تركيب مفصلات الركبتين والفخذين والذراعين والأصابع |
| (١٢) صنع السفن | (١٢) تركيب خرزات الظهر والرقبة والأضلاع |
| (١٣) صنع القماقم والآباريق | (١٣) تركيب عظام القحف وهندامها |
| (١٤) صنع النحاتين الذين يصنعون الأرحية والطواحين | (١٤) خلقة الأسنان وتركيبها وترصيعها |
| (١٥) صنع الغزالين والحبالين والقتالين | (١٥) خلقة الأعصاب وتمديدتها وقتلها ونصبها على الأعضاء |
| (١٦) صنع النساكين والحاكة | (١٦) خلق الجلود والغشاوات |
| (١٧) صنع الرفاثين والخرازين والخطاطين | (١٧) إلهام الجراحات والقروح |
| (١٨) صنع الزراعين والغراسين | (١٨) ظهور الشعر على الجلد |

- (١٩) الذين يعملون الطنافس والمسوح والغليظ (١٩) خلقة الكروش من الثياب
- (٢٠) صنع الذين ينسجون ثياب الفطن والسكتان (٢٠) خلقة الأمعاء
- (٢١) صنع الذين ينسجون الحرير والرقيق من الثياب (٢١) خلقة الأغشية الرقيقة في العين
- (٢٢) أفعال الصباغين والمنزوقين والدهانين (٢٢) تبييض العظام وتحمير اللحم وتصغير الشحم وتسويد الشعر ثم تبييضه للكبير

(٢٣) صنع المصوريين والنقاشين وأصحاب اللعب (٢٣) تصوير الجنين وخلقة الفراخ في البيض

هذه شذرة من الصناعات التي في أجسامنا تصرف في الطعام والشراب الذي أكلناه واستخدمناه من أنواع الحيوان والنبات والمعادن فكانت الصناعات التي ذكرناها ٢٣ صناعة توارها في المدن ولها نظائر في أجسامنا من الذين يصنعون ما لطف ورق ومن الذين ينقون المعدن من الأدران ومن الحفارين والمجانين وضرابي اللبن وما أشبه ذلك

بهذا فلتفهم قوله تعالى فيما نحن بصدده من الآيات - هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء - فهذا أنا ذا ذكرت لك كيفية التصوير في الأرحام وأمطت لك اللثام عن عجائب كانت مخبوءة في كتب آباءنا وكتب الفرنجة فأصبحت أمامك جبهة المحيا باهرة الطلعة حسنة القوام تهيج الناظرين وتسرم المفكرين الذين يقرأون - وفي أنفسكم أفلا تبصرون • إن في السموات والأرض آيات للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون - فهذا فليكن الايقان وبهذا فليكن الايمان وبمثل هذا فليعلم دين الاسلام - ولثل هذا فليعمل المعلمون - وعلى هذا النمط وبهذه الطرق فليرتق المسلمون وعلى العلماء بعدنا أن ينيروا الأذهان ويعلموا الشبان ويوقفوا الوسنان ويحيوا أمة أممها الجهل وأضناها المحل وأحاط بها الأعداء وأمرضها الداء •

أيها العلماء حاربوا الجهالة وأحيوا العلم وأبرزوا جلال العالم المشاهد وجمال الأنفس ودينوا للشبان الجمال والحسن والبهاء والزينة والترقيق والنظام والكمال في جسم الانسان ظاهره وباطنه وخافوا يوما يقال فيه - وقفوههم انهم مسؤولون ما لكم لا تنصرون بل هم اليوم مستسلمون

ولست أقصد بالعلماء إلا الذين قال الله تعالى فيهم - إنما يخشى الله من عباده العلماء - وهم الذين اطلعوا على هذا الجمال وأدركوه ودرسوا هذا العالم وفهموه وقرأوا صنع الله في الجسم والنفس ففعلوه - أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون - وهم هم الذين خاطبهم الله فقال - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك - هؤلاء هم العلماء الذين يخشون الله خشية ناجية من ادراك جلاله والصور البهجة التي زوقها والصناعات البديعة التي أبدعها أولئك هم المسؤولون

فنقرأ هذا التفسير وأدرك الحقائق فليعلم وليشوق الناس فلاحياة للمسلمين إلا بهذه النظرات ولا سعادة لهم إلا بهذه الآيات ولا بقاء لهم إلا بما فقدناه ولا رقى إلا بما رسمناه ذلك هو الصراط المستقيم - وفوق كل ذي علم عليم -

﴿ مناظر الأنفس أشبه بمناظر الآفاق ﴾

قد استبان لك بما قررناه أن الحياة الانسانية احتاجت الى شهوة علوتها الحواس من الذوق والشم والبصر والى غضب به يحافظ الحي على ممالك من نبات وحيوان وطعام ومتاع وعقل به يدير هذه كلها وقد تبين لك أن الذي نتصرف فيه وننتقم به من النبات مئات الالوف وكذا الحيوان والمعادن والماء في الأنهار والأرض وما عليها

والكواكب بأنوارها والهداية في ظلمات البر والبحر وأنت تعلم أن هذه عجائب لا تنتهي فانظر الآن في نفسك وتأمل هل ترى فيها مناظر وعجائب مثل ما تراها بعينك في هذا العالم . أما أنت الذي ترون كل شيء في أنفسنا شيء مع أنك تراهم في أكثر أوقاتهم يحسون في أنفسهم بقبض وإسقاط وحقد وحسد وغيره وفرح ورح وبخل وكرم وقناعة وحرص وفكر وتذكر وما أشبه ذلك وكل هذه المناظر المختلفة تسكنهم في سائر أوقاتهم وتلهيهم عن التمتع بما حولهم وقد ترى المرء بطرقاً مفكراً حول يومه لا ينظر الصور الجميلة حوله من شجر ونبات وإنسان : لماذا لا يمد يده يربص ليفتقد أو انه يفكر في حبيب غائب أو في دين عليه أو دين له كل ذلك للمناظر وأنواع الوجدان قد أحاطت بالنفس فألهتها عن كل شيء وتلك الأنواع النفسية لها وجود ولو لا أنها موجودة ما شغلنا بها ولا أذاعت أوقاتنا ولا أورثتنا مرضاً تارة وصحة تارة أخرى

إذا فهمت ذلك فلتعلم أن المناظر التي تراها تنقسم إلى قسمين . قسم نكرهه وقسم نحبه فالذي نكرهه مثل الذباب والحيات والعقارب والآساد والنور والشوك والحمل والاعداء

والذي نحبه مثل النجوم والأزهار والأشجار والأنهار والمزارع الجميلة والطيور المغردة والحيوانات الانسية . هكذا ما في النفس من الوجدان فانه ينقسم إلى قسمين محبوب كالكرم والعلم والحلم والاحسان ومكرهه مثل البخل والحرص والجهل والحق والخور والجبن وما أشبه ذلك فالذي سميناه محبوباً هي الفضائل والذي سميناه مكرهاً هي الرذائل فالرذائل في الانسان كالحيات والعقارب مكروهات والفضائل في الانسان كالطيور المغردة والصور الجميلة فلا يبين لك القسمين في هذا المقام لتنظر كيف كانت القوة الشهوية والدة الغضب والقوة العاقلة قد أنتجت أنواعاً وأصنافاً من الوجدان كأنها حداثق من الجنات ومزارع نضرات وتارة كأنها نار متأججة أوحيات وعقارب فكان تلك القوى النفسية لما كانت أهم الأسباب في رؤية المخلوقات المشاهدة فدرست علوم الآفاق كأنها هي أنفسها في النفس ذات مناظر مختلفة من جنات وأعنان ونار وجحيم وعقارب وحيات جهنمية - وفي أنفسكم أفلا تبصرون -

(أنواع المحبوبات من الوجدان الداخلى التي تفرعت من القوة الشهوية والغضبية والعقلية

وهي تبلغ نحو ٦٠ نوعاً نذكر بعضها)

(١) الرأى - الفكر - الظن - التصور - التخيل - الاحساس - الموافقة - النزاع - فلاول
(٢) غاية الفكر ونهايته والثاني البحث عن المعارف والثالث قياس الأشياء من ظواهرها والرابع افراد صورة عن صاحبها والخامس بيان صور المحسوسات بعدمفارقة لها والسادس قبول صور المحسوسات والسابع مصادفة الحى مطلوبه والثامن انبعاث النفس نحو الشيء الملائم

الصدق - النطق - التمييز - الفهم - الحكمة - الذكاء - الحفظ - الذكر - العقل
الاول الاخبار بالشيء على ما هو عليه والثاني شرف الانسان وبه فضل على الحيوان والثالث حصول الفرق بين الحق والباطل والخير والشر والرابع حصول المعاني الواردة على النفس الخامس ادراك أفضل المعلومات السادس سرعة انقراح النتائج وسهولتها على النفس السابع ثبت صور المعاني في النفس والثامن حصول ما سبق وجوده في الذهن والتاسع الحكم على حقيقة المطلوب بما هي كذلك هذه ٧٠ نوعاً فضائل القوة الناطقة

(٣) احتمال الكد - الشهامة - المتجدة - كبر النفس - التواضع - الثبوت - عظم الهمة - العفو - حسن الخلق - البشر - الرحمة - الحلم - الشجاعة

فلاول استعمال البدن في الأعمال الحسنة كطلب لرزق والعبادة والثاني الحرص على الاعمال العظام توقفاً للاحدوث الجميلة والثالث ثمة النفس عند المخاوف والرابع الاستهانة باليسار والاقتدار على حمل الكرامة والخامس اظهار الجول واجتناب المباهاة وترك العجب والسادس القوة على احتمال الآلام والسابع استصغار ما دون النهاية من

معاني الأمور بالانفة برفع النفس عن الأمور الدنيئة والحكمة وهي الغضب عند الاحساس بالخاص والغيرة وهي إظهار الغضب فيما يخشى عاره والثامن أنفس الاخلاق وهو الفضل الحقيقي والتاسع خلق شريف لا يذنب الأولياء والعاشر اظهار لسرور من ثمنائه والاقبال على محادثته والحادي عشر هو عبارة عن حزن مصحوب بمودت لمن أصابه الألم والثاني عشر هو ترك الاساءة لمن أساء اليك بالمدرة على الجزاة والثالث عشر هو لاقدام على الاخطار حيث يجب استمغار المصائب في سبيل الشرف - فهذه فضائل النوة الغضبية

(٤) الوقار - الصيانة - الانتظام - حسن السمعة - الحرية - الدماثة - الدعة - الصبر - الورع - الحياء - السخاء - النزاهة - كتمان السر - القناعة - العفة

الأول حفظ النفس عن الحركات الزائدة والزناة عند الأحوال الواردة الثاني تجنب ما يوجب من اقول والفعل المبتدلين كلسخرية والمزاح والأفعال الساقطة الثالث أن تكون للنفس حال بها تعرف كيف تقدر الأمور على أحسن وجه الرابع أن تستكمل النفس بالزينة الحسية والمظهر المقبول كالسمت والوقار الخامس أن يكون الكسب من جهة يشرف بها صاحبها كالكتابة والهندسة والطب السادس الدماثة أي سلامة النفس وطاعتها وسهولتها في الأمور الشريفة العالية السابع أن تثبت النفس عند مغالبة الشهوات وتسكن اذا احتاجت أعاصير اللذات الثامن أن تغلب النفس هواها اذا بدت بواديه التاسع أن يصد الفعل الجليل اذا غلبته الشهوات الفبيح فكان الصبر تتلوه الدعة يتبعها الورع فالأول للمغالبة والثاني للثبات والثالث نحو القبيح والتزين بالجميل العاشر انكسار النفس خيفة اتيان القبيح وترك التقصير في حق ذي الحق الحادي عشر أن يبذل المال من غير افراط ولا تفريط بحيث يكون سجيبة للنفس الثاني عشر أن يتبعه الانسان عن المواقف الشائنة

أما كتمان السر والقناعة والعفة وهي (١٣ و ١٤ و ١٥) فهي ظاهرة ولتنبيه على أن القناعة لرضى بما سهل أما العفة فهي عن قبيح الشهوات

في هذه ٤٦ نوعا من الفضائل القوة العقلية والشهوية والغضبية التي غرست فينا لنحيا بها وهذه القوى مغروسة في الحيوان ولكن القوة العقلية هي التي تمت في الانسان والقوة الغضبية تبتت في الآساد والتمور والقوة الشهوية ظهرت في الخنزير وسائر الأنعام وما أشبهها

وهذه كلها ما غرست في الانسان لحينه . الانسان اذا اتسم بالوقار والصيانة والانتظام وحسن السمعة والتخيل والذكاء والحكمة والعقل والاحساس والفكر والشهامة والنجدة والشجاعة وأمثالها فانه يندى في نفسه جنة عرضها الأخلاق الجيدة المذكورة وأمثالها وطولها راحة الضمير وسرور النفس ولا معنى للسعادة إلا ما أحس به الانسان ولا فضل للمناظر التي لا تنقصها النفس فتترسم فيها صورتها وتتهجج بجمالها

الجنات والأعشاب والخور والولدان اللذة فيها ولا ثمرة اذا كانت النفوس عنهما منقبضة والحواس غائبة فالناس لا يفرحون ولا يسرون إلا بما أحس به نفوسهم وشعرت به قواهم وخرن في أفئدتهم واطلعت عليه نفوسهم فهذا هو الذي به يفرحون فال محبوب هو الذي شعرت به النفس مما لا يلاها والمكروه ما شعرت به مما لا يلائمها والذي لا يلائمها هي الرذائل التي أشبهت الذباب والحشرات الضارات والحيات والعقارب والآساد والتمور وسائر المؤذيات وهي المطلعات على الأفئدة الحائمت حول القلوب المؤلمات للنفوس المزريات بالشرف

﴿ الأخلاق المدمومة ﴾

السفه - الرياء - النخبة - التبذل - العذر - الخرق - الحق - الكذب - الجهل - المكر - الخبث - البلادة . فهذه (١٢) خلقا مدموما من أخلاق القوة لعاقلة . والفرق بين الخرق والحق أن الأول الحركة عن غير حاجة وعدم التدبر في مزاولة الأعمال والثاني معرفة الصواب وترك العمل به (١) والذعر ويكون من صورة غير مألوفة (٢) والحذر ويكون من شعور أمر متروك واشتباهه (٣) والفرق الهيبه من شيء عظيم

يضعف عن احتماله (٤) والحياء (٥) والخجل والأول جزع من صورة شيء قبيح قد فعله والثاني جزع من أن يعرف
بشيء قبيح لم يفعله (٦) الكسل (٧) الغدر (٨) العناد (٩) الملاحاة (١٠) التعيير (١١) الهزؤ
(١٢) الهزل (١٣) المزاح (١٤) التفخر (١٥) المحب (١٦) الزهو . فهذه (١٦) خلقا ناجية عن
القوة الغضبية من الصفات المدمومة والأفعال المرذولة والحرص والشهامة

وبطلان الشهوة والمجون وافشا السر والخيانة والبخل والشره والفجور . فهذه تسع صفات مرذولة من
آثار القوة الشهوية فهذه ٣٧ خصلة مدمومة

فالبليد والسفيه والمرآني والتمائم والغادر والأحق والمعجب بنفسه والخجل وأمثالهم كل هؤلاء يحسون
بنقص في أنفسهم وكراسة من الناس فتكون هذه أشبه بما نشاهد في العوالم من النقائص المؤذية إنما هذه أنكي
وأسوأ وقعها وأشد فتكا بالإنسان من الأعداء الخارجين فان هذه حيات وعقارب وآساد وزنا يبرتلدغ صاحبها في يقطته
وفي نومه وتؤذيه صباح مساء

فأكثر الناس يعذبون في الدنيا وهم لا يعلمون أنهم معذبون ويهانون وهم لا يعلمون أنهم مهانون وتلفح
وجوههم النار وهم فيها كالخون ولا يعلمون أنهم معذبون
قد استبان لك في هذا المقام أن في النفوس مناظر سارة وأخرى مؤلة كما أن في الآفاق مناظر مفرجة وأخرى مؤذية
(ذكر آيات قرآنية مطابقة لما تقدم مع تلخيص ماضى بحيث يجمع ما ذكرناه
وبه يستغنى اللبيب في علم الأخلاق)

فتأمل أيها الذكي فيما أوضحته في هذا المقام من هيكل الإنسان وعجائب صورته وحسن نقشه وكيف كان مركبا
من أعضاء وحواس وأظفار وشعر وعظام ولحم ودم وشحم ومخ وعصب وشرابين وأوردة وطحال وقلب وكبد ومرارة
وحالبين ومعدة وأمعاء وله أبواب تبلغ ١٢ ورجلان ويدان وكيف كان هذا التركيب نهاية ما بلغه الكمال وكيف كان
آخر سلسلة وصل إليها الارتقاء من أدنى الحيوان إلى أعلاه وكيف مرت على هذه النظم الحيوانية وهو في الرحم فمر على
النقاعيات والظلاميات والحيوانات القشرية والحيوانات القرية وانتهى إلى آخرها وكيف كان مفصل الأعضاء
تفصيلا عجيبا وانسفت صورها اتساقا بهيجا فكانت مقبسة بشبهه حتى كانت العينان معاطول الأتف وهكذا شق
القم والشفقان وكان ما بين الأذنين طول القدم وهكذا من الجمال الموسبق وكيف كانت المماثلة بين أطرافه وأطراف
الحيوان من أنواع المماثلة التي هي من أنواع الجمال الظاهرة في تماثل أوراق الشجرة فيما نراه وكيف تشابه ذلك على العلماء
وكان هذا التشابه كالذي جاء في الوحي من الآيات المتشابهات وكيف كان هيكل الأمتى وأحرايه يتبعون ما تشابه منه
وكيف جاء علماء القرن العشرين فأزالوا الشبهة وحلوا العقدة وقد ذكرنا منهم عشرين عالما وأبنا أن الجمال الباهر
في هذه الطوائف يدعو إلى الإعجاب ثم كيف كانت الحياة الإنسانية مملوءة بالمجائب فشبهوا تناقدا أعطيت آلات تستعين
بها من الحواس وغيرها فميزنا الخبيث من الطيب في النبات والحيوان وسائر المخلوقات ثم نظرنا في أنفسنا فرأينا صناعات
مختلفة في أعضاءنا وخواصها وقد ذكرنا منها ٢٣ نوعا تضارع الصناعات المشاهدات في المدن ثم قفينا بذكر آثار
القوى الثلاثة من الفضائل والردائل كما كان في المشاهدات الخارجية

﴿ القبيح والجمل ﴾

بهذه الصور نفهم قوله تعالى - ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من
دساها - فالفجور والتفوى قد بانا في هذا المقام . وبهذا نفهم - وفي أنفسكم أفلا تبصرون - وقوله تعالى
- لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين - فلقديان لك حسن تقويمه وبان لك كيف رد
إلى أسفل سافلين بالأخلاق الرديئة وقوله تعالى - يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي
في عبادي وادخلي جنتي - وقوله تعالى - ولا أقسم بالنفس اللوامة أيحسب الإنسان أن لن نجتمع عظامه بلى

قادرين على أن نسوي بنانه بل يريد الإنسان ليفجر أمامه - وقوله تعالى - فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب - وقوله تعالى - بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره - وقوله تعالى - إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج (خلط) نبئنيه فجعلناه سميعا بصيرا إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا - وقوله تعالى - ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد -

نداء المفسر للمسلمين وبيان أن علم التوحيد هو نفس هذه العلوم من التشريح ووظائف الأعضاء ﴿

أيها المسلمون كيف جازاكم أن تشاقلوا إلى الأرض وترضوا بالحياة الحيوانية وتبتعدوا عن نظام ربكم وعن جلال خالقكم وعن معرفة صنعته كيف يقول لكم ماعناه خلقنا الإنسان من نطفة فعلقة فمضة فعظام فلمحم فأنسان سميع بصير . كيف يقول هذا لكم وأنتم عن آياته معرضون

أفليس هذا هو علم التوحيد حرام والله حرام أن تغفلوا عن هذه العلوم . هذه العلوم واجبة على كل قادر يقول الله - لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم - ويقول - الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون فأين الشكر أيها المسلمون أين الشكر ولاشكرهنا إلا بالعلم فأين العلم . العلماء هم الفرنجة . أما نحن فنصيبنا من الدنيا الجهل أبهنا جاء نبينا أبهنا نزل القرآن أينزل القرآن على أمة ويقول الرسول يوم القيامة - يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا - أوليس هذا هو الهجر

يا أمة الاسلام يا علماء الاسلام يا ملوك الاسلام يا قواد الاسلام أمعنوا النظر فيما ذكرت وتفكروا فيما قررت فوالله لئن لم تقوموا بعلوم هذا الدين ليستخلق الله في الأرض قوما خيرا منا - وان تناولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم -

والا فلماذا أنزل هذا الدين أنزله ليقرأه الجاهلون ويتعلمه الغافلون هذا وقد آن أن يرجع مجد المسلمين وينصر الله به أمما كانت غافلة ورجالا كانت في ملابس الجهالة رافلة - ولينصرون الله من ينصره ان الله لقوى عزيز - فاقروا علوم التشريح ووظائف الأعضاء وعلوم الطبيعة وخافوا من الله أن تجهلوا هذه العلوم كما كان بعض من قبلنا يخافون أن يعلموها . فهذا أوان الانقلاب وظهور الحقائق . لقد ظهرت الحقائق واستبان السبيل وبانت حجة الله على المسلمين فليقرؤا سائر العلوم لاسيما التشريح ووظائف الأعضاء

هذا هو معنى قوله تعالى في هذه السورة ﴿ هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا بذلك من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾ هذا تمام تفسير هذه الآيات

ولما كان في هذه الآيات إشارة إلى أن الشبهات قد تزيغ بها الأفئدة تناسب أن يدعو العبد ربه أن لا يوقعه في الزيغ بعدها فقال تعالى - ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد -

(القسم الثالث من سورة آل عمران)

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ * كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ * قُلِ الَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَهَادُ *

قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ التَّائِمَاتِ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ
 مِثْلَ نَجَمٍ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ *
 زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ
 وَالْخَلِيلِ الْمُسْوَمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ *
 قُلْ أَوْفَيْتُكُمْ بِمَخِيرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا
 إِنَّا آمَنَّا فَأَغْمِرْنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ
 وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالسَّجَدِ * شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولَا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ
 لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا
 الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ
 سَرِيعُ الْحِسَابِ *

(مجل التفسير في هذه الآيات)

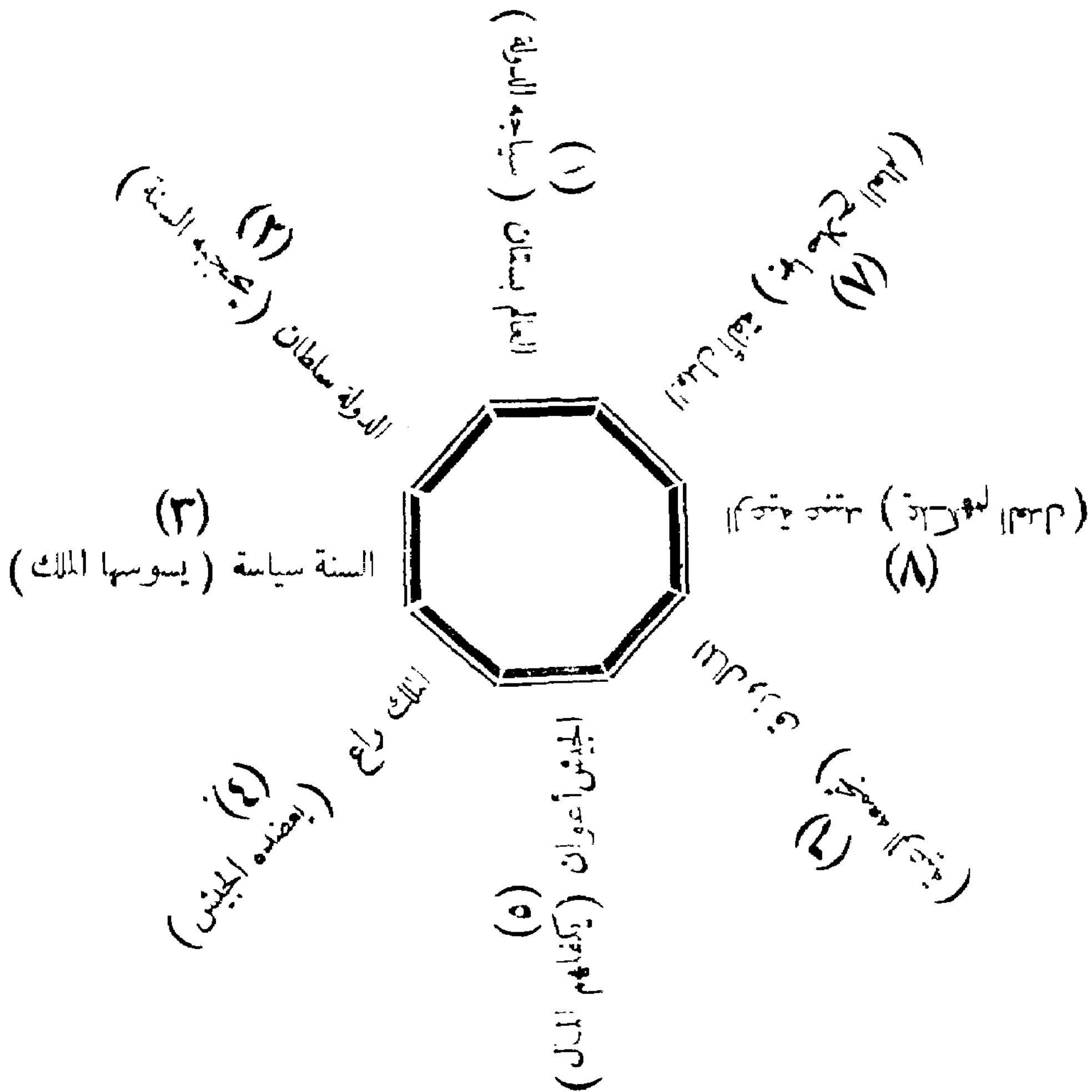
(ان الذين كفروا) من اليهود والنصارى ومشركي العرب (ان تغني) ان تنفع أولئك تدفع (عنهم أموالهم ولا
 أولادهم من الله شيئا) أي من عذاب الله شيئا أو يقال ان من بمعنى عند أي عند الله شيئا (وأولئك هم وقود النار)
 حطبها . ألا وان عادة هؤلاء الكفار من المعاصرين لك يا محمد وفعلهم وحيفهم في تكذيبك وجحود الحق (كذاب آل
 فرعون) أي عادتهم وفعلهم وصنيعهم فانهم كذبوا موسى وصدقوا فرعون (و) دأب (الذين من قبلهم) وهم
 كفار الأمم الماضية مثل عاد وثمود حال كونهم (كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب) زيادة
 تخويف للكفرة وتهويل وزجر . وقال ابن عباس وغيره لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قر يشا يوم بدر
 ورجع إلى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما أنزل بقر يشا يوم بدر وأسلموا
 قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم فقالوا يا محمد لا يغرنك أنك لقيت قوما أغمارا
 لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة وانا والله لو قاتلناك لعرفت اننا نحن الناس فأنزل الله عز وجل (قل) يا محمد (للذين
 كفروا) أي اليهود (ستغلبون) أي ستهزمون (وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد) أي تفرش أي بئس ما مهدوه
 لأنفسهم أو بئس ما مهد لهم وقد حقق الله ذلك فقتل المسلمون بني قريظة وأجلى عمر بن الخطاب بني النضير إلى
 الشام كما فتح النبي صلى الله عليه وسلم خيبر وضرب الجزية على طائفة من اليهود وهذه الآية من دلائل النبوة لأنه خبر
 قد تحقق فيما بعد (قد كان لكم آية) أيها اليهود (في فئتين التقيتا) يوم بدر (فئة تقاتل في سبيل الله) أي طاعته
 وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا سبعة وسبعين رجلا من المهاجرين وسبعة
 وثلاثين ومائتي رجل من الأنصار وكان صاحب راية المهاجرين علي بن أبي طالب وصاحب راية الأنصار سعد بن عباد
 وكان فيهم سبعون بغير أفرسان وكان معهم من السلاح ستة أدرع وثمانية سيوف خند فرقة مسلمة (وأخرى كفرة)
 أي فرقة أخرى كفرة وهم مشركو مكة وكانوا تسعمائة وخمسين رجلا من المقاتلة وكان رأسهم عتبة بن ربيعة بن

عبد شمس وكان فيهم مائة فرس وكانت وقعة بدر أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة (برؤسهم
 مثلهم) أي يرى المشركون المؤمنين مثلي عدد المشركين فكأنهم كانوا يرونهم قريبا من ألفين وقد قلل الله عز وجل
 المسلمين في أعين المشركين فلما التقى الجعان خيل لهم أن المسلمين ضعف عدد المشركين (رأى العين) رؤية ظاهرة
 معينة (والله يؤيد بنصره من يشاء) نصره كما أيد أهل بدر (ان في ذلك) التقليل أولا والتكثير ثانيا وغلبة
 القليل عديم العدة على الكثير شاكي السلاح (لعبرة لأولي الأبصار) أي لعبظة لذوي البصائر وأصل العبارة من العبور
 كأنه طريق يعبرونه فيوصلهم إلى مرادهم وهو لاء يعبرون من منزلة الجهل إلى منزلة العلم (زين للناس حب الشهوات)
 أي زين الله للناس حب المشتريات والشهوة توقان النفس إلى الشيء المشتبه وانما زينها الله لأنها من أسباب التعيش
 وبقاء النوع (من النساء والبنين) بدأ بالنساء لأن الحب لمن شديد أردعه الله في قلوب الرجال وفي قلوبهن للحكمة
 البالغة وهي بقاء النوع ولولا تلك المحبة البالغة بينهما لما كان ذلك وخص البنين بالذكر لأن حب الولد الذكور أكثر من
 حب الأنثى لأن الأب يتكثربه وهو يعضده ويقوم مقامه (واقناطر المقنطرة من الذهب والفضة) القناطر المال
 الكثير هذا هو أصل المعنى فاذا قيل انه مائة ألف دينار أو مل جلد ثور أو ألف ومائتا أوقية أو ألف ومائتا مثقال فذلك
 يرجع إلى اصطلاحات الناس نقلت عن السلف وكل قال بما سمعه مما وقع عليه اختيار قوم ويقال قنطريته إذا حكمته
 ومنه القنطرة أي المحكمة الطاق والمقنطرة المجموعة ويصح أن تكون للتأكيد كقولهم بدرة مبتدرة (والخيل
 المسومة) من السمة وهي العلامة فهي معامة بالغة والتججيل أو بالكي ويقال أيضا سومت الدابة وأسماها إذا
 أرسلتها المرعى والمقصود أنها إذا رعت زاد حسنها (والأنعام) جمع نهم وهي الإبل والبقر والغنم (والحرث) الزرع
 (ذلك) المذكور من هذه الأصناف (متاع الحياة الدنيا) أي الذي يستمتع به فيها وهي زائلة (والله عنده حسن الحساب)
 المرجع وهذا تحريض على استبدال ما عنده الله من اللذات الحقيقية الأبدية بالشهوات الفانية (قل أو نبئكم بخير من
 ذلكم) أي أو أخبركم بخير مما ذكر من متاع الدنيا (الذين اتقوا وعند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها)
 هذا مستأنف لبيان ما هو خير (وأزواج مطهرة) مما يستغفرون من النساء (ورضوان من الله) عن أبي سعيد الخدري
 رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا
 لا نرضى وقد أعطينا ما لم نعط أحدا من خلقك فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون وأي شيء أفضل من ذلك
 فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعدا أبدا ثم إن العبد إذا علم أن الله رضي عنه كان ذلك سرورا له لا يعادله
 سرور (والله بصير بالعباد) أي بأعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء وسترى قريبا من ترتيب هذه النعم وإن أدناها
 لذات الدنيا وأوسطها الجنة وأعلىها رضوان الله بالتمرد عن العالم المادي في مقعد صدق عند مليك مقتدر وكما قدمناه
 في سورة البقرة عند قوله تعالى - وأتوا به متشابها - فراجع هناك * ثم وصف المؤمنين فقال (الذين يقولون ربنا
 اننا آمننا فاعف لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار) والغفران ستر الذنوب والتجاوز عنها (الصابرين) على أداء الواجبات
 وعن المحرمات والمنهيات وفي البأساء والضراء وحين البأس كما تقدم في البقرة وعلى ما أصابهم في دنياهم من البلاء
 (والصادقين) في إيمانهم صدقت نيانهم واستقامت ألسنتهم وقلوبهم في السر والعلانية فلا يكذبون في أقوالهم ولا
 ينصرفون عن أعمالهم حتى يتموها ولا عن نيانهم وعزمهم على الفعل حتى يبلغوه (والقانتين) المطيعين لله والمواظبين
 على فعل الطاعات (والمنفقين) أموالهم على أنفسهم وأهلهم وأقاربهم وأرحامهم وفي الزكاة وجميع القربات (المستغفرين
 بالأسحار) الاستغفار طلب المغفرة والسحر هو ما قبيل الفجر من الليل وخص بالذكر لأن الدعاء فيه أقرب إلى
 الإجابة والعبادة أشق والنفس أصفى والروع أجمع والاجتهاد أنجح • روى مسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ينزل ربنا تبارك وتعالى في كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول أنا الملك أنا الملك من ذا الذي
 يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له ومعنى هذا العطف والرأفة والقرب من الله فلا
 نزول ولا طلوع • وروى أن لقمان قال لابنه يا بني لا تكن أعجز من الديك فانه يصوت بالأسحار وأنت نائم على

فراشك وقال نافع كان ابن عمر يقول يا نافع أسحرنا فأقول لا فيعاول الصلاة فإذا قلت نعم فقد يستغفر ويدعو حتى يصلي الصبح (شهد الله أنه لا إله إلا هو) بين وحدانيته بما نصب من الدلائل التي أبدعها في السموات والأرض وقد شرحناها عند قوله تعالى - ان في خالق السموات والأرض - في سورة البقرة (والملائكة) لأنهم أقرب إلى علم هذه المجانب الكونية (وأولوا العلم) فانظروا في ملكوت السموات والأرض من بني آدم الذين في هذه الأرض من الأنبياء والحكماء والعلماء وهو لا أقرب إلى الملائكة في علمهم أن الله لا إله إلا هو حال كونه (قائما بالقسط) أي بالعدل والنظام الذي تقدم في أول هذه السورة وفي سورة البقرة عند آية ان في خالق السموات والأرض وغير حافرا جمعها هناك تجد عجبا عجبا (لا إله إلا هو) كرر للتأكيد (العزیز) الغالب الذي لا يقهر (الحكيم) في أفعاله ثم أبدل من أنه لا إله إلا هو (أن الدين عند الله الاسلام) بفتح الهمزة على قراءة الكسائي فكأنه تعالى يقول شهد الله والملائكة وأولوا العلم أنه لا إله إلا هو حال كونه قائما بالقسط وشهدوا أيضا أن الدين عند الله الاسلام والدين هو في الأصل الاتقياد ثم جعل اسما لجميع ما تعبد الله به عباده وأمرهم بالاقامة عليه والاسلام هو الاستسلام والاتقياد هو في الأصل الاتقياد هو الشرع المبعوث بالرسول المبني على التوحيد الذي أتى به آدم والأنبياء بعده إلى محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين فأصل الدين واحد والاختلاف في الفروع وقرئ بكسر الهمزة على الاستئناف جملة مؤكدة للأولى (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) من اليهود والنصارى في أمر موسى وعيسى وأمر محمد صلى الله عليه وسلم فقالت اليهود عزير ابن الله وثبت النصارى وكذب قوم من الفريسيين محمد صلى الله عليه وسلم بعدما نزل القرآن ما فعلوا ذلك (إلا من بعد ما جاءهم العلم) أي بعدما علموا حقيقة الأمر (بغيا بينهم) حسدا بينهم وطلبوا للرياسة (ومن يكفر بإيات الله فإن الله سريع الحساب) وعيد وتهديد لمن أصر على الكفر من اليهود والنصارى اهـ التفسير العام للقسم الثالث من سورة آل عمران تفصيل الكلام على ما تقدم في هذا القسم بيان المراتب الثلاثة للإنسان وهي الشهوات والأعمال الفاضلة والعلوم وأنهاد درجات بعضها فوق بعض وتبيان القيام بالقسط وان هذا هو دين الاسلام وانه صبغة الله

﴿ الحكمة في خلق الشهوات وأنها وسيلة لغيرها ﴾

اعلم أن الله عز وجل أودع الشهوات في الحيوان والإنسان رحمة منه وفضلا وعدلا ونظاما للبرية وإبداعا وحكمة فمن شهوة الغذاء إلى اللبس إلى التناسل إلى المساكن إلى عمارة المدن ونظام الأمم وقيام العمران . فلا أمم ولا دول ولا ممالك ولا حث ولا نسل ولا أنبياء ولا حكماء إذا لم تكن شهوات . فالشهووات من أكبر نعم الله وأعظمها وأعظمها بل هي أول نعم الله على عباده . وهل كانت حكومات الأرض مقسمة إلى أقسام من زراعة وإدارة وهندسة وطب ومحاكم إلا لما تطلبه الشهوات والبقاء في هذه الحياة . يقال ان أرسطاطاليس أوصى أن يدفن ويبنى عليه بيت مثنى يكتب في جهاته ثمان كلمات جامعات لجميع الأمور التي بها مصلحة الناس وتلك الكلمات الثمان هي على هذا المثال



فهذه الشهوات وما يجبي اليها من المال وسائل للكمال الجسمي والعقلي فمن وقف عندها أدلتته فأصبح عقله موقوفاً وقلبه محبوساً ونفسه جازعة وحياته ضائعة

لقد رأيت ما جاء في القرآن وإن الشهوات من النساء والبنين والذهب والفضة والزرع والخيول والأنعام قد زينها الله للناس ورأيت الشكل المثلث الذي رسمه أرسطاطاليس فاعلم أن ذلك متاع الحياة الدنيا وأنه مقدمة والمقدمة غير مقصودة لذاتها فهذه وإن زينها الله وطلبها لذلك ما كانت حاجتنا إليها إلا كحاجة الصياد لشبكة والحارث للحراث والتأميمند للوح • ولو أن الصائد جعل الشبكة مقصودة لذاتها في الحياة والصبي جعل اللوح غاية المني لكان الصيد ضلالاً والعيش وبالاذن مكروراً في الفطر معلوم في السير درج عليه البشر • اشترك فيه العالم والجاهل والملك والصعلوك فلا ترى عزيزاً الا وهو يقول أف من الحياة ولا ذليلاً الا وهو يقول أين الجاه ولا موسراً الا وهو مفتون في مناه يأس فيما ابتغاه فالناس كلهم أجمعوا على التبرم والتضجر والاشمئزاز في كثير من الساعات على ذلك درجوا • ولذلك خلقوا • وتمت كلمة ربك - على الانسان والحيوان فهم في العذاب الهون وإن كانوا لا يشعرون أنهم معذبون • أليس من العجب أن تكون النعمة بالشهوات نعمة والاعطاء سلباً فإين المخرج اذن قال أبو الطيب المتنبى

كل من في الكون يشكو دهره ليت شعري هذه الدنيا لمن

الشهوات شبكات نصبها الله للناس ليحيوا بها ولكنهم اذا وقعوا فيها تبرموا من المصائب • ظهر ذلك في كتبهم ونظمه شعراؤهم وأوحاه الله إلى أنبيائهم • ولقد أظن في احتقار الحياة ونعيمها ومنفعتيها النبي سليمان عليه السلام في التوراة في

منال هناك تحت عنوان (الجامعة) فقال - هكذا باطل الأباطيل - وأخذ يشرح الحياة ويذمها ويقول لا خير في المال ولا الولد ولا اللذات ولا العلم - ويقول - ماتحت الشمس من جديد - ومن هذه الحكم - ما الفائدة للإنسان من كل تعبته الذي يتعبه تحت الشمس دور يمضي ودور يجي، والأرض قائمة إلى الأبد والشمس تشرق والشمس تغرب وتسرع إلى موضعها حيث تشرق - وقال - ما كان فهو يكون والذي صنع فهو الذي يصنع فليس تحت الشمس من جديدان وجد شيء يقال عنه أنظر هذا جديد فهو منذ زمان كان في الدحور التي كانت قبلنا ليس ذكر للدولتين - والآخرون أيضا الذين سيكونون لا يكون لهم ذكر عند الذين يكونون بعدهم - ومنه رأيت كل الأعمال التي عملت تحت الشمس فإذا الكل باطل - وقبض الريح وقال - ان في كثرة الحكمة كثرة العلم والذي يزيد علما يزيد خزا - ويقول مؤلف هذا الكتاب لقد قلت في هذا المعنى في واقعة حال شعرا

يقولون ان العلم لهم دافع فكيف رأيت العلم أجمع لهم
ألم تر أنني ضاع مني مؤلف لطيف فلم أصبر على ذلك الغرم
لاني قد رصعت بين سطوره دراري حتى لا يشد عن الفهم
قضاء قضاء الله في عالم الدنيا فرار من الآساد تفرق في اليم
(عمر الخيام بعد النبي سليمان عليه السلام)

وقفي على آثاره عمر الخيام في منظومته المسماة بالرباعيات التي لم تكن معلومة عند المسلمين وكانت بالفارسية ولم تظهر في العالم ولم تترجم الا في هذه الايام فقد ترجمت الى الانجليزية ومنها الى العربية وسار ذكر الرباعيات في الاقطار في أوروبا وفي أمريكا حتى ان هناك اثني عشر مرسحا لتمثيل رباعيات الخيام وكما أوجلهما لا حتمقار الحياة والتماس المخرج منها بالخر أو ماشا كله

ثم قفي على آثاره أبو العلاء المعري الذي حقر المال والولد والحياة وكل شيء في الوجود حتى زعم ان أباد جنى عليه وهو لا يجنى على أحد

هذه هي الصورة الانسانية شهوات محبوبة حياة مملولة وكل يطلب منها مخرجا وله في المخرج رأى على قدر علمه
(مخرج الجهلاء وبعض النابغين من سجن الحياة)

فأما أهل الدعارة والجهالة والفسوق وبعض الممتازين في العلم فانهم يقولون نحن نشرب بنت الحان ونسمع الألحان ونغازل الحسان وهكذا الى آخر الزمان ويقولون انما الحياة لعب وهو فاذا أحسننا بسجنها شربنا الرحيق المختوم فزالت عنا الهموم ومنهم من تعاطى الحشيش والأفيون ومنهم من يحقن الجلد بالمادة المسماة (كلوروفرم) وهي خلاصة الخمر ومنهم من يشم مادة تسمى الكوكايين ذلك مخرج الجاهلين يخرجون من سجن الحياة الى سجن الممات ويفرون من جهنم الى الجحيم ومن العذاب الى العذاب أولئك هم الضالون الجاهلون ولذلك عرفت الأمة الأمريكية نكبات تلك المخدرات والمسكرات فننعتها كما جاء في القرآن وأيقنت ان ظلها لا هو ظليل ولا يغني من اللهيب

(مخرج العقلاء والعباد والعلماء)

أما العقلاء فانهم يقضون أوقانهم إيمانهم بعمل نافع واماني عبادة واماني علم فلا يحسون بألم الحياة فالعالمون تقر أعينهم بأعمالهم والعابدون والعلماء المجدون كل يتبدد هموم الحياة عنه لأنه شغل نفسه بما يدفع الآلام ويزيل الظلام ويحيي النفوس وينفي البؤس فالنفس في التمثيل كالاناء ان لم تملأ ماء ملاء اهواء

(المخرج الذي قصه الله في القرآن)

أما القرآن فكان الله يقول في، أنا الذي زينتككم الشهوات فلا تتركوها ولا تأخذوها إلا بقدر لا كما يقول أبو العلاء المعري وعمر الخيام ولا كما جاء في التوراة عن سليمان عليه السلام فأنا لا أزين عبثا ولا أعطي سبلا لأفطائي

بحكمة ومنعني علم فابنوا دنياكم وأقيموا أمر الحياة واجعلوا سلعكم هوارقى - ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن الحساب -

وأنا وان زينتكم لكم فترينى هـ الى حين وعندي ما هو أرقى مقاماً وأرفع شأناً من حياة أعدتكم وجنت هياتكم ألا ترون أنى أصيبكم في الدنيا بمصائب وأمطر عليكم من همومها سحاب وأوقعكم في التعب فلا تمل ينفعكم ولا الولد يرفعكم ولا الأزواج يقيه ولا الثروة مغنية فإن نجأ أحدكم من المرض والفسرأ بلغته سن الشيخوخة فيحرم من المال وهو يملكه ويتمتع بنوه وهو لا يدركه ويتمنى موته أقرب الناس اليه ويفرح بمصابه كل عزيز عليه فعينه في جنة وقلبه في نار فأين الفرار أين الفرار

﴿ لا مفر إلا بالعبادات والعلوم ﴾

ذكر الله الجنة فقال - قل أؤنبئكم بخير من ذلكم الآيات - فذكر الجنات والأنهار ثم أتبعها بالرضوان وهاتان مرتبتان ذكرتهما في سورة البقرة عند قوله تعالى - كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل - فأرجع اليه هناك تجرد مرتبة العباد ومرتبة العلماء والحكام والأنبياء وان رضوان الله هنا وقوله في آية أخرى - وجود يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة - وأمثال ذلك لأعلى المراتب وقد تبين هناك أنك تعرف في هذه الدنيا نفسك أم من الطبقة العليا أنت أم من الأدنى كل ذلك هناك فلان عيده كما شرطنا في أول الكتاب وهذه الجنة ودرجاتها بعد الموت ولكن الصبر المذكور هنا والصدق والقنوت والانفاق والاستغفار بالسحر كل ذلك في هذه الحياة فيه بعض المخرج من سجن الحياة وهو خير لا ما يجنيه الغافلون على أنفسهم من الخمر وشربه والحشيش وتدخينه والكوكايين وشحه إنما ذلك كله اتجار والاتجار من أقطع العار وأخزى الشعار

﴿ أما العلوم ﴾

فقد ذكرها بعد ذلك في قوله تعالى - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالنسط - فالجنة ذكر فيها الأزواج والأنهار

وأما ما هو أرقى من الجنة فردوان الله وذلك مقام يشهده الملائكة وهو مقام القرب من الله مقام الكشف والمشاهدة والاحاطة بالوجود واعلم بالكائنات فذلك مقام الأنبياء والملائكة والحكام والعلماء فالله قد عطف على نفسه الملائكة وقفى على آثارهم بالعلماء ذلك مقام الصدق ومشهد الحق ورضوان من الله أكبر فالعباد في مقام المتقين والعلماء والحكام الناظرون في هذا العالم في مقام الواصلين المقربين

﴿ لطيفتان - الأولى صلاتى عند النهر ﴾

كنت منذ عشرات السنين مدرسا للغة العربية بالجيزة فاعتزاني يوما قبض وأنا خارج البلدة على نهري فتوضأت وأقم الصلاة على شاطئه واستحضرت أركان الصلاة فأنشرح صدرى أنشراحا عظيما فهذا أول ما علمت أن في الإنسان قوى خفية لا تستخرج الا بالعمل كالسكران لا يثيرها الا معاملة تظهرها وحك يبرزها

﴿ اللطيفة الثانية - نغاء النجمة ﴾

كنت منذ ليال وأنا بصدد تأليف هذا التفسير في المنيل على شاطئ النيل غربى القاهرة والنسيم عليل والهواء طلق جبل ومحيا السماء باسم المنغور ناضر بالنجوم وبينما أنا ناظر اليها معقول في التفكر عليها اذ سمعت نجمة في سفينة (ذهبية) لها نغاء وأصحاب السفينة يغنون فخطر بنفسى انها مسجونة وهم مطلقون باكية وهم فرحون ولكن سرعان ما ذهب هذا الهاجس وحل محله ما هو أوسع نطاقا وأوضح اشراقا ذلك أن كل حيوان وإنسان في سجن الحياة والشهوات أليس أهل الأرض محبوسين فيها فلا يستطيعون عنها حولا الى المريح ولا يخرجوا الى الأثر يا وما من امرئ إلا وحاته منه النفاسة يوما اب السماء فقال يا ليت شعري أى نعيم هناك وأى سعادة اذ ذاك

ذلك محبسهم العمومى ومقامهم الكلى ولكن من أهل الأرض مقام في سجنه فمنهم من سجن في وطنه فلا

يتعداه ولا يرى سواه ومنهم من سجن في زوجه أو ولده أو دينه أو شهوة ملازمة أو عداوة دائمة أو عقيدة راسخة فنعمته العلم والحكمة ومنهم من أعجب بملابسه أو فرح بدابته أو افتخر بعلم من العلوم أو أعجب بعبادة خاصة أو لازم مكانا لجماله وحسن بنيانه والجنون فنون فكل يعمل على شاكته وكل وثق بساريته فهم في السجن مشتركون وفي الوثائق معاقون وكل حزب بما لديهم فرحون كل شاذ برجلها معلنة وكل فتاة بأيها معجبة - أن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات - قتل الإنسان ما أكفره - أنه كان ظلو ما جهولا -

فإذا حبس النور النجعة وهي ممارسة فانهم في عاداتهم وأخلاقهم وأحوالهم محبوسون فإذا زين الله الشهوات للناس من النساء والبنين والفتاير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل والأنعام والحرف فكأنه يقول أي عبادي لقد حبستكم جميعا في الأرض فلستم عنها تبرحون ووضعت كل في سجن يخصه فلا يجد عنه حولا • لقد حبستكم في أوطانكم وخالفت بينكم في الأخلاق والأحوال والعادات والديانات والمذاهب والآراء والألوان والعشائر والأوطان والبيئات وفصلت بينكم بالبحار والجبال وألتمت بينكم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كن ذلك لحياتكم ورقبكم وإكمال أحوالكم فتحنوا إلى الدقة على ولدها وإلى الدير بيه وينفق عليه بما زينت في أفئدتهم ما من حبه ووضعته في غريزتهم ما من رحمته ويطم الرجل خيله وابله وبقرة وغنمه ويحرص الحرص كله على زرعه وذلك كله لما ركزت في قلوبكم من حب التزين بها والحرص عليها رحمة بكم وبها ونعمة عليكم وعليها - أي عبادي ألتمت بينكم العداوة لتستثروها في حياتكم فهي مهماز يدفعكم إلى الارتقاء واحكام السلاح ورفق الصناعة وإقامة العدل في ممالككم فبالعدل فيما بينكم تنفون على عدوكم وهو يقوى وبه تزدان الحياة بكم ومن قصرت خطاه وضل مسعاها دخل تحت نير عدوه كما أبحث الحيوان أن يأكل النبات والإنسان أن يأكل الحيوان وأوجبت على الآساد والغور والصقور والشواحين أن لا تغذى إلا باللحمان ولا تزدرد ما تحتاجه إلا من الحيوان هذا هو مبدأ الوجود وغايته وأوله وآخره ولما كان الإنسان أعلى الحيوان مقاما وأرقاه نظاما ألهمته أن يفكر بعقله وينظر في مستقبله بما ألهمته أنبياءه وعلمت حكماءه من السير الشريفة والآراء الناطيفة والعقول البهية والنفوس المضيفة العلية فأنزل عليهم قوانين وعلمتهم منها أفانين فأبرزت بها مكنون الإنسان وعلمته التوراة والإنجيل والقرآن وقلت فكروا فيما حواسكم وانظروا فيما خولتكم وتنحوا عن المادة وقوموا من الميل قليلا واستغفروا طويلا وأثروا ما في نفوسكم من الحكمة بالصبر والحلم وجمال الخلال فأنفقوا المال وقوموا بالأسحار وانظروا يا عبادي أليست عادلا فيما صنعت مقسطا فيما نظرت • أي عبادي • أنظروا هذا النظام وفكروا فيه إني باللين والشدّة أريكم أريكم بما تكرهون وما تحبون لتستيقظ النفوس وترقى العقول

أما أنا فإني أعلم حسن النظام والقيام بالقسط كذلك الملائكة لأنهم عن المادة مجردون ثم العلماء والحكماء منكم الذين هم المذكورون في آية - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب سود (شديدة السواد) ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء - هؤلاء هم العلماء الذين ينظرون في جمال هذا العالم وأحكامه وهؤلاء هم الذين صبغوا صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة تلك الصبغة لعدل وإغيايم بالقسط التي شهد بها الله والملائكة وتلك الصبغة هي دين الإسلام المذكور بدلا من أنه لا إله إلا هو قائما بالقسط فجعلت دين الإسلام هو المستخلص من وحدة النظام والقيام بالقسط ذلك هو دين الإسلام دين الإسلام هو الدين المسلم ولا يظن المسلم أن النطق بالشهادتين والأعمال الظاهرة كافية إنما يراد أن يكون هناك نظام عام وعلم بما أبدع الله في الأرض والسما وتكون الأمة قد تغلغل فيها العلم بالقيام بالقسط والعدل في هذا الوجود فتكون الأمة أرقى الأمم بأن تغلغل في العلوم وتزدان بها ويمر العدل ربوعها فتكون علوم الطبيعة وعلوم الفلك والنظام العام معروفة عند الخاصة على أنها دين ويقوم القضاء بالعدل والحكام بالقسط وجميع العائلات ليستتب فيها النظام اتباعا لرهبهم وقياما بالقسط كعبادتهم ذلك هو دين الإسلام

واعلم أن هذه السور قد شرحها من راني بقرة ومكان في القسم الثاني في هذه السورة وأطلق فيه على لا مزيد عليه
ولكن تذكر هنا من حيث أن السور مضمون تدرك للقيام بالنسب والعمل في العلم المشاهد
في نظام نباتات السور لداخلة فيه

فتعلم أنهم الذكي أن الماء مركب من مادتين أحدهما محرقة تسمى الأكسوجين والأخرى اذا وضع فيها حيوان
يموت وتسمى الأودروجين هذا هو تركيب الماء كما قدمنا . والطوا مركب من الأكسوجين المتقدم ومن مادة
تسمى الأوزون وفيه كربون أي مادة خممية والأوزون المذكور يسمى أيضا نيتروجين ثم الكبريت وهو معروف
والفسفور وهو مادة نار يذوب في الماء والنيتروجين والفسفور والأكسوجين والأكسوجين والأكسوجين والأكسوجين
من دخولها سائر نباتات ولا يدوم نبات لا يابا وان نقص واحد منها لا يعيش النبات

واعلم ان العناصر المكونة لثلاثة السبعين والنبات لا يأخذ من الأرض والطوا هذه فليس يعوزه
الذهب والفضة والنحاس والفضة والزئبق وربما دخل بعض هذه في نباتات بله كالنحاس والخاصين ولكن
العشرة المقدمة لا يستغنى عنها أي نبات في الأرض

أفلا تعجب كيف أعطى النبات قوة أن يمتص من الهواء ومن الماء ومن البراب اليوم به ويعتدى ثم يكون
ذلك داخلا في تركيب بنيتنا وبنية الحيوان

أهم أجزاء النبات أربعة وهي التي يقوم عليها حياة وحياة الحيوان وهذه الأربعة هي الأكسوجين
والأودروجين والأوزون والكربون هذه الأربعة يكون بعضها في الماء وبعضها في الهواء وهذه الأربعة أهم
ما تقوم عليه أجسامنا

وذلك جدول لا يعرفك بعض النظام بأدنى قمل

أنواع النبات	مقدار المادة الجافة	الجزء القابل للاحتراق	رماد
القمح (حبوب)	١٤ ر ٣	٨٥ ر ٧	٧٦ ر ٥
الشعير	١٤ ر ٣	٨٥ ر ٧	٧٦ ر ٥
الشوفان	١٤ ر ٣	٨٥ ر ٧	٧٥ ر ٧
الفول	١٥ ر ٠	٨٥ ر ٠	٧٩ ر ٥
بزر اللفت	١١ ر ٨	٨٨ ر ٢	٨٤ ر ٣
الفلاح	٨٤ ر ٨	١٥ ر ٢	١٤ ر ٨
حذر الجن	٨٥ ر ٠	١٥ ر ٠	١٤ ر ١
درنات البطاطس	٧٥ ر ٠	٢٥ ر ٠	٢٤ ر ١
الحشائش وهي خضراء	٨٠ ر ٠	٢٠ ر ٠	١٨ ر ٠
البرسيم	٨٦ ر ١١	١٣ ر ٨٩	١٠ ر ٣
ساق البطاطس وورقه	٨٥ ر ٠	١٥ ر ٠	١٣ ر ٤

(١) اذا قلمت نباتا من هذه المذكورات ووضعت في فرن محي الى درجة فوق درجة غليان الماء قليلا كان
تكون الدرجة ١٠٥ الى ١١٠ فانك ترى النبات يفقد شيئا من وزنه بما خرج منه من الماء ومتى استقرت على ذلك
بضع ساعات خرج الماء منه كله ولم يبق من النبات الامادة الجامدة . وهذه المادة البقية الجافة اذا احترقت تركت
وراءها ما لا يقل من رماد لاية بل الاحتراق لونه أبيض أو غارب الى الصفرة وهذا الرماد امتصه النبات بخنوره من
الأرض وهو عبارة عن مواد معدنية فانظر الجدول وهذا القمح والفلاح مثلا . فان حب القمح لما وضع في الفرن

ظهر أن الماء الذي كان فيه ٣٨ ر ١٤ من مائة جزء منه والباقي وهو ٨٥ ر ٧ مادة جافة يابسة فإذا أحرقناه ذهب منه ٧٦ ر ٥ والباقي وهو ٢ ر ٩ وماد . والتفاح لما وضع في الفرن ذهب منه ٨٤ ر ٨ من المائة والباقي ٢ ر ١٥ من المئة يذهب منه ٨ ر ٤ من المئة والباقي وهو الرمد ٤ ر . فالتفاح وضعت فيه قوة الحياة التي امتصت من الهواء ومن الماء الكربون والأكسوجين والأودروجين والأوزون فكانت هذه الأربعة التي يطير أكتها نحو تسعة أعشاره والباقي من مواد عضوية في الأرض أو من عناصر وكانت هذا التركيب مكونا لصورة التفاح ولوان التفاح عكس التضيئة فأخذنا أقل من ذلك كالتمح ومادة جامدة أكثر فكانت ٥٨ ر ٧ من المائة مثلا لم يكن تفاحا بل كان قححا فهذه النباتات وضعت فيها القوة العالية الشريفة فاختارت ما يصلح لها واصطفت المقادير المناسبة لها فكانت هذه قححا وهذه تفاحا ومتى اختلفت المقادير تغير النبات فهنا نظامان (١) نظام جميع النباتات فقد حرم عليها أن تعيش بغير العشرة المتقدمة ومنعت من الحياة بالسنتين الباقية من العناصر وتبعها في ذلك الحيوان فلا يعيش إلا بهذه العشرة غالبا كالنبات (٢) نظام كل نبات أنه يأخذ بقدر من تلك العشرة يخالف الآخر فيها ليقوم بتسطه في خدمة الإنسان والحيوان . فتري القول تناول ١٥ من المائة في تركيبه ماء وخمسة ونصف من مواد معدنية صارت رمادا قد امتصتها جنوده من الأرض والباقي مواد عضوية أخذها بعروقها وورقها من الأرض والهواء

لو غير القول هذا النظام بأن تعاطى ٨٦ ر ١١ من المائة في تركيبه ماء والباقي أخذه من الهواء والأرض لم يكن فولابا يصير برسيا على شريطة أن تكون النسبة على مقتضى ما يناسب البرسيم كما رأيت عند آية الطير وإبراهيم في البقرة فانظر للعدل في التركيب أمر كل نبات أن يتعاطى ما يعطيه قوة خاصة به بأن يكون حلوا أو نشويا أو دهنيا وهي أصناف وأنواع لا تحصر ولكن اختلاف العناصر هو الذي أحدث هذا الابداع والجمال والرزق - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالنسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم -

﴿ طعامنا ﴾

ان طعامنا مكون مما تكون منه النبات والحيوان فهو (١) مواد دهنية كالسمن والزيت ودهن الحيوان (٢) مواد نشوية كالخبز والأرز والبطاطس (٣) مواد زلالية أو لزوية مثل النعج والبيض والسمن (٤) أملاح غير عضوية كملح الطعام وأملاح الجير والفوسفور فالنشاء يخزن في الكبد بهيئة أخرى والدهن يخزن تحت الجلد وحول القلب وحول الكيتين وحول الأمعاء في البطن . والمواد الزلالية يتمصها الجسم فتعوض ما فقده والباقي يفرزه الجسم بالكلية ونحوها

فانظر كيف حوّل الهواء والماء مثلثا في النبات الى مواد صارت في أجسامنا لحما وعروفا . فذاك من القيام بالقسط والنظام التام ذلك هو المثل الذي اصطفيه هذه الآيات

﴿ جمال القيام بالقسط ﴾

لقد أوردت لك في هذا المقام مسائل علمية وفوائد نباتية وعناصر تحليلية فربما كانت أقرب الى الدرس منها الى الفكاهة والأنس فلا سمعك من القيام بالقسط قولاجيلا ولأرك نوراساطعا ونجماطالعا وبدرا كاملا وأنسا شاملا

أيها الذكي قد علمت أن كل دين نزل من السماء هو دين الاسلام فالشرائع الفرعية والطاعة العامة والافرار بالتوحيد كل ذلك مقتضى تلك الشرائع والله يشهد بذلك التوحيد وأنه قائم بالقسط مدبر بالعدل والملائكة يشهدون بذلك التدبير والأنبياء والحكماء شهداء على ذلك

ولما كنت أيها المظلم على هذا التفسير العاشق له المفرح به الشغل عليه من العلم وهم المعطوفون على الملائكة فليبتسر بالسعادة النفسية والراحة الملكية والعلوم الاشرافية لأنك اليوم تشهد حسن النظام والقيام بالتدبير خير قيام بذلك ترفى نفسك ويعظم فعمك ويشرق عنك ويسطم نورك لأنك بعد الملائكة في المقام

مقام الاطلاع على حسن النظام . لقد شهدت نظم النبات والحيوان والقيام في هذا التفسير يقول علماءنا لا يعرف معنى القيام بالقسط ولا معنى الميزان المذكور في سورة الرحمن - ووضع الميزان - إلا من درس العلوم كلها ولقد اصطفت لك في هذا التفسير أجملها واخترت منها أكملها وبينت أبعدها نورا وأحسنها منظرا وأنضرها اشراقا وأحلاها مذاقا وسهلت بتوفيق الله لك سبلها وذلت طرقها وأبنت مسالكها وأعطيت لك مقاليدها لتفتح بمالكها فلاذكريك الآن زهرة من حديقتها ودرة من صدفها وأرك ضرفة من طرائفها وغرة من جبينها ونورا من شمسها وكوكبا من فللكها وعجيبه من محاسنها لينشرح صدرك ويتم أنسك لتبتهج نفسك فأقول

(١) قيامه تعالى بالقسط في المادة من حيث حجمها

ان الانسان اذا فكر في أمر المادة لم يرها أقرب الى حالة من غير هابل كل الأحوال لها على حد سواء هكذا جاءت في الواقع على مثال ما في نفوسنا . وبيانه أنها تكون صلبة قاسية كالخشب والحجر الأملس وأقل من ذلك كالخشب وأقل من ذلك كالورق والأغصان الخضر وأقل من ذلك كالعجين والطين وأقل من ذلك كالماء ثم الهواء ثم المادة الاثرية فانظر كيف تقلبت المادة في هذه الأشكال كما تخيلته عقولنا وأدركته نفوسنا وهذا من القيام بالقسط وهو الذي جعل من دلالة التوحيد

(٢) قيامه تعالى بالقسط في سلسلة الانسان والحيوان والنبات والمعدن

أنظر كيف جعل الله من المادة كل ما يصلح فكان النبات الصغير الذي لا يدرك . وكذلك الحيوان فقد تقدم في هذا التفسير في القسم الثاني من هذه السورة أن علماء الطبيعة يقولون ان رأس الابرأ اذا كانت عليها فطره لانراها فانها تجمع آلاف الآلاف من تلك الحيوانات الصغيرة وأنما تقاتل وتفرح وتمرح وأنا أيضا رأيت هذا بنفسى تحت المنظار المعظم وهكذا منها ما هو فوق ذلك وفوقه الى الشجرة العظيمة والفيل الكبير الجنة والهائشة التي تعيش في البحر وحجمها أكبر من الفيل خمس مرات فأكثر . وهذا من جهة الكبر والصغر وهناك سلسلة أخرى من حيث النشء والارتقاء . فأنواع الحيوان والنبات كثيرة وهي

أدنى المعدن - الحص والتراب والزجاج وأنواع التسبب

أوسطه - بقية المعادن كالرصاص والنحاس

أعلى المعادن - الباقوت الأحمر والذهب

أدنى النبات - خضراء الدمن

أوسطه - أكثر النبات

أعلاه - النخل مما يلي رتبة الحيوان . والكشوثى نبت يتعلق بالأغصان ولا عرق له في الأرض

أدنى الحيوان - دودة في جوف أنبوبة تنبت تلك الأنبوبة على الصخر الذي في سواحل البحار وشطوط الأنهار

أوسط الحيوان - أكثر الحيوانات

أعلى الحيوان - القرد والفرس وهكذا ولعلنا نشرحها في غير هذا المكان

أعلى من الأعلى - الانسان

فهذه السلسلة الاجالية من ابتداء المعادن القريبة من الطين الى الانسان الذي هو الأعلى

(٣) قيام الله بالقسط في أنواع الحيوان

منه ما يسكن الهواء وهو الطير

ومنه ساكن البر وهي البهائم والأنعام والسباع

ومنه ما يسكن التراب وهي الهوام والحيات والضب والقطا

ومنهما سكان الماء وهو كل حيوان يسبح في الماء كالسمك والسرطان والضفادع والصدف

(٤) قيام الله بالتسسط في اتجاه رؤس الأحياء

لما كانت الجهات ستا كن رأس الادنى وهو النبات في الطين ورأس الحيوان وهو الأوسط في الجهات الأربع ورأس الانسان وهو الأعلى جهة السماء فهو شجرة مقلوبة فروعها أسفل ورأسها أعلى إشارة الى أنه أعلى الجميع مع أن كل جهة فيها رؤس تتجه اليها وأكثر الجهات اتجه اليها الأسفل وأقلها الأعلى والأعلى هم الأفلون ان الكرام قليل وهذا من القيام بالتسسط

(٥) قيام الله بالتسسط في خلق النبات في الأماكن

منه ما ينبت في البراري والنفار • ومنه ما ينبت على رؤس الجبل • ومنه ما ينبت على شطوط الأنهار وسواحل البحار • ومنه ما ينبت في الآجام والفيافي • ومنه ما يزرعه الناس ويغرسونه في التري والبساتين

(٦) قيام الله بالتسسط بين البر والبحر وفيه العجائب وبدائع الغرائب

ان أكثر ما فرأت في هذا المنام من علوم اليابسة ان اليابسة فيها نبات وحيوان وبساتين وأنهار جارية وفيها قطرات تسير بالناس يشاهدوا العجائب ويسمعوا للرزق وفيها هندسون يصطفون الأشكال الجميلة وهكذا يعلم الناس فهل البحر ليس فيه الا الاله واج والسمك وقد خلا من ذلك الجمال والبدائع • أقول اعلم ان البحر أكثر نظاما وأغزر نباتا وأجل بساتين وأبهى من البر

ألوان ماء البحر وجمال حيوانه

ان ماء البحر يكون أخضر في سواحل العرب وورد يافى جهة (كاليفورنيا بأمريكا) وأحمر بلببحر الاحمر وذلك إمامن ألوان النبات والاعشاب في قاع تلك الجهات أو من ألوان حيوانات دقيقة ومنها ما يجعل لون الماء اسود جهة (مالديف) ومن تلك الحيوانات الدقيقة نوع له لمعان وباجتماعه وكثرته يظهر له على سطح الماء لمعان شديد يشبه ضوء النار وهذا النوع يكون في جميع طباق البحر ولكل منها مساكن خاصة وطرق مسالكها تابعة تيارات مجهولة من القطب الى دائرة الاستواء ومن قطب الى قطب ثم ان الهائشة التي جرمها قدر جرم لفيل خمس مرات فأكثر تجرى خلفها قتل كل منها • فذلك الحيوان الجليل يسير بالتيار من القطب الى القطب أو من القطب الى خط الاستواء وذلك أقوى من سير السفن البخارية والقطار الحديدية فانها لا تصل القطبين وذلك من العدل الذي أجراه الله في البرية فأعطى حيوان البحر مثل ما منح حيوان البر وجعل الماء سفينته والتيار قطاره - فتبارك الله أحسن الخلقين -

(٧) نبات البحر وأشكاله الهندسية والمرجان وعجائبه وانه يتكوّن جزائر

ان نبات البحر منه ما يأخذ شكله صوراً بديعة فيكوّن بساتين جميلة عظيمة أطرف من البساتين البرية وأجل منها شكلاً وأحسن نظاماً وأبهج نورا وأشرق ضوءاً وأشجارها تميل مع الامواج ميل أغصان الاشجار البرية مع الرياح • ولقد تقامع الامواج تلك البساتين وتجري مع الامواج اميالاً وأميالاً وهي مغطاة مسافات عظيمة من البحر فتحجب الضوء والحرارة عن الماء وتوقف السفن عن المسير • ولقد ينبت النبات على الصخر فلا يقلع منه ولا يسير الامعه ومنه ما يكون قريب الساحل لا يبعد عنه إلا أربعين باعا والبحار الجنوبية أعظم نباتاً وأكثر شجراً وأغزر بساتين وتراها تمتد الى تحو ألف وخمسمائة قدم وتمتد مسافات عظيمة على وجه الماء تبلغ ثلثمائة ميل ثم ان (كريستوف كولومب) قطع ثلاثة أسابيع كاملة في مروره منها حين ذهب لكشف أمريكا

﴿ حشائش البحر ﴾

حشائش البحر مادة هلامية لزجة مغطاة بقشرة كالجلد لها شعب كثيرة وكل شعب كذلك له شعب كثيرة وتنتهي جميعها بأوراق رقيقة الاطراف وكثير من الطيور تقتات بها وذلك في بحر الهند ومنه نوع سكرى يمتد الى عشرة أميال فروع رقيقة كالخيط وورقه عرض اليد ويستخرج منه عصارة سكرية وعلى سطح البحار القطبية الشمالية حشائش طويلة ألف قدم وأوراقها جرودية يحملها الماء يشبه عوامات تحت

تصاح البحر

وفي البحر شجر كالفاسح ذو فروع تحمل فوقه كثيرة جذوره ثابتة في الصخر وأورقها دلالة في فروع كأنها فروع الصفه اف

الاشكال الهندسية في البحر

في البحار أنواع مختلفة من الاشكال تجمع مع بعضها فيحدث رسوم هندسية وأشكالاً غريبة ورسوماً عجيبة وبدائع شتى وشاهد فائقة ما بين صغير وكبير من أشكال مخروطية وأخرى هرمية مربعات ومثلثات ولقد تسبج تلك الاشكال على سطح الماء فتعبر أنواراً يضيئه والهواء أن يصبه والحرارة أن تلقاه والسفن أن ترقاه وقد تكون تلك المزروعات منفصلة إلا ما كن قريبة المساكين لها ألوان وأشكال مختلفة أطول وأعرضاً وكبراً وصغراً ولونا وجالا واتقاداً وبداعاً وحسناداً وجمالاً واشراقاً وأوراقاً وأشجاراً وفروعاً فيحدث من ذلك الاختلاف لعالم البحر مدعو كالمساكن بأوى إليها الأحياء ويتحصن بها بعضها . ومن يبصر تلك الغابات ويأملها يرى أموراً عجيبة مدحشة يرى على أغصانها يداناً تسبح على الورق تغذي به ويرى عجل البحر بين النبات وكاب البحر ذا العيون الرصاصية والفردا الذكاء والترمس وكل راصد غيره اما لتحصيل قوته واما للفرار من عدوه

ان تحت الماء وفي الغابت وعلى فروعها وخلال أشجارها محاربة مستمرة بين الطوائف البحرية والحيوانات المائية - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - فحيوان البحر كحيوان البر أجناساً وأنواعاً وأقساماً وعداوة وصغراً وكبراً فهو قائم بالنسبة مدير بالعدل جعل العداوة في البحر كما خلقها في البر ليكون العالم على وتيرة واحدة - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأرلوا العلم قائماً بالنسبة - في شؤون خلقه فالقانون المسنون واحد كما ترى في العالم المتشاهد . فهل شهدت أيها الذكي أن العالم قائم بالنسبة وأن النظام راجع لسنن واحد متشابه وهل شهدت أنه جليل - قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - فهل رأيت الهداية - سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى - أفلمست ترى تسوية الخلق والتقدير في الشكل والهداية للحياة . وانظر قوله - الذي أحسن كل شيء خلقه - أفلمست ترى الحسن والهندسة والجمال في البحر كما رأيتها في البر . وانظر كيف كان في البر جمال وزينة فجعل مثلها وخير منها في البحر كالمرجان

المرجان

ان المرجان يظهر أولاً فراعاً فوق حجر في قاع البحار وهذا الفرع أشبه بالنبات يسكن فيه حيوان ثم يخرج فرع غيره وهكذا فيكون على طول الزمن جيلاً بعد جيل المرجان . وقد جرى بفرع من هذه الفروع عليه حيوان صغير جدا شكه كثر النبات في شكه ولونه وعادته أن يخرج من مشره ثم يعود إليه وهذا النبات مع صغره يفعل أفعالا مدحشة تحير الناظرين فهو يصنع بيوتاً ترتفع من قاع البحر إلى سطح الماء ويمتد البناء طبقات حسنة الشكل بهجة المنظر مضيئة لجوانب مشرقه الأركان زاغية البنيان أشكال هندسية ونظم بهية وألوان قزحية جميلة وهذا الحيوان من سنة إلى أخرى ومن قرن إلى آخر يختط مساكن ومساكن حصرية واسعة في قاع البحار . وكثيراً ما ترى هذه المساكن في البحر عند أدنى الانقلاب في صور وأشكال يخار لللب في وصفها ومن عجيب صنع الله فيها أن تكون في أواسطها بحاراً كدة آمنة مطمئنة لاتصل إليها الأمواج ولا تؤثر فيها الزلازل ولا العواصف فتأوى إليها الحشرات وتوتمها الحيوانات وتربي بها صغارها مع الأمن والدعة والراحة وتنبث فوقها وفي داخلها الحشائش والمزراع والبساتين وهذا بعيدة عن كل ما يؤذيها فرحة بدمعة باربها قريبة العين آمنة الجانب وبعد قرون ترتفع تلك الحشائش والغابات فوق طبقة حتى تكون جزيرة يسكنها الإنسان والحيوان

فانظر كيف بنى حيوان المرجان بنياناً فجعل في البحر مدناً ومساكناً فيها عيرت آمنة وأوى إليها الحيوان

المختلف الاجناس الحسن الالوان والنبات الجليل الانصاف البهيج الازهار العجيب الخلقة ثم في آخر الامر سكنها الانسان - فتبارك الله احسن الخالقين - وهو الذي سخر البحر لنا كوا منه لحا طريا وتستر جوامه حلية تلبسونها - والحلية هو المرجان والدر

فيا ليت شعري من ذا الذي يرى المرجان فيظن انه عظيم القدر كثير النفعه على البنيان جليل المقام سامي المسكنه والمكان ففتن تحلت به الحسان فاحرى العناء ان يتحلوا به معناه ويقرؤا - ووضع الميزان ان لا تضغوا في الميزان - وقوله تعالى - مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فبأي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما مال اولو والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان - وربك يخلق ما يشاء ويختار - ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون فلتسكن ممن شهد بان هذا الخلق محكم منظم قائم بميزان فالنجم (وهو ما لا ساق له) والشجر يسجدان والارض وضعها للانام فيها فاكهة والنخل ذات الاكام والحب ذو العصف (أي الثبن) والريحان فبأي آلاء ربكما تكذبان - وهو الذي قام بالقسط والعدل في العجايب بين البر والبحر - فتبارك الله احسن الخالقين - وفي الارض آيات للوقنين - انتهى القسم الثالث من سورة آل عمران

(القسم الرابع من سورة آل عمران)

فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُكُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ يَتَّبِعُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ * فَكَيفَ إِذَا جُمِعْنَا لَهُمْ لَيُّوْمٍ لَارِيبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُورِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُورِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ * لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ ثَغِيَّةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ * قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَرُوا يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * يَوْمَ نَحْجُ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا نَعَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ * قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ *

(التفسير اللفظي بهذا القسم)

(فان حاجوك) في الدين وجادوك يا محمد بعدما أمت الحجج (فقل أسلمت وجهي لله) انقذت له بقلبي وأخلصت له بجماعتي وجميع جوارحي لا أشرك به غيره. وهذا هو الدين القيم الذي به قامت الحجج ودعت إليه الآيات والرسول وعبر بالوجه عن النفس لأنه أشرف الأعضاء الظاهرة وموضع الحواس والقوى العاقلة (ومن اتبعني) عطف على الفاعل في أسلمت (وقل للذين أتوا الكتاب) من اليهود والنصارى (والأمةين) وهم مشركو العرب (أسلمتم) كما أسلمت أي أسلموا وذلك كما في قوله تعالى - فهل أنتم متنتهون - كأنه يعيرهم بالبلادة أو بالعناد (فان أسلموا فقد اجتروا) للفلاح والنجاة (وان تولوا) أعرضوا (فانما عليكم البلاغ) تبليغ الرسالة وليس عليك هدايتهم (والله بصير العباد) فهو عالم بمن يؤمن فيثيبه ومن لا يؤمن فيعاقبه (ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فيبشروهم بالعذاب الأليم) كان بنو إسرائيل يأثمهم الوحي على لسان الأنبياء وهم يذكرونهم أيام الله فيقتلونهم فية يوم المؤمنون بالأنبياء فيذكرونهم بعذاب الله فيقتلونهم فهو لاهم الذين يأمرون بالقسط أي بالعدل من الناس * عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله أي الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا أو رجلا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس إلى أن انتهى إلى قوله تعالى وما لهم من ناصرين (أو أهلك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) حبطت بطلت وبطلانه أنه لا يقبل في الدنيا ولا يجازى عليه في الآخرة (وما لهم من ناصرين) يمنعونهم من العذاب (ألم تر إلى الذين أتوا نصيبا من الكتاب) التوراة وهم اليهود والنصارى (يدعون إلى كتاب الله) التوراة (ليحكم بينهم) روى أنه دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس على جماعة من اليهود فدعاهم إلى الله عز وجل فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على أي دين أنت يا محمد قال على ملة إبراهيم قالوا ان إبراهيم كان يهوديا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلموا إلى التوراة فهي ديننا وبينكم فأبى عليه فأنزل الله هذه الآية * وروى أيضا أن رجلا وامرأة من أهل خير زنيا وكان في كتابهم الرجم فمكرها رجهما لشرفهما فيهم فرفعوا أمرهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجوا أن تكون عنده رخصة لحكم عليهما بالرجم فقال بعضهم جرت عليهما يا محمد وليس عليهما الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبينكم التوراة فقالوا قد أنصفت فقال من أعلمكم بالتوراة فقالوا رجل أعور يقال له عبد الله بن صوريا يسكن فدك فأرسلوا إليه فقدم المدينة وكان جبريل عليه السلام قد وصفه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت ابن صوريا قال نعم قال أنت أعلم اليهود بالتوراة قال كذلك يزعمون فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوراة فقرأ ابن صوريا ووعده على آية الرجم وقرأ ما بعدها فقال عبد الله بن سلام يا رسول الله قد جاوزها ثم قام ورفع كفه عنها وقرأها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اليهود وفيها رجم المحسن والمحصنة إذا زني امتي قامت عليهما البينة وتوخر الحامل حتى تضع الحمل فاذن الداعي محمد صلى الله عليه وسلم والمدعو اليهود دعاهم إلى التوراة ليحكم بينهم يدي أن إبراهيم لم يكن يهوديا وأن الزاني والزانية يرجمان (ثم يتولى فريق منهم) يعني الرؤساء والعلماء.

(وهم معرضون) أى عادتهم الاعراض (ذلك) الاعراض والتولى سبب انهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وهى سبعة أيام من أيام الآخرة كل يوم ألف سنة وقار قوم منهم أربعين يوما (وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون) من أن النار لن تمسهم إلا أياما قلائل أو أن آباءهم لا يبيدوا يشفعون لهم أو أنه تعالى وعد يعنوب عليه الصلاة والسلام أن لا يعذب أولاده الا ثلاثة القسم (فكيف اذا جعناهم ليوم لا ريب فيه) أى فكيف يكون حالهم اذا جعناهم فى يوم لا شك فيه (ووفيت كل نفس ما كسبت) أى جزاء ما كسبت (رحم لا يظلمون) الضمير لكل نفس كأنه يقال كل انسان لا يظلم (قل المؤمنون) أى قويا محمديا لله والهم موضع عن يا (مالك الملك) تنصرف فيما يمكن لتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكه (تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء) الملك المعطى كالنبوة والدولة والعز والغنى والجاه والثروة فقد أعطيت النبوة لمحمد وأعطيته هو وأصحابه لدولة وغلبوا فارس والروم وتنزع النبوة من نبي اسرائيل (وتعز من تشاء وتذل من تشاء) تعز من تشاء كمحمد بالنبوة والرسالة وللمهاجرين والأنصار وأهل القنطرة والرضا والطاعة وتذل من تشاء كاليهود ومشركى العرب وفارس والروم وأهل المدينة وأهل الحرص وعدم الخدمة (بيدك الخير) ولا يأتى الشر إلا تبعا (انك على كل شئ قدير) فتؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء روى أنه عليه الصلاة والسلام لما خط الخندق وقطع لكل عشرة أربعين ذراعا وأخذوا يحفرون ظهر فيه حفرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سامان لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره بجمع عليه الصلاة والسلام فآخذ المعاول منه فضربها ضربة مدعتها وبرق منها برق أضأ ما بين لابتها فكان بها مصباحا فى جرف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال أضأت لى منها قصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال أضأت لى منها القصور الحجر من أرض الروم ثم ضرب الثالثة فقال أضأت لى منها قصور صنعاء وأخبرنى جبريل عليه السلام ان أمتى ظفيرة على كاهها فابشروا فقال المنافقون ألا تعجبون عنيكم ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة وأنها تفتح لكم وأنتم انما تحفرون الخندق من الفرق فنزلت ولما كان غز قوم وذل آخر بن من النظام العام وهو بوجوب المساواة كالليل والنهار فالعز يزىل والليل يعز كما أن الليل والنهار كل منهما يحصى عقب الآخر قال عتبة (تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب) أى تدخل الليل فى النهار وتدخل النهار فى الليل فيزيد كل منهما ما نقصه الآخر وتخرج الانسان الحي من النطفة الميتة بحسب الظاهر وكذلك الفرخ من البيضة والنبات من الحب والمنخبة من النواة والمؤمن من الكافر والذكى من البليد وبالعكس فى الجميع وتبسط الرزق لمن تشاء وتوسع عليه من غير تقدير ولا تضيق (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) أى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء أى أنصارا أو أعوانا من غير المؤمنين وكيف يحمل المؤمن ولايته لمن هو غير مؤمن ولقد كانوا يوالون بعض الكفار صداقة فى الجاهلية أو قرابة ولقد كان لعبادة بن الصامت حلقا من اليهود وهم خسمائة فأراد أن يستظهر بهم على أعداء المسلمين يوم الأحزاب فكذا حاطب بن أبى بلتعنة وغيره كانوا يظهرون المودة لكفار مكة فهو أجمعاء عن ذلك (ومن يفعل ذلك) أى مولاة الكفار فينقل الأخبار اليهم أو يظهر عورات المسلمين اليهم (فليس من دين) (الله فى شئ إلا أن تتقوا منهم تقاة) أى إلا أن تخافوا منهم مخافة فلا يجوز موالاتهم إلا أن يخافوا من جهنم بإيجاب اتقاؤه وانما عدى الفعل بمن تضمنه معنى الحذر والخافة (ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير) تهديد عظيم وجعل التحذير من نفسه جل جلاله لزيادة التهويل (قل ان تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه بعلمه الله ويعلم ما فى السموات وما فى الأرض) أى يعلم ضمائرهم من موالاة الكفار وغيرها كما يعلم غيب السموات والأرض (والله على كل شئ قدير) ومنه عقابكم ذالم فتموا (يوم تجد كل نفس م عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا) أى تود كل نفس وتتمنى يوم تجد صحائف أعمالها حاضرة لو أن بينها وبين ذلك اليوم مسافة بعيدة لم تبدى بها من صحائفها السود (وانه رؤوف بالعباد) فاذا حذرهم فليس ذلك لغضبه كما يغضب لبعده بل هو يرشدكم فالغضب سوط يساق به العباد الى الرحمة (قل ان كنتم تحبون الله) المحبة ميل النفس الى الشئ الكمال فيه

وتقول هو أعلم بالحكمة في خلقه ويقولون ما قاله شاعرهم

إذا ما رأيت الله في الكل فاعلا عقلت فصيرت القباح ملاحا

وان لم تجد الامظاهر صنعه جهلت فصيرت الملاح قباحا

وقال شكسبير الشاعر الانجليزي (وقد ترجمته الى العربية)

إذا كان هذا الكون يكوؤه الذي يراه فؤلاه الجبال ونمما

فإذا يراه عاقل غدير أنه قصور جنان الخلد رصعن أنجما

وأنت خير أيها الذكي ان هذا الدول لا يدقم عارا ولا يذكي نارا ولا ينفع جارا ولا يقيم حجة ولا ينير المحجة وانما يجترى به المؤمنون الذين هم عن النظر عاجزون ولؤلؤه راحة وطمأنينة ولكن هذا التفسير قد أعدده للطبقة الوسطى وهم أكثر العامة في العالم الانساني فلاذكر لك الحقيقة جلية مضئنة بهية مشرقة سنية أزفها لك مميلة القناع لابسة الخلل حالية بالجواهر باسمعة النغر ناعسة لطرف حورا تسحر الناظرين وتسبي العاشقين وتشرح الصدور وتشرق بالنور تفوق الحور ان تخط قنلت وان تجلت بهرت بجمال يأخذ بالألباب ونغمات مطربات يتصرعنها الرباب وحجج لم يعد لها الصواب فأقول

اعلم أن هذه المسئلة تشرحتها العلامة الرئيس بن سينافى كتاب الاشارات وغيره من سائر الحكماء الاسلاميين قالوا ان ما نشاهد من الموجودات وما نعرف من المخلوقات نعرضها على العقل ونبحثها بالفكر والعقل يقول انها لا تخرج عن أحوال خمسة الحالة الأولى أن تكون شرعا محضا الحالة الثانية أن تكون خيرا محضا الحالة الثالثة أن يغلب خيرها الحالة الرابعة أن يغلب شرها الحالة الخامسة أن يتساوى الأمران . ثم قالوا والعقول الانسانية لانتة ور غير هذه الصور . أما الشر المحض والذي يغلب شره على خيره والذي تساوى فيه الأمران لا أثر لوجوده وليس في عالمنا ولا سموات فكيف يوجد الشر المحض وما معه

أما يغلب خيره على شره أو هو الخير المحض فذلك هو الوجود وقد قالوا ان العالم الذي نحن فيه من القسم الذي غلب خيره على شره * هذا اجل مناهم وانفصله كما فصلوه فنقول ان ضوء الشمس والنور والكواكب وما السحاب والنار والنبات والحيوان غلب خيرها على شرها فضاء الشمس به حياة الموجدات ولكن قد يستضر به المحموم ويموت امرؤ بضربة الشمس والماء الذي يحياه النبات والحيوان قد يغرق فيه ناسك ويغطس فيه علم دورع تقي . والنار كثيرا ما تحرق ثوب المناسك والمرأة العجوز والطفل الذي لا ذنب له

ولاريب ان يغتفر هذا الضرر النليل في جانب النفع العظيم ولو قال قائل انه يجب اطفاء الشمس وتغوير ماء البحر ومنع المطر واطفاء النار لمضارها وغفل القائل عن منافعها عداً أبه عاجزا جاهلا مغرورا فالحكمة تقضى ان ما أفاض الوجود الكثير والضرر النليل يجب حصوله وإبرازه والبخل به جهل وحق ومخالفة الحكمة وذلك تبقت مسائل كثيرة فيقال لم خلقت الحيات والعقارب والذباب والزناير والأسود والنور والذباب والدود وهي لم تخلق للنفعة ولم تكن لها أدنى فائدة فهل هذه مخلقات الحكيم وأي حكمة في خلقها وأي فائدة في ظهورها فقال علمونا رجعهم الله ان الحيات والتماسيح والسباع والتمنين والهوام والحشرات والجراد كلها مخلوقة من المواد الفاسدات والعفونات السكائنة ليصفوا الجو والهواء منها للتأريض لها الفساد من البخارات المتصاعدة فيعفن الهواء ويكون أسبابا لأوباء وعلاك الحيوان دفعة واحدة

ذلك ان الذبذبان وطوائف الذباب والبق والخنافس لا تكون جائئة في دكان البراز ولا الحداد ولا النجار وانما تكون في دكان النصاب والسهمان والبابان والدياس أو في السماد والسرقين

فأنت ترى ان العفونات لو بقيت لاعتلكت الحارث والنسل فلم يخلق منها الذباب والبق والدود والخنافس وما

شاكلها أو أدت فائدتين أولهما أنها تخلت عن أحوال العفونة إلى أجسامها فصار لها دفقة زاهية وأبهر أجو والمكان وصلاح للتنفس وذهب منه الحيوان يسمى (بالمكروبات) التي تفتك بالناس والحيوان ولو تركت تلك العفونات لنفس الهواء وأنتى وأعطت الناس دفقة مع حيوان فهذا العمل يدل أن هناك تدبيراً منظماً وأن هناك يداً خفية تحوّل المضار فتجعلها نافعة

الفائدة الثانية أن هذه الحيوانات تصير أغذية للحيوانات التي هي أكبر منها وهذا العمل الذي يجري في الأرض والناس يجهلونهم أنفسهم يعملون سائرهم على النمط الأعلى وهم لا يشعرون ألا ترى أنهم يرون الفوائد في أفنيتهم ولو تركوها لأمتهم فحولوها إلى الأرض ليصلح بها الزرع فاستفادوا فائدتين نفاة الهواء ومصلحة الزرع لجلب الغذاء هكذا فعل الله حول العفونات إلى حشرات وذباب وخنافس وهذه تأكلها حيوانات أكبر منها فكما أن الناس حولوا الفوائد أن ما ينفعهم وينظف جوهم ويصلح زرعهم بالأهمل والتجربة هكذا فعل الله فعذى الحيوان ونظف الهواء بل فعله أشرف وأعلى وأتم وأجلى إذ عمله في الحيوان وإصلاحه وعمل الناس في الزرع وإتمامه والحيوان أرقى فقام به الله والنبات أدنى فقام ببعض إصلاحه الناس - إن ربى لطيف لما يشاء من حواله العليم الحكيم -

وهكذا خلق الله السباع والأسود والنور فإنه قد تبين في العلم الحديث وفي علم طبقات الأرض (الجيولوجية) أن الطباء ولغهم والجاموس والبقر وسائر الحيوان الذي يأكل الحشيش في الأعصر الغابية كثرت فلات سهل والجبل والقفز والعاصم فلم يكفها النبات لكثرتها وقد وجدوها مطمورة في كهوف ومغارات بعضها فوق بعض ففقت وحينئذ خلق الله عز وجل هذه الحيوانات المفترسة وجعل أنيابها المحدث وأجسامها القوية معدة لأكل اللحم لا تعيش إلا به لتقل ما يتكاثر من نسل تلك الحيوانات وتكون آكلاتها لحمها فلا يمتلئ فيملا الهواء نفاً وعفونة وحيوانات (مكروبية) تقتل الحيوان والإنسان

وهكذا حكم الجوارح من الطير فإن العصفير والقنابر والخطاف وغيره تأكل الجراد والنمل والذباب والبق وما شاكلها ثم إن البواشق والنشواهين وما شاكلها تصطاد العصفير والقنابر وتأكلها ثم إن البراة والصقور والعقبان تصطادها وتأكلها ثم إنهم إذا ماتت أكلها صغارها من النمل والذباب والديدان ثم إن بني آدم يأكلون لحوم البقر والغنم والطير والحملان وإذا ماتوا أكلتهم في قبورهم الديدان والنمل والذباب

فالمسألة كالدائرة تأكل صغار الحيوانات كبارها ويأكل كبارها صغارها والناعدة إن فساد كل شيء صلاح آخر

﴿ فائدة ﴾

قال بعض العلماء إن الذئب يصيد الثعلب والثعلب يصيد الثنفذ والثنفذ يصيد الأفعى والأفعى يصيد العصفور والعصفور يصيد الجراد والجراد يصيد الزنابير والزنابير يصيد النحل الخ تأمل وقال عنتره

لى النفوس وللطير اللحوم وللـ وحش العظام وللخيالة الساب

﴿ الحكمة في سم الحيات ﴾

إن من الحيوان ما أعطي معدة أو كرشاً أو قناسة فينضج الكيموس فيها بعد المضغ الشديد والحيات لم تعط معدة حارة ولا قناسة ولا كرشاً ولا أضراساً فعوضت عن ذلك مما حار اجساداً ينضج اللحم ويذيب الشحم فلو لم تعط هذا السم لما مات جوعاً وهلك عن آخرها

ومن الحكمة أن سم الحيات لا يقتل إلا إذا دافعه في الجسم جرح فيجري في العروق فإذا لم يصادفه جرح صار في المعدة غذاء لا ضرر فيه والفائدة في خلقتها بين الهوام كالفائدة في خلق السباع بين الأنعام والبهائم وكمنفعة الثنين في البحر والكواسج والتمسح وكمنفعة النسور والعقبان والجوارح في الطيور فالحية تأكل الهوام التي حولها

ومن المجائب ان لحم كل حيوان ذى سم يكون ترياقا لسمه فلهحم العقرب والحية اذا وضع على الملسوع بهما شفي حالا
(حكمة الآلام فى الحيوان)

لندقرأت فى كلام المورداقبرى الانجليزى فى بعض كتبه ان الآلام التى فى أجسامنا انذار وتعليم . وبيان ذلك
ان أعصاب الحس انما يكون عملها فى سطح البدن وهو الجلد ولا احساس بها إلا هناك لتنذرنا بالخطر المحدث بنا ولا
يكون ذلك فى الداخل

وعليه نقول ان الانسان اذا أصابه الحرق والجرح ولم يحس بما أحاط به فالألم يدعو له لطلب النجاة وبقاء الحياة
ولولا ذلك لاهلك العطب وأحاط بالموت وهو لا يدفع شيئا ولا يستدعى طبيبيا كما لا يتعاطى الطعام لولا غريزة الجوع
(حكمة الحكماء الظالمين)

ان الحكماء الظالمين والقضاة المرتشين والأئمة المستعمرة كل هؤلاء نفعتهم أكثر من ضررهم فان الحاكم الجائر
يمنع القوى عن الضعيف لحفظ الأنفس والأموال وان كان هو فى نفسه فاسدا ظالما مرشيا فقد نفعت غيره وأهلك نفسه
وأصبح آلة للافلاح وان كان فاسدا كالشمعة تضى وتطفى وسيأتى دوره فى القضاء الذى لا مناص منه فى هذه الدنيا
أو بعد الممات

اذن ما الخير وما الشر - ايضاح ما تقدم

قد تبين فى هذا الكتاب فى غير ما موضح ان الشرق قد ينتج الخير كما ترى فى السهاد والسرقين وكيف تعاف النفس
منظرهما وكيف يملأ الجوف من جرائمهما ثم ان هذه الكراهة لحكمة شريفة وغاية منيفة فان الناس بها ينظفون
أفئدتهم ويحفظون صحتهم وأكثرهم يجعل هذا المسكروه سهادا لأرضه وغذاء لزرعه ممثلة عما صره فى فاكهته وحبه
وشجره وقطنه الذى منه ثوبه وكذلك كغائه وسمسمه الذى منه زيتة وهكذا يتونه

فياليت شعرى أين الشر اذن سرجين قدر قبيح المنظر سمج كربه يصبح فاكهة وأبو ثوب اوزيتا وعطرا . اذن
ما هذه الكراهة هى سبب من أسباب داعية الى نقله الى الأرض فلا نفقة من السهاد والكراهة من أسباب حياتنا أين
الشر اذن هذا خير هكذا ما نراه فى هذا الكتاب من الكلام على الحشرات الضارة انها مطهرة لجوونا مغذية لطيرنا
يا كاهها فهى اذن نعمة لا نقمة وكراهتنا لها داعية لتطهير الأرض مكنة من القاذورات الحاملات للجراثيم

وقل ما تشاء فى نقص الصحة والمال والأهل وأمثال ذلك مما يتلى به الناس كل ذلك مكروه وشر ولكن ترى ان
من يتلون بهذا يكونون قد نالوا قوة وهمة ولم ترقى النار يح من العظماء والأنبياء إلا من صبر واعلى المسكاره وكثير منهم
من سموا أولى العزم

فهذا أصبح الشر من أسباب الخير مثلا نرى المرض يعطى المريض عظة واعتبارا وتذكرة ويهذب خلقه
ويكون ذلك داعية لارتفاع علم الطب العام فيبحث الأطباء ويرتقى نوع الانسان

وأعظم المصائب عند الناس الموت وفهم الموت قوة متناول أكثر الناس فاذا حكمنا أن المصائب كالسهاد مرقية
لمن أصيب بها وقائنا ان الذين أصيبوا بها أعظم قدرا من الذين لم يتلوا ولم يجربوا فكيف يسوغ ذلك فى الموت نقول
الموت انفصال الروح عن الجسم وما الجسم الا لوح النفس كما ان السهاد والأرض هما اللوح الأكبر فالروح فى الجسم
تدرس هذه الدنيا فاذا مهت فى نظرها أدركت عجائب هذا الهيكل فهو لوحها الذى تقرأه ومدرستها التى تربت فيها
وحملها الذى تزرعه فاذا ارتقت الى عالم الأرواح استغنت عنه كما يستغنى الطفل عن اللوح وكما يخرج الجنين من الرحم
وكما يخرج الطفل من الصبا الى الفتوة فيترك جسمه الذى لا يبالى به تتغذى منه الحشرات من الديدان والذباب والخنافس
كما كان يتغذى هو بأنواع الحيوان فأما روحه فانها تكون قد خرجت الى عالم اللطف وفى حال أرقى واذا كان الموت
كما هو قول الأرواح التى خاطبها الناس فى انك تراو فراسا وأمريكا وجيع الأمم على هذا النمط وهذا عينه أقوال الأنبياء
والوحى فكيف يكون الموت شرا بل يكون خيرا فياليت شعرى ما الذى به نعرف الخير من الشر وقد رأينا فى هذه

الأمثلة أن المال هو الخير وأما الشر فأنما هي نسب وأحوال خاصة تؤول بخير

فصح ما نقرأ في الصلاة ﴿ اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال ﴾ فالفتنة أذن الجهل بالموت والحياة

واعلم أن هذا الإنسان معذب بالجهل ففتنة المحيا والممات هي الجهل بثمرتها وانظامهما ولقد تبين لك في غضون هذا التفسير أن دين الاسلام كله يؤول للمعلم فدعاء السجود والركوع للمعلم بالتشريع وطبقات التعيين ودعاء الصبح فيه مسألة الرحمة وشمولها وهنا ترى مسألة الحياة والموت وهي أهم المسائل وهي عقدة العقد

يقرأ المسلم في صلاته الرحمن الرحيم ويكرر الرحمة في ١٧ ركعة وهي الفرائض قريباً من مائة مرة تارة صريحاً وأخرى تلويحاً فإذا أضاف السنان كانت ٢٠٠ مرة فأكثر ثم إن أول كل سورة بسم الله الرحمن الرحيم الرحمة شائعة في الدين فإذا كانت في أول كل سورة كان معناه أن كل ما ابتليتكم به مآله الرحمة فيقول المسلم أين الرحمة في المرض والفقر والذل والرق والاستعباد بل أين الرحمة في الموت أين الرحمة في ذلك كله وأعوص المسائل مسألة الموت والحياة

﴿ جمال المقال ﴾

وجمال هذا المقال وبهيجته وخلاصته أن الآلام قسمان قسم ما عودون الموت من فقد الأصحاب والمال والصحة والتسم الثاني الموت فإذا ماتت دبرت وقرأت الكتب ونظرت بنفسك في كل يابسة وخضراء وأرض وسماء وناطقة وخرساء وقائم وحصيد وأجلت النظر ولم تحجبك العلوم التي قرأتها ولا الآراء التي عرفتتها ولا الشهادات التي نلتها ولا المناصب التي ولّيتها ولا أكاذيب التعظيم التي أوليتها ولا الثروة التي ملكتها ثم درست هذا العالم درس المستبصرين وتنسكبت طريق المتكبرين عرفت أن الناس على الأرض يربون مع الحيوان وهم يساسون سياسة لين وشدة ويركبون طبقة عن طبق واعلم أنك لن تنال ذلك إلا بعد الجهد الجهد والنصب والكد والنظر والاختلاص

أيها الذكي لا يغني أن تكون من المدرسين ولا المحامين ولا القضاة ولا المهندسين ولا رجال الإدارة ولا رجال الزراعة أو الطب أو البيطرة أو الجيش فكل أولئك قاموا بركن من أركان الحياة الاجتماعية وإن يخلص أحدهم منهم من التقليد والجهل العتيد إلا بتلك النظرات فليكدح ليله ونهاره حتى يوقن بعقله خاصة أن الحياة والموت لم يكونا للتعذيب بل للتهذيب وأن المرض والفقر وأضرابهما مآلة أنجها ارتقاء النفوس لا بد أن تعرفها بنفسك ولا تقف عند السماع ولا أقوال العلماء هناك تخرج من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات فذلك كله ناجم من جهلنا بنظام الحياة الانسانية ودرجاتها ولما كان هذا أهم علم عند الحكماء قديماً وحديثاً كان الدعاء به في آخر الصلاة ولقد قدمت لك فائدة الدعاء بالاستعاذة من المسيح الدجال عند قوله تعالى - إذ تبتأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا - وأبنت هناك أن هذا الدعاء راجع لأمر حاضرة من أزمان النبوة إلى الآن وهأنذا الآن ذكرت لك ما هو أهم وهو فتنة المحيا والممات . واعلم أن ما قمته الآن يسمعه أكثر الناس من وراء حجاب ولكن لا يغني قولي ولا ينفع وإنما الذي يفيد بحبك بنفسك - كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً - وانك بعد أن أصل إلى هذا المقام تفهم تحقيقاً معنى قوله تعالى هنا - بيدك الخير إنك على كل شيء قدير -

بهذا فليفهم معنى القرآن وبهذا تكون دراسة الحكمة - والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم - أما الفصل الخامس وهو قوله تعالى - وترزق من تشاء بغير حساب - فلا ذكر لك من عجائب الحكمة ما يدهش القلب ويسحر العقل وبشيء الأولى العقول الذكية والنفوس الشريفة * فأقول في هذا المقام لطائف

﴿ اللطيفة الأولى ﴾

لقد رأى العلماء الباحثون في العصر الحاضر وكشفوا أن بعض الذباب يحفر لبيضه جحر في الأرض يضعه فيه ثم يذهب إلى عنكبوت أو دودة يمج فيها جزء من السم فتسكن حركتها ثم يحملها إلى جحره ويلقيها عند البيض ويست عليه فإذا خرجت الأولاد من البيض وجدتها بجانبها فتغذت بها

وسبب ذلك ان هذه الحيوانات لا تأكل ميتا قط وأتمها تعلم انها لا ترى أولادها قط فتحضر لها هذه الحيوانات التي خدتها باسمها حتى إذا خرجت من البيض أكلتها أليس ذاك من الرزق بغير حساب فأين تعلمت هذا تلك الذبابة ولم تراه قط ولم يكن هناك مدارس ولا معلمون ولا قضاة ولا محامون فرزق هذا الحيوان بلا حساب وهذه هي الرحمة - كتب ربكم على نفسه الرحمة - ورحمتي وسعت كل شيء - بسم الله الرحمن الرحيم - هذه هي الرحمة وهذا هو القرآن وهذا هو الدين وهذا هو الاسلام يا أيها المسلمون لا تناموا أيها المسلمون استيقظوا أيها المسلمون انظروا أيها المسلمون لهذا خلقتم هذا هو دينكم هذا هو الدين القيم هذا هو العلم هذا هو العقل والحكمة * القرآن يشير لكم بيديه الى هذه العجائب ويقول انطلقوا الى هذه العجائب فادرسوها والى هذه الحكمة فاعلموها والى هذه الآيات فانظروا - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - وفي الأرض آيات للموقنين - هذه هي الآيات وهذه هي البينات فاقروا أمثال هذا فهو غاية القرآن ان الطبيعة كتاب كتبه الله بيده * القرآن جاء ليدلكم على ما خطه بيده سبحانه وتعالى من هذه الرسوم والكلمات هذه هي الكلمات - قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا -

هذه هي الكلمات التي كتبها بيده وقال في القرآن انظروا فيها فالنظر فيها أفضل من العبادات وأشرف وأعلى لأن العلم أرقى من العمل والعمل العامل الأبله لغافل قليل الخلف في الآخرة كالأجير المسخر فقرأ سطور الكتابات كما قرأت الكتاب المقدس وهو القرآن

(اللطيفة الثانية - الذباب الذي يعيس أولاده في جوف الحيوان الحي)

من هذه الطائفة أي الذباب الذي لا يعيش إلا على حيوان حتى يعتمد على دودة كبيرة فتخرق جلدها بنخر طومها ثم تضع بيضها الكثير موضع النخر طوم تحت الجلد فإذا حصل الفقس وخرجت الأولاد أكلت من اللحم والدهن ولم تتعرض للأعصاب التي عليها مدار الحياة ومتى قدرت على الخروج شرعت تأكل الأعصاب فموت ذلك الحيوان لأنها ليست في حاجة الى حياته ثم تخرج تلك الحيوانات ومتى خرجت عملت كل واحدة منها لنفسها خيطا محكما تلف فيه وتتراكم فوق سطح الجنة فتغطيها بكثرتها فلا يرى الراؤن منها شيئا - ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم -

(اللطيفة الثالثة - الأرناب وبعض الحشرات)

الأرناب تنفث شعر بطنها فتجعله فراشا لأولادها وبعض الحشرات أعظم منها شفقة وأكثر رجة فانها تنفث شعرها كله ولا تكتفي بحجز منه ومتى باضت لفت بيضها في شعرها فجعلته أثوابا تصنعها لوقايتها من الحر والبرد والعوارض الجوية ثم تموت

(اللطيفة الرابعة - الحشرة التي تجعل جسمه وقاية لأولادها)

وبعض الحشرات إذا باضت ضمت بيضها بعضه الى بعض وغطته بنفسها وأحاطت به من كل جهة بجسمها لتكون له كالأكيس والوقاية ثم تموت فإذا خرجت الأولاد من البيض وكبرت فعلت بيضها ما فعل بها أصلها

(اللطيفة الخامسة) ان بعض الحشرات يدعو على غيره من الحشرات فيقتله ويأتي به الى ذريته

(اللطيفة السادسة - يعسوب النحل)

ان يعسوب النحل الذي يقال لها أم النحل إذا مات اخترن واحدة منهن وهي أن لها مكانا أوسع من غيره خمس مرات وأخذن يخدمنها ويطعمنها الشهد الذي الرائحة فتكبر سريعا بحسن المواد الغذائية فتأمر وتنهى وتعمل على مقتضى القوانين ولا يخرنها إلا إذا كانت فيها تلك الصفات التي يعرفونها بالألهم

(اللطيفة السابعة - أسد النمل)

رأى بعض العلماء هذا الحيوان الصغير يحفر في الرمل حجرا منتظما والرمل ناعم جدا وأخذت تلك الدابة تحفر برأسها وترفع التراب دائبة مجدة وترى التراب متلاحقا يمر من السحاب كقوة ريا أخرى وهكذا حتى إذا تم لها حجر

ناعم أم لم يسكن في أسفله حيث لا يظهر إلا رجلاها ثم لما مرت نملة عليه انزلت رجلاها فسقطت على تلك الدابة فأكثرها حالاً أي امتصت المادة التي فيها ثم جاءت نملة أخرى سقطت وأرادت التخلص منها هلت تلك الدابة عليها التراب فأسرتها ثم امتصتها ثم أخذت أجسام تلك الفرائس ورمتها خارج حجرها وسوته ورجعت إلى ما كانت عليه من الانتظار

﴿ اللطيفة الثامنة - الحشرات الآكلة العنكبوت ﴾

ان من الحشرات ما تأكل العنكبوت ذلك انها تلبس ثوباً من نسج العنكبوت وتلتف فيه ثم تعفر جسدها بالتراب فاذا مر بها العنكبوت التتطته وهو غافل ثم تمزق ثوبها وترجع الى حالتها ولقد فعلت ما فعلته اليا بان في حرب الروس اذ صنعوا امراكب ملونة بلون البحر حتى لا يراها الروس فوق عوافي الهلاك المبين

﴿ اللطيفة التاسعة - حيل النحل في عدوه ﴾

ان النحل اذا دخل عليه عدو من الحشرات مزقه فاذا كان العدو صغيراً رموه وان كان كبيراً اجتمعوا عليه ولسعته معاً حتى يموت ولم يكن في قدرتها إخراجة تعمد الى صنع تحضره من بعض النباتات فتلفه به وتغلفه فبالسم خلصت من حياته وبالداء خلصت من ضرر موته لأنه محنط كما فعل قدماء المصريين

هذه الطائفة التسع ذكرتها لتعلم كيف رزق الله هذه الحيوانات بغير حساب وعلمها بالاكتاب وأنهم عليها منهم من عنده وألهمها ورزقها فلا مدارس ولا دررس ولا مدافع ولا أساطيل ولا جيوش جرّاره ولا سيوف بئاره وبعض الدول لا تعيش إلا بالسلاح والكراع والنصب والتعب والكسح والكذلك رزق الله بغير حساب

ولعلك بهذا تفهم قوله تعالى - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرّها ومستودعها كل في كتاب مبين - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمّ أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون - وقال تعالى - ما من دابة إلا أنا آخذ بما يتبعها ان ربّي على صراط مستقيم - لا عوج فيه لأنه عدل في القضية نظر للحيوان كما نظر للانسان فهذا هو الصراط المستقيم والعدل الدائم فانه لم يذر الذرّ ولا النمل ولا النحل كما لم يذر الجمل والفيل والانسان وهذا دلالة أنه ما فرط في اللوح المحفوظ والعلم القديم بل انها كلها أمّ أمثالنا والله معها - وهو معكم أين ما كنتم - واذا لم يكن معنا فكيف يتم هذا النظام - كتب ربكم على نفسه الرجة - هاهنا أريتكم رجة الله للحيوان ولبيضة ولأفراخه قد رأيتها ملحوسة منظورة تلمسها يدك وتظنّها عينك وتسمع أصوات تلك الحيوانات أذنك وتشم روائحها بأنفك وتذوق لحماها بفمك

أولست هذه هي آثار الرجة قد كتبتها الله بيده كتبها بحروف أوضح من حروف اللغات وكتبتها أبهج من فصيح الكلمات وجلها أبلغ من بليغ العبارات هذا هو السحر الخلال هذا هو الجلال والجلال فأين اللغات وعلومها وأين العربية والعبرية واللاتينية والفرنسية والانجليزية والالمانية وغيرها هل تبلغ من نفوسنا ما بلغته هذه الصور وهل تعطينا إيماناً كما رأينا بالبصر بهذا تفهم قوله تعالى - كتب ربكم على نفسه الرجة ليجمعنكم ان يوم القيامة - وقوله تعالى - واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرجة أنه من عمل منكم سواء بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم وكذلك فصل الآيات ولستبين سبيل المجرمين - وهاتان الآيتان في سورة الأنعام يقول - كتب ربكم على نفسه الرجة - وأعقبها بأنه يجمعنا ليوم القيامة قد ذكر إحياءنا عقب ذكر الرجة وذكر في الثانية ان السلامة والأمان للذين يؤمنون وأنه يغفر لهم السيئات ثم قال - وكذلك فصل الآيات - وانما ذكرها بعد ذلك ليبين أن آيات الرجة سببين هو تفصيلها في الحيوان وفي عجائب هذا العالم المشاهد كما استبان في هذا التفسير وهذا هو الزمان الذي يبين الله فيه الآيات يبينها بكتابه الذي كتبه بيده مع انه كتب على نفسه الرجة كتبها في كل نفس وكل بيضة وكل جنين وكل حشرة وكل طير وكل هامة فعليه رزقها وعليه حفظها وعليه تدبيرها هذا هو المضمون الكتاب الذي كتبه بيده وهذا هو الكتاب المبين الذي يدعو الناس فيه التوراة والانجيل والقرآن فمن

لم يعقل كتابه الذي كتب على نفسه الرحمة فيه فليقرأ منازل من الكتب السماوية لترشده الى ذلك الجمال والكمال - والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم -

﴿ اللطيفة العاشرة - القنفذ ﴾

(١) ان القنفذ يعد الى الكرم فيرمى بالعنقود ثم ينزل فيأكل منه ما يكفيه وان كان له فراخ تمرغ على الباقي فيتعلق بشوكه فيذهب به الى اولاده (٢) ان بين الغرباب والذئب أنفة فاند اذا رأى الذئب بقربطن شاة سقط وأكل منها معه والذئب لا يضره (٣) ان الفأرة تأتي الى إناء الزيت فتشرب منه فاذا نقص صارت تشرب بذنها فاذا لم تصل اليه ذهبت وأتت بما في فيها وتصبه فيه حتى يعلوها الزيت فتشربه

﴿ اللطيفة الحادية عشرة - الجراد والعنز والزرع والفلاحون في مصر ﴾

ان الجراد قد يفتك بالزرع في بلادنا المصرية فتراه في جوار السماء كأنه سحب مركوم فاذا نزل بزراعة النعمها وأكل ورقها وحبا وصارت جزا ولقد خلق الله في جبالنا المصرية طائرا يسمى العنز أكبر من البط وأصغر من النعام يفتك بالجراد فتسكا ويعدمه من الوجود

﴿ صفة ذلك ﴾

فاذا جاء الجراد وفتك بقوت العباد فتك به العنز ونزل به الهلاك والبوار نزل الجراد يوما بمزرعة تبلغ نحو ٦٠ فدانا وقد غطي وجه الزرع وأخذ يلتمه التقاما والفلاحون يبكون ويندبون حظهم ولا يستصرخون وبين يستصرخون ويستغيثون اذا كان عدوهم سماويا وأمرهم ليس يقدر عليه إلا الحكيم الخبير فينبأهم على تلك الحال إذ أقبل لهم النصر وبسم لهم الدهر وكشف عنهم الضرر وأقبل الطائر المسمى بالعنز المذكور فأحاط بالمزرعة احاطة الهالة بالقمر والسوار بالمعصم وضرب عليها سوراء من جنوده أحاطها بعسكره الجرار بنظام يعجز ضبط الجنود وقواد الجيوش الذين لا ينظم جمعهم ولا يحفظ كيانهم إلا بتدريب المدرسين وتعليم المدرسين والداب والسهر في النهار وفي السحر فلما أن انتظم جمعهم وقام صفهم كأنه بنيان مرصوص أرسل قائدهم جماعة منهم وسط المزرعة ليفرقوا الجراد وايزعجوه عن المزرعة فيلجأ للخروج فتلتمه تلك الجنود وكلما امتلأ بطن واحد منهم الذي هو كالخلاة رجع الى الجبل فأفرغه ليكون ذخيرة ثم يرجع وهكذا حتى لم يتركوا في المزرعة جرادة اه والفلاحون واقفون ينظرون ويحمدونهم يسبحون فيعجبوا أليس هذا العنز قد رزق بغير حساب وهل هو الذي ربي هذا الجراد أم هو الذي بذر الزرع أو ليس الجراد رزق بغير حساب وليس له في الزرع عمل أو ليس الانسان قد رزق بغير حساب فهل هو الذي ربي العنز الذي أكل الجراد • ياليت شعري أنيام أهل الأرض أم مسنية ظون وكأين من فلاح نظر هذه المسألة ولا ينظر فيها وكم من عالم سمع بها ولا يلقى اليها بالا ان الانسان لهول وظلوم وكفار * أهل الأرض مساكين - ثلاثة أنواع من المخلوقات الجراد والانسان والعنز تألفت منهم رواية أدبية يخرطها العلماء سجدا ويقولون سبحان ربنا وينظرها الجهال غافلين • لعمرى ما أجهل الانسان • ولعمرك الله ان هذه لأشبه بما نرى من استفساك القمر بالأرض وجريا حولها واستفساك الأرض بالشمس وجريها حولها واستفساك الشمس بالكوكب الذي تجرى حوله ومكذا طبعا عن طبق حتى تصل الى منبع الوجود

من هنا فليقرأ الناس العلوم وبذلك فليفرح المفكرون وياليت شعري أي غارقة بين اتحاد الجراد والانسان والعنز وبين تماسك القمر بالأرض وبالشمس سلسلة متصلة ووحدة جامعة ونظام متماسك متحد - ان ربى لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم -

﴿ اللطيفة الثانية عشرة ﴾

ان في البحر الأجر حيوانا يسمى الرفيل قد رأته أنا جسمه قدر الجار يغدو ويروح ليس عليه من رقيب لأن حكومتها حرمته قتله كما منعت قتل العنز لما تقدم ومن قتله يعاقب بالشغل الشاق ٦ ستة أشهر

وهذا ليرفيل اذا صدقه غريق من بنى آدم في البحر رحمه على ظميره وجرى به جرياً حثيثاً حتى يلقى به في الشاطئ فانظر هذه اللطائف وتعجب من حكمة بهيمة وبهنا فليكن في الاسلام علم وحكمة - ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى - قل رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً - قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى - فهذه آيات الله ولقد فصلنا في هذا الكتاب تفصيلاً وبيننا للناس بيننا

(اللطيفة الثانية عشرة - طائر يسمى السقا)

ان في بحيرة (أخرى) بناحية مذستربيلاد البانيا طير يسمى سقا يطير فوق الماء تحجمه كبير ولا يقدر أن يصيد السمك الذي هو غذاؤه وهناك طير آخر يصطاد السمك غطاس فيغوص في الماء ويأتي بالسمك فيلقطه السقا فيأكله وهذا السقا تبقى في فمه بقايا وهي مدودة والدود طعام ذلك الغطاس فتأكل السقا فتح فاه لينزول الغطاس طعامه من الدود الذي تولد من بقايا الطعام فانظر كيف أحكمت الدائرة سمك ودود السقا والغطاس كما أحكمت في العنز والجراد والزرع والفلاح • هناك أربع متلازمات • وهنا العدد نفسه - فبارك الله أحسن الخالقين - وفي الارض آيات للوقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون - ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم - وبهنا فليفهم المسلمون قوله تعالى - ورحمتي وسعت كل شيء - وكيف يعرف الانسان هذه الرحمة الواسعة إلا بالدراسة ونظراً أن الله به على الحيوان وأسبغ عليه من رحمته • هنا فليفهم المسلمون - ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً - وهنا فليعرف المسلم كيف شملت رحمته وعلمه العوالم كلها شملها بالرحمة التي أصبح يراها العلماء في الذرات والحشرات وكل مادب ودرج يرونها بأعينهم ويلبسون تلك الرحمة وذلك العلم الشاملين لتلك الحيوانات التي خلقها والنعم التي أبرزها والكمالات التي خطها بيده والنفوس التي أبرزها بعلمه وصورها كلها بحكمته وغمرها برحمته هذا هو الله هو الذي بيده خطها وكتبها وأبرزها وأرانا بدايتها فشهدنا رحمة فيها وسعتها والعلم مع الرحمة لأنه قدرها تقديراً وصورها تصويراً • ولعمري لا يغني المسلمون حتى يبصروا ولا ما يقرؤن حتى يعلموا فالقرآن يذكر الرحمة وعلى العتلاء أن يعرفوها في كل مادب ودرج في الطيور والطيارات والدواب والماشيات والسمك العائمات والحشرات المتقلبات

هناك فليفهموا قوله تعالى - ورحمتي وسعت كل شيء - والجاهل بهذه العوالم لا يدرك الرحمة فيها والغافل عنها لا يعقل معانيها فتعجب في معظم الرحمة عن النفوس الغافلة ويختص الله بالنفحات القلوب السكاك لما عاقله • ولذلك اختص بها المتقون والمؤتون الزكاة والمؤمنون ولذلك قال بعدها - فساء كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذين يجادلونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل الخ - عظم الله الرحمة وجعل أعلاها وأخمسها لمن اتبعوا النبي الأمي الرحمة عامة وخاصة والخاصة قال الله فيها فساء كتبها لأتباع النبي الأمي • ولعمري كيف يختصهم الله برحمته ان لم يدرسوها وكيف يذيقهم أجلاها وهم لم يعلموها • ذكر الله الرحمة في أول كل سورة وفي سورة الفاتحة أربع مرات وجعل الدعاء بالهداية بعد الحمد على التربة المشوبة بالرحمة كأنه يشير إلى أن المرء متى عرف المنحة استعذلها ومتى استعذلها رزقها • أمرنا أن نحمد الله على النعم المشمولة بالرحمة ثم نطلب الهداية بعدها هكذا ننادي كأنه وسعت رحمته كل شيء ونخصص أعلاها بالمؤمنين الذين أمرنا بالنظر في آثارها - فانظر إلى آثار رحمة الله - وهي التي رأيتموها في هذه الحيوانات وعجائب المخلوقات هذه هي آثار الرحمة فالرحمة صفته والآثار في عمله وحكمته فاذا نظرنا في آثار رحمة الله عرفوها وإذا عرفوها تشبهوا به فيها وفي الحديث تخلتوا بأخلاق الله وإذا تخلقوا بها أفادوا أهل الأرض ولن يتخلقوا بمجرد السماع وإنما ذلك بالاطلاع كما أطلعتك وبالفهم كما أريتكم وبمجرد القراءة بلا مزاوله المعاني قليلة الجدوى • الله واسع الرحمة والمسلم ينظرها ويتخلق بها ويكون رحمة لأهل الأرض قاطبة • ان نبينا رحمة للعالمين - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - ونحن خلقناؤه رحمة للعالمين فنكون خير أمة أخرجت للناس - كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر -

فنعن رحمة العالمين ولقد شرحت هذا المقام في سورة البقرة من طريق آخر عند قصة سيدنا إبراهيم - ومن يرغب عن آيات إبراهيم الخ - وعند قوله تعالى - وكذلك جعلناكم أمة وسطا - ولقد أثبت في تلك السورة أن المسلمين رحمة للعالمين فهم خير أمة وقلت وذلك يوجب أن تكون أمة الاسلام أعلم الأمم بأحوال العالم وأقوى عددا وجيوشا ليكونوا نصري الضعفاء على الأقوياء ومعاني الأمم واذن يكونون خير أمة أخرجت للناس

(ملخص هذا الفصل الخاص بقوله تعالى وترزق من تشاء بغير حساب)

ان الرزق بغير حساب بعموم الرحمة والعلم وعموم الرحمة يعرف بنظر العوالم وهي عرفت الرحمة بآثارها تخاق بها المؤمن وصار خليفة لله ولنبيه في أعماله خليفته لله فيمنظره في آثار رحمة وفي خلقه بها وفي الحديث تخلقوا بأخلاق الله ويقولون الحكمة أن يتشبه الإنسان بالله بقدر الطاقة البشرية وأما خلافة لنبيه فإن الله يقول - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - فيكون المؤمن عالم بهذه العوالم مستعدا أن يكون مقيضا علمها قاضيا بينها نافعاً اتباعاً لنبيه يقتضي الوراثة وأما أيها الذكي لا أدري كيف تأخر في هذا الزمان ظهور الأمة الاسلامية بهذا المظهر الالهي فعسى أن يكون قريبا حتى يعلموا هذا الوجود ويؤمنوا بنظام أهل الكرة الأرضية ويكونوا رحمة لهم وقضاة ومؤدبين للأمم جميعها وعسى أن يكون امتداد السكك الحديدية والأسلاك البريكية مقدمة لظهور هذا الجيل الاسلامي الذي هو اليوم ليس موجودا ولكن الوجود بذور الدين أما شجره وثمره وقيام أهله بنظام أهل الأرض ووصايتهم عليهم وحكمهم على الأمم الظالمة ورحمتهم للأمم المظلومة وقيامهم بمقام الآباء لأهل الأرض فذاك لم يأت بعد وقد مهدت الأساس وبنيت القواعد وقدمت المقدمات وعسى أن يكون قريبا

(بهذا تفهم القنوت في صلاة الصبح)

يقول المصلي دائما وقت صلاة الصبح - وتوأني فحين توأيت - يا عجباً كيف يعرف المسلم أن الله رحمة واسعة ورأفته لا حد لها إلا إذا اطلع على مثل ما قررناه في هذا التفسير وفي مثل هذه الحيوانات وانها مرزوقة بغير حساب الناس كثير ما يعبدون الله خوفاً من غضبه وفرقا من عذابه في الدنيا وفي الآخرة ولكن إذا اطلعوا على مثل هذه اللطائف في هذا الفصل حصل لهم يقين أنه يكفل الذر والنملة والنحلة والذباب وأنه رحيم رؤوف بالحقير والعظيم هو رؤوف حقا لأنه هكذا عمله مع ضعاف خلقه وعلى ذلك يتبين للإنسان عالمه يقيناً ان الله يتولى خلقه وعنده رأفة ورحمة لا حد لها ويرزق تلك المخلوقات بغير حساب ولكن لما اذ يدعوا المؤمن والله برحمته عم النمل والنحل والمكروب وتولاها ورزقها حتى أصبحت ترى أجسامنا وإذا كنا أفضل منها فلماذا ندعوه وقد كفلهما وتولاها أفلا يكفلنا ويتولانا

(الجواب)

اعلم أن العوالم ثلاثة عالم الحيوان له غريزة وعالم الإنسان له عقل وعالم الملك والأرواح المجردة الذي ذكرنا آراء الناس والفلاسفة فيه عند قوله تعالى - وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة - في سورة البقرة فعالم الحيوان قد تولا الله وأأم عليه الغريزة فمال الهنا والسعادة وقل عناؤد وشقاؤد بالنسبة للإنسان ولذلك ترى علماءنا أجعوا على أن الحيوان قليل المرض والإنسان كثير الأوجاع والألهموم والوجوم

وعالم الإنسان أعطى عقلا به يفكر ويشقى في تحصيل الرزق وتعلمه وملبسه مما تبرأ منه الحيوان واستراح رمهده له الأسباب فترا يغزل وينسج ويطيح ويبني البيوت ويغوص في البحر وهو سعيد بلا كلفة ولا مدرسة ولا طب ولا هندسة ولا حساب ولا شقاء وقد جعل الله له صحارى واسعة وشعابا وجبالا ومروجا وغابات واسعة وهو فيها رافق في حل السعة فلا ضرائب ولا جباية ولا مدرسين ولا دروس وقد أعطى كل ما يحتاج اليه وهو في أتم حال

أما عالم الملك والأرواح فله غرائز لا كغرائز الحيوان فهي لا نصب فيها ولا تعب ولكنهم اقوة قدسية فكما ترى العنكبوت ينسج والنحل يحني العسل بلا تعلم هكذا الملائكة يفعلون ما يؤمرون ونكون أعينهم سجيبة وغريزة من الغرائز العلية الشريفة فهذه المنحة في الحيوان غير عالية كالوحى إلى النحل والهامة وفي الملك نسيمها (قوة قدسية)

والإنسان ارتقى عن الغريزة الحيوانية ونحط عن فوق الملائكة ولذلك نراهم سمع لوحى صار إليه سراعا وفرح به واستبشر فأنه تولى الحيوان في مرتبته لسافلة وتولى الملائكة في درجته منهم العلية والإنسان في حال التكليف يريد أن يصل إلى الدرجات القدسية فيقول (توانى فيمن توليت) ويقول أيضا (فلك الحمد على ما قضيت) ومحل أن يفهم أن القضاء كله خير وجمال حتى القضاء بما يكرهه إلا إذا اطلع على نظم هذا العلم كزيت كيف كانت القاذورات تحوّل إلى حشرات لضهارة الجوّ والحشرات إلى طيور والطيور إلى كلها الإنسان والحيوان الكبير فيقول العبد في الصلاة (لك الحمد على ما قضيت) لأنى علمت أن قضاءك لمصالح شريفة فيكون الحمد حالا بمجرد اللفظ وإذا قل توانى فيمن توليت يكون مطالعا على بعض متولاه الله به جازما بأنه قد وسعت رحمته وعمت ويكون موقفا بما اطلع عليه كما في لطائف هذا الكتاب التى اقتطعت من علوم الأمم الحاضرة والكشف العلمى

إن الدعاء في الدين الإسلامى فتح لباب العلم والفكر فإذا حمد المرء الله على قضاؤه وفيه ما يكرهه المسمى شرا وجب أن يعتله ويتأمل المخلوقات والا كان الحكيم ذابوا نفاقا وإذا قال تولى فيمن توليت يجب أن يطلع على بعض ما تولى المدحيمته وحفظه فن الإنسان قليلا ما يعرف رحمة الله فى نفسه بل تغلب عليه وساوسه وآراؤه المنحرفة المنغصة فينسى النعمة والله عام الرحمة عظيم الجود

(خاتمة هذا القسم وعجائبه)

أيها الذكى تأمل معى فى مجموع آيات هذا القسم أنظر فيها ألت ترى أمرا عجبيا يقول الله تعالى - ألم ترالى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم - ويقول - قل اللهم مالك الملك توتنى الملك من تشاء - هل لك أن ترجع معى الى أول السورة وتنظر الم - أفلمست ترى أن الم - مع ما تقدم من الاشارات والرموز للعلوم تشير الى أمر أهم فى نفس هذه السورة أنظر معى وتفكر وقل لى ألت ترى قوله تعالى - ألم ترالى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب ابتدئ بنفس الم وقوله تعالى - مالك الملك - جاء من الملك المكررة مرارا الم - وأملك تقول وما قأندتنا من هذه الاشارة أدم يكفك ما مضى من الاشارات الى العلوم حتى جئت الآن تقول انها أيضا تشير الى هاتين الآيتين وما المزية فى ذلك (أقول المزية فى ذلك) توبيخ المسلمين ولعلك تقول وأى توبيخ عفا والكلام فى اليهود أقول لك ان الله تعالى قال فى اليهود انهم أوتوا نصيبا من الكتاب وهو التوراة فلما دعوا للعمل به وامتنال أحكامه أعرضوا ولم أعرضوا أعرضوا بأضاليل دمجها لهم علماءهم وأكاذيب زيموها لهم وحيل اخترعوها سهلوا الأمر على الشعب وعلى نفس العلماء فتارة يقولون لن نمسنا النار إلا سبعة أيام من أيام الآخرة كل يوم ألف سنة وقال قوم منهم أربعين يوما وقال قوم ان آباءهم الأنبياء يشفعون لهم وقال قوم انه تعالى وعده يعقوب عليه السلام أن لا يعذب أولاده إلا نخلة القسم كل ذلك تقدم ألا ترى ان المسلمين وقوموا فى نفس ما وقع فيه اليهود ماذا فعل اليهود اتكأوا على شفاعته الآباء وآباؤهم أنبياء عظماء اتكأوا على أن الله عاهد يعقوب أن لا يعذب أولاده إلا نخلة القسم اتكأوا ذلك الاتكال فانظر ماذا حصل كانت النتيجة التهاون بالدين والتهاون بالمعاصى والتهاون فى الطاعات فلما دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم بحكم التوراة نكصوا فانظر أليس هذا عينه هو الحاصل الآن فى الاسلام اتكل بنو اسرائيل على شفاعته آباءهم واتكل المسلمون كذلك على الشفاعه . الشفاعه حق عندنا والشفاعة حق عند بنى اسرائيل يا عجب يا عاقب الله بنى اسرائيل ويسلبهم ملكهم لماذا لأنهم اتكأوا على شفاعته آباءهم الأنبياء ونحن فى ديننا نعتقد ان شفاعته الأنبياء حق بل منكرها يكفر فكيف يكون الحق سببا فى العذاب نعم يكون الحق سببا فى العذاب إذا أريد به باطل والذين يعملون شفاعته الأنبياء بابا للبطالة والكسل هم الذين اتخذوا الدين هزوا لعبا - ذلك بأنهم قوم لا يعقلون - وهذا هو الذى أصاب المسلمين اليوم . المسلمون اليوم إمامتهم توردون يمجحدون الدين وأما جهلاء يتكأون على الشفاعه الا قليلا من الفريقين تربوا تربية عالية منزلية أو مدرسية فإذا كان ذلك الاتكال سلب اليود ملكهم أيام النبوة وإذا كان الجدة والنشاط فى أمة الاسلام الأولى أورثها الملك المذكور فى قوله تعالى - قل اللهم مالك الملك الى آخره -

فهكذا في هذه الأيام أصبح الكسل والبطالة والافتكال على الشفاعة في أمة الاسلام سبباً من أسباب زوال ملكهم وضياع مجدهم وذهاب سعادتهم

فكأنه تعالى لما قال ألم في أول السورة يقول أنظر وافي آية - ألم تر لي الذين أتوا نصيباً من الكتاب إلى آخر الآيات فان اليهود ذال ملكهم بالتقاعد وبجعل الدين الذي أنزل ليكون عاملاً قوياً بالرقى لأخلاق واسعاد الأمة وصلاحها سبباً في الفسوق والكسل . لذلك زال ملكهم وقد وعدت محمداً صلى الله عليه وسلم أن تملك أمة كثيرة من الأمم وذلك لأنهم قوم عاملون مجتهدون غير مخترفين في كتابهم كما خرف اليهود . فاذرجع المسلمون كاليهود في أخلاقهم وعواندهم المذكورة فاني أعاملهم معاملة أولئك اليهود وأسلمهم ملكهم (هذا ما يؤخذ من تلك الاشارات) ولعلك تقول هذا يؤخذ من آيات أخرى من القرآن فافادة هذه الاشارة . أقول ان الاشارة دائماً أبلغ من العبارة

وإذا كان المسلمون اليوم مغترين بأوردينية فان هذه الاشارة تنبههم الى الرجوع عن ذلك الكسل ويظهر لي أن هذا هو الزمان الذي تظهر فيه أسرار القرآن وعجائبه ويظهر لي ان الناس بعد ظهور هذا التفسير وأمثاله سيجولون جولات في العلم والحكمة الاسلامية لاسيما ان الأمم الأوروبية اليوم قد اتجهت لدين الاسلام ولعلك تقول هذا عرفناه في سورة آل عمران

فما الذي تشير اليه ألم في أول سورة البقرة أقول تشير الى أهم ما في السورة وهو الجهاد وعلوم الطبيعة ذلك ان قوله تعالى - ألم تر الى الملا من بني اسرائيل من بعد موسى - جاءت في الجهاد والحض عليه فارجع اليها وقوله تعالى - ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه أن آتاه الله الملك الى آخر الآيات - فقد ذكر فيها محاجة ابراهيم للنمرود وكلامه في الشمس وأن الله يأتي بهما من المشرق فأتى بهما من المغرب وكذلك جاء هناك مسألة العزيز وأن الله أحياء وأحياء حماره وقال له انظر الى العظام وكذلك مسألة الخليل إذ قال الله له - أو لم تؤمن قال بلى الخ - وكل ذلك - حض على علوم الطبيعة والتشريح

فكأن ألم في أول البقرة تشير الى العناية بأمرين الجهاد والعلوم بتسميها الأرضية والسمائية ولا بقاء لدين ولا دنيا بغير هذين لاسيما في هذا الزمان كما جاء في هذه السورة ان الملك يدوم ما لم يجعل الناس الدين من أسباب التقاعد كما كان اليهود يفعلون

(تذكرة)

كأنني في هذه الساعة أنخيل طائفة من مؤمنين هذا الزمان جالسين في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ ألم لا اله الا هو الحق القيوم وكانهم لذكائهم أخذوا يفكرون ماذا يعني ألم حتى اذا وصل الى قوله تعالى - ألم تر الى الذين أتوا نصيباً من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون اني قوله تعالى وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون فكيف اذا جعناهم ليوم لا ريب فيه ان قوله تعالى قل اللهم مالك الملك الخ - وكانهم لما سمعوا ذلك قالوا يا ليت شعراً ماذا يعني من اليهود الذين مضوا وقد غرهم ما كانوا يفترون في دينهم وقد رفضوا أن يحكم لهم بحكم التوراة الخ ثم يقولون بعد أن يتدبروا لا بد أن يكون المقصود من هذا القول نحن معاصر المسلمين لاسيما في هذا الزمان فان اليهود أيام النبوة كان لهم دين مضى عليه زمن طويل فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون - ولذلك أدخلوا في الدين خرافات وألقوا بها وبثوا الأيام اغتروا بذلك الأوهام وخذعوا بها فجاءت أجيال صدقت بذلك الأوهام حتى صارت عندهم هي من الدين الأصلية وهذا عينه قوله تعالى - ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون - ثم كأنهم يقولون ألسنا اليوم غيرنا أيام النبوة وربما حصلت لنا تلك القسوة التي تحصل للأمم اذا طال عليها الأمد فهذه اليهود الأمد طال علينا ولعل قلوبنا قست فقد مضى على النبوة ١٣٤٣ سنة عربية وهي قرون كثيرة نامت فيها العيون ونعت الجفون وطال الأمد وقست القلوب ثم كأنهم يقولون

فلننظر في غرور في ديننا الذي أشاره القرآن لننظر في عيوبنا في هذا الزمان لننظر في ذلك لأن الم في أول
 السورة جاء مفتاح هذا العلم بها فتفتح خزائن العلم خزائن العلم المخزونة في قوله تعالى - ألم تر إلى الذين أوتوا إلى آخره -
 لأنهم مبدؤة بنفس الم فلننظر أين غرور لأن الله قال في آية سورة الحديد التي قدمت - فطال عليهم الأمد
 فقتل قلوبهم وكثير منهم فاسقون - أعقبه بقوله تعالى - اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم
 الآيات لعلكم تعقلون - فكأنه يشير إلى أن الأمة التي طال عليها الأمد وقت قلوبها وفسق أكثرها لا تأس من
 روح الله. فلننظر المخرج مما وقع فيه. وكأنهم يقولون لننظر في غرورنا نجده في العلم وفي النسب وفي الشيوخ وغير ذلك
 أمان في العلم فأننا اليوم لا نعرف من مقاصد الدين الا علم الفقه وأصوله وقد درج المتأخرون من المسلمين على ذلك
 بحيث يعتمدون به وبأصوله. فأما علوم الكائنات من طبيعيات ورياضيات وفلكيات فإن المسلمين لا يبالون بها. ومن
 قرأها منهم فتمت يقرأها لأجل الحياة الدنيا ولا يعتقد أن الدين يطلبها بل ربما اعتقد أنها تنافي الدين مع أن السور التي
 نزلت بمكة كلها ما كانت تدعو إلى النظر في عجائب هذه الدنيا وفي جمال النجوم وبهجة القمر ونور الشمس وبهجة
 الزهر وبهاء الزرع وحسن الشجر وعجائب البر والبحر وأكثر الأحكام الشرعية إنما نزلت بالمدينة فإذا أراد
 المسلمون ملوكا أو يتوبوا بعلم الفقه وحده فأنهم جاهلون. ليفعلوا كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ابتداء بالنظر في هذا
 الوجود وفي تهذيب النفوس ثلاث عشرة سنة ثم أكمل الله الدين له في عشرة أخرى وأنزل فيها الأحكام ثم يقولون
 اذن هذا خطأ يجب أن نتلافاه وجهل يجب أن نتجافاه وغرور يجب أن ننتهي عنه ونفلاه ونتركه ولا نرضاه فلنفرا
 العلوم كلها على أنها دين إسلامي فترتقى العقول أولا والأخلاق ثانيا وينتظم أمر الصناعة والزراعة والتجارة والدولة
 الذي هو من لوازم تلك العناية العلمية. وكأنهم يقولون هذا غرور عجمي أو رثا جاهلا فصحنا فان هذه العلوم الكونية
 نزلت من بلادنا إلى أوروبا ففرحوا بها وفرحنا بالجهل ثم كأنهم يقولون لم غضب الله على اليهود في هذه الآيات
 غضب عليهم لأنهم تركوا حكم التوراة أي لم يذو بالحكم (ومحصل هذا) أنهم خالفوا في أحكام شرعية لهذا كان الغضب
 منصبا عليهم. أما نحن فأننا خالفنا في أوراخهم من ذلك خالفنا في علم التوحيد ودراسته كمتفيعنا من التوحيد بالعلم المدون
 الذي لم يجعل إللا للرد على قوم مبدعين في الإسلام وهذا لا يكفي فان الحاجة شئ والعلم شئ آخر. غفل المسلمون
 عن القرآن ألم يدرسوا هذه الآيات المكررات في القرآن التي تحض على معرفة ماني السموات والأرض كما أوضحناه
 هذا هو المطلوب. فاغترار المسلمين اليوم بالاعتصار على علم الفقه وعلى علم التوحيد الذي حشى بالفلسفة الناقصة المشوبهة
 بعد عن الله أولا وعن رقي الأمة ثانيا

وليس الغرور قاصرا على ذلك بل يغتر لا انسان نارة بعلم الشعر وأخرى بعلم المعاني أو علم البديع أو أي علم كان
 جزئي كل ذلك اغترار وجهل فاضح فليكن المسلم المتعلم مأمرا بالعلوم اجالا بحيث يدرس هذه الدنيا ويكون له فيها نظرة
 كما طلب القرآن

هذا بعض الغرور بالعلم. ان هذا الغرور قد أدى إلى الجهل وبالجهل ذهب ملكنا كما جاء في هذه السورة
 - وتلك الأيام ندأولها بين الناس - فكأن آباءنا آتاهم الله الملك لما لم يغفروا وبغرور نادالت دولتنا
 (الغرور بالنسب)

يغتر بعض الذين ينتسبون إلى العظماء وإلى بيت النبوة بذلك النسب ويفرطون في الأمور الدينية أو في العلوم
 والمعارف فهو لا يفرق بينهم وبين بني اسرائيل اذ اتسكوا على أن الله قال ليعقوب لا أعذب أبناءك الا تحلة القسم
 فهو لا المسلمون الا شرار الذين وقع في قلوبهم هذا القول مغرورون لأن الدين جاء ليرقي الأنفس لا لخدلها وخسرانها
 والآباء الذين ارتقوا بالنبوة ولعلم لا يرضون عن أبناءهم الذين يجهلون دينهم ويخالفون أمرهم - ألم تر إلى قوله تعالى
 واذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتممت قال اني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا يزال عهدي الظالمين -
 فعلى من اطلع على هذا وعلى من تنور من المساميين أن يبينوا للناس كتاب الله وأن يشرحوا للمسلمين طرق الاغترار

التي شرحها الامام الغزالي في الاحياء حتى يرجع عنها المسلمون

(الاغترار بالشيوخ)

ومن الاغترار الشائع بين المسلمين انهم اذا اتبعوا شيخا بطريق العهد جعلوا توكلهم كله عليه بحيث لا يعرفون الا قوله ولا يسمعون الاعامه وقد تركوا عقولهم وتفكيرهم والقرآن بين يديهم فلا يتفكرون ولا يتذكرون وهؤلاء يتكلمون على شيوخهم في مغفرة الذنوب والشفاعة وهذا كله نهاون وجهالة فعلى المسلمين أن يتبصروا ويتعلموا - والله هو الولي الحميد -

(ميزان بيان المغترين من المسلمين والموفقين)

هذا بيان جامع لعلامات العلماء الذين هم مغترون واعلماء الذين هم موفقون وكذلك الأمم التابعة لهم هذا الذي سأذكره تبين لهم وتعريف لأحوالهم وتمييز لهم عن الموفقين من علماء الاسلام وعالماتهم فاعلم أن كل ما يؤدي الى كسل المسلم وتواكبه ونومه وقسوته وتأخره في دينه أو دنياه غرور وجهالة وكل قول أدى الى القساة وقوة العزيمة والصبر والتناعة والهمة العالية وأحراز العلوم ومغالبة الأمم فذلك من صفات الموفقين وشيم الفضلاء وحكما الاسلام

والدليل على ذلك ان الأمة العربية وان كانت قبل الاسلام قوية الشكسية والعزائم والهمم لما جاء الاسلام جمعها وأرسلها الى اصلاح الأمم شرقا وغربا فهذا هو الاسلام هو الذي زاد شجاعة الشجعان ووجهها الى عظام الأمور ومنافع الجمهور

فأما الأمم الاسلامية الحالية فانك ترى كثيرا منهم لا يزالون يظنون أن ديننا يرضى التواكل والكسل والجبن فيفرون من الفضائل والأعمال الشريفة والعلوم . واعلم ان علماء علموهم هذا التعليم غارون ومغرورون وأن ملوكهم كارضوا بهذا النوم والجهل لملوكهم يغفلون

فهذا الميزان زن أعمال الأمة الاسلامية وأحوالها فاذا رأيتم يتكلمون على شفاعات الأنبياء أو على نظرات الشيوخ الذين علموهم أو على عطف مشايخ الطرق الذين لنفوسهم وهم في ذلك كله متكلمون فاعلم أنهم مغرورون والذين علموهم غارون فان هؤلاء لم يفهموا الشفاعات المقلوبة ولا نظرات شيوخ الصوفية الا مختلة معتلة

وهذا في الحقيقة الانتكاس . لو كان المتقدمون في الصدر الأول يفهمون الشفاعات كما فهمناها ما بلغوا مشارق الأرض ومغاربها ولا أذابوا ما بهجهم ولا نفوسهم في سبيل الله . ومن الجهالة أن يعرف الانسان باب الجنة بلا عمل ثم يحشم نفسه المخاوف والمصائب واقتحام الأخطار . فلو كان علمهم كعلمنا مقلوبوا بما علموا ولا علموا ولا جاهدوا لم يكن لهم ملك ولا دول منتظمة ولا حكومات عادلة ولا علماء شريفة في الشرق والغرب

فأما بعض مسلمي العصر الحاضر فأنهم جعلوا شفاعات الشفعاء اغراء بالمعاصي وببها للجهالة وخروجا عن الأدب والله ان هذا انقلاب وجهلة عمياء اذا ظن المسلم أن ديننا يرضى هذا النوم فهو مغرور

فهذا هو الميزان الذي يميز به المغرورون والموفقون الصادقون . اذا علمت هذا أدركت المناسبة بين قوله تعالى - وترحمهم في دينهم ما كانوا يفترون فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون -

وبين قوله تعالى - قل انهم مالئ الملك الخ - هذه هي المناسبة بين هذين المقامين غرور وفوز والملك استقامة فلك اليهود والنصارى وافتاوى دينية لا توافق أصل الدين فزال ملكهم وهكذا كثير من ملوك الاسلام ألقى اليهم الدين وغير شكل العلم والعمل فيه فزال ملكهم وهذا كله سر قوله تعالى الم في أول السورة بهذا يفهم بعض سر القرآن الآن وأن هذا السر واظهاره لا رتقاء أمة الاسلام

لم يمنع الشرف الاسلامي من الرقي الاجهلي القاعين بالدعوة ان الناس يؤثرون بوجودهم ولو كان الوجدان خطأ ودلا لا مبينا فلو وجه الوجدان الى عجائب العلم ومقاصد الدين من الارتقاء العلمي لكان في الشرق أم لا يقاومها أحد

(نموذج من بدع الدعاة الجاهلين)

بينما أنا أكتب هذا التفسير : أذ جاء في جريدة الاهرام يوم ٨ مايو سنة ١٩٢٥ - ١٥ شوال سنة ١٣٤٣

تحت عنوان

(دين جديد)

في سور يا يؤله على بن أبي طالب وهاك نصه

ظهر في بعض قرى العلويين القريبة من مدينة حصص متنبى جديد يدعى عباد على بن أبي طالب رضى الله عنه بشك بطنى فتبعه كثير من العلويين وزعمائهم . ولما استفحل أمرهم في قرية (العاليات) أراد بعض رجال الأمن أن يدخلوا هذه القرية لفحص الحقيقة فأطلق التوم عليهم الرصاص فاستدعوا قوة من حصص حضرت قوة من جنود الدرك ثم حضرت من دمشق ثلاث سيارات مدرعة تحمل الجند المختلط من فرنسيين وسوريين فأندروا القرية بوجوب الاستسلام لقوة الحكومة وبعد الانذار أطلقت عليها النيران فقتل من الأهلى واحد وثلاثون قتيلًا بعد أن قتل قبل ذلك وعددا الجرحى الكثير العدد . ثم دخلت القوة إلى القرية وقبضت على الرجال وساءت النساء إلى جنود الجيش المختلط وأرسلت الجرحى إلى مستشفى حصص بالسيارات . وكان شعار أتباع المتنبى الجديد (لا إله إلا على)

وبعد تلك الواقعة تجمع بعض زراع قرى (الرقامة) و (البلهيا) في الوادى فخرجت عليهم سيارات مدرعة فقتلت اثنين وجرح اثنين وبلغ عدد المذبوح عاشرهم أكثر من مائة شخص ووصف مراسل الزمان في حصص سبب هذه الفتنة فقال

ظهر في العام الماضى مشعوذ نصيرى ادعى النبوة في بلاد العلويين تخافت الحكومة شر الفتنة بعد أن رأت خطورة هذه الدعوة فأصدرت أمرا بإبعادها إلى قرية اسمها العليليات من قرى أملاك الدولة في حصص تبعد عن هذه المدينة ١٥ كيلومترا إلى جهة الجنوب الشرقى فأخذ (النبى) ينشر لواء دعوته في تلك القرية ويعمل ببد ونشاط والعين غافلة عن أعماله وأفعاله إلى أن استطاع اقناع أهالى القرية وهم من العلويين باعتماد دينه الجديد فاشتدت عزيمته وقويت شوكتة وأصبح تابعوه يفتنون بالمهيج والأرواح وظلت عائلتان سنييتان يعيدتين عن دينه ورفضتا قبوله رفضا باتا فهاج عليهما أهل القرية فقتلوا أفراد تينك العائلتين بصورة شنيعة إذ أحرقوا منازلهما وهم فيها

وعلمت قيادة درك حصص بهذه الفاجعة فجهزت حملة تتألف من ١٥ دركيا وعلى رأسهم قائد درك حصص ٦٠ جنديا من الجيش المختلط بقيادة رئيس افرانسى

ولما اقترب الجنود من القرية عند ظهر يوم ٢٩ المنصرم قابلهم الأهالى بسحق الحجارة واطلاق الرصاص وقاوموهم بشدة إلى أن حل الظلام وطوقت الحملة تلك القرية العاصية وطلبت من دمشق تعزيزها بقوة أخرى فوصل المدد في اليوم الثانى (٣٠ إبريل) وبدأت الحركات العسكرية في الساعة الأولى وبعد مقاومة دامت نصف ساعة احتلت الحملة تلك القرية وفي طليعتها (أربع سيارات مصفحة ذات الرشاش) وقد قبض على ٦٢ شخصا من أهالى القرية وبينهم على ما اتصل بنا (النبى) الدموى

أما عدد الجرحى والقتلى فقد ذاع عنهم أكثر من ١٢٠ إلا أن مخبرنا استطاع الاطلاع على الاحصاء الرسمى وهذا هو بلغ عدد القتلى الذين قتلهم الأهالى أحراقا ١٨ منهم ٨ رجال و ٦ نساء و ٣ صبيان و طفلة . وبلغ عدد الجرحى الذين أصيبوا أثناء مقاومة الدرك ٢٧ منهم ٢٣ رجلا وأربع نساء والقتلى ٢١ رجلا

ولم ينل رجال الحملة أذى يذكر وما يذكر أن أهالى القرية كانوا يقاتلون برابطة جاش وثبات وإيمان أوجد هانى نفوسهم ذلك النبى واعداء اياهم بالنعيم والرضوان . وكانوا ينادون (لا إله إلا على) عند الهجوم على الجنود

هذا هو الذي ذكرته جريدة الاهرام وان ذكروا هذا التفسير من عجائب الحكمة الالهية فان هذا النبي
اشد شغفه بسيدنا على كرم الله وجهه اعتدأ الوهية ثم اعتقد انه نبيه ثم ان تأثر وجدانه بهذه العقيدة انتشر في سامعيه
فصاروا مثله موقنين وهذا عجيب جدا يقوم المبتدع بوجدانه فيؤثر في الناس فيفقدونه بمهجمهم ولا يرجعون عن
عقائدهم ويردون انفسهم في الهلاك والعذاب والدمار والأذى كل ذلك للعقائد الثابتة في النفس بما أثر فيها من
الحكايات المتقولة والآثار المشروحة في الكتب صادقا أو كذبا

فيما لست شعري أعجز المسلمون أن يذهبوا بالعلوم حب هذا النبي وأتباعه للبدعة أنتم المسلمون حتى سبقهم أهل
البدع فصاروا احرص منهم على بدعتهم

يجب ان يكون تعليم الاسلام بهيئة غير التي نحن عليها الآن فليحبب الله لهم بحمال صنعه ويحبب النبي صلى الله
عليه وسلم بأخلاقه وكلامه واتسكن للدين صورة تهز القلوب فأما الاقتصار على الشور فهو الذي أنام الأمة آمادا
طوالا وقد آن أوان السعادة وأقبلت أيام السيادة

ذكر غرور المسامين في هذا الزمان وذكر أنواع الغرورين الذين ذكرهم الامام الغزالي اجلاء لقد علمت ان
الذي فتح باب هذا المقام انما هو قوله تعالى الم نزل القرآن وكانت له حلاوة في القلوب وروعة تأخذ بالآلباب وعلم الله
أن أمة الاسلام ستأخذ أوار الأمم التي قبلها كما جاء في بعض الأحاديث المشهورة فتخط بعد ما لوها وتسفل بعد ما ارتفعاها
فأراد أن يرينا كيف السبيل الى الخروج من المأزق اذا ارتطمنا في أحوال الغرور واتابنا نوائب الخذلان والجهالات
فأنزل الحروف المفرقة ففتحت لنا باب العلم وقيل لنا اذ نزل بكم الغرور وصرتكم كاليهود أيام النبوة وغرركم في دينكم
ما تفترونه فارجعوا عن هذا الغرور وليوجهكم عقلاؤكم الى الحقائق الناصحة ومن أعظم الغرور أن يقول المسلم
اني منصور لأن الله ينصر المسامين . ويأتي بآيات وأحاديث كت قوله تعالى - الله ولي الذين آمنوا - وكقوله
تعالى - ان ينصركم الله فلا غالب لكم - وكقوله تعالى - وكان حقا علينا نصر المؤمنين - وكقوله تعالى
- لينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز -

وينقل ذلك الفكر من جماعة الى جماعة حتى اعتقد المسلمون ان الله ينصرهم على أمة الفرنجة وان كان
المسلمون جاهلين متعادين متحاسدين غافلين وذلك من أعظم الغرور هذا الغرور هو بعينه الذي كان عند اليهود
أيام النبوة اغتروا بما ينقل اليهم عن سلفهم ففترت همهم واتسكوا على الآباء نخابت آمالهم ويطن المسلم ان الله
ينصره لأنه على دين الاسلام وفاته أن صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم كان هو نفسه يخرج للقتال ويحارب فلو كان
النصر بالعلم ولا عمل فضيلة لكان الأولى به صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم فيظن أغبياء المسامين من شيوخ
وعامة أنهم أكرم على الله من صاحب الشرع فقد أخرجه لغزوات فنصره فأما هم فأقعداهم ونصرهم فهم على هذا
أعز على الله من صاحب الشريعة وهذا غرور عظيم أضاع بلاد الاسلام فان ضياع الأمم وخرابها لا يكون الا بعد
خراب عقول أبنائها وأي خراب أعظم من خراب هذه العقول المائتة

(حكاية تركي قديم)

منذ ثلاثين سنة حدثني أحد الباشوات الترك قال اتنا حفظنا دولنا التركية ستائة سنة ولم يكن عندنا هذه الآلات
الحديثة فمضى حاجتنا انما الله حافظنا دولتنا فلا حاجة الى أمر جديد . ثم قال ان القوم يقرؤون الفتوحات المسكية لمحيي
الدين بن عربي ويقولون ماذا تريد بعد ذلك ومعنى هذه العبارة انهم لن ينظروا في شيء بعد ما هو عندهم علما من
الفتوحات المسكية وعملا بلا أنظمة الوجود وما عد ذلك فهو لاقية له

سمعت تلك الحكاية أيام حكم السلطان عبد الحميد وتأملت أشد الألم واعتقدت ان الفرنجة لا بد هاجون على
دولة الخلافة ثم مضت سنون وسنون ومزقت الدولة ولكن الله سبحانه وتعالى أرجع اليها شبابها الما غيرت الأفكار
ولا يعلم الا الله ماذا يكون في المستقبل القريب والبعيد

أصناف المغرورين من كلام الغزالي جعلهم أربعة أصناف العلماء وعباد والمؤفة وأرباب الأموال فالعلماء (١) فإما أن يغتروا بحكم الله تعالى الشرعية والتقوى ومما ينبغي أن يكون قد تركوا تهذيب نفوسهم فهم شرعون غاصون ظالمون لا يعرفون مكانة النفس (٢) وإما أنهم يعرفون علوم الأخلاق الباطنة ولكنهم يظنون أنهم أكرم على الله من أن يلاحظهم بها (٣) وإما أنهم يعرفون الفتاوى الشرعية ووظنوا أنهم بذلك يخدمون الدين وقدوا الأعمال الظاهرة والباطنة (٤) وإما أنهم يشتغلوا بجمع الجدل في علم الكلام في رد لائيه لواردة فيه وضيعوا أعمارهم في ذلك وأفهموا الناس أن الدين لا يتم إلا ببرد هذه الشبه وهذه الكذيب جاءت في الأمة الإسلامية فالصحابة كانت تحيط بهم الأكاذيب والشكوك وما تعرضوا للرد عليها ولا يضيعوا في ذلك زمانهم (٥) وإما وعظماؤهم لهم إلا السمع والليت ولا قلوب لهم ولا وجدان (٦) وإما فتناء استباحوا لأنفسهم بالفتاوى ما يحرم بالشرع حقيقة واكتفوا بالظواهر وهذا غرور عظيم

وأما العباد (١) فمنهم من أهمل الفرائض واشتغل بالنوافل والفضائل (٢) ومنهم من غلبت عليه الوسوسة في نية الصلاة (٣) ومنهم من غلبت عليه الوسوسة في إخراج حروف الفاتحة (٤) ومنهم من اغترى بقراءة القرآن فيهدونه هذا ور بما يخفونه في اليوم والليلة مرة (٥) ومنهم من اغترى بالصوم بل ربما صام لدهركله (٦) ومنهم من اغترى بالحج من أن عليه ديوتا وحقوقا (٧) ومنهم من يصر بالمعروف وينهى عن المنكر وينسى نفسه (٨) ومنهم من يجاور بمكة وليس له من المحامد غيرها اقتضارا

وأما المتصوفة (١) فهم إما مغترون بالزنى والطمثة والقلوب خالية (٢) وإما مغترون بالأسماء والألفاظ كالمشاهدة والتجلى والوصول وبهذه وأمثالها يغترت نفس فيقول أنا واصل والفقهاء والمفسرون مغرورون والعمامة جبر وهكذا (٣) وإما مغترون بلزخدوا بالله والوجد والحب لم ينفقوا يتخيل أحدهم في الله خيالات حتى بدعة أو كفر فيمدعى الحب قبل المعرفة (٤) وإما مغترون بخدمة الصوفية ولا غرض لهم إلا الشهرة (٥) وإما مغترون بدقائق علم النفس والبحث عن رذائلها فتضيع حياتهم في ذلك غرورا (٦) وإما مفتوح عليهم ولكن كلما فتح عليهم شيء أعجبوا منه وفرحوا به فحجبوا عما بعده (٧) ومنهم من لم يمنع الفرح بل ارتقى حتى اقترب من الله وظن أنه وصل إليه فوقف فهو مغرور

وأما أصحاب الأموال وهم الصنف الرابع (١) فهم إما مغترون ببناء المساجد والتسكيات الخ والمال مأخوذ ظاهرا ولا ينفعهم كتابة أسمائهم عليها ولا يغفر الله لهم (٢) وإما مغترون بسبب البنات المذكور والمال حلال وسبب الغرور أنه قد يكون هناك وجوه تقدم على هذا البناء (٣) وإما مغترون بالعبادات وقد غلبوا بالأموال (٤) وإما مغترون باخراج الردى واللزكاة فقط هذا اجمال أصناف المغرورين من الأحياء

(الاعتذار بعلو الآباء)

ومما ذكره وشدد فيه التمسك بإصلاح الآباء وعلو رتبته قال الامام الغزالي كان يترار العلو يذنبهم ومخالفتهم سيرة آباءهم في الخوف والتقوى والورع يظنهم أنهم أكرم على الله من آباءهم إذ آباؤهم مع غاية الورع والتقوى كانوا خائفين وهم مع غاية الفسق والفجور آمنون وذلك نهاية الاعتذار بآلة تعالى وضرب أمثلة لذلك كمنوح وابنه وكيف زين الشيطان للعلوي هذه المعصية فغرد له أقول ويقترب من هذا

إذ اغترار أمة الاسلام اليوم والعداوات قد فترقت شملها والعلم جمع شمل في هاني أوروبا وأمريكا لقد علمت أيها لفظن كلام الامام الغزالي ولومه لبعض العلوية في زمانه وكيف خالفوا آباءهم الأولين الذين كانوا مجتهدين خائفين وهم في الكسل آمنون فانظر حال المسامين اليوم كلهم وإن بينهم بين أسلافهم أنظر كيف رجع أبناء العرب منهم الى ما كان عليه آباؤهم الأولون قبل زمن النبوة من تفرق الكرامة والجهالة السوداء أنظر كيف أصبح كل فريق منهم تحت حكم دولة من دول أوروبا

لذلك كان أشهر الدول أيام النبوة اثنتين فارس والروم وكان أبناؤنا نحن أبناء العرب يكادون يكونون تحت إشراف الدولتين فلكل منهما نفوذ في الجهة التي تليها

فلما جاءت النبوة انقلبت الحال وأصبح السيد سودا والحاكم محكوما وسار أبناء العرب من جزيرتهم أي شمال أفريقيا مصر وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش ثم ساروا إلى بلاد الأندلس ولما مضى دورهم تخلصوا من الأندلس وانسكمتوا في شمال أفريقيا إلى الآن وهاعلم الآن نهب مقسم بين دول أوروبا فبعد أن كانت أوروبا ليس فيها دولة ذات غلبة أيام آبائنا إلا واحدة أصبحت اليوم دولا كثيرة كما انشربنا نحن في الأرض وصرنا أمم ففرقنا الله عليهم وأصبحت فرنسا في مراكش ومعها أسبانيا وفرنسا أيضا في الجزائر وإيطاليا في طرابلس وانكلترا في مصر وفرنسا في الشام واليهود مع الانجليز في فلسطين والانجليز أيضا في العراق . أنظر كيف رجع أبناء العرب إلى حالهم قبل النبوة بحال مكدر واستعباد شنيع

وانما فعل الله ذلك بنا لما ذكر في نفوسنا من الجهالة العمياء والاغترار والاستكبار والعظمة الجاهلية . أنظر ماذا كره الامام الغزالي من أصناف المغترين فإياك أن يجول في خاطرك أن هذا التشديد الذي ذكره خارج عن المعقول أو تظن أن ذلك مبالغة لا يسلم منها أحد كذا

وأنا أوضح لك المقام الآن لعلم أن أولئك المغترين من أسلافنا هم الذين أوقعونا في الاستعباد واذلال أوروبا . أنظر إلى أصناف العلماء وأصناف العباد وأصناف الصوفية وأصناف الأغنياء الذين مضى ذكرهم في كلامه . أنظر كيف ترى أن الصوفية في زماننا أكثرهم في جهالة عمياء فانهم عادة يقطعون الصلة بين تلاميذهم وبين مجموع الأمة ويفهمونهم أنهم على الحق وأما سواهم فأنما هم قوم مغرورون وهكذا العلماء المعاهد الدينية الذين لا يعرفون من دين الإسلام إلا الفتاوى الشرعية التي تليق بالقضاة فهو لا يبالون غالبا بتهديب النفوس ولا بغيره وهكذا العباد يرون أن الخير خاص بهم وهكذا المترون . فالاغترار في هذه الأقسام الأربعة راجع إلى قصر النظر وانفصال كل طائفة عن سواها ودعواها اختصاص الهداية بها

لذلك تجد أبناء العرب في العراق وفي سوريا وفي فلسطين وفي شمال أفريقيا تجاوزت ديارهم واتحدت لغتهم واتحد دينهم وهم من أصول متجانسة فهذه أربعة أسباب للاجتماع والتآلف قد جهلوا وقطعوا حبلها وجهلوا أنفسهم وسفهبوها فلا باللغة تواصلوا ولا بالجنس تعارفوا ولا بالديار اتحدوا ولا بالدين ائتملوا ففترقوا مذاهب وانماوا واجتنب أرباب الطرق كل واحد منهم طائفة لنفسه وأنما هم في كنفهم وهكذا المسمون بعلماء الدين فلما فترقوا ولم يفهموا سلاط الله عليهم أوروبا كما قال الله تعالى في قوم - تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون - فانظر كيف جعل تفرق القلوب من أجل عدم العقل

أوليس من المبكى أن يكون هؤلاء سبب ارتقاء العالم الانساني منذ ألف سنة ثم يصيرون الآن عبرة الأمم ضعيفي الهمم ان آباءنا هم الذين علموا الأمم واجتنبوا إلى دينهم أهل الهند وجاوه والصين وغيرهم وأمم الترك فكيف أصبح الخلف على تقيض ما عند السلف

وكيف أصبح أهل الممالك المتحدة الذين لا يجمعهم جنس ولا أصل قد أصبحوا أمة واحدة مع انهم ممالك يعدون بالعشرات وأبناء العرب الذين كان أبائهم مصيحين العالم أذلاء متقاطعين جهلاء أغبياء حتى انك ترى نفس الجزيرة العربية التي لا تعدو عدد أصابع اليد من آلاف الألوف مشتتة على ممالك متفرقة متناكسة مختلفة متنافرة متعادية كجاهلية الأولى فهم أذئاب الأمم

فأما الممالك المتحدة ففيها نحو مائة ألف وهم مملكة واحدة خافت العالم وأزعجته وارتعدت لها فرائص أوروبا كل ذلك لأن القوم علماء ونحن جهلاء وهكذا أمم الانجليز وغيرهم كل منهم اتحدوا وعاشوا في أمن لأنهم متعلمون فالعلم هو الذي رفعهم

ولست القوة وحدها بغنية لا ترى إلى الآساد كيف تجمت عن مهاجمة الدس في البطان ذلك لقلة عتو لها مع
انها لو قتلت لأفنت الناس هكذا الأمم لاسلامية اليوم انما منعهما عن الاتحاد انها أم مغتر بأصناف الغرور التي ذكرها
الغزالي المجموعة كلها في قوله تعالى على سبيل الإشارة (فرحوا بما عندكم من العلم)

﴿ ودواء هذا الداء وكيف يرتقي أبناء العرب خصوصا وأبناء الاسلام عموما ﴾

لا سبيل لرقى هذه الأمم العربية أولا والأم الإسلامية ثانيا إلا أن يبدأ أولا أبناء العرب بتعميم التعليم للرجال
والنساء ويكون ابتداءيا وثانويا وعاليا لكل بقدره ويكون الثانوي مشتملا على نظام هذه الدنيا رجاها كما
تفعل دول أوروبا وتكون تلك العلوم بمنزلة بعض الامتزاج آى القرآن كما فعلت في هذا التفسير اذ اعم التعليم
في العراق وفي سوريا وفي مصر وفي بقية شمال أفريقيا هنالك يحصل التعارف بقراءة تاريخ أجدادهم
وتخطيط بلادهم وقراءة أسرار دينهم وأدب لغتهم فيتواصلون باللوب وبالطرق الحديدية والسفن الهوائية
والبحرية ويتعارفون واذن يكونون هم أولى بأن يكونوا أممك متحدة من الممالك المتحدة ومتى فعل ذلك
أبناء العرب قلدهم المسلمون في الشرق وساعدتهم اخوانهم الترك الذين قد أدركوا الأمر وابتدؤا يتعارفون
فيعرف كل منهم أخاه التركي في بلاد روسيا وفي بلاد الصين وهم في العالم نحو ثمانين مليونا فهم يريدون أن يتحدوا
من حيث اللغة والجنس . هكذا فليفعل العرب ثم يكونون مع اخوانهم الترك أمم متعاونة لاجتماعهم معهم في
الدين وفي الجوار وفي أنهم أم شرقية

هذا هو الذي يزيل الغرور من أمة الاسلام فان قراءة العلوم المختلفة تحجب سائر العلوم للانسان فيعرف كل انسان
أن عند غيره مزية ليست عنده فلا يحتقر الصوفى عالم الفقه ولا عالم الفقه الصوفى ولا العابد الغنى ولا الغنى العابد بل
هم جميعا يتصافون . هذا هو الدواء الناجع لامة الاسلام (فان لم يكن ذلك فقل على دولهم وعلى أبنائهم السلام)
ذلك سرّ قوله تعالى - وعرهم في دينهم ما كانوا يفترون - الذى هو سرّ المذكورة في أول السورة
فقد أرشدتنا الحروف الثلاثة الى قمة اليهود والمغرورين بشفاعاة الاباء وتوصلنا بذلك الى سرور المسلمين وجهانهم ونقلنا
ملخص المغرورين من الاحياء وعرفنا الدواء وهو العلم فلسفه ون اليوم غرورون . لذلك هم متهورون والعلم هو
الذى يدفعهم الى درجات الأمم الصادقة القوية

ذلك بعض أسرار القرآن التي أظهرها الله تعالى في هذا الزمان ولله الأمر من قبل ومن بعد وهى تم ما قلناه
يفرح المؤمنون بنصر الله

﴿ موازنة هذا المقال برأى ابن خلدون ﴾

اعلم أن العلامة ابن خلدون يقول في مقدمته ان العرب لا يجتمعون إلا على نبى أو ولي يريد بذلك انهم ليسوا
كغيرهم من الأمم يجتمعون اجتماعا سياسيا بعقولهم . تقول ان الطريق الذى سلكناه في هذا المقال الذى سيتم إن شاء
الله تعالى قد جمع لهم بين الدين والعلم ويرجعون الى العالم وينبذونه أكثر مما كانوا سابقا ويكونون هم وبقية المسلمين
شرفا ونورا لنوع الانسان

﴿ عجائب البلاغة في القرآن والعجائب ﴾

انظر الى بلاغة القرآن في هذا المقام . انظر الى الإيجاز الذى يعجز العالم قاطبة أدهش العلماء في الاسلام . البلاغة
في إيجاز قوله تعالى - وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي - وفي قوله - ولكم في التخصاص حياة -
وهكذا فليكن دهشهم هنا أعظم انه لم يكن من نظام البلاغة أن يخاطب الله المسلمين قائلا لا تكونون بعد قرون مقسمين
الى أمم وأصبحون تحت أيدي الفرنجة بجهلكم وغروركم وظهور طوائف الفقهاء الصوفية والعباد والأسمياء الذين
يدعى كل فريق منهم أنه هو المختص بالنعمة ويحقر الآخر وبهذا الغرور تكونون طوائف الى آخر ما تقدم . لم يذكر
الله ذلك لأن فيه كسرا لحدة القوة الدينية إذ ذاك ولكن لابد من ذكره مرزا لهذا وغيره مما سمعته في هذا المقام

بقوله ألم فهذه الحروف الثلاثة ذكر الداء والدواء

بهذا وبأمثاله يكون عجز القرآن بهذا يعرف معنى قوله تعالى - أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكري لقوم يؤمنون - فالذكرى قد قرأناها في هذا المقام والرحمة هي اجتماع أبناء العرب وبقية الأمم الإسلامية اجتماعاً علمياً يطلب به الدين ويفوقون أبناء الفرنجة فهذه هي الذكرى وهذه هي الرحمة وهذه مميزة القرآن الذي هو المعجزة الباقية لآخر الزمان إذ خاطبنا الله تعالى بلفظ ألم وعلمنا علم العمران والسياسة وقد خزنها في كتابه العزيز وأبرزها في هذا الزمان لما آن الأوان . فهذا يمتاز القرآن بمجزته عن قلب العصا حية وإبراء الأكمه والأبرص فبمثل هذا تحيا أمة وتشفى من المرض على طول الزمان وتقلب القلوب الجامدة فتصبح عاقلة مفكرة في أمة متعاقبة إلى آخر الزمان - والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم -

(اوضح - كيف يزول الغرور من أمة الاسلام)

أيها المسلمون ها أنتم أولاء قرأتم قصة اليهود أيام النبوة وكيف غرهم في دينهم ما كانوا يفترون وعرفتم أن الله ورث اليوم وقبل اليوم أمة الاسلام علماءها وعبادها والصوفية فيهم وكيف كان علم الفقه وعلم التوحيد وعلم التصوف والانكباب على حج أو على صلاة مع ترك بقية الأعمال النافعة في الامة الإسلامية كما تقدم عن الغزالي أورث المسلم غرورا عظيما فيقيم بالحج أو بالصلاة أو بالصدقات أو بالصوف أو بغير ذلك . وقلنا ان هذا فرق العرب الذين على يديهم قام هذا الدين فأصبحوا في ديارهم خاضعين للفرنجة ذلك كله بالغرور . اللهم إني أحمدك وأشكرك اللهم انك انت المعلم والمرشد . اللهم إني عاجز عن حمدك وشكرك فطالما كنت أقول في قلبي ما دواء الاسلام وما دأؤه وما حال الصوفية وهل هم قاموا بما عليهم مثلا وهكذا فقد اوضح الأمر الآن وعرفت الحقيقة بمعوة الامام الغزالي في الاحياء فقد جرت أني بصريح عبارته أن أبرز للناس الحقيقة فلا عطر بعد عروس ولا مخبأ بعد بوس . وقد اوضح الأمر فلنكشف الحقائق فنقول

أمر الله المسلمين بالنظر في هذا العالم المشاهد فقال تعالى - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - وقال أيضا - والذي قدر فهدى - وقال - أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض الخ - وغير ذلك

خلق الله العيون للناس والاسماع والقلوب ثم ساط عليهم الجوع والعري والحاجات الكثيرة ليتخذوا لهم ما يستد حاجتهم مما حوهم ويتعلموا من نظام الطبيعة . ذلك أودعه الله في الفطرة فنظر الناس إلى النحل والنمل والغراب وكلاب البحر وأمثالها فوجدوا لها جماعات منظمة فيكون الخلية الواحدة من النحل ملك وشغالون وجامعون للعسل وجامعون للشمع وحارسون من دخول الأجانب . وهكذا أمر النمل . فله ملكة وضباط للجنود ومحاربة ومربون للصغار وحجرات خاصة لكل جيل من أجيال الذرية . وأظا رجع نظر لترية الذرية وهكذا مما استراه في سورة النحل والنمل . فلما رأى الانسان ذلك قديما كونه جعياته ونظمها ولكن لا كنظام النمل والنحل بل أقل ثم ارتقى الانسان اليوم في جماعته كما استرى التربية في أمريكا قريبا في آخر هذا المقال وكيف جعلوا المدارس كأنها نظام المدينة كلها وكانهم اذ ينظمون تلاميذهم ويعطونهم العلوم العقلية والصناعات اليدوية يقرؤون قوله تعالى - لا يكاف الله نفسا إلا وسعها - فيما تقدم في سورة البقرة أو كأنهم يقرؤون قوله تعالى في هذه السورة - واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا - أو كأنهم يقرؤون غزوة أحد وقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه وقسم عليهم الأعمال المسلمون من مخلوقات الله تعالى وهم ينظرون بأعينهم

- (١) قطرات الماء تتحد في النهر فتغرق القرى وتملك البلدان (٢) وتسقى الزرع وتدر الضرع
- (٣) وذرات الهواء باتحادها وجريها تهدم الحصون والقرى وتقطع الأشجار كما تنزج السحاب وتنفع الناس
- (٤) ويشاهدون النمل والنحل وكلاب البحر والغراب والجمهوريات النظامية
- (٥) ويشاهدون الممالك المتحدة في أمريكا والممالك الأخرى هناك كيف نظمت ممالكها مع اختلاف الأقوام

(٦) ويسمعون عن المدارس هناك كما ساذكره قريبا وذلك أن المدرسة فيها العلوم والصناعات فالتعليم بناء أو نجار أو خائط أو صانع الكهربية أو مواسير المياه والتعليم خائطة أو طبخة أو منظفة وهكذا نجد المدرسة مستقلة في زرعها وغرسها ودوابها وعماراتها والطلاب يصنعون كل شيء عقلي وحسي وهذا هو الذي يناسب نظام عالم النحل والنمل ويناسب القرآن والدين ويخالف كل المخالفة حال المسلمين قديما وحديثا بعد القرون الأولى فالعالم الفقهي بفقهيته مغرور والعالم بالتوحيد مغرور والصوفي مغرور والمعابد مغرور وكل حزب اقتصر على شيء من الدين وشمخ بأنفه عن الباقي فهو مغرور

وما دين الإسلام إلا العلم والعمل بكل ما يحتاج له المسلمون في كل زمان بحسبه كما فعل أهل أمريكا وغيرهم في الوقت الحاضر فلا يكون قوم بسبب الدين عالة على قوم بل كل الناس متعاونون ولقد ذكر الله المسلمين بهذا كله ذكرهم بالنظر في السموات والأرض فأعرضوا وقرب الأمر لهم فأنزل سورتين أحدهما باسم النحل والأخرى باسم النمل فما فكروا. أخيرا خلق لهم أمريكا التي قلدت النحل والنمل والغربان وكلاب البحر وأما كثيرة من الطيور وغيرها فأعرضوا علم الله ذلك فقال لهم - واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا -

فانظر كيف جعل هذا المعنى في الماء الجاري وفي الهواء وفي النحل وغيره وفي أمم الإنسان الراقى اليوم كل ذلك نصبه الله للمسلمين . ثم أسمعهم كلامه فقال تعالى - واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا - الخ وهل بعد البيان في هذا التفسير عند المسلمين إذا بقوا على القديم كلا فليعلم الرجال والنساء والعظيم والحقير العلم والصناعات من نجارة وحدادة وصناعة الأحذية والطباعة وغير ذلك ومثل بعضهم بدفن الميت والصلاة عليه كأنهم كانوا ينظرون إلى موت الأئمة ولكننا نحن ننظر إلى حياتهم لأن الله يريد ذلك . فلا ذكر لك الآن نظرة سائح مصري توجه إلى أمريكا وذكر العلم والعمل في مدارسها وحقرا من العلم العقلي الذي لا منفعة فيه ثم قال يعتقد علماء التربية الحديثة

يعتقد علماء التربية الحديثة أن حصص الدراسة المعتادة يجب أن تتخللها الأعمال اليدوية الصناعية . ويرجع ذلك إلى أسباب ثلاثة

(أولا) من لوازم الحياة أن يتعلم الطالب منذ نعومة أظفاره المبادئ الجوهرية في صناعة أو أكثر من التي لا غنى لأحد عنها كالنجارة والحدادة وصناعة الأحذية والطباعة وغير ذلك

(ثانيا) ضرورة تعويد الناشئة مهما كانت منزلتهم الاجتماعية ومراكز والديهم المالية - ذكورا كانوا أو إناثا - احترام العمل اليدوي إذ لا عار في العمل

(ثالثا) اكتشاف المواهب الكامنة في أيدي الناشئة والتي لا يتسنى إظهار مكنوناتها ومواهبها إلا بالنزول إلى ميدان العمل أمام المطارق البخارية والآلات المستخدمة في الصناعات على اختلاف أنواعها

(وبعبارة أعم) يجب أن تكون المدرسة صورة مصغرة من العالم التي هي شطر منه . فمن الخطأ أن يقال إن الغرض من التربية الاستعداد لفتح ميدان الحياة بل يجب أن يقال إن التربية هي الحياة وإن المدرسة ميدان الحياة . وكما أن الناس في الحياة يستخدمون أيديهم كما يستخدمون عقولهم فكذلك يجب أن يكون التلاميذ في المدرسة

ويلزم أن تكون الأعمال اليدوية في المدارس متصلة تمام الاتصال بمواد الدراسة . مثال ذلك أن الانشاء في

معاهد أمريكا يعلمونه للطلبة كإيأى - يصف الطالب الأطوار التي مرت عليه في ورشة الأعمال اليدوية في صنع

دولاب من الخشب أو سبك كتلة من الحديد أو بناء زورق للسياحة أو تركيب جهاز لاسلكي أو تشييد غرفة في بناء

من بنايات المدرسة أو الكلية أو تحرير مقالة في جريدة المدرسة وإعطائها لأحد زملائه لطبعها - وتصحيح المسودة

ومراجعتها أو وصف وانتقاد رواية مثلها هو وزملاؤه في مسرح المدرسة - أو كتابة فصل في زراعة البطاطس كما

شاهد العملية بنفسه في حقول التجارب الزراعية . وتسكتب البنت أيضا فصولا عن زى أو أزياء معلومة خاطتها رفيقاتها أو عن أوان خزفية كافن بصنعها من طينة معينة وحرقها وطلائها بالأدهان كذلك يدرس فن الرسم بمساعدة أساتذة الأعمال اليدوية . فيقدم هؤلاء أجهزة للصايح الكهربائية مثلا إلى أساتذة الرسم . ويكلف هؤلاء تلاميذهم بأعداد قطع من الورق أو القماش أو الحرير بشرط أن تصلىح كمظلات جميلة مختلفة الأوضاع والرسوم للصايح المذكورة . وبلى ذلك نقش نماذج جميلة منقولة أو مبتكرة على هذه المظلات فتزداد جمالا وحلاوة

يرسم التلاميذ في الجغرافيا مثلا خارطة أميركا على قطعة من الأرض في حقل المدرسة الزراعي . ويكلفون تلاميذهم أن يلقنوا الخارطة بزهور صغيرة يمثل كل نوع منها قسما من أقسامها يكلف التلاميذ الذين يدرسون علم الحساب مثلا عمل ميزانية للأجهزة والأدوات والأشياء التي يشرع اخوانهم في صنعها في الورشة . كذلك يتولون أعمال المصارف المالية التي تنشأ إدارة المدرسة فيها لالتعويد الطلبة الاقتصاد وإيداع الأموال فقط بل لتكون درسا عمليا في الحساب . كذلك يكون بعضهم مسؤولا عن ضبط حسابات الأندية ومراقبة دفاترها

وقد يتوهم القارئ أن حسابات الأندية هذه مسألة نافهة لا تستغرق وقتا يذكر . غير أن كثرة عدد الطلبة في بعض المدارس في المدن يجعل ميزانية هذه الأندية شيئا لا يستهان به . فميزانية نادي الألعاب الرياضية في مدرسة ثانوية واحدة في نيويورك (واسمها ديوت كلنتون) عن سنة ١٩٢٣ كانت مائتي ألف ريال هذه فقط أمثلة ضئيلة وتبدأ هذه الأعمال اليدوية من روضة الاطفال . وبلى ذلك ثماني سنوات في الاقسام الابتدائية وأربع سنوات في الثانوية

فبينما تجد بعض الطلبة يتلقون علم التاريخ تترى البعض الآخر في نفس المعهد يقشرون الخشب . ويسبكون الحديد ويصلحون السيارات ويقودونها . يصنعون الاواني الزجاجية وأجهزة اللاسلكي والاسلاك الكهربائية . أو يشيدون عمارة أو يحرقون قطعة من الأرض أو يربون المواشي والطيور الداجنة أو يصنعون الزبد . كل ذلك يقوم به الطالب والعرق يتصب من جبينه غنيا كان أو فقيرا . ذكرنا أو أثنى ولا يتصد بذلك أن تحشد جميع المهن والصنائع في كل معهد . ويحتم على التلاميذ تعلمها . فهذا غير ممكن بالطبع . ففي نيويورك بلغ عدد الصنائع المختلفة في العام المنصرم ١٧ سبعة عشر ألفا كانت المدارس الابتدائية والثانوية تقدم لطلبتها منها ٢٠٢ فقط . يختار منها الطلاب عددا محدودا في خلال الفترة التي يمكثها في تلك المعاهد . واني لأغالي . بعد زيارة عدد وافر من هذه المعاهد في كثير من الولايات . اذا قلت ان الصبي الأمريكي (والبنت الأمريكية) اليوم يسوق الاوتوموبيل ويركب جهاز اللاسلكي ويصلح ويركب الاسلاك الكهربائية ويتقن صناعة على الاقل من الصناعات المعروفة . قبل بلوغه سن الرشد

يقول لك علماءهم ان اصلاح اوتوموبيل من اوتوموبيلات فورد خير من تحليل الكميات الى عواملها وتركيب التليفون أنفع من اعراب الكلمات وتحليل الجمل . وصنع مائدة للتلز أفضل من إيجاد الجذر التكعيبي لكمية سلبية لا وجود لها في الحياة وتربية البقر والقراخ وتحسين نتائجها أكثر فائدة لبنى الانسان من صرف السنين الطوال في درس اللغة اللاتينية حتى يتمتع المتعلمون بمطالعة كتاب في الفلسفة كتبه فرنسيس باكون اسمه (نوفيوم أرجانيوم) كم أودتوزار الكثيرون من رجال التربية مع هذا أو أكثر من المعاهد التي تسد حاجياتها بنفسها وفي مخيلتي الآن صورة واضحة من معهد همبتون في ولاية فرجينيا . مساحة هذا المعهد ألف ومائة فدان وفيه مائة وخمسون بناية ولا بد ان يدهش القارئ اذا علم ان إدارة هذا المعهد قامت ببناء ثلاث بنايات فقط في بدء تأسيسه وشيدت البقية بالتدريج سنة بعد سنة وكان الطلبة أنفسهم هم الذين شيدها في هذا المعهد وبلغ عددهم ثلاثة آلاف طالب وطالبة . وهذا

لا يعد كبيراً جداً - ففي بعض المدارس الثانوية عشرة آلاف طالب وفي جامعة كلومبيا في نيويورك ٤٥ ألف طالب - فيه يزرع الطلبة الأرض ويأكلون ثمارها - ويربى الأولاد الماشية ويستخرجون الزبد والجبن من ألبانها - ويذبحون عجولها فيطبخ البنات لحماً ويأكل البنات والأولاد معها • ويفصل الطلبة أنفسهم الملابس ويخيطونها لزملائهم - وهم الذين يشيدون البنايات التي تحتاج إليها كليتهم ويركبون أبوابها ونوافذها ويمدّون أنابيبها وبوصلون إليها الماء الساخن والماء البارد ويضعون أسلاكها الكهربائية ويطلون حيطانها ويصلحون ويقودون سيارات تنقل من بناية إلى بناية فيها وتلميذات الكلية عيניהن نظفن حماماتها ويعملن في غسل الملابس وتنشيفها بواسطة آلات كهربائية وكيها ورقها وأرسالها لمكتب خاص لتوزيعها على ذويها ولذا ترى ذلك المعهد كمملكة واسعة الأطراف في الصادر والوارد إليها فلا تحتاج إلى صانع ولا عامل ولا خادم ولا مواد غذائية من الخارج

لعمري إن هذه هي الحياة بعينها وهذا ما يجب أن يكون في كل مدرسة فإن تجر يد المدارس تجر يد أئمة عن الحياة الطبيعية في الخارج بولد السامة والممل ويخرج الطالب إلى ميدان الحياة الحقيقي وهو غريب عنها - ضع أمير يكيامن خريجي تلك الكليات في عمل من الأعمال واعتمد عليه في كل شيء تجده مدرّساً قوياً وثقاً بنفسه لأنه إنما كان يعمل نفس العمل في الكلية التي كان بها كما أن التلميذ في المدارس الابتدائية يشعر أنه في العالم حقيقة وليس في مانسبته نحن مدرسة - كيف لا وهو يصنع بيده جهازاً لاسلكياً صغيراً فيأخذه إلى غرفته في المنزل ولا يكاد الظلام يرخي سدوله حتى تصل إليه بواسطته أنغام الموسيقى وأصوات المغنين وأقوال الخطباء • وكيف لا وهو يفتخر أن المائدة التي يأكل عليها أفراد عائلته من صنع يده

رأيت مرة في إحدى تلك المدارس في ولاية نيويورك فتاة في الرابعة عشرة من عمرها بجانب زورق كبير - فسألها عما تريد أن تفعل بهذا الزورق بعد تمامه - أجابت أنها تعدّه للترفيه في نهر الهudson في فصل الصيف مع والديها وأخوتها وإنها صرفت في صنعه أكثر من ثلاثة أشهر

ثم قال رأيت في مدرسة ثانوية طالباً يصنع حذاءً أتقن صنعه فسألته - بأي مهنة تريد أن تتخرف بعد نهاية الدراسة - فقال سألتحق بالكلية ثم بمدرسة الطب - ففجبت وقلت له لعلك تنوى أن تختص بالأمراض الجلدية وهكذا تجد تنوع العلوم في تلك المعاهد وما يتخللها من الصناعات اليدوية فكشف القناع عن مبول الطالب ومواهبه فيختار لنفسه أكثر الصناعات صلاحية له مع إرشاد أساتذته فلا بدع إذا كان الناس في تلك البلاد على اختلاف طبقاتهم أخف حركة منابر أحل وأنشط عملاً وأوسع حيلة - أروني موظفاً في إحدى المصالح يستطيع أن يصلح مصباحاً كهربائياً إذا تلف أو سيارة أصابها عطب أو أنبوباً ينفجر لذلك • لا تعجب إذا نظرنا إلى الصناعات والصناع بعين الازدراء فانحطت صناعتنا - ووضع الأمير يكيامن صناعتهم في مرتبة الأساتذة والكتاب وكمار الموظفين فرقت صناعاتهم ودقت أدواتهم وجلت آثام منازلهم وقدروا أهل الصناعة فأصبح النجار والبناء ومن على شاكلتهما يتقاضى أجره يومية من خمسة عشر ريالاً إلى ثمانية عشر ريالاً انتهى

ولما وصلت إلى هذا المقام اطلع عليه أحد العلماء فقال يا عجبا لك لقد تطرفت في الدين وكيف يجمع الإنسان بين صناعة الحدادة والنجارة والنقش والتلغراف وأمثالها والعلوم العقلية من الهندسة والحساب والعلوم الدينية من الحج والصلاة والأعمال العادية كتربية الدجاج ومسك الدفاتر وحرق الأرض وحلب البقر فقلت له هذا التعجب هو الذي قعدهم منا أوليس جميع تلك الصناعات فرض كفاية قال بلى قلت فلماذا لا نجهر للناس بالحق ولماذا لا ننصح الناس

قل لى رعاك الله ماذا ترى في صلاة الجماعة أليست أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة أليس المسلمون يجتمعون في الأعياد وفي الحج وفي صلوات الجماعة وفي الغزوات • أليس هذا الاجتماع يقصده تربيهم على المودة

ألم يقل الله تعالى - واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا - فيأرعاك الله كيف يكون اتحاد بلا فراق إلا بمقدمات أوليست المقدمات منها صلاة الجماعة والحج وأمثالهما وكيف تكون صلاة الفدا أقل من صلاة الجماعة بسبع وعشرين درجة . وإذا كان ثواب الآخرة يزداد بالاجتماع بسبب عروج الناس إلى ربهم واتحادهم في ذلك العروج وانهم تخف أرواحهم مجتمعين أكثر من الانفراد ٢٧ مرة أفليس هذا معناه أن الاجتماع سعادة فإذا زاد الارتقاء الروحي ٢٧ مرة فكيف يكون الارتقاء العمراني الذي نشاهده ونحن نشاهد أن الشركات التجارية تفعل أفعالا مذهشة تعجز عنها الأفراد وإن الآلات البخارية التي اشتراها أفراد بما لهم تنفعهم أضعاف ما كانوا عليه ٢٧ مرة فأكثر هذا هو سر الاسلام فإذا رأينا أمريكا كعمادت في الرقي الاجتماعي فلنقل هذا ديننا لأن ديننا أمر به في الحج والصلاة وغيرها . وانظر قوله صلى الله عليه وسلم لتسوّن صفوفكم أوليخالفن الله بين قلوبكم لقد ظهر سرّه اليوم في الاسلام وفي أمم النصرانية فبعض أمم الاسلام لا اجتماع لها ولا محبة فذهبت مدنيّتها وبعض الأمم المسيحية اعتادت الاجتماع العملي فانحدت قلوبهم

فلتكن مدارس الاسلام وكنياته منبهة مرقية مشوقة لجميع العلوم والصناعات والتلاميذ فيها يعملون بأنفسهم ذلك هو باب السعادة والسلام في بلاد الاسلام

وهذا كله سر قوله تعالى ألم في أول السورة المشير إلى قصة اليهود الذين غرّهم في دينهم ما كانوا يفترون فزال ملكهم ومثلهم بعض المسلمين في العصر الحاضر لغرور طوائفهم قديما وحديثا وقد وصفنا الدواء بعد شرح الداء لرقى هذه الأمة والحمد لله رب العالمين - انتهى القسم الرابع

(القسم الخامس من سورة آل عمران)

وهو بابان * الباب الأول في قصة امرأة عمران ومريم وزكريا ويحيى * الباب الثاني في قصة عيسى ابن مريم الباب الأول فيه فصلان * الفصل الأول في قصة مريم * الفصل الثاني في قصة زكريا ويحيى

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * فَتَتَّبِعْهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ *

لما بين الله أن طاعة الرسل توجب حب الله أخذ سبحانه وتعالى يذكّر مناقبهم وما أغدق عليهم من نعمه وآلائهم من فضله فذكر آدم ونوحا وآل إبراهيم وهم اسماعيل واسحق وأولادهما ولا جرم أن نبينا صلى الله عليه وسلم من ذرية اسماعيل فهو في جلالته ومن آل إبراهيم من هم على دينه وقد دخل في آل إبراهيم بنو إسرائيل وهم اليهود الذين جعل الله فيهم الملك والنبوة إلى زمن نبينا صلى الله عليه وسلم ثم جعل له ولأئمة النبوة والملك وهؤلاء هم من ذرية إبراهيم من اسحق ومن اسماعيل أبي العرب الذين منهم نبينا صلى الله عليه وسلم

وأما آل عمران فهم عيسى وأمه مريم بنت عمران بن ماثان من نسل سليمان بن داود وبينه وبين عمران أبي موسى وهارون ألف وثمان مائة سنة

فهؤلاء اصطفاهم الله واختارهم على العالمين بالنبوة والرسالة (ذرية بعضهم من بعض) بدل من آل إبراهيم وآل عمران والذرية من الذرية أى الخلق أى انهم ذرية واحدة متشعبة بعضهم من بعض والذرية الولد يطلق على الواحد والجمع أو بعضهم من بعض فى الدين (والله سميع) بأقوال الناس (عليهم) بأفعالهم ومنهم امرأة عمران فقد سمع قولها وعلم نيتها وهو يعطى كلام من القائلين والعاملين ما هو أهل له من ثواب وعقاب واجابة ورد واذا ذكر (اذقلت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى انك أنت السميع العليم) أى جعلت الحمل الذى فى بطنى نذرا محررا منى لك والنذر ما أوجبه الانسان على نفسه فيكون المعنى انه خالص لعبادة الله وخدمة الكنيسة لا يشغل بشئ من أمور الدنيا وكان المحرر يعمل فى الكنيسة فيتوهم عليها ولا يبرح مقيما حتى يبلغ الحلم ثم يخبر فان شاء بقى فيها والاذهب وليس له بعد اختيار الكنيسة أن يتركها وكانت عادة أنبياء بنى اسرائيل وعلمائهم أن يحترروا أبناءهم لخدمة بيت المقدس وكان ذلك خاصا بالعلماء لان النساء لا يصلحن لذلك

ومحصل هذه القصة ان زكريا وعمران تزوجا أختين فكانت ايشاع بنت فاقوذا وهى أم يحيى عند زكريا وكانت حنة بنت فاقوذا أخت ايشاع عند عمران وهى أم مريم وحنة قد حرمت من الولد حتى أيست وكبرت وكانوا قوما صالحين فبينما هى فى ظل شجرة اذ بصرت بطائر يطعم فراخا فاشتاق للولد فقالت اللهم ان رزقتنى ولدا تصدقت به على بيت المقدس ليكون من سدنته فحملت بمريم وحتررتها فقال لها زوجها عمران ويحك ما صنعت أرايت ان كان ما فى بطنك أنثى فلا تصلح لذلك فوقع ما عافى هم شديد فحلت عمران وحنة حامل بمريم (فلمما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى) قالت ذلك تحسرا وخزنا لانها كانت ترجو أن يكون ذكر (والله أعلم بما وضعت) أى بالشئ الذى وضعته فلعل الله فيه سرا وكيف لا (وليس الذكر) الذى طلبت (كالأنثى) التى وهبت

فما التأنيت لاسم الشمس عيب ولا التذكير نحر للهلال

ولو كان النساء مكن ذكرنا لفضلت النساء على الرجال

بل الأنثى التى وهبت أفضل من كثير من الرجال ثم قالت (وانى سميتها مريم) عطف على كلامها السابق وما بينهما جملة معترضة ومعنى مريم بلغتهم العابدة قالت هذا تقر بالله أن يصحبها حتى يطابق الاسم المسمى (وانى أعينها بك) أجبرها بحفظ ذلك (وذريتهما من الشيطان الرجيم) المطرود يقال رجه رماه بالحجارة قال عليه الصلاة والسلام ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسّه حين يولد فيستهل صارخا من مسّه إلا مريم وابنها والمقصود ان كل مولود يطعم الشيطان فى اغوائه إلا مريم وابنها فان الله استجاب هذه الدعوة فعصمهما (فتقبلها ربها) رضى بها بدل الذكر (بقبول حسن) أى ان الله قبل مريم من حنة مكان الذكر المحترراى قبلها ورضيها (وأنبئنا نبأنا حسنا) أى سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان وربها تربية بها تصالح جميع أحوالها (وكفلها زكريا) أى جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها ومن خفف الفاء أعرب ذكر يافاعلا • وتلخيص هذا المقام ان حنة لما ولدت مريم لفنها فى خرقة وحملتها الى المسجد عند الأخبار من نسل هارون وهم القائمون بأمر بيت المقدس وقالت دونكم النذيرة فتنافسوا فيها لأنها بنت امامهم وصاحب قريبتهم فقال زكريا أنا أحق بها لأن خالتيها عندي فتنازعوا وكانوا ٢٩ رجلا ثم اصطالحوا على أن يقتربوا فألقوا أقلامهم التى كانت بأيديهم يكتبون بها التوراة فى نهر الأردن على ان من ثبت قلمه فى الماء وصعد فهو أولى بها من غيره فارتفع قلم زكريا فقررهم زكريا رأس الأخبار ونبئهم • فأخذ ينظر فى شؤونها ويربها أحسن تربية فوجد هناك عجبا عجايبا لذلك انه (كلما دخل عليها زكريا المحراب) المسجد ويسمى محرابا لأنه محل محاربة الشيطان (وجد عندها رزقا) فكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء (قال يا مريم أنى لك هذا) أى من أين لك هذا الرزق الذى يأتى فى غير أوانه (قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير

(حساب) أى بغير تقدير لكثرة أو بغير استحقاق تفضلا منه تعالى
 ألا تعجب معي أيها الذي كيف يقال هذا وترزق من تشاء بغير حساب بعدما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن
 يقول - اللهم مالك الملك إلى قوله تعالى وترزق من تشاء بغير حساب - فريم قول أنه يرزقني تفضلا بلا استحقاق
 أو بكثرة هذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول ذلك وليس بين الجلتين إلا بضع آيات
 يدعوا هذا القول المسلمين الذين ورثوا الأمم وعالومها أن يدرسوا كيف يرزق من يشاء بغير حساب كما أريتك
 قريبا فلقد أطلعك على عجائب الحشرات والحيوانات المعامة بالتعليم الملهمة بلا تكليف المرزوقة بلا أسباب
 ظاهرة ولا أعمال هامة وهذا ترى مريم كيف رزقت بغير حساب - انتهى الفصل الأول

(الفصل الثانى)

هَذَاكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ *
 فَدَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ
 اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ
 الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ * قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ
 أَنْ لَا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا زَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعُشِيِّ وَالْإِبْكَارِ *
 يقول الله هنا لك أى فى ذلك المكان لما رأى كرامة مريم دعا زكريا ربه قال رب كما وهبت لحنة العجوز العاقر
 ذرية طيبة ورزقت ابنتها الفواكه فى غير أوانها لأنك ترزق من تشاء بغير استحقاق هب لى من لدنك ذرية طيبة
 انك تحب الدعاء وكان ذكرى باطاهر القلب مستعدا لخطاب الملائكة فدادته الملائكة أى بعضهم وهو قائم يصلى فى
 المسجد (أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله) وهو عيسى وانما سمي كلمة لأن الله قال له كن فكان من غير أب
 فوقع عليه اسم الكلمة لأنه بها كان وأول من آمن بعيسى وصدقه كان يحيى (وسيدا) يسود قومه ويفوقهم لأنه
 ما هم بمعصية قط (حصورا) مبالغى حبس نفسه عن الشهوات والملاهي (ونبيامن الصالحين) ناشئا منهم (قال
 رب أنى يكون لى غلام) استبعادا من حيث العادة (وقد بلغنى الكبر) أدركنى كبر السن وأترفى ويقال انه كان له
 ٩٩ سنة ولامرأته ٩٨ سنة (وامرأتى عاقر) لاتلد من العقر وهو القطع (قال كذلك الله يفعل ما يشاء) من
 العجائب مثل ذلك الفعل (قال رب اجعل لى آية) علامة أعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة والشكر ونزول عنى
 مشقة الانتظار (قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا زمزا) أى ان لاتقدر على تكليم الناس ثلاثا فيحبس لسانك
 عنه ويخلص لذكر الله تعالى وشكره قضاء لحق النعمة وانما تكلمهم بالإشارة بيدك أو عينك أو بالإيماء برأسك
 (واذكر ربك كثيرا) فى أيام حبس لسانك عن كلام الناس لأنه هو القصد من حبسه (وسبح بالعشى) أى من زوال
 الشمس إلى الغروب (والإبكار) من طلوع الفجر إلى الضحى

(الباب الثانى)

(فى عيسى ابن مريم وأمه)

وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ
 يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ * ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ

إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلقُونَ أَفْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ
يَخْتَصِمُونَ * إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى
ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهَاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ
الصَّالِحِينَ * قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ
مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * وَيَعْلَمُ السِّكْرَ وَالْحِكْمَةَ
وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ * وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي
أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ
الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي
بُيُوتِكُمْ إِنِّي فِي ذَلِكَ لَا آيَةً لَكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ
التَّوْرَةِ وَلِأَحْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا * إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى
مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِثُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ
بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ *
وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ * إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَرْيَمَ ارْفَعْكَ
إِلَى وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
ثُمَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأَخَذَكُمْ بَيْنَ يَدَيْكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّ اللَّهُ لَهُمْ
عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ * وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الظَّالِمِينَ * ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ
وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ *

﴿ تفسير هذا الباب ﴾

يقول الله في هذا الباب اذكر يا محمد اذ كلمت الملائكة مريم مشافهة أو ألهمتها قائلة (ان الله اصطفاك) أي
تقبلك من أمك لخدمة المسجد ولم تقبل أنتي قبلها وفرغك للعبادة وأغنأك برزق الجنة عن الكسب (وطهرك)
عما يستفد من النساء (واصطفاك) بالهداية وارسال الملائكة اليك واختصاصك بالولد من غير أب وبراءتك مما
قد فتك به اليهود باطلاق الطفل وجعلك وابنك آية للعالمين فأنت بهذه الخمس مصطفاة (على نساء العالمين يا مريم اقنتي

(ربك) أدبى الطاعة كما في قوله تعالى - أمّن هو قانت آنا الليل ساجدا وقائما (واسجدى) صلى كقوله تعالى
 - ومن الليل فسبحه وأدبار السجود (واركعى) واخشى (مع الراكعين) الخاشعين (ذلك) المذكور من
 القصص (من أنباء الغيب) التى ما كنت تعرفها أنت ولا قومك من قبل هذا (نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ
 يلقون أقلامهم) التى يكتبون بها التوراة وقد مر توضيحه ليعلموا (أيهم) أى الأخبار (يكفل مريم وما كنت
 لديهم إذ يختصمون) متنافسين فى كفالتها وأبدل من اذ قالت الأولى (اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك
 بكلمة منه) أى يبشرك ببشرى من عنده وهو ولد يولد لك من غير بعول ولا خل وذلك الولد (اسمه) أى ما يميز به
 عن غيره من لقب أو اسم أو صفة (المسيح) وهو لقب شريف له كالصديق وأصله بالعبرية - مשיحا - ومعناه
 المبارك (عيسى) معرب ايشوع وهو اسمه (ابن مريم) صفة له (وجيها فى الدنيا والآخرة) حال مقدرة من كلمة
 التى هى نفس عيسى فصيح جعل الحال مذكرا وكل شئ خلقه الله بكلمة كن - انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن
 فيكون - وعيسى كذلك كما يأتى فى قرله تعالى - ثم قال له كن فيكون - واختص عيسى بالكلمة لأنه بلا
 واسطة وغيره ليس كذلك والوجه فى الدنيا النبوة وأنه يبرى الأكمة والأبرص ويحي الموتى باذن الله ويظهر
 المعجائب وفى الآخرة علوه عند الله تعالى (ومن المقربين) يرفع الى السماء مصاحبا للملائكة (ويكلم الناس فى المهد)
 أى حال كونه طفلا اذ قال انى عبد الله آتانى الكتاب الح (وكهلا) أى فى حال الكهولة والسهل فى اللغة الذى
 اجتمعت قوته وكل شبابه أو الذى فوق الثلاثين أو الذى وخطه المشيب وعند ذلك يستحكم فيه العقل وتنبأ
 الأنبياء وهذه المعانى اللغوية متقاربة قال البيضاوى يقال انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله (ومن الصالحين)
 حال ثالث من كلمة (قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر) أى قالت على سبيل التعجب من أن يكون لى ولد
 ولم يصبنى رجل (قال كذلك الله يخلق ما يشاء) هكذا يخلق الله منك ولدا من غير أن يمسه بشرفانه يخلق ما يشاء ويصنع
 ما يريد (اذا قضى أمرا) فأنما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب الكتابة والخط باليد (والحكمة) العلم
 (والتوراة) التى أنزلت على موسى (والانجيل) الذى نزل عليه ويقول سبحانه وتعالى (ورسولا الى بنى اسرائيل)
 الذين كان أولهم يوسف بن يعقوب وآخرهم عيسى (أنى قد جئتكم بآية) علامة (من ربكم) على صدق قولى
 وأبدل منها قوله تعالى (أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله) أى أقدر لكم
 وأصور شيئا مثل صورة الطير فأنفخ فيه فيصير حيا طيارا (وأبرى الأكملة) الذى ولد أعمى (والأبرص) الذى به
 وضع (وأحى الموتى باذن الله وأنبئكم بما قآكلون وما تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين) وقد
 جئتكم (مصدق لما بين يدي من التوراة) وعطف على معنى صدق قوله (ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم)
 أى للتصديق ولا حلال بعض الذى حرم عليكم فى شريعة موسى من الشحوم والثروب والحووم الابل والعمل يوم السبت
 (وجئتكم بآية من ربكم) أى جئتكم بآية بعد آية فيما ذكر سابقا (فاتقوا الله) فى المخالفة بعدما ظهرت الحجة (وأطيعون)
 فيما أدعوكم اليه ثم شرع فى الدعوة الشاملة لتقوى العلم والعمل فقال (ان الله ربى وربكم) وهذا هو التوحيد الذى
 هو من أهم استكمال القوة العلمية التى رأيتها فى سورة البقرة عند قوله تعالى - ان فى خلق السموات والأرض - وفى
 أول هذه السورة أيضا (فاعبدوه) وهذا هو القوة العملية ولا سعادة فى دين أو دنيا خارجة عنهما وهما المبادئ
 والنهايات لجميع الديانات فالجمع بين العلم والعمل هو الطريق المشهود له بالاستقامة (هذا صراط مستقيم) قال عليه
 الصلاة والسلام قل آمنتم بالله واستقم (فلما أحسن عيسى منهم الكفر) عرف كفرهم كأنه مدرك بالحواس
 (قال من أنصارى) ملتجئا الى الله (قال الخواريون) الذين يحورون الثياب أى يبيضونها ويدعى صاحب هذه
 المهنة قصارا وكانوا اثني عشر وحواريو الرجل أيضا خاصته وأصفياءه وهؤلاء خاصة عيسى وأصفياءه أجابوه
 قائلين (نحن أنصار) دين (الله آمنا بالله واشهد) يوم القيامة لنا (بأننا مسلمون ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا
 الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) بوحدانيتك (ومكروا) أى الذين أحسن منهم الكفر من اليهود اذ أضمر واقتله

(ومكر الله) اذ ألقى شبهه على يهوذا الذي أبلغ خبره الى رئيس الكهنة كما استراه موضحا قريبا من انجيل برنابا فصلب يهوذا ورفع المسيح (والله خير الماكرين) أقواهم مكرًا وقوله تعالى (اذ قال الله) ظرف لمكر الله (يا عيسى اني متوفيك) قابضك من الأرض من توفيت مالى أو ميمتك عن الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت (ورافعك إلى) الى محل كرامتى ومقر ملائكتى (ومطهرك من) سوء جوار (الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك) بالحبّة والادعاء وهم النصارى وبالأقرار بنبوتك وهم المسلمون (فوق الذين كفروا) بك (الى يوم القيامة) يعاونهم بالحبّة والسيف فى أغلب الأمر ولم يسمع أن لليهود ملكا أو دولة أو جندا. ولكنهم فى أثناء هذه الأيام عند كتابة هذا التفسير شرعوا يجعلون لهم وطنًا قوميا بفلسطين تحت حياية الانجليز وهم فى ذلك مضطربون والله عاقبة الأمور (ثم الى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) من أمر الدين ثم فصل الحكم فقال (فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابًا شديدًا فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفى بهم أجورهم والله لا يحب الظالمين) وهم الذين يضعون الشئ فى غير موضعه أو من يظلم غيره حقا له أى لا يرجعهم ولا يثنى عليهم (ذلك) الذى ذكر من أخبار عيسى وأمه مريم والحواريين ونحوها (تناوله عليك) حال كونه (من الآيات والذكر الحكيم) المشتغل على الحكم والممنوع من تطرق الخلل اليه - انتهى التفسير اللفظى للقسم الخامس وفى هذا القسم ست لطائف (١) الملائكة والشياطين (٢) خوارق العادات (٣) هنالك دعاوى كبرى به (٤) قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام الارمزا (٥) ان الله ربى وربكم فاعبدوه (٦) اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك

﴿ الاطيفة الأولى - الملائكة والشياطين ﴾

لقد تقدم الكلام على الملائكة مشبعًا فى البقرة عند قوله تعالى - واذ قال ربك للملائكة اني جاعل فى الأرض خليفة - فلنجعل هذا المقال فى الملائكة وفى الشياطين معالما فى الكتب السماوية من ذكرهما بالوسوسة والالهام والهداية والاضلال والاساءة والافضال فان كثيرا من الناس لاسيما المتنورين لا يقع فى خواطرهم وجودهما وتنبؤ نفوسهم عن التصديق بما لم يأنس به العقل وان أنس به النقل وعضده الوحى وآمن به كل حى فنقول ان الانسان اذا نظر فيما حوله رآه قسمين اثنين لانهما طيب وخبيث نافع وضار محبوب ومكروه فن الثانى الآساد والنمور والذباب والحيات والعقارب والخنافس والنبات السام والحيوانات الدفينة المسماة بالمكروب فقرضه بالحمى والتيفوس والتيفود والمالاريا والحصبة والجدرى ومرض الكلى والطاعون العام وأمراض أخرى تحدث بتلك الحيوانات الصغيرة التى لا عد لها ولا احصاء

هكذا الظلام الحماك وجارة القيظ فى شعاب الجبال وضربات الشمس والصواعق والزلازل والبراكين وطغيان الأنهار على المزارع ونشيشها وانحسار مائها كالنيل والفرات وما شابه ذلك ومن الأول الابل والبقر والغنم والبهائم والطيور النافعة والأنهار أيام اعتدالها والنبات المغذى النافع والغاكة والاب لتغذى به البهائم والحيوانات الدفينة المحببة التى فى دم الانسان المسماة بالكرات الجراء والمسماة أيضا بالكرات البيضاء التى تصارع الحيوانات الفاتكة بالجسم وتنشب فيها مخالبها وتقهرها وتغلبها فتخرج ظافرة منصوره وهكذا تلك الجوع الجرارة والجوش المصطفة منها التى تسارع الى الجروح اذا حدثت فتكون هى أنفسها مادة القيح ومتى تم الشفاء كانت هى مادة اللحم الكاسية للجرح النافعة للربض الشافية للجراح السكاية بخطط يفقهه العقلاء - ويخلق ما لا تعلمون -

فاذن جميع ما نراه قسما بالنسبة للانسان وقد وصلنا الى أدق الحيوان الذى لم يعرف الا حديثا ولو أن امرا منذ مائة سنة نطق بهذا لقال له (أنت معتوه) وقد أصبح اليوم معلوما للخاص والعام ومن ذا كان يخطر له أن الحمى تكون يا آلاف الآلاف من الحيوان وان شجرة القمح والقطن والكتان يسخر تحت جنرها آلاف الآلاف من

تلك الحيوانات تمزق عناصر الأرض المغذية للنبات حتى تصلح لامتصاصها وتمثل بغصنه وزهره وثمره وانها للنبات كالعبيد يحضرون الطعام لساداتهم وكالخدم لمخدوميهم وكالرعالي الملوكمهم وكأهل الشرق لممالك الغرب اذا استدلوهم واستضعفوه وأذلوه صاغرين وجعلوهم عبيدا خاضعين فيجبي حكامهم المستضعفون لساداتهم من الغرب ثمرات كل شيء فهم أشبه بهذه الحيوانات الذرية (والخلوقات المكمروية) من ذا كان يخطر بباله أو تحدته نفسه ان هذه العوالم منبثة في أجسامنا لا هلاك تارة ولا حيا. أخرى أم من ذا الذي كان يعتل أنها مغذية للنبات بميته تعطيه الحياة والنجاة تارة والموت والهلاك أخرى هذه بعض عجائب ماحولنا وما عن أيماننا وشاغلنا من المخلوقات هذه الحيوانات فأين الملائكة والشياطين

بهذا القول أدركنا أن أحوالنا وأحوال النبات والحيوان من صحة ومرض وقوة وضعف مرجعها حيوانات دقيقة ومخلوقات ضعيفة ولقد وجدنا فينا آراء وأحوالا ترجع الى عقولنا وتنطوي عليها أخلاقنا فمنها الخبيث ومنها الطيب كما أن في أجسامنا صحة ومرض وفي نباتنا قوة وضعف وكذا في حيواناتنا وكما أننا كنا نكر أن يكون لمرضنا ومرض حيواناتنا ونباتنا علاقة بالأغذية والأحوال المشاهدة هكذا نحن نكر الآن أن يكون لآرائنا الخبيثة والطيبة الأحوالنا وتعاليمنا واستعدادنا فاما ان شيطاننا يضلنا أو ملكنا يهدينا فذلك لا طاقة لنا بقبوله ولا قدرة لنا على التصديق به

(١) قالت طائفة اننا نرى ان الذباب لا يقع الا على عين فيها القذى ويتجاوز النظيف الجسم الطاهر البشرية ونرى ان التلميذ المذهب يقبل عليه المعلمون ويهديه المرشدون ويتجاوزون التلميذ البليد أو القذر أو الذي لا يطيع ولا يكون ذا خلق جيد

فلعل في العالم المعنوي ما يشابه ذلك فيكون هناك عالم يغوى الرجل الشرير كالذباب يقع على العين القذرة وفيه من يهدي من له استعداد للهداية وهذا القول لا سبيل للاقناع به بل هو ضرب أمثال والأمثال ليست تغني في البيان (٢) وقال علماء الهند في كتاب يسمى راجايوفا ألقى محاضرات في مدينة نيويورك في سنتي ١٨٩٥ - ١٨٩٦ وجمع مقالات باللغة الانجليزية وصدر بمقدمة هذا ملخصها بإيضاح

ان جميع الأمم في الشرق والغرب يصدقون علماء كل فن ويؤمنون بما يبدون من الآراء وما يصفون من الأحوال ألا ترى ان جميع أمم العالم تحكم بما يقوله الأطباء فاذا أنذروا بالوباء أو بظهور داء أو بعموم الحى أو الجدرى أو ما أشبه ذلك من كل ما فيه العدوى اتبع الناس آراءهم وحكموا بقولهم وأطاعوا ما به يأمرهم هكذا علماء الحساب والفلك والطبيعة والزراعة والبيطرة فليت شعري من ذا الذي درس الاجرام السماوية وانها أعظم من الأرض ومنها ما هو أعظم من الشمس وانها بعيدة بعدا لا يتناوله الاحصاء ولا تدركه عقول النبلاء لعمر ك لم يدرس الأمراض وأحوالها الا الأطباء ولا أعظم الاجرام السماوية الا أولئك العلماء بالفلك الدارسون لتلك القضايا البعيدة المرمى القائمة على صدق الأحكام وانما صدق الناس ذلك من هؤلاء ومن هؤلاء لانهم يرون أن لكل علم طرقا تتبع وسبلا يسار فيها وأصولا يزاوونها ونواميس يدرسونها وخواص يعرفونها فاذا سار سائر من الناس على مناهج تلك العلوم وصل الى حقائقها وأخير بما أخبر به الأولون مع بعض تحسين لا يضر بالأصول ولا ينقض كل ما هو منقول فكل امرئ يقول لو أنى سلكت سبلهم وقرأت أصولهم لأخبرت خبرهم ولعرفت كما عرفوا فمن هذا الوجه أصبح الناس واثقين بعظم الاجرام السماوية وان لم يدرسوها خائفين من الأمراض والوباء وان لم يعقلوها ذلك لأنهم لفهمها مستعدون وعلى فهمها قادرين

ومن الناس طوائف تهذب بالرياضات واعتكفت عن الماديات وصامت عن الدنيا واعتزلت الناس فوصلوا الى عالم يره الناس وقالوا قد رأينا عالما روحانيا ففهم الصالحون ومنهم دون ذلك فهم طوائف مختلفون وأصناف متعددون وهؤلاء الطوائف مثلهم كمثل الأطباء وعلماء الفلك فالناس يصدقون وان كانوا لا يدرسون في

العلوم المادية هكذا يجب أن يصدقوا وإن لم يدرسوا في العلوم الروحانية لأنهم إذا ساروا على السنن التي رسمها الروحانيون ودرسوا ما هم دارسون وعلموا ما يعلمون وصلوا إلى ما إليه وصلوا وعرفوا ما غفل عنه الآكثرون ولقد نقل عن أناس مهذبين مرتاضين في الشرق والغرب ومن يبيع الديانات والمثل والنحل والمذاهب في الأعصر الغابرة والأيام الحاضرة أنهم رأوا ما لم تراه العيون وأخبروا عن عالم مكنون وأطمأنوا إلى ما يعلمون وأيقنوا أنهم مبصرون فلماذا ننزلهم في المرتبة عن علماء الفلك والطب ولماذا نظلمهم ونبتغسهم حقهم إن ذلك لظلم مبين فثبت بهذا أن هناك عالما لطيفاً لم تراه العيون من الملائكة ومن الشياطين هذا هو البرهان الذي قاله علماء الهند واطمأنوا إليه وهم مصدقون

أيها الذكي إن أردت المزيد في هذا المقام فهناك كتاب الأرواح الذي ألفته قبل هذا الكتاب ولكن لا تقل لك جلامته نريك بهجة العلم وجماله عسى أن تكون لك مقنعا هداك الله إلى سبيل الرشاد وقد نقلت لك عن العلامة الرازي فيه ما يأتي

الحجة العاشرة - نرى جميع فرق الدنيا من الهند والروم والعرب والعجم وجميع أرباب الملل والنحل من اليهود والنصارى والمجوس والمسلمين وسائر فرق العالم وطوائفهم يتصدقون عن موتاهم ويدعون لهم بالخير ويذهبون إلى زيارتهم ولو لا أنهم بعد موت الجسد بقوا أحياء لكان التصديق عنهم عبثاً فلا طباق على هذه الصدقة وعلى هذا الدعاء وعلى هذه الزيارة يدل على أن فطرته الأصلية السليمة شاهدة بأن الإنسان شيء غير هذا الجسد وإن ذلك الشيء لا يموت بل يموت هذا الجسد إلى أن قال

الحجة الحادية عشرة - إن كثيراً من الناس يرى أباه وأبنة بعد موته في المنام ويقول له اذهب إلى الموضع الفلاني فإن فيه ذهباً دفنته لك وقد يراه فيوصيه بقضاء دين عنه ثم عند اليقظة إذا فتنش كان كما رآه في النوم من غير تفاوت ولو لا أن الإنسان يبقى بعد الموت لما كان ذلك . ولما دل هذا الدليل على أن الإنسان يبقى بعد الموت ودل الحس على أن الجسد ميت كان الإنسان مغابراً لهذا الجسد الميت . وقال رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى - وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم الآية - في سورة إبراهيم قال في صفحة ٢٤٠ ج خامس . وذكر بعض العلماء فيه أيضاً احتمالاً ثالثاً وهو أن النفوس البشرية والأرواح الإنسانية إذا فارقت أبدانها قويت في تلك الصفات التي اكتسبتها في تلك الأبدان وكملت فيها فإذا حدثت نفس أخرى مشاكلة لتلك النفس المفارقة في بدن مشاكلة لبدن تلك النفس المفارقة حدث بين تلك النفس المفارقة وبين هذا البدن نوع تعلق بسبب المشاكلة الحاصلة بين هذا البدن وبين ما كان بدناً لتلك النفس المفارقة فيصير لتلك النفس المفارقة تعلق شديد بهذا البدن وتصبح تلك النفس المفارقة معاونة لهذه النفس المتعلقة بهذا البدن ومعاونة لها على أفعالها وأحوالها بسبب هذه المشاكلة ثم إن كان هذا المعنى في أبواب الخير والبركات كان ذلك إلهاماً وإن كان في باب الشر كان وسوسة فهذه وجوه محتملة تقر بها على القول بآبائنا جواهر قدسية مبرأة عن الجسمية والقول بالأرواح الطاهرة والخبیثة كلام مشهور عند قدماء الفلاسفة فليس لهم أن ينكروا إثباتها على صاحب شريعتنا محمد صلى الله عليه وسلم أه من الرازي وفيه أيضاً نقلته عن الغزالي رحمه الله

والعالم من محرك الفلك التاسع من الصفحة التي تلي جهة فوق إلى التي تلي جهة أقدامنا ملوء جنوداً وملائكة - وما يعلم جنود ربك إلا هو - إلى أن قال ولا ينبغي أن ينكر منكر ذلك وقد شهد شعاع الشمس وروحانيته وبساطته حتى إن قرصها يكون بالغرب وشعاعها بالشرق فما هو إلا أن يغيب خلف جبل فينقطع الشعاع الذي بالشرق بلا زمان فلو كان جسماً ما انقطع في عدة سنين وإذا أخذت مرآة وعكست بها الشعاع انعكس إلى حيث شئت ثم تعطفه لا في زمان . وجوهر الشعاع بالإضافة إلى جوهر النفس كثيف فليس في العالم موضع الا وهو غمور بما لا يعلمه إلا الله ولذلك أمر الشارع بالستر في الخلوة وعند الجماع والعالم مشحون بالأرواح أه

وفيه أيضا

(ثالثا) قال في اخوان الصفا الجزء الثالث صفحة ٣٧٢ - واعلم ان النفوس المتجسدة الخيرة ملائكة بالقوة فاذا فارقت اجسادها كانت ملائكة بالفعل كذلك النفوس المتجسدة الشريرة هي شياطين بالقوة فاذا فارقت اجسادها كانت شياطين بالفعل فهذه النفوس الشيطانية بالفعل توسوس للنفوس الشيطانية بالقوة لتخرجها الى الفعل كما قال تعالى - شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا - فشياطين الانس هي النفوس المتجسدة الشريرة أنست بالاجساد وشياطين الجن هي النفوس الشريرة المفارقة للاجساد المحتجبة عن الأبصار وقال قبل ذلك (ماملخصه) ان هذه النفوس الشريرة لم تفرقت الجسد وكانت معلقة بالدنيا وسلبت الحواس وآلات اللذات خربت وتمت لورجعت للذات كرتة أخرى خفيت تصبغ النفس كأنها الاحية ولا ميتة كما قال تعالى - لا يموت فيها ولا يحيا - وتقول - باليتنازرد فنعمل غير الذي كنا نعمل - باليتنى كنت ترابا - هل لنا من شفعا فيشفعوا لنا - وقال تعالى ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون - لما ركب فيهم من الأخلاق الشائنة وتبقى تلك النفوس متعلقة بأبناء جنسها المتجسدة توسوس لهم وهكذا شأن الغافلين اه ملخصا من اخوان الصفا

وفيه أيضا ما نقلته من خطبة اللورد أوليفر لودج أكبر علماء الطبيعة بانكائرا قال

ولندكر في هذا المقام اننا لسنا أجساما فقط بل كل منا مركب من عقل ووجدان وروح فضلا عن الجسم ويتصل الانسان بهذه الكائنات العليا المدركة ويناجيها بغير حواسه البدنية ويرتاج الى الاتصال بها أكثر مما يرتاج الى اتصاله بهذا العالم المادي الذي قضى عليه أن يعيش فيه الى حين . كل العظام الذين ماتوا كانوا يرتاحون الى مناجاة المدركات العليا أكثر مما يرتاحون الى الأمور الدنيوية ولم يزل كثير من منا يطلعون على شيء من أمور هذه المدركات العليا من وقت الى آخر واذا عملنا على تقوية مداركنا وقوانا اطلعنا على أكثر من ذلك وممكننا الوحي من معرفة أمور لا نقدر أن ندركها بغيره . ان طرق البحث المادية ليست كل طرق البحث ولم يزل الرجال العظام منذ قديم الزمان يرون رؤى ويظهرون على حقائق وتظهر منهم بدائمه يحاولون تدوينها لينتفع بها غيرهم وبمثل ذلك يكون البحث على بعض الحقائق وهو طريقة رجال الدين . ولا أقول اني سرت عليه أنا في بحثي . اذ يظهر اني محروم من ذلك . ولكنني قد وصلت الى نتائج لا تختلف عن التي وصلوا اليها ببحثي من طرق عامية مألوقة وجميعنا يعرف ان في الكون قوى للشر وقوى للخير وفيه أيضا من خطبة اللورد أوليفر لودج المذكور في الحياة بعد الموت . وليس من العقل أن يقال ان النفس تضمحل اذا تلف الجسد بل سنظل موجودين بعد موتنا وانتهاء أعمارنا الفصيرة على هذه الأرض . أقول ذلك مستندا الى أدلة علمية - أقوله لأنني تحققت أن بعض أصدقائي الذين ماتوا لا يزالون موجودين اذا أنى قد ناجيتهم ومناجاة الموتى ممكنة ولكن يجب أن يسارع على نوااميسها وأن تعرف شروطها وهي ليست من الأمور الهينة . وقد حادثت أصدقائي الموتى كما أحادث واحدا من الحضور وقد كانوا في حياتهم من أهل العلم ولذلك برهنوا لي براهين قاطعة نشر بعضها وسينشر البعض الآخر في حينه انهم هم أنفسهم كانوا يحدثونني وانني لست واهما . ان ذلك حقيقة أنا مقتنع بها وبصحتها بكل ما في من قوة الاقتناع انني مقتنع بأننا لا نضمحل عند الموت وأن الموتى يهتمون بأمور هذا العالم ويساعدوننا ويعرفون أكثر مما نعرف بكثير ويقدر أن على مناجاتنا أحيانا

ان هذه النتيجة التي وصلت اليها عظيمة لا تعرفون أنتم ولا أعرف أنا مقدار عظمتها . وتعلمون ان بين رجال العلم كثيرين غيري ممن يعتقدون بذلك مثلي وان منهم كثيرين أيضا لا يعتقدون به . ومن رجال العلم كثيرون لم يبحثوا في هذا الموضوع . وليس لكل أحد ان يبحث في كل شيء ولكن من يقضي ثلاثين سنة أو أربعين يبحث في أمر من الأمور يحق له أن يبدي رأيه في النتيجة التي وصل اليها . ولا بد لكم من أمثلة تختص بهذا الأمر لكي تبحثوا فيها ومثل هذه الأمثلة كثير في مجلدات الجمعية العلمية وسيزداد كثيرا على أن الأمثلة يجب أن يهتم بالنظر فيها لأجل بناء الاحكام عليها وقد لا تتفق أحكامهم في أول الأمر مع آرائي التي أبديتها ولكنها ستفق معها أخيرا بعد سنوات ولا بأس من التمهّل

غير ان الباحثين الذين اهتموا بهذا مئة سنين قد اتفقوا على ان الأدلة عليه تكاد تكون قاطعة . وأنا لا أشك في أن الموتى يناجون تمام انى قضيت سنين كثيرة حاول تعليل ما ينسب الى مناجاة الأرواح بعقل أخرى ولكنى رأيت فساد تعاليل الواحد بعد الآخر وليس لى طريقة الآن أعاز بهما ما ينسب الى مناجاة الأرواح غير القول بأن الأرواح موجودة فعلا وتناجينا غير انى لا أقول ان الميت يكون موجودا كل مرة يقال انه ناجى فيها . وعلى الباحث ان يكون يتظا يستعمل كل ما لديه من طرق التحجيص ولا يترك فرصة للبحث تسنح له لأن هذه الفرص نادرة جدا وحقيقة البقاء بعد الموت قد ثبتت بالطرق العلمية وهى مساعدا تساعدنا على ادراك الاتصال بين جميع حالات الوجود . وذلك ما يبعثنى على القول ان الانسان ليس منفردا بل تحيط به مدركات أخرى . واذا عرفتم ان فوق الانسان مدركا يفوقه هان عليكم أن تتصوروا درجات أخرى من المدركات أرقى فأرقى الى أن تصلوا الى المدرك الأعلى نفسه أى الى الله سبحانه وتعالى

وعالم هذه المدركات ليس عالما غريبا عن عالمنا فان الكون واحد ان مداركا ونحن هنا على الأرض محدودة فلا نرى كثيرا من الأمور التى تجرى ولكن تحيط بنا كائنات وتعمل معنا وتساعدنا قد عرفها قليل من الناس بعض المعرفة من الرؤى التى رآوها وعندى ان كل ما تقول به الأديان من أن الملائكة والقديسين معنا وأن الله نفسه يساعدنا على وجهه من غير تأويل هذه هى خطبته فى تاريخه

هنا ما أردت نقله من آراء المحدثين والقدماء ملخصا لتكون أيها الذكى فى هذا التفسير مطالعا على الآراء المختلفة لفهم الآيات الواردة فى الملائكة والشياطين وتعرضها على كتاب الأرواح أو على ما نقلته فى هذا التفسير ثم الآيات الواردة مثل سورة الجن - بسم الله الرحمن الرحيم قل أوحى إلى الله استمع نقر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهذى الى الرشد - وجاء فى تلك الآيات ان الجن (ويمثلها الأرواح التى خرجت من الدنيا وهى ناقصة محصورة الفكر كما ذكرنا فى الصفاء والفخر الرازى وعلماء الأرواح فى أوروبا والغزالي) قالت

(١) ان الله لا ولده (٢) وان الجن ما كانوا يظنون ان هناك كاذب على الله (٣) وان الانس يستغيثون بالجن وهذا وبال لأن الجن بهذا طغوا مع انهم جاهلون (٤) وان الجن كانوا يظنون كالانس ان الله لا يبعث أحدا (٥) وانهم منعوا من الاخبار بالغيب ولا يدرون ما الذى سيحدث لأهل الأرض (٦) وانهم منهم الصالحون والفساقون كأهل الأرض (٧) وان قوما منهم آمنوا بالقرآن واهتدوا به (٨) وان الجن اجتمعوا على النبى لما دعا الله فكأنوا متراكمين عليه (هذا ملخص) ما جاء فى سورة الجن وهذا موافق أشد الموافقة للعلم الحديث بأوروبا وان الروح بعد الموت هى الروح فى الحياة الدنيا هذا جاهل يوسوس للناس بجهله وهذا فاضل يلهم المستعدين من علمه - وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هى إلا ذكري للبشر -

ثم انى نقلت لك هذا لتطلع على العلم المنقول ولا تقف عنده بل تنظر ببصيرتك وثاقب ذهنك فى الكتب وفى العلوم - وقل رب زدنى علما -

﴿ تفصيل الكلام على قوله تعالى - كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ﴾
ان الانسان يخضع لما فوق طاقته ويخضع لما لا تتناهى قوته وجميع مظاهر العظمة والجلال تنحصر فى دائرتين دائرة البطش ودائرة غرائب العلم - والدائرة الأولى تتجلى فى كل ما بهر الناس من آثار العظمة ان الانسان له قوة قدسية ساهية كمنت فيه ومتى شعرت بأعظم الأمور تحركت الى ما سمت اليه غريزتها وحمت الى ما استكن فيها . ومن هذا المقام نبئت له الهياكل وأقيمت له التماثيل فى الأمم الغابرة والأجيال الحاضرة لتثير فى نفسه الإعجاب والاحلال هذه سجيته المكنونة وغريزته المخزونة . ولقد جعل الله من عباده من سمت مواهبهم وأجرى على أيديهم غرائب استنارة للإعجاب وتذكير لهم فاذا رأوا فاكهة الصيف شتوية وفاكهة الشتاء صيفية وان الأكمة والأبرص برئا والميت حي على يد انسان . عظم اعجابهم وسمو ما يؤوله من النصائح التى يلقىها من ظهرت المحائب على يديه . على

ذلك درج الأنبياء والرسل والقديسون

والدائرة الثانية وهي العلمية تماثل الأولى فتأخر نبي بمالا عهد لهم به من الغيب وأنسوا بالمخبر واعتادوا صدق الأخبار الغيبية على يديه تبعود وصدقوه فيما أتى من نصائحه وما يعلم من حكمته فالمرجع لرؤية القدرة والعلم ولما علم الله أن هذه الأمة ستكون أيام انقلاب العالم أنزل في القرآن أن سحرة فرعون لما آمنوا ثبتوا على إيمانهم لما أيقنوا بالعالم أن موسى فوقهم وسحرهم لا يتناول مقامه وليس في علم السحر عند كبار السحرة أن العصا تبطل الحبال والعصى تنفر واساجدين أما بنو إسرائيل فأنهم بهرهم عجل السامري المصنوع من الذهب وكان له خوار وما رأوا أقواما يكفون على أصنامهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهة كإلههم آلهة فكان ذلك في القرآن تنويرا للعقلاء أن خرق العادات لا يفيد الناس ثباتا في العلم ولا رقيًا في الحياة فالخوارق لا تؤثر إلا إلى أمد قريب ومن آمن بالعصا لما انقلب حية حوله أن يتدأر أي عجلا من ذهب والأمم في أيام جاهليتها كالأشب أيام صباه يحب فتاة فإذا وجد أجل منها هجر الحبيب الأول أما من اشتركت معه زوجته في الحياة وله منها بنات وبنون فثبتت المودة غالبًا مصون هكذا العلم والحكمة يضيان بنبات العقول والآراء لذلك جاء القرآن ألا ترى في قوله تعالى ردا على مشركي العرب - أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم - وقوله تعالى - وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون - وآتيناهم دنانير مبنية فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا - يقول الله تعالى إن الأمم في حال جهالتها تخوفهم بخوارق العادات ولا ثبات إلا بالعالم والحكمة

لقد منعنا أن نرسل بخوارق العادات إنما أردنا رقي الإنسان ليفهم الحكمة بعقله ويدركها بفهمه ولا يقنع بالتخويف كالأطفال ولا بالغرائب المنافية للنواميس المعروفة فإن الأجيال السابقة والأمم الدارسة لم يكونوا يصلوا إلى سمو العقل غالبًا فسلطنا عليهم عما التأديب لينفعوا زمنا قليلا أما الآن فأننا أنزل القرآن يحث على النظر والعلم وهنا يرى المفكر في عجائب جسمه وغرائب الصنع وفي بدائع الآفاق من النواميس البديعة والآيات الرفيعة ما ينسبه خوارق العادات ويتجلى له في جميع الوجود آيات

﴿ خوارق العادات المذكورة في القرآن ﴾

يجب العقلاء من الأمة الإسلامية ويقولون ما نرى كتابنا المنزل مشحونًا بالعجائب والخوارق والمعجزات التي كانت في الأمم السالفة والأجيال الغابرة وما لنا ولدناها ولو أنها كانت أممًا لم تزدنا شيئًا وكيف تزيدنا يقينًا والقرآن نفسه قد جاء فيه أن الله تعالى ما يرسل بالآيات إلا تخويفا فهو جعل الأمم السالفة أطفالا في أخلاقهم صبيانا في أنعامهم فأراهم الأعاجيب ورزق أنبياءهم حيا فماتت شتاء وشتا ماتت صيفا ونقل عرش بلقيس لسليمان في لحظة وقاب العصا حية لموسى وهناك ما جاء من ناقة ثمود وغير ذلك وإذا كان الله يأمرنا في القرآن أن نتذكر ونتفكر ونسير بالعقل ونعقل الحكمة فكيف نجتمع بين المعقول وخوارق العادات إن المسلمين لم يحببوا من كل ذلك وهم متحيرون

﴿ الحال الروحية والحال الجسمية ﴾

نقول اعلم أن الإنسان له حالان حال جسمية وحال روحية . ففي الحال الأولى يزرع ويحصد ويتجر ويتعلم ويأكل ويلبس ويكد بأعمال إرادية وتكاليف ومشايق جسمية إرادية . فأما في الحال الروحية فإنه يعمل تلك الأعمال بلا كلفة ولا مشقة بل بالإرادة والفكر والعزيمة كما نرى أنفسنا في حال النوم لا بسين أكليين شاربين والدين مالكيين جالسين على الأسرة صورته أرواحنا من المادة الأثرية المثلثة لهذا السكون بلا كلفة ولا مشقة ونحن نراه في النوم ولا نحبب لأنه مما تألفه النفوس في تلك الحال ولا تتعجب منه هكذا حال الروح بعد الموت فأننا نفعل هذا كله بالغريزة والطبيعة والفطرة والقوة الروحية بلا تكليف ولا أمر ولا نهى ولا إنذار ولا وعيد

فالروح تصوغ المادة الثابتة والسائلة والأغذية والفواكه وليس لها أدوات ولا آلات إلا إرادتها وأذن الله تعالى وكذلك تصوغ الألبسة المختلفة تصوغها غريزتها وهي تجبل كيف تصوغها إذا كانت أرواحا من حطة من فئة قليلة الترقى

في العوالم العلوية فال مادة الانثوية (أي اللطيفة) التي هي أصل العوالم كلها تنصرف فيها الروح على مقدار ارتقاها هذه قدرة الارواح التي أودعها الله عز وجل فيها كما أودعها في أرواحنا عند النوم - الله يتوفى انفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فبمسلك التي قضي عليها الموت يرسل الاخرى الى أجل مسمى - والروح في الحال الروحية تفعل بالغيرة ما كانت تفعله تكلفا ولا تعقل ما تفعله الا اذا كانت روحا نقية فاضلة شريفة كاملة

أما في الحال الدنيوية فان هذه الاعمال مخالفة للناموس لا توافق حالنا فلأن امرأ أنزل الله عليه الخبز واللحم والفاكهة وهو جالس في بيته ثم أفرغ عليه العلوم والمعارف من غير كد ولا نصب لكان ذلك مخالفا للناموس والقانون الذي عليه أهل الارض واما يكون ذلك سببا في رقيهم بل الرقي في هذه الحياة بالعمل والسعي وهذا العمل والسعي يكونان سببا في الرقي بعد الموت وعلى هذا تكون المعجزات رخوارق العادات التي جاءت على أيدي الانبياء كالرزق الذي رزقت به مريم في هذا المقام ليس مما يناسب عالمنا وانما يناسب عالم الارواح ولذلك تجد الناس يبتهمجون به ويفرحون لاسيما اذا كانوا من العامة والجهلاء فانهم أقرب الى التصديق ونفوسهم تحن الى ما استمكن في فطرتها وقد حجت عنه لادم معلوم فيكون ذلك الاعجاب سببا في الايمان بالانبياء والقديسين ويتفجعون بذلك الايمان ولكن هذا الايمان في الدين الاسلامي ليس غاية العلم ولا منتهى الادراك بل دين الاسلام يدعو الى النظر العقلي والتفكير الحكيم - أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكري لقوم يؤمنون - يرشدنا القرآن ان تلك العجائب جاءت للادم وهم أطفال ولأدجيال وهم جهال فكانت رخوارق العادات هي التي لها القول الفصل في الايمان ألم ترالى قدما المصريين كيف كانوا يخيمفون الشعب بالامور الهائلة رالها كل العظيمة وكيف كانوا يمثلون لهم العظمة بأبي الهول المركب من رأس امرأة على جسد ثور بأظفار أسد وجناحي نسر رمزا الى هذا الانسان الذي نبغ وسط الحيوان وظهر على هذه المخلوقات . وهكذا علماء النصرانية كانوا يرمزون للشعب ولا يصرحون قال سيني سيوس الاسقف اليوناني الذي تولى في آخر حياته أسقفية عكا ومات سنة (٤١٠)

ان الروح السري الذي تراه ساري في سائر الاديان القديمة لنتاج من كون الشعب يحتقد دائما ما سهل عليه ادراكه فلهذا يؤثر ان يكون مغشوشا غامضا هكذا فعل كهنة مصر الاقدمون (وأما أنا نساأكون فيلسوفا مع نفسي وكاهنا مع الشعب) اه

وقال غريغوريوس في رسالته الى (ايرونيموس) ان الاعجاب والابهام ضروريان لالقاء الهيبة في الشعب فكما قل ادراكه ازداد عجبهم ان كثيرا من رجال الدين وآباء الكنيسة نطقوا بما يلائم الظروف والاحوال لا بما كانوا يعلمون . فأنت ترى أيها الذكي ان الامم الالفة كانت تألف العجائب والغرائب ولم يكن يؤم العقل ويعرف الحقائق الا كبار العلماء . لذلك أرسل الله لهم الانبياء وأعطاهم العجائب موافقة لحالهم وهم جاهلون ولكن لما جاء القرآن أراد الله أن يفشي خلقا جديدا مفكرا عالما فقال - وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون - وقال تعالى - أدع الى سبيل ربك بالحكمة - لأرقى الطبقات - والموعظة الحسنة - للجهال - وجادلهم بالتي هي أحسن - للطبقة المتوسطة وحض على التفكير والتدبر والتعقل والنظر فقال - قل انظروا ما في السموات والارض - وقال تعالى - أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق - وقال تعالى - وفي أنفسكم أن لا تبصرون - وكيف يبصر الانسان ما في نفسه والاتفاق اذا كان ذكيا وانك لو أتيت الى الجهلاء وقلت لهم انظروا في عجائب أجسامكم وفي عجائب زرعكم كما نظرت فيما قرأت في هذا التفسير لضحكوا استغرابا ولعجبوا من قلة عقل القائل ولكنك لو قلت لهم ان مريم رزقت بغير حساب لفهموها وسبحوا الله بكرة وأصيلا فالقرآن جاء للاكثار من الناظرين والمفكرين وللاقلال من المغرمين بخوارق العادات لان الله لا يرسلها لاهل الارض الا قليلا ولا يأمر بها الا لمنفعة علمية ومصلحة دينية ويفضل عليها العلم والحكمة والنظر الصحيح ولذلك ترى أهل الارض من بعد نزول القرآن قد ارتقت أفكارهم . وأهل أوروبا من اختلاطهم

بالمسلمين في الحروب الصليبية عتقوا وفكروا بعقولهم ورّقوا جميع أعمال الحياة وإن كان المسلمون أصبحوا عبيد
لهوى نائمين على بساط الراحة ولذلك جاءهم الاوروبيون فأمطروا عليهم وابلامن العذاب ومن نال من الارهاق فأخذوا
يستيقظون وقاموا ينفضون الغبار عن رؤوسهم وينفون الذل عن بلادهم وهذا التفسير من مبشرات تلك النهضة
ومقومات ذلك العز القادم والمجد الدائم فيرى المسلم ان فاكهة مرهم وعرش باتيس وعصى موسى انما جاءت لام
كانت نائمة عما بين يديها وما خلفها أما المسلم فيقول - ان في السموات والارض آيات للمؤمنين وفي خلقكم وما يث
من دابة آيات لقوم يوقنون - ويعلم ان الجهال عن ذلك معرضون والعلاء به مغرمون

﴿ خوارق العادات والعلوم الطبيعية والرياضية ﴾

لقد استبان ان خوارق العادات تكون للناس في أحلامهم وتكون لهم بعدموتهم وهناك لا تكون خوارق
وانما هي حقائق ثابتة لا يستغربونها ولا ينكرونها بل هم بها موقنون وهذه العجائب لا تزال تتوالى على الناس
في كل زمان ومكان فتكون على يد الانبياء معجزة مقرونة بالتحدى فيقولون اننا مرسلون من عند الله والله أيدنا
بهذه المعجزات ويقول علماءنا رحمهم الله ان هذه الخوارق تكون على يدي أتباع الانبياء الذين يـمـون أولياء
ويقولون ما جاز ان يكون معجزة لنبي يكون كرامة لولي (أنظر كتاب النقاية للشيخ السيوطي) وأثبت ذلك بكتاب
عمر الذي جرى النيل بارساله ووضعه فيه وبقوله (وهو على المنبر بالمدينة وجيشه بنهاوند وسارية أمير ذلك الجيش
مخدرا له من العدو الكامن له وراء الجبل ياسارية الجبل الجبل) هذا ما في النقاية المذكورة وفي غيره من كتب علماءنا
ان هذه قد تكون على يد الساحر ويد الجاحل فكما تكون معجزة على يد نبي تكون كرامة لولي ثم (معونة) لجاهل
ثم (استدراجا لفاسق) فيقول علماءنا ان تلك الخوارق تكون في سائر الطبقات وتسمى بأسماء مختلفة على حسب
الواقعة هي على أيديهم . ولست الآن أقول لك هذا الا لتقف على ما يقوله أهل الشرق والغرب في هذا المقام أما رأيي
أنا فانك ستسمعه قريبا هنا

أقول ولقد ظهر في أقوال علماء الارواح ما فيه العجب العجيب ولعمري لا يوضح المقام الا ما جاء في علم الارواح في
العصر الحاضر أولا ثم في التعقل والتفكير ثانيا وها أنا ذا أشرحه لك الآن شرحا وافيا فأقول لقد ظهر علم الارواح
وأيد هذه الغرائب ولواطلعت على الكتاب الذي ألفته المسمى (الارواح) وعلى غيره من كتب انهم المعاصرة لنا
وعلى ما كتبه صديقنا محمد فريد وجدى الذي هو أول من أظهر هذا العلم في بلادنا المصرية وعلى ما جاء في كتاب
المذهب الروحاني لواطلمت على ذلك كله لرأيت عجبا عجبا رأيت ان أعظم الفلاسفة والحكماء في انكلترا وفرنسا
وأمریکا الذين لا يظن فيهم الغفلة قد أحضرت الارواح على يد الوسطاء فواكه وأزهارا وملابس امامهم وغير ذلك من
عجائب وغرائب واذا سئلت الارواح عن ذلك قالت اني أحضرته من أرض أخرى لأن العوالم الأخرى
لا تناسب عالمكم . ذلك ذاع وشاع وملا الأصقاع . والناس في الشرق نيام والناس أعداء ما جهلوا هذا ما أجملته الآن
من علم العصر الحاضر وهو أقرب لما قاله علماءنا فالمعجزة للأنبيا والكرامة للأولياء والسحر للسحرة وأما
ما عند علماء أوروبا فسمه ما نشاء أن نسميه ولقد سئلت الارواح (عن كيفية احضار تلك الأشياء والأغذية
والملابس والازهار التي حفظها الفلاسفة والعلماء في انكلترا وغيرها ودامت كما تدوم عندنا تماما) فأجابت ان هناك
شيئا (يسمى السائل المغناطيسي الانساني) يكون كثير في الوسيط فتخلطه الارواح بالسائل المغناطيسي الذي هو في
طباعها وهذا المزيج هو الذي به تحضر تلك الفواكه والملابس وتصنع العجائب والارواح بدون السائل الذي في
الانسان لا تقدر على فعل شيء من ذلك هذا في أوروبا

ولقد رأي بعض الضباط من الانجليز في اسند قوما من أهلها عبادا يصنعون العجائب ويضعون الرمل ويطلبون
من الحاضرين أن يفكروا في أي شعر وأي ثمر على أي لغة فأسرع ما كتب تلك العصي على الرمل بأجل خط وأبدعه
بتلك اللغة التي تصوورها الجالسون وغيرهم لا يعلم

فما سئل الهندي عن هذا أجاب ان لما عابد وتعايم تحرم علينا الترف والنعيم ونحن نتمسك بالزهد والتشفي والامساك عن النساء وبهذا نستعد للاتصال بأرواح آبائنا وتلك الأرواح تخرج (السائل المغناطيسي) الذي عندنا بالسائل المغناطيسي الذي فينا بسبب الزهد وغيره وبهذين السائلين يفعلون تلك الأعاجيب ألا تعجب كيف اتفق ما قاله علماء أوروبا حين سألوا الأرواح مع ما أجاب به عباد الهند ما أجل العلم وما أعجب الحكمة ومنفعة هذا في مقامنا أن نقول ان العجائب والغرائب وخوارق العادات كما قدمنا جعلها الله في هذا النوع الانساني لتكون بمثابة تذكير لهم بما يكونون عليه بعد الموت من القوة الغريزية التي تكون فيهم ولذلك ترى الناس في الشرق والغرب يفرحون وتشرح أفئدتهم بما يسمعون من عجائب مريم وعيسى وموسى وترى الأطفال والنساء والجهال جميعا فرحين بذلك نشطين لسماعه وليس ذلك في الأرض موضوعا عبثا كلاًه وإنما ذلك لأنه كامن في نفوسهم سائغ في فطرهم ان القوة في عالم الأرواح فلما أن برزت على يد الأنبياء دهشوا له وحنوا وطرخوا

﴿ فوائد المعجزات في التربية الحديثة ﴾

ولقد جاء في كتاب أميل القرن التاسع عشر الشارح للتربية التي يجب أن تكون عليها الأم والأجيال ان أمة الانجليز يدرسون للصغار في المدارس ولصغار العقول من الجهلاء حكايات الجن والعفاريت والخرافات صباحا ومساء ويصنعون لهم الروايات كمسألة الفتاة التي طلبت من والدها ثوبا كالقمر ولبست جلد الحمار واختفت عن الأبصار وتوارت عن الناس وغابت وأورد كثير من الأمثلة على ذلك وعاب أمة الفرنسية قائلا انها ظنت ان تلك الخرافات باطلة والحقيقة انها وسعة للتقوية الخيالية فتتسع القرائح ويكبر الخيال وليس يجوز للعلم أن يقول لهم هذا غير حق بل يتركهم فرحين مستبشرين ولا يدخل عليهم الحزن والكدر باظهار الحقائق واضحة جليلة فان عاشوا جاهلين فقد اتفقوا وان تعلموا العلوم الرياضية والطبيعية أزال ما علق بالأذهان من الخرافات ومحض الحقائق بعد ان تكون الأذهان قد استعدت لتلقيها ذلك ما جاء في كتاب (أميل القرن التاسع عشر) الذي ألفه عالم فرنسي ينصح أمة أن ترقى التعليم فتبتدى بالخرافات وتنتهى بالحقائق بالرياضيات والطبيعات فيكمل العقل ويتم

﴿ العلامة جوستاف لوبون ﴾

ولقد خفيت هذه الحقائق الكاملة على العلامة جوستاف لوبون (الفرنسي) الذي قد انتشرت تعاليمه في الجمهور المصري. ان الرجل ينظر بعين واحدة ولقد وقف في الطريق فهو يكره المدنية الحديثة ويكره المادة ويكذب علم الأرواح ويكذب الديانات لانه نظر بعين واحدة ومن قرأ كتبه أصبح في حيرة شديدة ألم ترالى قوله في كتابه روح الاجتماع نافلا عن العالم (فوكرو) أحد رجال الثورة في تقريره اذ ذاك ونقله عنه (تاين) قال (ان ما هو مشاهد في كل مكان من اقامة صلاة يوم الأحد والتردد على الكنائس يدل على ان مجموع الفرنسيين يطلب الرجوع الى عاداته الأولى ولم يعد في الامكان مقاومة هذا الميل في الأمة لان السواد الأعظم في حاجة الى الدين والى العبادة والى القسيسين ومن خطأ بعض فلاسفة العصر الحاضر (وهو خطأ وقعت فيه أنا أيضا) القول بامكان إيجاد تعليم عام لازالة الاوهام الدينية لان في الدين سلوانا للساكنين) وأطال في ذلك

ولقد علمت أيها الذكي ان التعليم والتربية سيلزمهما ما يوسع الخيال بحسب التعاليم الخالي وأعظم منها هجه فكان (جوستاف لوبون) ومن نحاهوه قد نظروا بعين واحدة فظنوا ان الغرائب التي في الديانات جاءت عبثا ولقد علمت أيها الذكي انها في طبيعة الأرواح وثانيا توسع الخيال والعلوم الطبيعية تهذب فيما بعد. ولذلك ترى علماء (البيدا جوجيا) أي فن التعليم على الوجه الأكمل قد أوجبوا ان تكون الحكايات الخرافية لتوسع الخيال فبالك اذا كان ما يوسع الخيال جاء حقا على السنة الانبياء الصادقين

﴿ نتيجة هذا المقال ﴾

ان الناس لابد لهم من العجائب والغرائب كما رأيت في أقوال علماء أوروبا وكما نرى في بلادنا الشرقية من الحكايات

التي اخترعها الناس في الازمان الغابرة من أعمال عنتره العبسي وحكايات الغيلان والشاطر محمد وأمثالها وهذه ان أضرت من وجه نفع من آخر ثم يكون علم الطبيعيات والرياضيات منظما للعقل وأما الجاهلون فهم على كل حال جاهلون

والقرآن الكريم به جاءت فيه تلك العجائب لعل على سبيل الخرافة بل على سبيل المعجزة وهي تؤدي الغرض من توسيع الخيال ثم ترى فيه النظر في الارض والسماء والعجائب الطبيعية كما ترى في مسألة حشرة العذكوت وانها لها ألف ثقب في جسمها من كل ثقب يخرج خيط فهذه حقيقة أشبه بالخرافات والاعاجيب فاذا اتسع الخيال في الصغر العجائب وورد في الكبر من العلوم الحقيقية قبلها بشوق ووجد فيها من العجائب ما يفوق ما كان يقرؤه بالتحقيق ولا يصدق فعلى هذا يكون القرآن معلما لسائر الأمم والأجيال - جمع بين ما يوسع الخيال بالمعجزات وما يصقله من العلوم الطبيعية وهذه هي الحقيقة الناصعة التي ألفت في فؤادي وشرح لها صدي. ولم أكن أنا المهمل لها بل الخاطر الهاجم على الفؤاد . وأعمري ما كتبت سطر من هذا الا والاها مبدؤه - والى الله عاقبة الامور - اه

اللطيفة الثانية - تفصيل الكلام في قوله تعالى هناك دعا ذكر يا ربه الآية

اعلم أن في الانسان قوة عظيمة يسمونها المغناطيسية الحيوانية يقول علماء العصر الحاضر كما رأيت في كتاب (راجابوقا) الهندي المترجم الى اللغة الانجليزية وفي كتاب انجليزى أيضا يسمى (قواك وكيف تستعملها) ان الانسان متى وجه فكره لأمور توجيها تاما موقنا بنجاحه صادق في عزيمته صار قوا كل هم اليه نال ذلك الأمر لا محالة ولهم في ذلك طرق يستعملونها وسبل يسلكونها وفي الكتاب الثاني ما يفيد ان ساعة يجمع الانسان فيها فكره نحو القصد الذي قصده خير من أيام يقضيها في العمل لحاجته بالتوجيه قلب وهذا سر قوله عليه الصلاة والسلام - انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى - وسر قوله تعالى - ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - وسر قوله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى - أنا عند ظن عبدي بي - وسر قوله صلى الله عليه وسلم - أدعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة - ولقد رأيت في الفتوحات المكية لمحي الدين بن عربي ما يفيد هذا المعنى قائلا ما ملخصه (لم أر انسانا كملت انسانيته وعظمت همته وفاق عزيمته كزكريا فانه لما رأى مريم وصفتها وهي سيدة النساء عفيفة تمنى أن يكون له ولد فدعا الله متوجها توجيها تاما حاضر فكره فيما تخيله في مريم فرزق ببجي فجاء على صفات مريم اذ قال الله فيه - وسيدا وحسورا ونبيانا من الصالحين - فانطبقت صفاته على الصفات التي تمناء لما شاهد في مريم) فالأستاذ محي الدين بن عربي يطابق كلامه ما ورد عن الأمم الاوروية والهندية في العصر الحاضر وكل يدور على محور هذه الآيات فتعجب من العلم والحكمة وزد عجبك من القرآن الذي امتلا حكمة وعلماء في غضون القصص وفي أثناء الحكايات عن الامم السالفة والأجيال الفائتة ولقد قال مؤلف كتاب قواك وكيف تستعملها

ان أفكار الانسان لها أثر كلي على ظاهره فمن أحسن انه من العلماء أو من التجار أو من العامة أو من السوق لبس ملابسهم وتزيانهم وسار مسيرهم ودرج في طريقهم

فالفكر أبرز مكنونه على ظواهر الجسم وألبسه لباسه ويقولون أيضا ان كل فكرة تشعر بها كغز أو خذلان واستضعاف يكون لها أثر ما في الجو المحيط بنا وفي الاثر المالى للكون فتسير مسير الكهرباء وتطير كما يطير البرق وتحمده القوى المساعدة وتعطل النفوس المعاضدة هكذا يقول ذلك المؤلف وبضد هاتين الاشياء . فلو ان امرأ امتلا قلبه بالآمال موقنا بالنجاح أثر قلبه فيمن حوله وان كان لا ينطق بذلك وشرط المؤلف أن يجتنب الطالب الشرور والجدال وما لا فائدة فيه حتى تعتدل الروح فتؤثر في الجو الذي يحيط بها . أقول وهذا الكلام وان كان لا دليل عليه جدير بالتفكير فيه فان النتائج التي يراها من سار على الدرب تصدق تلك المقدمات فلا تصدق الا بالتجربة

ويقول هؤلاء أشعر قلبك السرور دائما واطرد عنه كل فكر يوقع فيه غما وخزا كتمنك النوايب الفائتة والمصائب الماضية فكل فكرة محزنة يعاقب عليها المرء بما يماثلها فكأن المصائب والرزايا تحل في القلوب التي تمجد

فيها صريح خصبيا

فأما القلب الذي تعرضت فيه باضرات الحقائق المزهرة وباسقات أشجار السرور المبهجة فذلك يجلب اليه ما كان من جذبه من المسرات وما يليق له من السعادات وإن ورد عليه ما يحزنه ألبسه لباس الجن وتوجه بتاج البهجة وفعل به ما فعلت النحل بما هجم عليها من الحشرات فانها كما تقدم قريباته وتحتطه بصمغ كما كان يحفظ قدماء المصريين موتاهم فتسكن في شراذم ذلك الهاجم حيا وميتا فهكذا ذلك القلب الجليل يكد وما حل به من المذائب جلايب من العلم مصنوعة من النور منسوجة من الجلال مخيطة بالحكمة فلا يذكر الا الجلال والبهجة ويسير في طريقه ناجحا في عمله وذلك جزاء الصابرين المفسكين العاملين انتهى

﴿ اللطيفة الثالثة - قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا ﴾

اعلم أن حفظ العواطف في الذاب وكتمان ما يريد الانسان النطق به شديد على النفس ولم ينل العلم والحكمة وقضاء المصالح الا أولئك الذين يحفظون قوتهم المغناطيسية فلا يبدرون ذبيها وان أردت المزيد فارجع الى هذا الفصل في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى - حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين - وذلك مما قلنا عن علماء الجمعية النفسية بأمر يكافد ذكر الله هنا أن ذكر يا أخبره الله أنه لا يكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا ليتوفر على شكر الله عز وجل وانحباس النفس عن شهوات الكلام المضیعة للقوة الروحية العظيمة وذلك من عجائب العلم ومما قاله علماء الجمعية النفسية المذكورة لا تدع مجالاً لتيار الرغبة والشهوة أن يفلت من يديك ولا تحقق تلك الرغبة لتكون قوة لك تنضم الى أخواتها فتكون قوى الجذب النفسى غيرك ومما مثل الآراء والأفكار المحبوسة فينا الا كمثمل الحمام اذا حفظناه جذب غيره اليه وان أفلتناه من أيدينا انطلق ولم تكن لنا فائدة به فيحظى به غيرنا فاذا رغبت أن تدهش غيرك بأخبار عجيبة ورأيت نفسك طامحة لذلك فاسكت فهذه قوة تحفظها لنفسك فاذا حققت ذلك أضفته الى ما فيك من قوة المغناطيسية فاكتم عن أصدقائك لافيمته من الاخبار واعلم ان هذه القوى في نفسك كالما الجاري في النهر كلما سدناه وحفظناه انتفعنا به وكلما تركناه زال عنا نفعه والرجل الساكت الهادى يزيد اعجاب الناس به . فهذا القول من علماء النفس وأمثاله من اقوال علماء الاسلام في فضل الصمت يدعشنا ان الآية ترمز اليه وان الكوت من القوى الشريفة النفسية الحافظة لقوانا وهذا من عجائب القرآن

﴿ اللطيفة الرابعة - ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴾

اعلم أن علماءنا المفسرين قال كثير منهم ان في قول عيسى فيما تقدم - وجئتكم بآية من ربكم - أن تلك الآية هي قوله تعالى - ان الله ربى وربكم فاعبدوه - وينبوا كونها آية مما ذكرناه من أن كل دين راجع الى العلم والعمل فالعلم رمز له بالوحدانية والعمل رمز له بالعبادة

كان المسيح عليه السلام يقول أنا لم آت لكم ببدع فكيف تكذبون . ان ما جئت به علم وعمل وهكذا شأن الأنبياء أما السحرة ومستخدمو الأرواح والدجالون فهؤلاء لا يهتمهم العلم ولا العمل ولا هداية الناس وانما نحن معاشر الأنبياء جئنا لهداية البشر اه (أقول)

اعلم أيها الذكى انى لا أريد من هذا التفسير الارتقاء عقلك وسمو فكرك ونبوغ قواك وشرفك فلتعلم أن المسيح وأمه لم يذكرا في القرآن مجرد الايمان ولا للتاريخ وانما هما عظة ومثل لما ان عيسى ومريم قد ذكرهما الله عفيفين زاهدين مبرأين من الشيطان ومن المدة التي غمرتنا وكان عروجهما الى الملائكة الاعلى والى الله ليكون ذلك القول داعيا الى أن تفكر في نفسك أن ان العالم الانسانى من أصل ررجى وجهاده في الدنيا ليخرج يوما ما من سجنها الى فسيح الجنان ثم عالم الملائكة والأرواح المجردة لذلك تراهم سبحانه يذكرون عيسى ومريم رمزا لذلك وعيسى عليه السلام رفعه الله من الأرض فصارع الملائكة فلتجد في العلم والحكمة حتى تصير فوق هذه الأرض وتعشق الخروج من سجن المدة فانك يوما ما ستكون - في متعدد صدق عند مليك مقتدر - مع عالم الملائكة فانك اذا كنت في الدنيا

بشرا بالفعل فإن فيك القوة المسكية وإياك أن تظن أن قولي مبالغته أو مجازفة أو خروج عن أقوال علمائنا كلامه وإن أردت البرهان فارجم إلى ما ذكره الفخر الرازي وأيده بأقوال الامام الغزالي في تفسيره سورة النازعات قال إن نفس الميت تنزع إذا كان في سياق الموت ومعنى غرقا نزعاً شديداً أبلغ ما يكون وأشد من إغراق النازع في القوس ومعنى تنشط تخرج ثم إنها تسبح وتسبح سبعا إذا كانت مشتاقة للعالم الأعلى زاهدة في العالم الأدنى فأما الجاهلة والغافلة فهي محبوسة فإذا وصلت إلى المنتهى ظهرت لها آثار في أحوال هذا العالم فدبرته فهي المديرات أمرا كما تدبر الملائكة. وضرب لذلك أمثالا كثيرة ضربنا عن ذكرها صفحا مشاكلة لما ظهر في علم الأرواح الحديث القائل إن الأرواح العالية في هذه الأرض ترتقي في عوالم الجبال طبقتا عن طبق وفي كل عالم تصل إليه يكون عدها فيه ما كسبت من العلم اذو العمل يصبح غريزة فيها وتكسب غيره وهكذا حتى تصل إلى عالم الأرواح الخالي من المادة فتكون من المديرات. إن العلم للعجيب ووالله ما قصر قدماؤنا الأول ولقد دورثونا علما أصبحنا نأخذ عن أوررو بالجهلنا بآثار آبائنا الأولين

واعلم أيديك الله أن قول عيسى إن آية صدقي إن الديانات كلها لغرض واحد وهو العلم والعمل أشبه بما جاء في قوله تعالى - ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله - فلا وردك جلا وجيزة من كل دين عرفناه لتكون واقفا على حقائقها لأنك من أمة قال الله لها - لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا - فلتنظر في ديانات الأمم وعلومها لتعلم أن الديانات متحدة في معناها وإن اختلفت في مبنائها وأذن تعرف سر القرآن فلم يكن الله بغافل عن السابقين ولا بمضيع للحاضرين

(١) كتاب القيدا

أصل ديانة الهندو التي هي أقدم من دين البراهمة ينسب من أربعة أسفار وهي الريجفيدا والسامافيدا والياجورفيدا والآثارففيدا وهي أسفار الهندو المقدسة قال فيها الله القيوم بذاته والموجود في كل الكائنات الذي لا يمكن أن تصيبه الحواس المادية بل الأرواح وهو المزمع عن هذه المادة وهو أزلي سرمدي وهو روح الكائنات الذي لا يمكن لعقل أن يدركه على ما هو عليه هذا من القسم العلمي

﴿ القسم العملي ﴾

إن الصبر ومقاولة الاساءة بالاحسان والقناعة والاستقامة والطهارة وكبح جماح الحواس ومعرفة الكتب المقدسة ومعرفة الله والصدق واجتناب الغضب هي الفضائل العشرة التي يجب على الإنسان

(٢) دين خرستا

خرستا ظهر سنة ٤٨٠٠ قبل الميلاد وتاريخ حياته كالسيح وأمه عذراء ورفع إلى السماء وهكذا أخذوا القذة بالقذة ودينه أشبه بمن قبله يعلم وحدة الله ويقول من رام بلوغ الكمال فليطلب علم الوحدة التي هي أصل الحكم ليصل إلى الله وقال إن في باطننا نورا إلهيا والنفس التي وحدت الله تنمشل من أمر الطبيعة وذم الغضب والحسد وقال إن الفضائل مقوية للنفس

(٣) دين بوذا

قبل ظهور الدين المسيحي بنحو ٦٠٠ سنة ظهر بوذا ساكيوماني وهو ابن ملك ولما بلغ من العمر عشرين سنة تأمل في شعبه ورأى البراهمة اتحادا مع الملوك وأذلوا الشعب الهندي بتعاليمهم ذهب إلى الغابات فصرف فيها سنين وعادوله من العمر ٣٥ سنة وأخذ يزلزل مآبنا البراهمة من الحواجز بين الشعب فاتبعه أهل الهند وأهل الصين واليابان وخلافهم ويتبع هذا الدين ثلث المعمورة وتعاليمه علم وعمل

فالعالم يقول فيه إن الشهوة هي التي تربطنا بالمادة والشر الأعظم هو الجهل ومنه يصدر العذاب والشقاء والعلم يجب أن يشمل ما نرى وما لا نرى والبحث في الإنسان واستقصاء مصادرها الأشياء وأسبابها ولا بد من الحب مصحوبا

بالعلم فتعشق النفس العلم لتخرج من هذه المادة

أما العمل فهو يتحول في وصايا العشر لا تقتل لا تسرق كن عفيفا لا تشهد بالزور لا تكذب لا تلبس ثيابا تجنب كل كلمة نجسة كن خالي الغرض لا تأخذ بالشار لا تعتقد اعتقادات باطلة وهو يحض على قهر النفس وعلى الشفقة على سائر المخلوقات ومن كلامه (أنا بوذا الذي بكيت بسكاء اخوتي وانسحق قلبي لحزنهم أصبحت اليوم ضاحكا مسرورا لأن الحرية موجودة

كل ما نحن عليه نتأج فكرينا وأحوالنا عليه مؤسسه ولا بد للإنسان أن يعود فيحصد ما زرع وأهم ما يوصى به العلم والمحبة اه

(٤) دين قدماء المصريين

أما ظواهر الدين المصري فمشهورة بين الناس فهي كلها أصنام وآلهة حجرية وحيوانية ووصاياهم للعامة كانت في صلواتهم هكذا يقولون ان النفس يوم القيامة تقف أمام ٤٢ قاضيا سماويا وتقول أيها الاله العظيم ورب الحق أتيت ملتزمة لنعمتك واني أعرفك وأعرف اسمك وعرفت أسماء الاثنين والاربعة إلهي الجالسين معك في ديوان الحق لمعاقبة الاشرار ثم تقول الروح امحو اذنوبي فاني لم ارتكب شر اصدق ربي ولا أخزنت أحدا ولا جملت العامل من الشغل فوق طاقته لم أكسل لم أخطئ لم أسبب البكاء لأحد ولا وشيت بالأسير أمام سيده ولا قتلت ولا أسأت أحدا لم أطفف المسكين ولم أغبن في الوزن ولا أخرجت اللبن من فم الرضيع ولا اقتنصت الوحوش من مرايضها وهذه هي الصلاة التي ان صدق نيم الانسان أمام القضاة نجا وان أخطأ هوى الى العذاب هذا ما عند العامة (وأما حقيقة الاله عند الخاصة فهي هذه)

﴿ رؤيا هرمس ﴾

كان عند لمصريين سرا لا يطلع عليه الا كبار العلماء وأصحاب السر رؤيا منقوشة بالكتابة الهرم وغليفية في المعابد وكان ينقلها الأحرار شفها وهي

رأى هرمس وقت الانخفاف الكون والعوالم وانتشار الحياة في كل صقع فسمع قائلا في وسط النور يقول ان النور الذي رأيته هو نور الله الذي أشرق على كل شيء وأما الظلمة فأنتم هي العالم المادي الذي يعيش فيه الناس وروح الانسان اما أن تكون أسيرة في المادة واما أن ترقى في النور وجميع الأوجاع والآلام والمصائب تجعلها نيرة فتطير الى العلامات الى النور فثبت قلبك اذن يا هرمس حين ماترى الارواح صاعدة في معارج الافلاك العلوية توصلا الى الله . ثم سبحت الأفلاك السبعة هاتفة بالحكمة الحب العدل اليها العظمة العلم الخلود

ثم يقول الخبر لمن تم امتحانه اعلم يا بني أن ناموسا نظاميا واحدا يدبر كل شيء لا يجوز أن يقال الحقيقة للضعفاء لئلا يتسلبوا بها للشر فلهذا علم واتصمت اه حينئذ يكون دينهم التوحيد عند الخاصة والاشراك عند العامة

(الخامس) دين (يو) الكبير قبل المسيح بألفي سنة بالصين

(السادس) ليونسوسنة ٥٩٠ قبل الميلاد بالصين وعاش ٧٣ سنة وكان دينه كدين بوذا

عقائد هذين النبيين وغيرهما في الصين كما نقل عن الجريدة الفرنسية المطبوعة في مدينة ليون سنة ١٨٦٥ عن الكتب المقدسة للصينيين نشرت قبل المسيح سنة ٢٨٠٠ (نيس) هو الرب العظيم

ذو علم غير متناه وأينما توجهت فهو حاضر هو غير متناه لا يحاط بل بوجوده نعمه يحب استعمال الرحمة يعتنى بالأرض حاضر فيها دائما الملائكة فوقنا وتحتنا وعن أيما نانا وعن أيما نارنا نريد أن نراهم فلا نقدر لانهم في غاية اللطافة يتراءون للأحياء نادرا ان الأرواح تسرب بالقلب المخلص ان اللاموات الفضلاء مكانا في السماء

هذه هي الديانات المنتشرة اليوم وفي الأيام السالفة في أعم بقاع الأرض فانظر كيف اتفقت كلها على التوحيد ولا اشراك الا عند العامة لأنهم لا يقدرون أن يتصوروا اله لا يرى وانظر كيف يجمع علمهم كله في كلمتين المعرفة والعمل

وكانت الديانات كلها ديناً واحداً في جوهرها فأما الخلاف فراجع إلى الظواهر التي تنكس بها تلك الديانات فصح حينئذ أن يكون قول المسيح - إن الله ربي وربكم فاعبدوه - آية من آيات الله تعالى لأنها ملخص الديانات وكذلك تفهم أيضاً قوله تعالى - ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وأياكم أن اتقوا الله - فهذه هي الديانات كلها وما اليهودية والنصرانية بخارجتين عما تقدم ولله الأمر من قبل ومن بعد وإنى لأرى كأن النوع الانساني يتسابق إلى ربه يعرج إليه فوجاً بعد آخر ومن لم يدرك بقي في سجن الجهالات وجهنم الذل والهوان والله يهدي من يشاء

(تفصيل الكلام على قوله تعالى - وما قتله وما صلبوه ولكن شبه لهم الخ - وعلى الأناجيل وعددها) لأقدم لك مقدمة في الأناجيل لتقف على الحقيقة الثابتة بخية لها ثم أخص أناجيل برنابا بالنقل لأنه يوافق القرآن فأقول اعلم أن المسيح اختار أتباعه من ضعاف الناس وهم الصيادون في بحيرة طبرية كأنه يقول أيها الناس إن تعالمني لا يعوزها ذلك خارق للعادة (وبعد موته) أخذ الرسل يبشرون بتوحيد الله وبالمحبة ويرمزون إلى طهارة النفس من الذنوب بما المألوف في الاديان التي أخذت عن الاسونيين فانتصب إذ ذاك بولس وهو فريسي يعرف اللغة اليونانية ولم ير للمسيح قط فادعى أنه أخذ الدين عنه وصار يخاصم بطرس ويوبخه فانتقسم النصارى فريقين فريق يتبع الرسل وفريق يتبع بولس وذلك بعد المسيح بعشر سنين ثم تمرد اليهود على نيرون الروماني فأرسل لهم (نسباً سيانوس) الروماني ثم ابنه طيطس يقود الجيوش وانتهى الأمر بافتتاح أورشليم سنة (٧٠) ب.م وخرب الهيكل وتفرق اليهود مشتين ومات الرسل ماعدا يوحنا وفيلبس وانحلت الرابطة وتفرقوا واشتد مذروا اختلطت تعاليم المسيح بالفلسفة اليونانية المنتشرة إذ ذاك لاسيما بالاسكندرية ولما كان تلاميذ المسيح لا قدرة لهم على المجادلة تغلبت الفلسفة اليونانية على تعاليمهم

وفي أثناء هذا الاختلاط والمشاعبة نشأت الأناجيل في أواخر القرن الأول وما الأناجيل إلا مجموع روايات منقولة في الأصل عن الرسل

وقد كانت هناك أناجيل كثيرة في القرن الأول والثاني واختير أربعة ورفض الباقي وقد أحصى من المنبوذ فابريسيوس (٣٥ أنجيلاً) مثل أنجيل مار بطرس وأنجيل المصريين وأنجيل حياة يسوع وأنجيل مارتوما وأنجيل مار اندراوس وأنجيل مار يريتماوس وأنجيل قرشي وأنجيل فالشينوس وأنجيل السيمونيين وأنجيل يهوذا وأنجيل برنابا وأنجيل السريان وأنجيل العبرانيين وأنجيل النصارى وأنجيل نيقوديموس ولم يبق من هذه الأناجيل إلا أسماؤها ما عدا أنجيل برنابا الذي ظهر في هذه الأيام ويرجع العارفون إلى اختيار الأناجيل الأربعة المنسوبة إلى متى ومرقس ولوقا ويوحنا الثلاثة بين النصارى تمت في منتصف القرن الثاني المسيحي

وقد قال المعلم ساباتييه رئيس الدروس العليا في مدرسة السريون لما تعذر على الكنيسة معرفة المؤلفين الحقيقيين للأناجيل اضطرت إلى القول بالأناجيل حسب متى أو حسب مرقس وهكذا ولقد لام شيلسوس الفيلسوف في القرن الثاني النصارى في كتابه المدعو الخطاب الحقيقي على تلاميذهم بالأناجيل ومحوهم في الغد ما أدرجوه بالامس وفي سنة ٣٨٤ م أمر البابا داماسيوس أن تحرر ترجمة لاتينية جديدة من العهد القديم والحديث تعتبر قانونية في الكنائس وكان نيودوسيوس الملك قد صجر من الخصامات الجدلية بين الاساقفة وتمت تلك الترجمة التي تسمى (فولكانا) وكان ذلك خاصاً بالأناجيل الأربعة متى ومرقس ولوقا ويوحنا وقد قال مرتب تلك الأناجيل (بعد أن قابلنا عدداً من النسخ اليونانية القديمة ربناها بمعنى أننا نحن ما كان فيها مغايراً للمعنى وأبقينا الباقي على ما كان عليه)

ثم إن هذه الترجمة قد ثبتها المجمع (التريدنتيني) سنة ١٥٤٦ أي بعدها بأحد عشر قرناً ثم خطأها سيستوس الخامس سنة ١٥٩٠ وأمر بطبع نسخ جديدة ثم خطأها كليمندوس الثامن هذه النسخة الثمانية أيضاً وأمر بطبعة جديدة منقحة هي الدارجة اليوم عند الكاثوليكين

لعمري لقد خضت لك أيها الذكي تاريخ الاناجيل من الكتب خالصا ساغنا للشاربين ولتدكت قبل الآن أود أن أكون على علم بهذه الجملة الموجزة لان معرفة الحقائق سعادة فأنا اليوم أعرفها معك لنبتهج بالعلم والمعرفة معا ولنرى أيها الذكي كيف كان هذا الانسان مكينا مسخرا للتقاليد واتباع السيرة على ما سمعه من أساتذته وشيوخه وهو وهم ساهون لاهون مساكين . ولعمري ان هذه شفتنة سارت عليها الامم قديمها وحديثها ولا تستثنى أحدا كيف لا وأنت ترانا نحن المسلمين وان لم نغير كتابنا قد غيرنا المنهج الذي يطلبه والصراط المستقيم الذي سنه ألم تر رعاك الله كيف حرص على النظر في العالم والتعقل والتفكير فعرف هذا ساداتنا وآبائنا في العصور الاولى ثم خلف من بعدهم خلف ناموا على الوضوء والنجاسة والبيع والفرائض وأنغمضوا عيونهم - ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا وما بأنفسهم فالمدار على تغيير ما بالأنفس لا على تغيير الكتاب المقدس . كان المسيحيون قبل ظهور بولس موحدين صادقين يدعون للمحبة فلما جاء بولس كثرا الخلاف وبعد ذلك طرد اليهوديرون من أرضهم فتفرقوا شذروا مذبذبين وغير لانجيل . فأما نحن معاشر المسلمين فان ديننا سهل وكان القرآن في العصور الاولى يحث على التعقل ثم انحسرت العقول وأسدل عليها حجب من الجهالة والتعصب والعمى فداستنا الامم وانقدنا لها كارهين ذلك لتغيير طرق الفكر لا لتغيير الكتاب وسيكون هذا التفسير وتعاليم أخرى تظهر على يد فضلاء من المعاصرين لنا في الاسلام سببا في انتشال الامة من وحدتها ورجوع وحدتها - والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم - اه القول في الاناجيل والانعاظ بما حدث فيها فلنفضل الكلام على مسألة الصلب وانجيل برنابا

(انجيل برنابا - ومسألة الصلب)

لقد قدمت لك الكلام على انجيل برنابا في سورة البقرة عند قوله تعالى - وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم - وذكرت لك هناك ان ما ذكره أسلافنا رجمهم الله تعالى عن التوراة قد حذف منها الآن ولم يبق له رسم ولا اسم وقلت ان الاناجيل الأربعة هي التي بين أيدي الناس اليوم وانجيل برنابا يوافق القرآن . وقد فهمت من هذا المقال الآن ما حصل من نبدج انجيل الباقية منذ القرن الثاني ولا يعرف الناس عنها شيئا . أفليس من العجيب أن يكون هذا التفسير أكثر حظا وأوفر سعادة بظهور انجيل برنابا في هذه الأيام وانه ربما انعدم من الوجود قريبا لأن حكومة البلاد تحت أمر الانجليز وهم جميع الأوربيين لهم السلطة في أكثر بلاد الاسلام ولقد منع نشره بين الجمهور الآن فلا ثبت لك ما فيه الآن أيها الذكي وهو أمانى ولتقرأه مطالعا على ما فيه والفرصة سانحة فأقول

(رفع المسيح الى السماء وصلب يهوذا وانه شبه به ولم كان هذا العقاب)

ولأخلص لك ما في الفصل الثامن بعد المائتين وما بعده من الانجيل المذكور قال (الحق أقول ان ابن ابراهيم هو اسماعيل الذي يجب أن يأتي من سلالة (مسييا) الموعود به ابراهيم أن به تبارك كل قبائل الأرض) فلما سمع هذا رئيس الكهنة حنق وصرخ (انرجم هذا الفاجر لأنه اسماعيلي وقد جحد على موسى وعلى شريعة الله فقام الناس ليرجموه فاخفى يسوع عن أعينهم وتبعه المؤمنون الى بيت سمعان ثم ذهب هو والذين دعاهم رسلا فقط الى بيت نيقوديموس وبستانه وراء جدول قدرون وفي ذلك الوقت كانت العذراء مريم تصلي فأخبرها جبريل بما أصاب ابنها وبشرها بأن الله سيحميه من العالم فاطلقت مريم باكية تطلب ابنها فلم تدر أين هو فتوجه رئيس الكهنة الى هيرودس والى والى الروماني منها يسوع انه يريد أن يجعل نفسه ملكا على اسرائيل وأحضر لذلك شهود زور

وقد كان والى الروماني يعطف على المسيح فهتده هيرودس انه يتهمه بالعصيان أمام قيصر . في ذلك الوقت قال المسيح في بيت نيقوديموس لقد دنت الساعة التي أنطق فيها من هذا العالم ثم أخذ يدعو الله ومن دعائه (أيها الرب الاله أذكر قبائل الأرض كلها التي قد وعدت أن تباركها برسولك الذي لأجله خلقت العالم ارحم وعجل برسولك لكي لا يسلب الشيطان عدوك ملكته) فأجابوا كلهم آمين خلايها وهذا لأنهم يؤمن بشي صفحة ٣١٠

وجاء صاحب المنزل فأخبر يسوع بكل ما أمر هيرودس والوالي ورئيس الكهنة . ثم قال يسوع ليهوذا (ان
وقتي قد دنا فاذهب وافعل ما يجب أن تفعله) فظن التلاميذ انه يشتري شيئا ليوم الفصح ثم أخذ المسيح يقبل أرجل
تلاميذه ثم قال يسوع ان واحدا منكم سيسلمني فأباع تكروف فذهب يهوذا وأخذ من رئيس الكهنة ثلاثين قطعة من
الذهب ليبدل على المسيح وقدم الجنود مع يهوذا فلما سمعهم المسيح انسحب الى البيت خائفا وكان الأحد عشر نياما
فأخذ جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل يسوع من العالم فخلعوه ووضعوه في السماء الثالثة في صحبة الملائكة يسبحون
الى الأبد فدخل يهوذا بعنف الى الغرفة التي صعد منها المسيح فتغير يهوذا في النطق وفي الوجه فصار شبيها يسوع قال
برنابا حتى اننا اعتقدنا انه يسوع أما هو فبعد ان أيقظنا أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم . لذلك تعجبنا وأجبنا أنت ياسيد
هو معلمنا ألسيتنا الآن أما هو فقال متبسما هل أنتم أغبياء حتى لا تعرفوا يهوذا الأسخريوطي فدخلت الجنود
وألقوا بأيديهم على يهوذا لانه كان شبيها يسوع من كل وجه . قال برنابا ما نحن فلما سمعنا قول يهوذا ورأينا جمهور
الجنود هربنا كالمجانين ثم قال فأخذ الجنود يهوذا وأوثقوه ساخرين منه لانه أنكر وهو صادق انه هو يسوع فقال
الجنود مستهزئين به (ياسيدي لا تخف لأننا قد أتينا لنجعلك ملكا على اسرائيل وانما أوثقناك لأننا نعلم أنك ترفض
الملكية) فأجاب يهوذا لعلكم جنتم انكم أتيتم بسلاح ومصابيح لتأخذوا يسوع الناصري كأنه لص أفثوثقوني أنا
الذي أرشدتكم لتجعلوني ملكا فأخذوا يضربونه ويرفسونه وقادوه الى اورشليم ثم ان يوحنا وبطرس تبعوا
الجنود وشاهدوا الجوع الذين اجتمعوا لقتل المسيح فتكلم يهوذا كلمات جنون كثيرة والناس يضحكون من قوله
معتقدين انه هو يسوع وانه يتظاهر بالجنون خوفا من الموت ولذلك عصب الكهنة عيبيه بعصاة وقالوا له مستهزئين
(قل لنا من ضربك ولطموه وبصقوا في وجهه) وطلب رئيس الكهنة ومن معه شاهد زور على يهوذا معتقدين انه
يسوع فلم يجدوا مطلبهم . قال برنابا (ولماذا أقول ان رؤساء الكهنة اعتقدوا أن يهوذا يسوع بل ان التلاميذ كلهم مع
الذي يكتب اعتقدوا ذلك حتى ان حزن كل واحد كان يفوق التصديق . لعمر الله ان الذي يكتب نسي كل ما قاله يسوع
من أنه يرفع من العالم وأن شخصا آخر سيعذب باسمه وانه لا يموت الى وشك نهاية العالم لذلك ذهب (الذي يكتب) مع
أم يسوع ومع يوحنا الى الصليب

فأمر رئيس الكهنة أن يؤتى يسوع موثقا أمامه وسأله عن تلاميذه فكان جميع قوله يدور حول هذه الكلمة
(أنا يهوذا لا يسوع) فأخذوا يضربونه ويرفسونه ثم ألبسوه لباس مشعوز وأخذوا يعذبونه ثم قادوه الى الوالي
الذي كان يحب يسوع سرا . ولما سأله أفهمه اني لست يسوع بل أنا يهوذا ولست يسوع الساحر الذي حوّلني
هكذا بسحره فهم الوالي أن يطلقه وقال ان لم يكن المسيح فلاحق لنا في قتله وان كان هو المسيح فقد جنّ ولاحق لنا في
قتل المجنون . فقال القوم انه يسوع ولكنه خبيث فأراد بيلاطيس (وهو اسم الوالي) أن يتخلص من هذه
الدعوى وقال خذوه الى هيرودس فلما حضر اليه سأله فأنكر انه يسوع أيضا ثم رده محقرا الى بيلاطيس قائلا
(لا تقصر في اعطاء العدل بيت اسرائيل) وذلك بسبب ان رؤساء الكهنة أعطوا هيرودس مبلغا كبيرا من النقود .
ولما صار عند الوالي ألبسه الجنود باقديما من الاجوان تهكما قائلين (يليق بملكنا الجديد أن يلبس حلة ويتوج
بجمعواشوكا وصنعوا اكليلا شبيها باكليل الذهب والحجارة الكريمة التي يضعها الملوك على رؤوسهم ووضعوه فوق
رأس يهوذا ووضعوا في يده قصبه كصولجان وأجلسوه في مكان عال ومر من أمامه الجنود حائنين رؤوسهم تهكما مؤدين
له السلام كأنه ملك اليهود وبسطوا أيديهم لينالوا الهبات التي اعتاد اعطاءها الملوك الجدد فلما لم ينالوا شيئا ضربوا
يهوذا ثم أعطوا الوالي أيضا نقودا فتناولها وأسلم يهوذا للكتابة والقديسين كأنه مجرم وصلبوه في جبل الجحمة عريانا
مبالغة في تحقيره وصرخ يهوذا قائلا (يا الله لم تركتني فان المجرم قد نجى أما أنا فأموت ظلما) قال برنابا (ولقد اعتقد
التلاميذ اعتقادا جازما أن يهوذا هو يسوع ولذلك ارتد كثير منهم عن دينه أما الذين ثبتوا على دينه فهم كانوا في
حزن شديد لما رأوا انه هو المصلوب وطلبوا جسده من الوالي ودفنوه في القبر الجديد بعد ان ضمخوه بمائة رطل من

الطيوب ورجع كل الى بيته ومضى الذي يكتب ويوحنا ويعقوب أخوه مع أم يسوع الى الناصرة وذهب من التلاميذ من لم يخف الله وسرقوا جثة يهوذا وخبئوها وأشاعوا ان يسوع قام فحصل اضطراب

فعادت العذراء الى اورشليم ومعها (الذي يكتب) ويعقوب ويوحنا ثم صعد الملائكة فأخبروا يسوع في السماء الثالثة مع الملائكة وقصوا عليه كل شيء فسأل يسوع ربه أن يأذن له أن يرجع الى أمه ليراه فأذن له أن ينزل مع الملائكة الأربعة فجاء مخفوفاً بالسنة الى أمه العذراء مع أختها ومع (الذي يكتب) يعني برنابا ويوحنا ويعقوب وبطرس وغفروا من الهام كأنهم أموات فأنهض يسوع أمه والآخريين من الأرض قائلا (لا تخافوا لأنى أنا يسوع ولا تبكوا فانى حي لا ميت) فلبثوا جميعاً كالمنجولين فقالت العذراء باكية (قل لى يا بنى لماذا سمح الله بموتك ملحقاً العار بأقربائك وأخلائك وملحقاً العار بتعليمك وقد أعطاك قوة على احياء الموتى الخ) أجاب يسوع (صدقينى يا أمه لأنى أقول لك بالحق انى لم أمت قط لأن الله قد حفظنى الى قرب انقضاء العالم ثم ظهر الملائكة كأربعة شمس وقصوا على العذراء كيف جعل الله يهوذا فى صورة يسوع ليعذب جزاء وفاقا

حينئذ قال برنابا يا معلم أيجوز لى أن أسألك الآن كما يجوز عندما كنت مقبلاً معنا أجاب يسوع سل ما شئت يا برنابا أجبك فقال برنابا اذا كان الله رحماً فلماذا عذبنا بهذا المقدار بما جعلنا نعتقد أنك كنت ميتاً ولقد بكثك أتمك حتى أشرفت على الموت وسمح الله أن يقع عليك عار القتل بين اللصوص على جبل الجحمة وأنت قدوس الله أجاب يسوع صدقنى يا برنابا ان الله يعاقب على كل خطيئة مهما كانت طفيفة عقاباً عظيماً لان الله يغضب من الخطيئة فلذلك لما كانت أمى وتلاميذى الأمانة الذين كانوا معى أجبونى قليلاً حبا عالمياً أراد الله البر أن يعاقب على هذا الحب بالحزن الحاضر حتى لا يعاقب عليه بلهب الجحيم فلما كان الناس قد دعوني الله وابن الله على أنى كنت بريئاً فى العالم أراد الله أن يهزأ الناس بى فى هذا العالم بموت يهوذا معتقدين اننى أنا الذى مت على الصليب لكيلا تهزأ الشياطين بى فى يوم الدينونة وسبقنى هذا الى أن يأتى محمد رسول الله الذى متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله ثم قال يسوع انك لعادل أيها الرب إلهنا لانك وحدك الاكرام والمجد يدون نهاية ثم أوصى يسوع برنابا وأمره أن يكتب الانجيل ويظهر الخداع المؤمنين بمسألة يهوذا ثم ذهبوا جميعاً الى جبل الزيتون وعانق أمه على محضر من تلاميذه وقال السلام عليك يا أمى توكللى على الله الذى خلقك وخلقنى ثم التفت الى تلاميذه وقال نعمة الله ورحمته معكم ثم حملته الملائكة الاربعة أمام أعينهم الى السماء

وبعد ذلك بشر بعض الناس بأن يسوع مات ولم يقم وآخرون يشربوا بأنه مات بالحقيقة ثم قام وآخرون بشربوا ولا يزالون يبشرون بأن يسوع هو ابن الله وقد خدع فى عدادهم بولس وأمانحن فأنما نبشر بما كتبه الذين يخافون الله ليخلصوا فى اليوم الأخير لدينونة الله آمين انتهى الانجيل

هذا ملخص ما فى انجيل برنابا من صفحة ٣٠٤ الى ٣٢٥ من الفصل الثامن بعد المائتين الى الفصل الثانى والعشرين بعد المائتين وهو آخر الكتاب

وانظروا أيها الذكى كيف وافق هذا الانجيل القرآن موافقة صريحة عجيبة اذ يقول هنا ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا - ويقول فى سورة النساء بعد هذه السورة - وقولهم انا قتلنا المسيح بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لى شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزاً حكماً - أفليس هذا هو نفسه عين ما قاله برنابا فى الانجيل وأن المسيح أمره أن يعلن هذا الخ ولولا ما ذكره العلماء المسيحيون من أن هذا الانجيل لم يعرف عند المسلمين قط ولم يسمعه اظن العقلاء انه تأليف اسلامى فكيف وقد تقدم فى سورة البقرة تاريخ الكتاب وكيفية ظهوره فارجع اليه ان أردت الاستيعاب والصواب ثم تعجب من العلم والحكمة . وانظروا ما ذكرت فى هذا المقال ان الانجيل الأربعة اختاروه فى القرن الثانى المسيحى ونبذوا ما سواها من الاناجيل والمنبوء ٣٢ ومنها انجيل برنابا الذى نحن بصدده فلم يكن يعلمه الناس فى زمن بعثة نبينا صلى الله عليه

وسلم وانظر كيف جاء القرآن بما يطابقه ولا علم لأحد بما فيه الا في هذه الأيام والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم اهـ

(١) المذاهب المسيحية قديما وحديثا واهب أوروبا وذ كردها واستقلالهم وتنصرهم

اعلم أن المذاهب في الدين المسيحي ثلاثة في الزمان القديم (١) الملكانية (٢) والنسطورية (٣) واليعقوبية فالأولون يقولون بالتثليث المسيح وأمه والله ويقولون ان المسيح ناسوت قديم ومريم ولدت إلهًا أزليا والأب هو الله وعيسى ابن الله بنوة حقيقية. والنسطورية يقولون بالامتزاج فالكلامة عندهم أشرقت على جسد عيسى كاشراق الشمس على بلور. وأما اليعقوبية فيقولون انقلبَت الكلمة لحما ودما فصار الإله هو المسيح ولما تمادى الزمان وانقرضت الاجيال الاولى لم يبق الا المذهب الأول وهو الملكانية وأصحابه هم (الكانوليكية) وهي صفة مدح كأهل السنة عند المسلمين. وأما النسطورية واليعقوبية فلم يبق منهم أحد الآن في بلاد الفرنج ور بما يوجد منهم في نصارى الشام ومصر والحبشة ورئيس الكانوليكية البابا برومة وهو كالنطب عند المسلمين وقد صار البابا سنة مائة وثمانية هجرية رئيسا سياسيا وأصبحت ملوك أوروبا تحت أمر الباباوات بعد أمد طويل ولما ظلموا الملوك انحطوا في رئاستهم الى سنة ١٢٨٨ هجرية أي سنة ١٨٧١ ميلادية فسقط أمرهم بالكلية ودخل الايطاليون عاصمة البابا ثم انهم في القرن التاسع الهجري لما تدمروا من البابا وانشقت طائفة فلم يعترفوا برئاسته سموهم (بروتستانت) أي مبتدعة كالمعتزلة عند المسلمين وهناك فرقة تسمى (أرثوذكس) ببلاد روسيا فلا يعترفون بالبابا وان كانوا يوافقون الكانوليك في كل ما هم عليه

(وهاك دول أوروبا ودينها القديم وزمن استقلالها وحالها قبل الاستقلال وزمن دخولها النصرانية)

الدولة	اصل دينها	اول زمن استقلالها	حالتها قبل الاستقلال	دخولها النصرانية
فرنسا	تشبه ديانات الهنود	٤٢٠ ميلادية	تحت ملوك اليونان فالرومان	٤٩٦ ميلادية
الانكلز	يسجدون للحجارة والماء والصخر	٨٢٧ ميلادية	كانت تتناوبهم دول من أوروبا	٤٩٦ ميلادية
النمسا	يعبدون الأوثان	٩٨٢ ميلادية	كانت تتناوبهم دول من أوروبا	نحو السابقين أعلاه
البروسية	يعبدون الأوثان	١٣١٥ ميلادية	كانت تتناوبهم دول من أوروبا	نحو ما تقدم أعلاه
الدولة الروسية	يعبدون الأوثان	٨٩٢ ميلادية	كانت تتناوبهم دول من أوروبا	٣٧٥ هجرية
دولة اسبانيا	يعبدون الأوثان	٩٠٠ هجرية تقريبا	اليونان فالرومان وبعض ملوك أوروبا فالاسلام	كدول أوروبا غير روسيا
البرتغال	يعبدون الأوثان	١٠٥٠ هجرية	للرومان ولبن بعدهم	كدول أوروبا غير روسيا

ومثل من تقدم الفلمنك والدانيمارك والسويد والنرويج وأما البلجيكيك وسويسرا فدخولهما النصرانية كما تقدم وبقية أحوالهما مقاربة لدول أوروبا السابقين

(القسم السادس من سورة آل عمران)

المحاور المرتبة على قصة مريم وعيسى كمحاجة النصارى في عيسى واقامة الحججة على أهل الكتاب وتكرار النداء

لهم ست مرات بثولته تعالى يا أهل الكتاب من قوله تعالى ان مثل عيسى الى قوله تعالى - وما الله بغافل عما تعملون - وهذا القسم أربعة فصول * الفصل الأول محاجة النصارى في عيسى الى قوله تعالى اشهدوا بأننا مسلمون * الفصل الثاني في اقامة الحجّة في أمر ابراهيم وذكر سيئات أهل الكتاب وتقريرهم الى قوله تعالى وهم يعلمون * الفصل الثالث في آداب الرسل وأنهم يدعون الى الحرية وليسوا بهم ولا الملائكة معبودين الى قوله تعالى وهو في الآخرة من الخاسرين * الفصل الرابع في تقرير أهل الكتاب وتذكيرهم بابراهيم ودعوتهم الى اتباعه

(الفصل الاول)

إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ *

قال ابن عباس رضي الله عنهما ان رهطاً من أهل نجران قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان فيهم السيد والعاقب فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما شأنك تذكر صاحبنا فقال من هو قالوا عيسى تزعم انه عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم أجل انه عبد الله فقالوا له فهل رأيت له مثلاً أو نبئت به ثم خرجوا من عنده فجاء جبريل عليه السلام فقال له قل لهم اذا أتوك (ان مثل عيسى) شأنه الغريب (كمثل آدم) كشأن آدم ثم أخذ يبين وجه الشبه وهو انه خلق جسمه من تراب فلا أب ولا أم له فهو أغرب من عيسى المخلوق بلا أب اخفاها للخصم فهذا قوله (خلقه من تراب ثم قال له كن) بشرا (فيكون) فكان فقوله خلقه من تراب راجع لجسمه وقوله كن فيكون راجع لروحه وهكذا عيسى قال له كن فكان بلا أب الذي أخبرتك به من تمثيل عيسى بآدم (هو الحق من ربك فلا تكن من الممترين) الشاكين خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لزيادة الثبات (فمن حاجك) من النصارى (فيه) في عيسى (من بعد من جاءك من العلم فقل تعالوا) هلموا (ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) أي يدع كل منا ومنكم خاصته وأهل بيته وأصفياءه من ولد و امرأة ونفس وقدم هؤلاء الأبناء والنساء مع ان الانسان يدافع عنهم بنفسه لشدة اليقين لان من يقدمهم بنفسه قدمهم في ذكر المباهاة دلالة على صدق النبوة (ثم نبتهل) تنصرع في الدعاء ونلتعن بأن نلعن الكاذب منا ثم بينه بالعطف فقال (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) في أمر عيسى قال محمد بن اسحق في سبب نزول هذه الآية والآيات قبلها من أول السورة قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نجران ستون راكبا فيهم أربعة عشر رجلا من أشرفهم وثلاثة منهم كانوا أكابر التوم أحدهم أميرهم واسمه عبد المسيح والثاني مشيرهم وذو رأيهم وكانوا يقولون له السيد واسمه الايهم والثالث جبرهم وأسقفهم وصاحب مدارسهم يقال له أبو حارثة بن علقمة أحد بني بكر بن وائل وملوك الروم كانوا شرفوه ومولوه وأكرموا بل بلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم فلما قدموا من نجران ركب أبو حارثة بغلته وكان الى جنبه أخوه كرز بن علقمة فبينما بغلة أبي حارثة تسير إذ

عثرت فقال كرز أخوه تعس الأبعد يرسل الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو حارثة بل تعست أمك فقال ولم يا أخي فقال انه والله النبي الذي كان يظنره فقال له أخوه كرز فابعثك منه وأنت تعلم هذا قال لأن هؤلاء الملوك أعطونا أموالا كثيرة وأكرمونا فلو آمننا بمحمد صلى الله عليه وسلم لأخذوا منا كل هذه الأشياء فوق ذلك في قلب أخيه كرز وكان يضره إلى أن أسلم فكان يحدث بذلك ثم تكلم أولئك الثلاثة الأمير والسيد والخبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على اختلاف من أديانهم فتارة يقولون عيسى هو الله وتارة يقولون هو ابن الله وتارة يقولون ثالث ثلاثة ويحتجون لقولهم هو الله بأنه كان يحيي الموتى ويرى الأمه والأبرص ويرى الأسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير ويحتجون في قولهم انه ولد الله بأنه لم يكن له أب يعلم ويحتجون على ثالث ثلاثة بقول الله تعالى فعلنا وجعلنا ولو كان واحدا لقال فعلت فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلموا فقالوا قد أسلمنا فقال صلى الله عليه وسلم كذبتم كيف أصبح اسلامكم وأنتم تثبتون لله ولدا وتعبدون الصليب وتأكلون الخنزير قالوا فن أبوه فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى في ذلك أول سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يناظر معهم فقال أستم تعلمون أن الله حي لا يموت وأن عيسى يأتي عليه الفناء قالوا بلى قال أستم تعلمون أنه لا يكون ولدا لا يشبه أباه قالوا بلى قال أستم تعلمون أن ربناقيم على كل شيء يَكُونُ ويحفظه ويرزقه فهل يملك عيسى شيئا من ذلك قالوا لا قال أستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء فهل يعلم عيسى شيئا من ذلك الاما علم قالوا لا قال فان ربنا ذو رحمة كيف شاء فهل تعلمون ذلك قالوا بلى قال أستم تعلمون ان ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث وتعلمون ان عيسى حمله امرأة كحمل المرأة ووضعه كما تضع المرأة وغذى كما يغذى الصبي ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث قالوا بلى فقال صلى الله عليه وسلم فكيف يكون كما زعمتم فعرّفوا ثم أبوا الا بحجودا ثم قالوا يا محمد ألسنت زعم أنه كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا خسرنا فأنزل الله تعالى - فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه الآية - ثم ان الله تعالى أمر محمدا صلى الله عليه وسلم بملاعنتهم اذ ردوا عليه ذلك فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملاعة

روى انهم لما دعوا إلى المباهة قالوا حتى ننظر فلما تناخلوا قالوا لصاحب الرأي فيهم ماترى فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل في أمر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فاذا أيتم الا إلف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين أخذ بيد الحسن وفاطمة ثم شى خلفه وعلى رضى الله عنه خلفها وهو يقول اذا أنا دعوت فأمنوا فقال أسقفهم يامعشر النصارى انى لأرى وجوها لو سألوا الله تعالى أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تباهاوا فتملكوا فأذعنوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا له الجزية ألفي حلة حراء وثلاثين درعاً من حديد فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسى بيده لو تباهاوا لمسخوا قردة وخنزير ولا ضطرم الوادى عليهم نارا ولا ستأصل الله نجران وأهله وهذا من دلائل النبوة (ان هذا هو القصص الحق وما من إله إلا الله) وليس ثالث ثلاثة (وان الله هو العزيز الحكيم) لا أحد يساويه في القدرة التامة والحكمة البالغة فاذن ليس له شريك

(فان تولوا) أعرضوا (فان الله عليم بالمفسدين) أى عليم بهم فيجازيهم فوضع الظاهر موضع الضمير ليدل على ان التولى عن الحجّة والاعراض عنها افساد للدين . ولما قدم وفد نجران المدينة واجتمعوا باليهود اختصموا في ابراهيم فكل يدعى انه على دينه فقال صلى الله عليه وسلم كلاهما يرى من ابراهيم بل كان حنيفا مسلما وأنا على دينه فاتبعوا دينه الاسلام فقالت اليهود ما تريد الا أن تتخذك ربا كما اتخذت النصارى عيسى ربا وقالت النصارى يا محمد ما تريد إلا أن تقول فيك ما قالت اليهود في عزيز فأنزل الله (قل يا أهل الكتاب) من اليهود والنصارى (تعالوا إلى كلمة سواء) أى عدل لا يختلف فيها التوراة والانجيل ثم فسرهما فقال (أن لا نعبد الا الله) أى نوحده بالعبادة ونخلص

ففيها (ولا تشرك به شيئاً) ولا تجعل له شريكاً في استحقاق العبادة (ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله) ولا تقول عزيزاً من الله ولا المسيح ابن الله ولا تطيع الأخبار والرهبان فيما أحدثوا من التحريم والتحليل لأن كلا منهم بشر مثلنا * روي أنها من نزلات اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله قال عدى بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قل نعم قال هو ذاك (فان تولوا) عن التوحيد (فقلوا أشهدوا بأننا مسلمون) مخلصون بالتوحيد لله والعبادة له وقد لزمتمكم الحجة فاعترفوا بأننا مسلمون وانكم كافرون بما نطقتم به الكتب السماوية

(لطيفة)

أنظر الى هذا الترتيب (١) ذكر عيسى وقصته وأحواله (٢) ثم أتى بالحجة الدامغة على انه ليس إلهاً (٣) ثم دعاهم للباهلة (٤) ولما لم يجدوا اتبعوا ابراهيم الذي أجمع عليه الديانات الثلاث (٥) ثم لما لم يجدوا أعرض عنهم وقال اشهدوا باننا مسلمون

(الفصل الثاني)

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تُحَاجُّوْنَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجِبْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّوْنَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ * وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجِءَ النَّهَارَ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هَدَى اللَّهُ أَنْ يُؤْتِي أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتَيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ * وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ * إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي

الْآخِرَةِ وَلَا يَكْفُرُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ *
وَأِنْ مِنْكُمْ لَفَرِيقًا يَلُونُ السُّنَنَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ
وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ *

لما ادعى كل من النصارى واليهود أن إبراهيم على دينهم كما تقدم قال الله تعالى (يا أهل الكتاب لم تحاجون في
إبراهيم وما أنزلت التوراة) على موسى (والانجيل) على عيسى (إلامن بعده فلا تعقلون) هذه المسألة
التاريخية المشهورة وكيف يكون إبراهيم على دين موسى وقيل أنزل التوراة عليه بعد إبراهيم بمدة ٥٧٥ وبين موسى
وعيسى ١٦٣٢ ويقال أن المدة الأولى ٥٦٥ والثانية ١٩٢٠ فتكون المدة بين إبراهيم وعيسى ٢٣٠٧
وأما ٢٤٨٥ ثم أخذ يقرعهم فقال عجب لكم وأي عجب حاججتم فيكم به علم بما تدعون أنكم وجدتموه في التوراة
والانجيل مكابرين معاندين فكيف ساغ لكم الحاجة والمجادلة فيما لا علم لكم به مما يذكر في كتابكم ولا يقبله العقل ولا
يساعده النقل (والله يعلم) أمر إبراهيم الذي حاججتم فيه (وأنتم لا تعلمون) أفلا يستنتج من ذلك أنه (ما كان
إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولا كن كان حنيفا) ما إلا عن العقائد الزائفة (مسلمات) منقاد لله وليس المعنى أنه على دين
الاسلام وملة محمد صلى الله عليه وسلم ولو كان كذلك لقبل أن الاسلام بعد التوراة والانجيل فكيف كان إبراهيم على
دين محمد صلى الله عليه وسلم ولم ينزل القرآن إلا من بعده بنحو ثلاثة آلاف سنة (وما كان من المشركين) معرضا
بأن النصارى واليهود مشركون أي لم يكن منكم أيها المشركون (إن أولى الناس بإبراهيم) أي أخصهم به من دلى
إذا قرب (للذين اتبعوه) من أمته (وهذا النبي والذين آمنوا) به لموافقة شريعتهم لشريعته غالبا (والله وليّ
المؤمنين) ينصرهم ويحاربهم بإيمانهم . ولما دعا اليهود حذيفة وعمارا ومعاذا إلى اليهودية نزل (ودت طائفة
من أهل الكتاب لو) بمعنى أن (يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون) انهم قد أضلوا أنفسهم بفسوخ
العوائد المدمومة وثباتها فيهم بالمران على الاضلال فان العمل أثر في النفس دائما (يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات
الله) وهي ما جاء في التوراة والانجيل الدالات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وأنتم تشهدون) أنها آيات الله
ويصح أن يقال لم تكفرون بالقرآن وأنتم تشهدون بعث محمد في كتابكم (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل)
تخلطون الحق الوارد في الكتاب المقدس الدال على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالباطل وهو تحريف القول وتبديله
فيقع الشك في نفوس أتباعكم (وتكتمون الحق) نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وأنتم تعلمون) بما تكتمونه .
ولما قال كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف لأصحابهم لما حوّل القبلة آمنوا بما أنزل عليهم من الصلاة إلى الكعبة
وصالوا إليها أول النهار ثم صالوا إلى الصخرة آخره فان المسلمين إذا سمعوا ذلك قالوا هم أعلم منا وقد رجعوا فارجعون
وقيل إن اثني عشر من أعيان اليهود قالوا ندخل الاسلام أول النهار ونقول في آخره نطرنافي كتابنا وشارنا علماءنا فلم
نجد محمدا بالذمت الذي ورد في التوراة لما قيل ذلك نزل (وقالت طائفة من أهل الكتاب إلى لعلمهم يرجعون) وقالت
تلك الطائفة اليهودية أيضا ولا تصدقوا أن يعطى أحد مثل ما أعطيت من العلم والحكمة والكتاب والحجائب كغلق
البحر لموسى وقلب العصاحية أو يحاجوكم ويجادلوكم عند ربكم كالأصنام ذلك إلا لمن يتبع دينكم من شعب الله
الذين اصطفاهم على العالمين وهم بنو إسرائيل فإذا جاء نبي فهو منهم وإن فلا فقال الله حاكيا (ولا تؤمنوا إلا لمن تبع
دينكم قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم) وجلة أن الهدى هدى الله معترضة
يقول الله تعالى إن الهدى من عند الله فله أن يجعل النبوة في العرب كما كانت في بني إسرائيل وزاده أيضا فقال (قل
إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع) ذو سعة يتفضل على من يشاء (عليم) بمن يستحق الفضل وكأنه يقول
إن فضلي وإن كان واسعا يصحبه علم وحكمة فلا أعطى إلا حيث يحسن العطاء ولا أمتنع إلا حيث يحسن المنع فلذلك

(بختص برحمته من يشاء) على حسب الاستعداد (وانه ذو الفضل العظيم) فهذا ذكر انه واسع وانه رحيم وانه ذو فضل عظيم وظهر هذه المواطن عند اكثر الناس من ذكره سابقا عند قوله تعالى - وترزق من تشاء بغير حساب - فان الفضل هناك في المحسوسات فهي ائمن عند جميع الناس واما النبوة والرسالة ففضل فيهما لا يفهمه حق فهمه الا اولوا الالباب . ولقد استودع قرشي عبد الله بن سلام ألفا ومائتي أوقية ذهباً فأداها اليه وفنحاص بن عازوراء استودعه قرشي آخر ديناراً فجحدته . ولقد سجدت عادة النصارى أن يلبسوا في الغالب مأمونين ، أما اليهود فانهم غالباً خائفون لذلك نزل قوله تعالى (ومن أشعل الكتاب من أن تأمنه بغمطار يؤده اليك ومنهم من أن تأمنه بدينار لا يؤده اليك إلا ما دمت عليه قائماً) أي الامدة دوامك قائماً على رأسه تطالبه بمبالغته في ذلك لأن اليهود يعتقدون انهم لا يعاقبون على من ليس من دينهم (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) انهم كاذبون في دعواهم ان من ليس على دينهم لاحرمة له والله عز وجل رب العالمين لارب اليهود وحدثهم وليست رحمته قاصرة على أحد من خلقه بل هي عامة (بلى) اثبات لما نقوه بل عليهم سبيل (من أوفى بعهده وأتقى فان الله يحب المتقين) من أوفى بعهده فأدى الأمانة وأتقى الكفر والخيانة ونقض العهد فان الله يحب المتقين المؤدين الواجبات المجتنبين المنهيات . ولقد كتب علماء اليهود في التوراة بأيديهم ما تقدم من انهم ليس عليهم في الأئمين سبيل وانهم لا يطالبون بحق إذا كان ليهودي وحلفوا على ذلك لذلك قال تعالى (ان الذين يشترون) يستبدلون (بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً) متاع الدنيا (أولئك لا خلاق) نصيب (لهم في الآخرة ولا يكاهنهم الله) كلام يسرهم وذلك لغضبه عليهم (ولا ينظر اليهم يوم القيامة) استهانة بهم (ولا يذكهم) ولا يثنى عليهم بالجليل (ولهم عذاب أليم) على فعلهم وهذه الآية لئلا تارة في اليهود ليست خاصة بهم بل تشمل كل عهد وميثاق أوجبه الانسان على نفسه فكل ذلك من عهد الله الذي يجب الوفاء به والمراد بالآيمان الكاذبة في أي عقد من العقود أو عمل من الأعمال أو رأى من الآراء . وفي الحديث من حلف على مال امرئ مسلم بغير حقه لقي الله وهو عليه غضبان - وفيه أيضاً ان رجلاً أقام ساعة وهو في السوق حلف بالله لقد أعطى بها ما لم يعط ليوقع فيها رجلاً من المسلمين فنزلت الآية * وفي هذا المقام روايات كثيرة في البخاري ومسلم لا تخرج عن هذا المعنى فلا تطيل بها . وقد عرفت الحقيقة ان الآية شاملة لكل عهد ولكل بين فاجرة في علم أو عمل فافهم حديث . فعلى العلماء في أقطار الاسلام أن يمنعوا المسلمين جميعاً من الحلف لأن ذلك أصبح مرضاً ويظهر ان الغضب الذي حل بهديار الاسلام ناجم من جهلهم بعظمته تعالى فيحلفون على النقيير والقطمير صدقوا وكذبا والمسيحيون ينزهون لسانهم عن الحلف فواجباً كل العجب من جهلة المسلمين

ان كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وحي بن أخطب وأبا يامر وغيرهم كانوا يعدون الى اللفظة في التوراة المكتوبة باللغة العبرية فيحرفونها بتبديل حركات الاعراب فيغير المعنى تبعاله وذلك في صفات النبي صلى الله عليه وسلم وغيرها لذلك قال تعالى (وان منهم) أي اليهود (لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب) التوراة (لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب) وانما هو المحرف الذي غيروا معناه الى ما أرادوا (ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله) بل من عند أنفسهم (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) انهم كاذبون

(الفصل الثالث)

ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون * ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيا أمركم بالكفر بعد

إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْعَثُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ * قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ *

(ملخص هذا الفصل)

ما يجب على الأنبياء في ارشاد الخلق وهو أولاً أن لا يأمروا الناس بعبادتهم ولا بعبادة الملائكة وإنما يأمرهم أن يكونوا معلمين الخبير لغيرهم وأمرهم وملوكاً عادلين على سنن أنبيائهم وثانياً على كل نبي وأتباعه أنهم إذا سمعوا أن الله عز وجل أرسل رسولا مصدقا لكتابهم أن يؤمنوا به وينصروه ثالثاً أمر النبي صلى الله عليه وسلم وأتباعه أن يكونوا مؤمنين بما أنزل على سائر الأنبياء لا يفرقون بينهم (هذا ملخص الآيات)

روى أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعض أئمة نسجد لك قال لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله * وروى أن أبارافع القرظي والسيد النجرائي قالوا يا محمد أتريد أن نعبدك وتتخذك رباً فقال معاذ الله أن يعبد غير الله وإن تأمر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني فنزل (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم) الفهم والعلم (والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله) أي لا تجتمع النبوة مع قوله للناس اعبدوني (ولكن) يقول (كونوا ربابين) مفسو بين إلى الرب ومر بين فتربون الناس بصغار لعلم قبل كاره وتكونون علماء تعملون بعلمكم جامعين بين علم البصيرة وعلم السياسة فتلون أمور الناس فتكونون ملوكهم وعلماءهم ومعلميهم الخبير ومواطنيين أتم على طاعة الله وعبادته قال أبو عبيدة أحسب هذه الكلمة غير عربية إنما هي عبرانية أو سريانية وعلى كل فهي تدل على الذي علم وعمل بماعلم وعلم الناس طريق الخراج (بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) أي بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين له (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً) منصوب عطفاً على ثم يقول (أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) الضمير في يأمركم للبشر وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط ويوضع موضع الواحد والجمع فيشمل عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وغيرهما (و) إذ كرم يا محمد (إذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) أي والله لأن آتيتكم كتاباً وحكمة الخ فاللام للقسم وما شرطية ومن كتاب وحكمة بيان لما وقوله لتؤمنن به الخ جواب القسم وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب الشرط كأنه يقول والله أن آتيتكم الكتاب والحكمة ثم جاء رسول مصدق لهما لتؤمنن به ولتنصرنه هذا إذا فتحت اللام وإن كسرت يكون الجار والمجرور هكذا لأجل إيتائي إياكم الكتاب ثم مجيء رسول مصدق له أخذ الله الميثاق للمؤمنين به ولتنصرنه (قال) الله تعالى (أأقررتهم وأخذتهم على ذلکم إصری) عهدي

سمى به لانه يؤصرى يشد (قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنتم معكم من الشاعدين) فليشهد بعضكم على بعض ولتشهد
 الملائكة بهذا الإقرار وأما أيضا على اقراركم شاهد والمعنى ان الله أخذ العهود على الأنبياء والأنبياء على أممهم أن يؤيد
 كل رسول وكل تبعه من جاء بعدهم من الأنبياء مصدقا لكتابهم فكيف يعاند النصارى واليهود وكتابهم فيه هذا
 الميثاق بل هذا الميثاق مقرر في الفطرة الانسانية • ان من دعا الى الخير يعضده كل داع مثله في الفطرة توكيده وفي
 العقل تثبيته (فمن تولى) أعرض (بعد ذلك) بعد الميثاق (فأولئك هم الفاسقون) المتمردون من الكفرة
 (أفغير دين الله يبغون وله أسلم) انقاد وخضع (من في السموات والأرض طوعا) طائعين بالنظر والحجة (وكرها)
 كارهين بالسيف وغيره (واليه يرجعون قل) يا محمد (آمن بالله) أمر الرسول أن يخبر عن نفسه وعن أتباعه
 بالآيمان بالله (وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط) أولاد يعقوب وكانوا
 أنبياء وعددهم اثنا عشر (وما أتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم) تصديقاً وتكديفاً
 (ونحن لهم مسلمون) متنادون أو مخلصون في عبادته (ومن يدع غيراً لسلام) أى غير التوحيد والافتقار لحكم الله
 المنزل على الأنبياء (دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) الواقعين في الخسران

(الفصل الرابع)

كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ
 الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ
 وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ * إِلَّا الَّذِينَ
 تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ
 أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ
 كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدٍ هُمْ مَلَأُوا الْأَرْضَ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
 أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ * أَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ
 فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ * كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ
 مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِتُورَةٍ فَأَتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَمَنْ افْتَرَى
 عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ
 حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى
 لِلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ
 مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ
 لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ
 سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبِغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ *

لقد كان الفصل الذي قبل هذا في النبيين وواجباتهم وما يدعون اليه وانهم لا يدعون الناس لعبادة أنفسهم وانما يأمرون أشياعهم وأتباعهم أن يؤمنوا بما ينزل على كل نبي بعدهم ولا جرم أن هذا منطبق على اليهود والنصارى الذين ظهر صدق النبوة المحمدية في كتبهم لذلك أتبعه بهذا الفصل بذكر فيه أنه يستبعد أن يهدى قوما كفروا بالقرآن وبالرسول بعد إيمانهم به وقد كانوا من قبل يقررون به ويشهدون أنه حق ويتوكلون أن نبيا قد أظل زمانه وقد ظهرت لهم الدلائل على صدقه - والله لا يهدى القوم الضالين -

فهؤلاء لا هداية لهم في الدنيا وعليهم في الآخرة لعنة الله والملائكة والناس أجمعين حتى الكافرين فان جميع الناس من كفروا ومن يلعنون منكر الحق وان كان بعضهم يحمله - ثم - لا يخفف عنهم العذاب ولا هم يوحرون . ثم استثنى التائبين الذين أصلحوا أعمالهم - فان الله غفور - يتوبون - رحيم -

ثم ان للفسرين في هذا المقام مقالين مقال في قوم من العرب أساموا ثم ارتدوا وخطوا بمكة ثم تربصوا بالنبي ريب المنون ومقالا آخر في اليهود والنصارى كما تقدم فقوله تعالى (ان الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون) يصح في التسمين معا فاليهود والنصارى آمنوا بموسى وعيسى ثم كفروا بالتوراة والانجيل بما غيروا وبتلوا ثم ازدادوا كفرا بالنبي وهكذا المرتدون من العرب كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا اذ تربصوا بالنبي ريب المنون . ثم قال (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلان يتوب من أحد ثم مل الأرض ذهب) أى قدر ما يملأ الأرض ذهبا لو افتدى به رالوا وزائدة لتأكيدهم (أولئك هم عذاب مؤلم وما لهم من ناصرين) مانعين يمنعونهم من العذاب وقوله تعالى (لن تدلوا البر) أى لن تبلغوا حقيقة البر الذي وكل الخير الذي يترتب عليه الرحمة من الله والرضا والجنة والبر من ائمة الثواب ومن العبد الطاعة يقول لن تدلوا حتى تنفقوا مما تحبون) من العلم في الهداية والجاه في منفعة الناس والبدن في الحرب والمال في الانفاق وقوله تعالى (كل الطعام كان حلالا) أى حلالا (لبنى اسرائيل) أى يعقوب (الاما حرمت اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة) سبب هذه الآية ان اليهود لما نزل قوله تعالى - فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم - قالوا لستنا أول من حرمت عليه تلك الطيبات بل كانت محرمة على نوح وابراهيم من بعده حتى انتهت الأمر إلينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا فقال الله لهم ليس كذلك بل كل الطعام كان حلالا لبني اسرائيل أى أولاد يعقوب الذين كانوا قبل موسى ولم يحرم عليهم إلا ما حرمته يعقوب على نفسه لما كان به عرق النسا فأشار عليه الأطباء بأن لا يأكل لحوم الابل ولا يشرب لبنها فحرمها على نفسه وتبعه أولاده في ذلك التحريم وذلك (من قبل أن تنزل التوراة) التي اشتملت على تحريم كل ذى ظفر وبعض الشحوم وبعض ما حلت الظهور وما اختلط بعظم وذلك التحريم لبنيهم وذلك لم يكن محرما على يعقوب ولا على أولاده ولا على ابراهيم ونوح (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) فيما تدعون أمرا لله النبي صلى الله عليه وسلم بما حاجتهم بكتابتهم فلما سمعوا ذلك بهتوا ولم يحسروا أن يخرجوا التوراة وفي هذه الآية دلالة على النبوة وهذه المسألة من أعجب المسائل وأدقها ولن تعرف الا بطريق الوحي . ثم قال (من افترى وابتدع على الله الكذب من بعد ذلك) أى من بعد الزام الحجية (فأولئك هم الظالمون) الذين لا ينصفون وهم بكاريون (قل) يا محمد (صدق الله) أى وكذبتم (فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا) أى ملة الاسلام التي هي في الأصل ملة ابراهيم (وما كن من المشركين) فيه تعريض بشرك اليهود وكيف تتبعون غير دين ابراهيم و(ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة) لغة في مكة والبيت الذي في مكة هو المسجد الحرام ثم بعده بيت المقدس وأول من بنى المسجد الحرام ابراهيم فهدم ثم بناه قوم من جرهم ثم العباسية ثم قريش ومعنى (مباركا) كثير الخير والنفع بان حجه واعتمره (فيه آيات بينات) يقول المفسرون منها انحراف الطيور عن موازاة البيت ومنها ان نسوارى السباع تخالط الصيد ولا تتعرض له ومنها ان كل جبار قصده بسوء قهره كأصحاب الفيل ومنها (مقام ابراهيم) أى الحجر الذي كان يقوم عليه عند بناء البيت (ومن دخله كان آمنا) أى ومنها أمن من دخله (ولله على الناس حج البيت) قصده للزيارة على الوجه المخصوص المعلوم في سورة البقرة وأبدل من الناس قوله تعالى (من

استطاع إليه سبيلا) وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة وبه أخذ الشافعي والحسن وسعيد ابن جبير ومجاهد واحد بن حنبل وقال الشافعي في الاستطاعة اما بالبدن واجدا ما يبلغه الحج فاستطاعة تامة فعليه الحج واما أن لا يثبت على الراحلة وهو قادر على من يطعمه اذا أمره أن يحج عنه أو قادر على ملزيمه من يستأجره فيحج عنه فيجب عليه . وأما حكم الزاد والراحلة فهو ان يجد زادا يكفيه ذهابا وإيابا ونفقة من تلزمه نفقته وكسوتهم وان يكون دينه مضميا وان يجد له رفقة يخرجون في الوقت الذي جرت العادة فيه بالخروج فان قدموا أو أخر والا يجب عليه وبشروط أمن الطريق من عدو مسلم وكافر أو رصدي يطلب الخفارة وتكون منازل الماء مأعولة يجد فيها الماء والزاد بحسب العادة فان تفرقوا لم يجب . وقال مالك الاستطاعة بالبدن فيجب على من قدر على المشي والكسب في الطريق وقال أبو حنيفة بمجموع المال والبدن . والضمة في اليه للبيت أو الحج وكل ما أدى إلى الشيء فهو سبيله ولقد فصلت الكلام في الحج وجميع أعماله في سورة البقرة فهناك صورة منه واضحة جليلة فلا نعيده هنا (ومن كفر فان الله غني عن العالمين) كانه قال ومن لم يحج فان الله غني عنه فجعل عدم الحج كفرا وذلك تغليظ على تاركه قال عليه الصلاة والسلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا أو نصرانيا

(قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم في الاسلام والحج وغيرهما (والله شهيد) مطلع على أعمالكم فيجازيكم عليها (يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن) هذا التكرار للبالغة في التقرير ذلك انهم كانوا يفتنون المؤمنين ويوقعون الشقاق بينهم ومن ذلك أنهم أتوا إلى الأوس والخزرج وذكرهم بالوقائع التي كانت بينهم في الجاهلية وأنشدوا أشعارها فأنارت حمية الجاهلية (تبغونها عوجا) أي حال كونكم باغين طالبين لها عوجا أي اعوجاجا (وأنتم شهداء) تشهدون انها سبيل الله والصد عنها ضلال وإضلال أو أنتم عدول عند أهل ملتكم يشهدون بأفوالكم ويستشهدون بكم في القضايا (وما الله بغافل عما تعملون) وعيد لهم انتهى تفسير القسم السادس بفصول الأربعة وفي هذا القسم لطائف

(اللطيفة الاولى - تفصيل الكلام في قوله تعالى قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الآيات) اعلم أن الانسان في جميع عصوره لا يزال يرى ان في الناس من لهم منزلة ظاهرة وعبقريّة حاضرة وعلوم باهرة وغرائب نادرة ومعجائب ساحرة تأخذ بالآلباب وتحير العقول فالتصاري بهمهم المسيح لما سمعوا احياء الموتى على يديه وإبراء الأكمه والأبرص وهناك أم قبلهم وأمم قبلهم وهكذا تراه في سائر الأقطار والأمصار قديما وحديثا لكل أمة غرام وعشق وإفراط في رجل أو رجال يرون فيهم معجائب سواء كانت حقا كما في المسيح أو غيره معلوم كما ورد في مسيح الهند المسمى (خرستا) من قبله بنحو خمسة آلاف سنة ورواعته ماروي المسيحيون عن عيسى . ومثله آخر في العراق من قبل المسيح وهكذا رواية المصريين في قديم الزمان عن اسيريس وابزيس وما أشبه ذلك وهكذا أهل المكسيك لما دخل عندهم أهل أوروبا أدهم منتظرين القادي لهم نازل من السماء بعد رفعه ولقد تجد الآن في الأمة الاسلامية أكثر طوائفها مغرمين بشيوخهم ومنهم من يرى انهم رفعوا إلى السماء كما في بعض بلاد الغرب وبعض بلاد الفرس ولست أريد اطالة في القول فاني أريد التوفيق والإصلاح لا التفريق والجراح فالقرآن أعطانا حكمة وقولا عدلا وكلمة لا عوج فيها وهي ان هؤلاء الذين على أيديهم ظهرت خوارق ومعجائب ليسوا الا عبيدا مسخرين خلقهم الله فاذا اختلف المسلمون في طرائق حججهم ومذاهبهم وثنا كسوا وتدبروا فليكن لهم هذا المنهاج الحق القائل - تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا دون الله - ولقد علمت مما سبق ان الأحرار والرهبان كانوا يحللون ويحرمون فها هو ذا كتاب الله يقول لنا لا يجوز لأحد أن يحرم ويحل والا لكان اتباعه عبادة له وانما التحليل والتحرير بمشيئة عز وجل ورسوله ولجاعة المسلمين

(مجلس عام في الاسلام)

على المسلمين جميعا في أقطار المسكونة أن يكون لهم مجلس عام يجمع أكابر القوم من سائر المذاهب والشيعة والطوائف

ويعرض فيه كل ما فيه خلاف من معاملات أو عبادات ويكون هذا المجلس له القول الفصل وهذا المجلس دائماً تعرض عليه المسائل كل حين ويبقى مع الدهر مادامت السموات والأرض ودين الاسلام وهناك نكون حقا قد عملنا بقوله تعالى - ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله - والدليل على ذلك ان الانسان يخرج وقد وجد قومه على مذهب من المذاهب فيسبر هو عليه ولو ولد في قوم على مذهب آخر لا تبعه فـ كان الأمم اقطاء للمذاهب ولكن وجود جماعة في أكبر عاصمة اسلامية كافل بخروج الناس من تبعة التقصير وليست أريد أن المذاهب تترك كلاً فكل جماعة يتقون على مذهبهم ولكن هذه الجماعة القائمة على الحق تنظر في كل ما يعرض من الأحوال وتهذيب المسائل العلمية والافتاء بما هو الأقرب والأنسب حتى لا يكون هناك وقوف ولا تكوص على الأعقاب وهذه الجماعة تشير لأهل كل مذهب بما يناسبهم اهـ

﴿ اللطيفة الثانية - تفصيل الكلام في قوله تعالى ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤدّه اليك ﴾
لقد علمت ما نقلناه فيما تقدم ان اليهود أميل الى الخيانة وان النصارى أقرب الى الأمانة فاعلم أن اليهود لهم عقيدة خاصة ومذهب يرجع الى الاسنةثار بالسلطة وهم لا يريدون أن يدخلوا أحد في دينهم من غير بنى اسرائيل فهو من جهة دين ومن جهة قومية فلذلك اشتهر عنهم قديماً وحديثاً انهم حرصون على جمع المال من غير أهل دينهم وهم اليوم أصحاب الحول والطول في الكرة الأرضية

لقد ذكر أحد علماء الفرنجة أنه قرأ في التامود (وهو شرح التوراة) ما يأتي
نحن شعب الله في الأرض وقد أوجب أن يفرقنا في الأرض لمنفعتنا ذلك انه لأجل رجحتنا ورضاه عنا سخر لنا الحيوان الانساني وهم كل الأمم والأجناس سخرهم لنا لأنه تعالى يعلم اننا نحتاج الى نوعين من الحيوان نوع آخرس كالذواب والأنعام والطيور ونوع ناطق كالملسيحيين والمسلمين والبوذيين وسائر الأمم من أهل الشرق والغرب فسخرهم لنا ليكونوا مسخرين لخدمتنا فلذلك فرقنا في الأرض لئلا نمتطي ظهورهم ونمسك بعنانهم ونستخرج فنونهم واستخرجهم لمنافعنا أجمعين

لذلك يجب علينا أن تزوج بناتنا الجميلات للملوك والوزراء والعظماء وأن تدخل أبنائنا في الديانات المختلفة وأن تكون لنا السكامة العلمية في الدول وأعمالها فنفتنهم ونوقعهم في الحروب وندخل عليهم الرعب والخوف وفي ذلك كله نحن نستفيد الاستفادة كلها

لذلك ترى البلشفية يهودية والحرب الكبرى أشعلها اليهود ومنهم شو بنهور الفيلسوف الالماني وماركس مؤسس مذهب البلشفية ولينين رئيس البلشفية الآن في بلاد روسيا ولا ترى فلسفة قائمة في أوروبا الا من فلاسفة اليهود وهم هم الذين أذاعوا في ألمانيا انه (لارحة على ضعيف) حتى وقف غليوم ملك الالماني وقال (ويل للغلوب) كل ذلك فعل اليهود وهم الذين قاموا واسترجعوا فلسطين بعد ضياعها من أيديهم نحو ألفي سنة . ولقد أخبرني أحدهم قائلاً ان لهم جمعية دائمة ترسل في كل عام جماعة تجوس الأقطار وتبحث في الأمصار عن اليهود القاطنين في الأماكن المختلفة وتحصى ما يحتاجون اليه من المعونة وترجع فترسل لهم ما اليه يحتاجون فهذه بعض خصال اليهود الدالة على محافظتهم على قوميتهم التي تغالوا فيها الى الاضرار بالأمم

﴿ علم الأخلاق واليهود ﴾

وهناك حكاية رواها علماءنا السابقون في علم الأخلاق قائلين ان الانسان قد تكون أخلاقه تابعة لاعتقاده فإذا اعتقد رأياً أو ذهب مذهباً وتصوره وتحقق به صارت أخلاقه وسجاياه مشاكلة لمذهبه واعتقاده لأنه يصرف أكثرهمه وعنايته الى نصرته مذهبيه وتحقيق اعتقاده في جميع متصرفاته فيصير بذلك خلقاً له وسجية وعادة يصعب اقلاعه عنها

﴿ حكاية يهودية ﴾

والمثال في ذلك ما جاء في الخبر أن رجلين اصطحبا في بعض الأسفار أحدهما مجوسى من أهل كرمان والآخر

يهودى من أهل أصفهان والمجوسى كن را كى على بغلة وعليها أمتعه واليهودى كان ماشيا ليس معه شئ فيينا هما يتحدثان قال المجوسى لليهودى ما مذهبك قال اليهودى مذهبى ان فى السماء إلهًا عوإله بنى اسرائيل أسأله الرزق والصحة وأن يعينى ويعين بنى اسرائيل وان جيم بنى آدم لا حرمة لهم فلهم ودمهم حلال لى ولأهل دينى ويحرم على نصرته من ليس على دينى والشفقة عليه فقال المجوسى أنا أعتقد أنه يجب على أن أرى خبر لأبناء جنسك كلهم ولا أريد سوا لأحد من أهل دينى وغيرهم وان ظلمنى وتعدي على لأن إلهى فى السماء إله الجميع وهو عادل فقال اليهودى للمجوسى اذن انصر مذهبك لأنى من أبناء جنسك فأركبنى بغلتك فقد ترانى متعوبًا وأطعمنى فقد ترانى جائعًا فأركبه ساعة وأطعمه ومشى المجوسى فلما أعيى المجوسى حرك اليهودى البغلة وسبقه فقال المجوسى قف فقد أعيت فقال اليهودى ألم أخبرك عن مذهبى فأنا اليوم أنصره أنت نصرت مذهبك باعطائى البغلة وأنا أنصره بخيانتك فقال له المجوسى أتركنى هنا أنا كفى الوحوش والسباع فضى اليهودى فأما المجوسى فانه فكر فى اعتقاده وقال قدقت بأمر اعتقادى فأعطيته فلا قم بأخذه فادعوا إله السماء فقال يا إلهى أنا قدقت بأمرك فخلق لليهودى وعدك لى بالنصرة عليه لبغته فامشى قليلا حتى رأى البغلة قد رمت اليهودى ودقت عنقه ونفى واقفة تنظر صاحبها فلحقها وركبها وترك اليهودى فى البرية للسباع والوحوش فقال اليهودى ارحمنى ولا تتركنى فقال المجوسى قد فعلت مرة ولم تفهم ما قلت لك ان فى السماء إلهًا يحازى بالعدل فامنعك أن تعمل به وخنفتى قال مذهب نأت عليه وصار طبيعة فى اقتداء بالآباء والأمهات والأستاذين والمعلمين فحمله المجوسى معه حتى جاء به المدينة وسلمه الى أهله مكسورا وحدث الناس بقصته فلامه الناس على رجته وكيف حمله بعد الخيانة فقال انه اعتذر بأن هذا المذهب صار عادة يصعب اقتلاعها فأنا كذلك الرحمة عادة يصعب اقتلاعها اه

واعلم أيها الذكى ان هذا المذهب اليهودى اليوم صار صفة عامة فى رجال السياسة فى الأمم الأوروبية فأصبحوا خائنين يستحلون دماء أهل الشرق وأموالهم ودماء بعضهم وان أمم النصارى فى ديارهم محبون لبعضهم فى داخلها ولكن دولهم متقاطعة منهادية مع بعضها ومع أمم الشرق ومع أممهم السياسية كعامة اليهود فلهذا الأمر من قبل ومن بعد وهو حسبنا ونعم الوكيل

﴿ اللطيفة الثالثة - تفصيل الكلام فى قوله تعالى ان الذين يشتركون به عهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا ﴾
عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على عيى صبر يتقطع بها مال امرئ مسلم لى الله وهو عليه غضبان وأنزل الله تصديق ذلك - ان الذين يشتركون به عهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الآية - ولقد قدمت لك انه يدخل فيه اليهود والمواثيق المأخوذة من جهة الرسل ويدخل فيه ما يلزم الرجل نفسه من عهد وميثاق فكل ذلك من عهد الله الذى يجب الوفاء به

﴿ واجب علماء الاسلام والحلف بالله ﴾
على المسلمين فى أقطار الأرض أن ينظروا فى مسألة الأيمان فان الله عز وجل يقول - ولا تجمعوا الله عرضة لأيمانكم الآية - وتقدم تفسيرها فى سورة البقرة والآية هنا قد نددت على الخالفين الكاذبين وانهم لا نصيب لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكهم ولهم عذاب أليم - واعلم أن المسلمين قد ابتلوا بالحلف صدقا وكذبا ولم يجدوا من العلماء من يمنعهم من أن الوعيد الذى جاء على الخلف لم يكن على سواه من أمور الدين ولعل ما نشاهد من الفل والهوان والجهل المطبق واذلال الأمم للمسلمين ر بما جاء من هذا الخلق اللئيم الحلف بالله والكذب فى الوعد فعلى علماء الاسلام فى الأقطار أن يخففوا المسلمين من هذا العمل الشائن والقول الكاذب والوعد المخلف فان هذا يرقى أخلاقهم ويعدل نفوسهم والله هو الولي الجيد

﴿ اللطيفة الرابعة - فى الأمة العربية قديمها وحديثها ﴾
وفى رند نجران وكيف كان ساداتهم يتنعمون عن الاسلام حفظا للرياسة واحتراما لليهود التى أخذها الفرنجة

عليهم وأعجب كيف كانت الدولة الرومانية ذات سلطان عليهم بحيث لا يبرمون أمرا الا اذا رضيت ولا يندرون الا ما كرمته وأعجب لداومة العربية كيف كانت خاضعة لسلطان الأمم فكانت فارس من جهة لها سلطان والروم من أخرى لها سلطان وهما يجاذبان العرب وكل منهما يدلي اليهم بسبب من القوة تارة وللمال أخرى وهم كره بصوالجته فتلقفها هذه مرة وتلك أخرى كره يشق في مهيب الرج ساقطة لاستقرار على حال من التلق

حتى اذا جاء الاسلام زال الغمام واستتب السلام وترك الزمام وصيغت الأمة وعظمت المنة وتوحدت القيادة وثبتت السيادة وغلبت العرب وظهر منهم العجب وأصبحوا سادة بعد أن كانوا وديين وقادة بعد أن كانوا مقودين وثبت ملكهم على الأساس - وتلك الأيام نداؤها بين الناس -

هذاما كان في الأيام الخالية والترون الماضية ثم انقلب الزمان واستدارت الأيام وتبدت المحن وكثرت الاحن ودارت الدورة الشمالية في الأفلاك العلوية فرجع بعض العرب الى أيام جاهليتهم وغلبهم من كان من خدامهم ففري كثير من أمرائهم بالفرجة يحتمون وعلى مدافعهم يعولون وبقربهم يفرحون ولهم يفتخرون وكأن الاسلام ما كان فهم كملوك الطوائف الفارسية بعد دولة الاسكندر وكذلك الممالك الاندلسية - فانا لله وانا اليه راجعون وتري الشريف حسين بن علي يجعل الحرمين تحت إشراف الانكليز والمسجد الأقصى بفلسطين تحت إشرافهم وإشراف اليهود ولقد طرد الأطباء الذين أرسلتهم بلادنا المصرية أن تدخل الاقطار الحجازية ومنعهم من دخول البلاد المقدسة فرجع المحمل المصري ومن معه من الحاجين وذلك عند كتابة هذه الأسطر وفي ظني ان هذه الحال لا تدوم وان الأمة الاسلامية ستستأنف دورها ويعظم قدرها وتحفظ كيانها وترجع مجدها وتصور بيضتها وتقيم حجتها وتكون من أجل أئم العالمين كما قررناه في هذا الكتاب وقررناه في كل باب وليكون للاسلام شأنه وللمجد العرب حسنه فالدهر قلب والزمان استدار واينصرن الله الشرق وأهل ويعطى القوس من كان له ويرجع العلم الى فضابه والسيف الى قرابه وتدخل المدنية من بابها وتطلع الشمس من مشرقها بعد المغرب ويظهر جلالها في تلك السباسب فيعز من كان ذليلا ويذل من كان عزيزا وتقر النواظر وتسر الخواطر وتشرح الصدور ويظهر السرور ويزينه النور وتقوم دول كانت نائمة وتخفس أمم كانت قائمة - سنة الله في خلقه ولن نجد لسنة الله تبديلا -

القسم السابع من سورة آل عمران

وهو فصلان اثنان * الفصل الأول في طلب اتحاد المسلمين وأنهم خير أمة * الفصل الثاني في توصيف أعدائهم وإيجاب الاحتراس منهم

(الفصل الاول)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلْفَ يَنْ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ *

وَأَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ * وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ * كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَكُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ *

بعد ان امر الله النبي صلى الله عليه وسلم ان يخاطب اهل الكتاب تقرير ما لهم اصددهم عن سبيل الله اخذ يخاطب هو سبحانه المؤمنين بنفسه تعظيما لهم وتكريما واسعادا لهم وتشريفا قائلا (يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم الى الخ) ذلك ان نفرا من الأوس والخزرج كانوا اجلاسيتحدثون فربهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه تألفهم واجتماعهم فامر شاس بن اليهودي ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعث وينشددهم بعض ما قيل فيه وكان الفاجر في ذلك اليوم للأوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم وغضب الفريقان غضبا عظيما فتوجه اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وقال ائذعوا للجائلية وانا بين أظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية وأنف بين قلوبكم فعملوا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فآلقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما خاطبهم الله بنفسه بعدما امر الرسول ان يخاطب اهل الكتاب تشريفا لقدرهم واعظاما لمقامهم فتراد يقول فيما تقدم قل يا اهل الكتاب تعالوا الى الخ ولكن يقول هنا الله عز وجل مخاطبا المؤمنين (يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب) يعني شاسا اليهودي واصحابه (يردوكم بعد ايمانكم كافرين) والكفر موجب لهلاك الدارين . ولما كان المسلمون يتلون القرآن وفيه الارشاد والنصائح كانت حالهم داعية الى تعجب المتعجبين فانه لا يليق بهم التخاذل والانقسام بعد ما سمعوا من الحكم والأحكام فلذلك اعتبه بقوله (وكيف تكفرون وانتم تنلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله) . ولما كان التعجب محالا على الله كذا المراد منه المنع والتغليظ قال قتادة في هذه الآية علمان يبينان كتاب الله ونبي الله صلى الله عليه وسلم امانتي الله فقدمي وأما كتاب الله فقد أبقاء الله بين أظهركم رحمة منه ونعمة (ومن يعتصم بالله) أي يستمسك بدينه في الحلال والحرام وجميع الأحكام ويلتجئ اليه في جميع الامور (فقد هدى الى صراط مستقيم) طريق واضح وهو الطريق المؤدي الى الجنة (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون) تقوى الله حق تقاته أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى كما قاله ابن مسعود وهذا ظاهره أنه خارج عن طاقة العبد ولكن المحققون جلود على ما يقدر عليه العبد فلو كان الانسان ساهيا أو ناسيا غفله ذلك وهو لا جعلوا قوله تعالى - فاتقوا الله ما استطعتم - في سورة التغابن مفسرا لهذه الآية فهي محكمة لا منسوخة كما قاله ابن عباس وطاوس وغيرهم جعل الأولى منسوخة بالثانية كسعيد بن جبير وقتادة والسدي وقوله تعالى - ولا تموتن الا وانتم مسلمون - أي لا تكونن على حال سوى حال

الاسلام اذا أدرككم الموت فالنهي متوجه هنا للقيد الذي قيده الموت (واعتصموا بحبل الله جميعا) اذ من تمسك بالحبل لنهار نجى من التردى هكذا من تمسك بدين الاسلام والقرآن نجى من الهلاك في الدنيا والآخرة فالحبل مستعار للقرآن أولاد الدين . ومعنى الاعتصام هنا الوثوق والاعتماد عليه . وقوله جميعا أى مجتمعين عليه (ولا تفرقوا) أى لا تفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما تفرق أهل الكتاب وأهل الجاهلية (وادكروا نعمة الله عليكم) بالهداية والتوفيق للإسلام الذى يهدى الى الاتلاف وكم لله من نعم غيرها (اذ كنتم أعداء) فى الجاهلية تتقاتلون (فأف بين قلوبكم) بالاسلام (فأصبحتم بنعمته إخوانا) متحابين مجتمعين فى الله . يقال كان الأوس والخزرج أخوين لأبوين فوقع بين أولادهما لعداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى أطفأها الله بالاسلام وألف بينهم نبينا صلى الله عليه وسلم (وكنتم) يامشرا الأوس والخزرج (على شفا حفرة) على طرف حفرة مثل شفا البئر ليس بينكم وبين الوقوع فى النار إلا أن تموتوا على كفركم (فأنتقدكم منها) أى خلاصكم بالإيمان من الحفرة والنار . أو الشفا بمعنى الشفة أى الطرف (كذلك) أى مثل ذلك التبيين (يبين الله لكم آياته) دلالته (لعلكم تهتدون) ثم قال تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) قوله منكم للتبيين أى كونوا أمة تدعون الى الخير الخ كقوله كنتم خيرا أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف الخ والدعاء للخير يشمل كل ما فيه صلاح دينى أو دنيوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أخص من الدعاء للخير . ذكرنا معطوفين عليه للتفبيها على فضلها . ويصح أن يقال ولتقم طائفة منكم بالدعاء الى الخير والأمر بالمعروف الخ على أن من التبعض ذلك لأن الدعاء للخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقوم بهما إلا من استوفى شرائط خاصة وهى فروض كفايات وفروض الكفايات متى قام به قوم سقطت عن الباقي ولو تركوها أثم جميع المسلمين (وأولئك) الداعون الآمرون الناهون (هم المفلحون) الذين اختصوا بكمال الفلاح . روى أنه عليه الصلاة والسلام سئل من خير الناس فقال أمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأتقاهم لله وأوصلهم للرحم (ولا تكونوا) يامعشر المؤمنين (كالذين تفرقوا) وهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى (واختلفوا) فى التوحيد والتنزيه وأحوال الآخرة وأمر الله ونهيه (من بعد ما جاءتهم البينات) الحجج المبينة للحق الموجبة لاتفاق عليه . والتفرق المذموم انما هو فى الأصول دون الفروع لقوله عليه الصلاة والسلام من اجتهد فأصاب ذل أجران ومن أخطأ فله أجر واحد (وأولئك) المتفرقون المخلفون (لهم عذاب عظيم) وقوله تعالى (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) منصوب بمافى فهم من معنى الفعل أى لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه بالبهجة والسرور وتسود وجوه بالسكابة والحزن فالبيض والسواد كناية عن ذلك (فأما الذين أسودت وجوههم) من أهل الكفر والردة والنفاق يقال لهم على سبيل التوبيخ والتعجيب (أكفرتم بعد إيمانكم) اذ مكتمت بالفطرة من الإيمان أو آمنتم بالقرآن ثم كفرتم أو ارتددتم (فتذوقوا العذاب) أمر اهانة (بما كنتم تكفرون) أى بسبب كفركم (وأما الذين ابيضت وجوههم) من أهل الإيمان والمخلصين (ففى رحمة الله) أى جنة الله وعبر عنها بالرحمة لأنها دارها ولأن حياة الانسان وعمله وما يترتب عليه كله من رحمة الله تعالى وجميع الوجود من رحمة الله وكأنه يقال أدائه هذه الرحمة أم منقطعة فقيل (هم فيها خالدون تلك آيات الله) الواردة فى وعده ووعيده (تتلوها عليك بالحق) متلبسة بالحق فلا شبهة فيها (والله يريد ظملا للعالمين) وكيف يكون منه الظلم ولا ظم الا حيث يوضع الشئ فى غير موضعه ومن وضع الشئ فى غير موضعه تهتم بنيانه وزال ملكه فليس ابيضاض بعض الوجوه واسوداد الأخرى وعذاب قوم ونعيم آخري الا على أساس ونظم ثابتة بموازين صادقة لحكم معلومة عنده فى كتاب مكنون والملك لا يثبت له الا على العدل والنظام ووضع الشئ فى موضعه ولو أن ملكه أسس على غير العدل لزال ولكننا وجدنا مثل لسموات والأرض منه منظما دائما فالعدل اذن ثابت أزلا وأبدا ولذلك أعقبه بقوله (ولله ما فى السموات وما فى الأرض) وقد قاما على العدل ولولا لفنيا وهو كما أسس ملكه على العدل لا يبقى من الأمم إلا العادلة ولا يرفع عنده الا العادلون ولذلك قال (والى الله ترجع الأمور) فيبقى الأمم مادامت نافعة مضاهية لنظامه

ويفنيها ان ظلمت هكذا يشيب ويعاقب الناس على مقتضى ذلك . ولما كان المسلمون العاملون بمقتضى القرآن الذين يعتصمون بحبل الله جميعا لا يتفرقون الداعون الى الخير الامرون بالمعروف الناهون عن المنكر اقرب الى الخير والعدل كما ان السموات والارض استعاضا على العدل قال الله تعالى (كنتم خيرا امة اخرجت للناس) اى اظهرت لهم اى ما اخرج للناس خيرا من امة محمد صلى الله عليه وسلم . ثم بين كونهم خيرا امة فقال (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) فهذه هى الزية التى فضل المسلمون بها سائر الامم وهذه الزية لا تتم الا بشرطها وهو الايمان فلذلك قال (وتؤمنون بالله) ثم ذكر على سبيل الاستطراد اهل الكتاب فقال (ولو آمن اهل الكتاب) من اليهود والنصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم (لكان خيرا لهم) مما هم عليه من اليهودية والنصرانية (منهم المؤمنون) كعبد الله بن سلام وأصحابه الذين أسلموا من اليهود والنجاشي وأصحابه الذين أسلموا من النصارى (وأكثرهم العاسقون) المقردون في الكفر طلبا للمناصب والرياسة وبهذا تم الفصل الأول من القسم السابع

(الفصل الثاني من القسم السابع)

لَنْ يَضُرَّوْكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُواكُمْ يُوَلُّوْكُمْ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ * ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أُنْثَىٰ مَا تُثْقَفُوا إِلَّا يُحِبُّلُ مِنْ اللَّهِ وَحُبُّلُ مِنَ النَّاسِ وَبَاؤُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَفُوقُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَنْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بَغِيزَكُمْ إِنْ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * إِنْ تَمَسَسْتُمْ حَسَنَةً تَسَوْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرَّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنْ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ *

لقد عمد رؤساء اليهود الى من آمن منهم فآذوهم فأمر الله (لن يضر وكم الأذى) ضررا يسيرا كطعن في الدين
 وتهديد (وان يقاتلوكم يولواكم الأدبار) منهزمين فلا يضر وكم يقتل أو أسر (ثم لا ينصرون) وهذه الجملة ابتداء أخبار
 معطوفة على جملة الشرط والجواب فكأنه قيل أخبركم انهم ان يقاتلوكم يولواكم الأدبار ثم أخبركم انهم لا ينصرون وهذه
 الآية قد تحقق ما جاء فيها من الغيب فان بنى قرينة والنضير ويهود غير مغلوبوا فمنهم من قتل ومنهم من نفي وأخرج من
 الديار (ضربت عليهم الذلة) هدر النفس والمال والأهل والتمسك بالباطل والجزية (أيما ثقفوا) وجدوا (الا
 بحبل) عهد (من الله وحبل من الناس) أي الالعهد وذمة من الله وكفاية وذمة المسلمين والابدين الاسلام واتباع
 سبيل المسلمين (وباوا بغضب من الله) رجعوا به (وضربت عليهم المسكنة) فهي محيطة بهم كما يحيط البيت المضروب
 على أهله. ويقال ان اليهود غالبوا أذلا اذ ليست لهم دولة ولا ملك (ذلك) أي ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء
 بغضب (بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق) بسبب كفرهم وقتلهم (ذلك) الكفر والقتل
 (بما عصوا وكانوا يعتدون) بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله (ليسوا سواء) أي ليس أهل الكتاب سواء في
 المعاصي (من أهل الكتاب أمة قائمة) جماعة مستقيمة عادلة من أقت العود فقام وهم الذين أسلموا منهم (يتلون آيات
 الله آناء الليل وهم يسجدون) يتلون القرآن ساعات الليل - يقال أنى كفى أو انوكتو - وهم يصلون متبهجين
 (يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف) كالإيمان وبسائر أبواب البر (وينهون عن المنكر) الكفر
 ومنهيات الدين (ويسارعون في الخيرات) يبادرون إليها خشية القوت. وهذه الصفات خاصة بمن أسلم من أهل الكتاب
 كعبد الله بن سلام. أما أولئك الذين لم يسموا ففهم لا يصلون بالليل ولا يؤمنون بالله لا إيماناً مشوباً بالشرك. وهكذا بقية
 الصفات (وأولئك) الموصوفون بما ذكر (من الصالحين) الذين صلحت أعمالهم وأحوالهم عند الله فرضى عنهم
 (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) لن يحر مواجزاءه (والله عليم بالمتقين) بشارة للمتقين بجزيل الثواب (ان الذين
 كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله شيئا وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وقوله تعالى
 (مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا الخ) أي في المعابر والمكارم وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس أو ما
 يتقربون به الى الله وهم كفرون أي مثل اهلاك ما ينفقون (كمثل اهلاك) ربح فيها صر (بردد شديد) أصابت حرث
 زرع (قوم ظلموا أنفسهم) بالكفر (فأهلكته) عقوبة لهم على كفرهم (وما ظلمهم الله) باهلاك زرعهم
 (ولكن أنفسم يظلمون) وعلم أن هذه الصفات من ضرب الذلة والبوء بالغضب والكفر وقتل الأنبياء والعصيان
 والاعتداء وعدم نفع أموالهم لهم وكونهم أصحاب النار وأن ما ينفقونه ضائع لا تلام صفات المؤمنين الذين يتلون
 آيات الله ويسجدون ويؤمنون بالله ويؤمنون باليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون
 في الخيرات وإذا فعلوا خيرا نالوا ثوابه والله عليم بهم. وهذا بشارة لهم فهذه تسع صفات تؤمنى أهل الكتاب تقابل تسع
 صفات لكافرين منهم كما يقابل الليل النهار والظلمة الضياء والعدم الوجود. وأنت تعلم ان العداوة انما تنشأ من اختلاف
 الصفات وتباعد الأخلاق ومن تباعدت أخلاقهم وتذفت صفاتهم وآدابهم لا يتناصحون بل يتنفرون ولذلك أعقبه
 بما ترتب عليه من النصيحة للمؤمنين أن لا يتخذوا لهم منهم أصدقاء بفشون لهم أمرارهم فقال (يا أيها الذين آمنوا
 لا تتخذوا بطانة) بطانة الرجل ووليجه فيه شبه ببطانة الثوب ويقال فلان شعاري والشعار الثوب الذي يلامس
 الجسم بخلاف الدثار (من دونكم) من دون المسلمين أي بطانة كائنة من دونكم (لا يأتونكم خبالا) أي لا يقصرون
 لكم في فساد دينكم ودنياكم. يقال ألقى الأمر بالقصر فيه والخبال الفساد (ودواما عنكم) أي ودواما عنكم أي شدة
 ضرركم ومشقتكم أي تمنوا أن يضر وكم في دينكم ودنياكم أشد الضرر وأبلغه وهذه جملة مستأنفة وهم مع ضبطهم
 أنفسهم تفلت من السننهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين (قد بدت البغضاء من أفواههم)

ومهما يكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم

(وما تخفى صدورهم أكبر) مما بدا لأن بدوه ليس عن روية واختيار ولما كان أكثر الناس يغفل عن كشف

البواطن بقلبات انما ان أعقبه بقوله (قد بينا لكم الآيات) الدالة على علامات الأعداء وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين (ان كنتم تعقلون) ما بيناه لكم والجل مستأنفة ويجوز أن تكون الثلاثة الأولى صفة لبطانة (ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم) أي أنتم أولاء الخاطئون في موالاة الكفار من يهود ومنافقين وغيرهم وافشائكم الأسرار لهم إما لقراءة أو صاهرة أو غيرهما يحبونهم فتفشون لهم أسراركم ولا يحبونكم فلا يفعلون مثل ذلك معكم وهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم لأنهم لا يؤمنون بكتابكم (وتؤمنون بالكتاب كله) ومنه كتابهم (وإذا لقوكم قالوا آمنا) نفاقا (وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) من أجل الغيظ تأسغوا وتحسروا حيث لم يجدوا إلى التشفي سبيلا (قل موتوا بغيظكم) دعاء عليهم بدوام الغيظ بتضاعف قوة الاسلام (ان الله عليم بذات الصدور) أي بالخواطر القائمة بالقلب . ولما كانت حالة في القلب كنى عنها بذات الصدور فهو يعلم ما يسرونه من عض الأنامل غيظا اذا خلوا وما هو أخفى منه وهو ما يسرونه في قلوبهم (ان تمسككم حسنة) من خير ومنفعة (تسوهم وان تصبكم سيئة) من ضرر وشدة (ففرحوا بها) شامة وذلك لتناهي عداوتهم فهم نارة حساد ونارة شامتون (وان تصبروا) على عداوتهم وعلى مشاق التكليف (وتنتقوا) موالاةهم واحترام الله عليكم (لا يضركم كيدهم) عداوتهم ومكرهم (شيئا) لأن المتقين في كنف الله والصالحين الذين اطمأنت نفوسهم للحوادث يقل انفعالهم لما يصيب من المكروه (ان الله بما تعملون) من الصبر والتقوى (محيط) علمه فيجازيكم بما أنتم أهله . وقد قرئ بالياء أي بما يعملون في عداوتكم فيعاقبهم * انتهى القسم السابع وتفسيره اللفظي

وهنا لطائف اللطيفة الأولى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر * الثانية - وما الله يريد ظلم العالمين والله ما في السموات وما في الأرض - * الثالثة - كنتم خير أمة أخرجت للناس - * الرابعة - ضرب الذلة والمسكنة على اليهود - * الخامسة - وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون - * السادسة - اتخذوا البطانة من الأعداء - (اللطيفة الأولى) - ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الوارد في هذه الآيات

قد تقدم الكلام عليها في آخر سورة البقرة عند قوله تعالى - لا يكاف الله نفسا الا وسعها - وبيننا هناك العلوم والصناعات الواجبة على الأمة فكل علم وكل صناعة وكل فن من الفنون ووعظ وارشاد تجب على الأمة وقد بينا هناك ان الأمة الاسلامية اليوم قد انتهت في الكسل فأحاطت بها أمم أوروبا وهكذا قد ألفت كتابا يسمى (القرآن والعلوم العصرية) بينت فيه ان الصناعات والعلوم واجبة على الذين لهم طاقة وقدرة من الأغنياء وغيرهم وأرسلت ذلك الكتاب والمجلد الأول من هذا التفسير المشتمل على الفاتحة والبقرة الى سائر الأمم الاسلامية شرقا وغربا وأرسلتها الى ملوك الاسلام لأؤدي ما على قبل القوات فكل من عنده علم وكنهه عاقبه الله عز وجل على كتمانته وتهاونه وغفلته والذي أضر بالأمم الاسلامية ظنها انها ليست ملزمة من العلوم الابالغية وهذا ضرب من الحماقة والجهل العظيم

(اللطيفة الثانية - قوله تعالى وما الله يريد ظلم العالمين والله ما في السموات وما في الأرض) لما كان الكلام السابق فيه قوم ابيض وجوعهم وآخرون اسودت وجوههم وقوم كفروا وآخرون آمنوا وقوم يعذبون وآخرون ينعمون وكان الخلق كلهم عباد الله وخلقه أردفه بقوله - تلك آيات الله تتلوها عليك بالحق - فلا شبهة فيها وليس الله يريد ظلم العالمين وانما عمله عز وجل سائر على نظام أكمل والعدل انما هو النظام التام وليس العدل ما تتعارفونه بينكم وانما هو نظام العالم العام فاذن يكون العذاب والنعيم والكفر والايمن من كمال ذلك النظام التام في السموات والأرض (ليس في الامكان أبدع مما كان) واذا أردتم التثبت من هذه النظرية فتأملوا في السموات والأرض تجدوا العدل فيهما من ظلمة ونور وأرض وسما . ورفع وخفض فلا تبتئسوا بما ترون فقد ذكر السموات والأرض في هذا المقام لتبيان العدل . وهذا المقام يحتاج لايضاح فأقول

(١) نظرة في العوالم المشاهدة الأرضية (٢) نظرات القرآن فيها (٣) لم ذكرت السموات والأرض في مواضع كثيرة في القرآن

(١) نظرة في العوالم المشاهدة الأرضية

إذا تأملت أيها الذكي فيما ترى فان في الشجر والزرع والعنب مقاصد شتى ألم تر أن النخل تقصده لما ربت شتى فالجذع لسقوف بيوتنا والجريد لسقائف تنقياً ظلها والخصول لأسقاطنا نضع فيها أمتعتنا والليف للحبال نشدبها ما أردنا والتمر نقتدي ودفكه به هكذا التين والرمون وغيرهما لنافيتها ما ربت شتى من فاكهة بثمره ودواء بورقه وتسوية طعام بخشبه وتقيؤ الظلال بشجره وهو قائم وهكذا . هذه هي الفوائد التي نناهلها في حياتنا الدنيوية

(٢) نظرات القرآن فيها

ولقد ذكر الله الزرع والنخل نارة للاستدلال على الخالق ونارة على البعث ونارة على فناء الناس ونارة على قرب الارنحال وهكذا

(٣) فأما عالم السموات

فقد جاء ذكره في القرآن كذلك وفي كل موطن له مقصد جلي فيه لأجله ألا ترى إلى ما جاء في سورة البقرة في قوله تعالى - ثم استوى إلى السماء - للاستدلال على إثبات الألوهية وفي قوله تعالى - ان في خلق السموات والأرض الخ - للاستدلال على الوحدة بالوحدة في هذا الكون . وفي سورة آل عمران في قوله تعالى - ان الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء - للاستدلال على سعة علمه وهنا في هذه الآية للاستدلال على عدم ظلمه يقول هنا - وما الله يريد ظلماً للعالمين . فان كنتم في شك من ذلك وقد رأيتم وجوهاً ابيضت وأخرى اسودت وقوما كفروا بآخرين آمنوا فلا تعتبروا هذا ظلماً وأنتم لا تعلمون نهايات أعمالنا فأنا لا أريد الظلم والظلم يتبعه الخراب والدمار والسموات والأرض باقيات آمداً طويلاً وإذا انتهت أيامها بدلت الأرض غير الأرض والسموات غير السموات والنظام في الحالين تام فإذا كان هذا هو نظامي وهو لا يخل فيه فهو عين العدل فاذن يكون ما ترون من كفر وإيمان ونعيم وعذاب كله من تمام النظام فقوم يسجنون وآخرون يكرمون والنظام بهذا الاختلاف تام لا عوج فيه ومع ذلك كله فليس لكم الخوض في هذا لأنكم لا تدرون غايته ولا تعرفون نهاياته لأن عواقب الأمور ليست اليكم حتى تحكموا عليها وإنما الأمور راجعات إلى الله فانظروا لظواهر الكون وسلموا بأن الله عدل فأما الحقائق ونهاياتها فلا طاقة لكم بعلمها وإنما إلى الله ترجع الأمور اهـ

واعلم ان الكلام على السموات والأرض قد تقدم في قوله تعالى - ثم استوى إلى السماء وهي دخان - فهناك مقال شاف في عدد السموات وحقائقها وآراء المتقدمين والمتأخرين وهكذا بيان الوحدة في هذا الوجود في قوله تعالى - ان في خلق السموات والأرض - وإيضاح الأرض وفهمها ثم الكلام قد تقدم في أول السورة على حركات الكواكب وعجائب النظام لبيان علم الله فارجع إليها هناك في كل مقام يحسبه وهكذا سيأتي في آخر هذه السورة النظر في السموات للذكر والتفكير ودوام ذكر الله في القيام والقيود وان هذا الخلق لم يكن باطلا فتعجب من غفلة بعض المسلمين الذين يقرؤون القرآن وهم عن الأرض والسموات معرضون

يا من يقرأ كتابي هذا قل للمسلمين في أقطار الأرض ان القرآن جعل الله فيه السموات والأرض لبيان العدل وجمال الصنعة واتساع العلم وكل ذلك لا رشادكم إلى النظر والتفكير والبحث والتدقيق فان ذكره في العلم نارة ذكره في العمل والاتقان أخرى ألم يقل في سورة البقرة - هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً - طالت الآيات التي فيها اختلاف المسلمين والنصارى واليهود فأراد الله أن يقول ارجعوا إلى وانظروا في سمواتي وأرضي ولا يشغلنكم الاختلاف الديني عن النظر الطبيعي

وبما كان الكلام على السموات قد أسهبنا فيه سابقاً وكان ذكرها لاجل العدل لم يكن الا في هذه الآيات مناسب أن نذكر وصف العلامة (فلامريون) الفلكي المشهور فنقول

كيف يقوى الفكر البشري على الاحاطة بما لا يتناهى من الشمس والكواكب التي لا تعرف نهاياتها فتأمل

وصف (فلامريون) له وصف أسهل يشهد بالعدل في النظام والتساوي في الأحكام وإن سكان كل كوكب كأهل أرضنا يرون
أقمار الكواكب وأعدادها على النحو الذي نراه نحن فهذا عدل عام وهذا مبدأ قوله يا أيها القارئ الكريم أنه
لو أتيح لنا أن نعيش ملايين الملايين من السنين وإن فكشف طريقة للمواصلات أسرع من القطارات والأتوموبيلات
والطائرات طريقة يمكننا السير بها بسرعة النور أي بسرعة ٣٠٠ ألف كيلومتر في الثانية

فإذا تم ذلك لنا أصبحت الكرة الأرضية ضيقة بنا وصرنا بطبيعة الحال نتوق إلى الطواف حول هذا الكون الواسع
فنخرج من الأرض الضيقة غير آسفين عليها قاصدين أقرب الكواكب وهو القمر الذي يبعد عنا ٣٨٩ ألف كيلومتر
ولكن هذه المسافة الهائلة نقطعها في ثانية وثلاث بياراتنا المدهشة التي تسير بسرعة النور . ومتى وصلنا إلى القمر
رأينا الأرض منه كوكبا يزيد حجمه أربعة أضعاف عن حجم البدر لما كنا ننظر إليه من الأرض
ثم ننقل منه إلى المريخ وهو أقرب السيارات إلينا وعلى مسافة خطوتين من مباحسب الاصطلاح الفلكي لأنه لا يبعد
عننا سوى ٦٠ مليون كيلومتر

والمريخ أصغر من الأرض لا يزيد قطره عن نصف قطرها الا قليلا ومادته نحو عشر مادتها وجود أقل كثافة من
جوها . ومتى وصلنا إلى المريخ رأينا سكانه - إذا كان فيه سكان - ينظرون إلى أرضنا التي هي نجمة الصبح
عندهم كما ننظر نحن إلى الزهرة ويسألون هل هي مسكونة أم لا وقد أجمعوا على أنها غير صالحة للسكنى لأن هوائها
ثقيل جدا . فالثقل النوعي فيها أضعافه في المريخ . وكذلك السرعة . فالرجل الذي يزن في المريخ خمسة وسبعين
كيلوغراما يزن على الأرض أكثر من مائتي كيلوغرام . والجسم الذي يقع من علوشا حتى يقطع في المريخ مترا و ٨٤
سنتيمترا في الثانية . وهذا منتهى ما نستطيع أن نقطعه الأجسام في عالم صالح للحياة على رأي علماء المريخ أما على
الأرض فالجسم الذي يقع فيه من أعلى إلى أسفل يقطع أربعة أمتار وتعين سنتيمترا في الثانية ثم تزداد سرعته على
نسبة مربع البعد . لذلك قرر علماء المريخ أن الأرض غير صالحة للحياة ولا سيما وأن قربها من الشمس يحول دون
نمو الحياة فيها . أما المريخ فهو الكرة المتوسطة الصالحة للحياة إذا لا بد ولا حرج فيها

وهذا القول نسمع مثله في كل السيارات والكواكب الأهلة بالسكان والتي نمر بها في سياحتنا المدهشة . ثم نبرح من
المريخ إلى زحل الذي يبعد عن الشمس نحو ٨٨٢ مليون ميل فنصل إليه في نحو سبع دقائق إذا سرتنا بسرعة النور .
ويبلغ حجم زحل ٧٤٥ ضعف من حجم الأرض . والسنة فيه تعادل ٢٩ سنة تقريبا من سني الأرض . ولهذا
السيارات تسعة أقمار لا ترى من أرضنا إلا بالمنظار

وبعد ما تجتاز السيارات واحدا فواحدا نصل إلى نجم (الفا) الذي هو أقرب النجوم إلى الشمس لأنه لا يبعد عنا
سوى ٢٧١ ألف ضعف بعد الشمس . فالقطار الذي يسير إليه بسرعة ٦٠ كيلومترا في الساعة لا يبلغه إلا بعد
٧٥ مليون سنة سنة . ولا نصل النجم إلى الأبعد مليون ونصف مليون سنة بعد انطلاقها . وإذا وقع فيه انفجار
هائل فإنا لا نسمع صوت هذا الانفجار إلا بعد مرور ثلاثة ملايين سنة على وقوعه

وإذا وصلنا سيرنا مسافة مائة مليار كيلومتر باعنا نجما بعده علماء الفلك من نجوم القدر الثاني عشر . ثم نجما آخر
يبعد عن الأرض ٦٥٢٠ سنة إذا سرتنا إليه بسرعة النور . ثم آخر وهكذا إلى التوالى
وكما تقدمنا في الفضاء اللامتناهي رأينا عوالم جديدة يتألف كل منها من ألوف من الشمس ويبعد الواحد عن
الآخر مليارات المليارات من الأميال إلى أن نصل إلى المجرة التي تبعد عن الأرض ذرات من الرمال كل ذرة منها
شمس محرقة

ثم نبليغ بعد ما نسير ألوف أخرى من السنين بسرعة النور إلى مجرة أخرى فأخرى إلى ما لا نهاية لها . فننقضي عمرنا
الذي فرضناه ملايين الملايين من السنين ونحن في وسط الفضاء اللامتناهي لم نتقدم خطوة ولم نبلغ غاية وكثيرا ما نشاهد
حولنا في أبان سيرنا في الفضاء بسرعة النور عوالم مندثرة تدلنا على أن كل شيء في الكون عرضة للموت ولكنه ينبعث

بشكل آخر ولا يتغير منظر السماء علينا في هذه الرحلة الهائلة الا في وضع النجوم واذا حاولنا أن نكشف موضع الارض انظرنا الى البحث عن مركز الشمس أما النجوم فتكون بالنسبة اليها كما كانت ونحن على الارض فاذا أحصيناها من أي محل كان وجدناها ١٩ نجما من القدر الاول و ٦٠ من القدر الثاني و ١٨٢ من القدر الثالث و ٥٢٠ من القدر الرابع و ١٦٠٠ من القدر الخامس و ٤٨٠٠ من القدر السادس (وهذا كل ما يرى بالعين المجردة) و ١٣ الف من القدر السابع ثم يزداد عددها بسرعة كما لو كنا نرقبها من الارض حتى يبلغ عدد نجوم القدر الخامس عشر ٤٠ مليوناً أما نجوم القدر السابع عشر والثامن عشر فلا تقع تحت حصر فنستدل من ذلك على اننا لو سرنا في الفضاء بسرعة النور مليارات المليارات من السنين لما تغير شكلنا بالنسبة اليها ولما اختلفت مناظره كثيراً عما كانت عليه ونحن في الأرض

ونقول الآن ان الحياة موجودة في النظام الشمسي موجودة في الأرض بالجدال وموجودة في المريخ والزهرة على الغالب وان السيارات الأخرى كعطارد والمشتري وزحل وغيرها ليست قفرًا ولكن سكانها يختلفون عنا على ما يظن اختلافًا كبيرًا في تركيبهم الكيماوي

وكما ان للشمس ثمانى سيارات يتألف منها نظامنا الشمسي • كذلك النجوم التي كل منها شمس هائلة • فقد أثبت العلم ان للنجوم سيارات عديدة ورصد العلماء أخيراً بعض هذه السيارات وعرفوا كثيراً عن أحوالها ولا يخفى أنه كان للعلوم الرياضية شأن كبير في الاكتشافات الفلكية • فلولاها لما اكتشف السيار بنبتون ولولاها لما عرف شيء كثير عن حقيقة العوالم السابحة في الفضاء اللامتناهي • وقد لجأ علماء الفلك الى الرياضيات في تقدير عدد العوالم الآلهة بالسكان فقالوا اذا فرضنا أن لكل من النجوم المعروفة لدينا ثمانى سيارات كما للشمس وأن ثلاثاً من هذه السيارات الثمانى تصلح للحياة كان عدد العوالم الآلهة بالاحياء ٣٠٠ مليون أرض كأرضنا على أقل تقدير لأن ما أحصى من النجوم حتى القدر الخامس عشر بلغ مائة مليون نجم الى الآن • أما نجوم القدر السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر الخ التي لا يحصى عددها ولا تقع تحت حصر فلم ندخل في حسابنا لأننا اقتصرنا على النجوم التي رصدها البشر ودرسوها • على ان ما قبل عن النجوم المعروفة يقال مثله عن النجوم التي لم يتوصل اليها البشر بعد الى معرفتها • وحينئذ يصير عدد العوالم الآلهة بالاحياء أعظم من أن يحده رقم أو يقع تحت حصر

ولاندرى لماذا يكون بين سيارات النظام الشمسي سيارات تصلح للحياة ولا يكون مثل ذلك بين سيارات النجوم • وقد ثبت أن النجوم ليست سوى شمس عظيمة لها سيارات كما للشمس ولكل نجم منها نظام مستقل كالنظام الشمسي مرة أو سيمر في مثل الدور الذي تجتازه الشمس وتوابعها الآن • فكما ان النظام الشمسي كان سديماً واحداً ثم تجزأ أجزاء عديدة ثم جدت هذه الأجزاء كذلك بعض النجوم • وكما أن نور الشمس يحتوى على أشعة ضرورية للحياة كذلك نور النجوم • فضلا عن أن المواد التي تتألف منها الشمس والسيارات هي المواد عينها التي تتألف منها النجوم كلها تقريباً • فلماذا نرى أن نحصر الحياة في نظامنا الشمسي بل في الأرض التي نعيش على سطحها • وليست الحياة الأرضية من أرقاها (الانسان) الى أدناها (الاسفنج والمرجان) سوى نتيجة القوى الطبيعية العاملة في الأرض وفي كل كوكب تتوافر لها فيه شروط العمل المتوافرة بالجدال في جميع العوالم السماوية مهما اختلفت أحوالها

والظاهر ان أقدم الأحياء الأرضية ظهرت لما كانت المياه لا تزال حارة ونشأ عن مزيج قوامه الكربون المتحد بالأكسجين والهيدروجين ولم يكن لهذه الأحياء حينئذ سوى شعور طفيف كشعور الاسفنج والمرجان • ثم ظهرت اليابسة وظهرت معها الأحياء التي تتنفس ومنها الأفاعي ثم الطيور والوحوش ثم الانسان

فالكربون اذن هو العنصر الاساسى في الحياة الأرضية • وليست الكيمياء العضوية سوى كيمياء الكربون كما يقال • والكربون موجود في جميع السيارات التي لا بد أن تكون قد مرت أو ستمر في دور يمكنه من الاتحاد

بالأكسجين والهيدروجين بفعل قوى الطبيعة العاملة في كل مكان فتظهر بذلك الحياة كما ظهرت على الأرض
واذا لم يصح هذا القول الاعلى سيارة واحدة من السيارات التابعة لكل نجم معروف كان لنا ١٠٠ مليون
عالم آهل بالسكان . أما اذا صح على ثلاث سيارات كما يرجح أن يكون في السيارات التابعة للشمس فيزيد عدد
العوالم المسكونة حينئذ على ٣٠٠ مليون . وإذا اتخذنا هذه النسبة اساسا للبحث فيما يحتمل أن تكون عليه
السيارات التابعة للنجوم التي لم يتمكن العالم من التعرف اليها بعد . بلغ عدد العوالم المأهولة بأحياء كالأحياء
الأرضية حدا لا يحصى عد ولا يحده حد

ولنعد الآن الى البحث في الأحياء الذين يختلفون عن الأحياء الأرضية في تركيبهم الكيماوى
لقد تقدم القول بأن الكربون هو قوام الاجسام الحية في الأرض . وان للكربون خصائص ومزايا
لا يظهر تأثيرها الا في أحوال شبيهة بأحوال الأرض من الوجهة الطبيعية . لذلك لا يحتمل أن يكون فعله في نباتون
مثلا كفعله في الأرض لاختلاف أحوال هذه السيارة والسيارات الأخرى كالشترى وزحل وأورانوس وغيرها غير صالحة للحياة
في أرضنا . ولكن القول بأن هذه السيارة والسيارات الأخرى كالشترى وزحل وأورانوس وغيرها غير صالحة للحياة
أبعد عن العقل والمنطق من القول بأن فيها أحياء يختلفون عنا في تركيبهم الكيماوى لهم جهاز هضمى غير جهازنا وراثت
غير راثتنا وحواس غير حواسنا

وإذا كان الكربون لا يصلح لان يكون عنصرا جوهريا لهذه الأحياء ففي الطبيعة عناصر أخرى يمكنها أن تحل
محلّه . لنأخذ عنصرا السيليسيا مثلا . فانه شديد الشبه بالكربون ينشأ عن اتحاده بالأكسجين حامض السيليسيك
الموجود بكثرة في كل سيارة . وتظهر بعض تركيبه بمظاهر غريبة منها خلايا خلايا النبات ونباتات كالنباتات الدنيا
على ان هذه الخلايا ليست حية وان تكن شبيهة بالخلايا الحية ولكن من منا كان يعلم قبل سنوات مانعاه اليوم عن
حياة الاسفنج وما الذى يدلنا على ان عنصرا السيليسيا ليس في العوالم الأخرى قواما للحياة كالكربون في عالمنا
الأرضى وهو أكثر منه تحملا للحرارة فلا يحل في درجة شديدة الحرارة ولا يجمد في درجة شديدة البرودة

والأحياء الذين يحتمل وجودهم في العوالم الأخرى ليسوا على شاكتنا بلا جسدال فهيتاتهم غير هيأتنا
وحواسهم غير حواسنا وتركيبهم الكيماوى غير تركيبنا

ولسنا ندري لماذا يصعب على العقل التسليم بوجود حواس غير حواس البشر وأحياء غير الأحياء الأرضيين وكلنا
يعلم أن الأرض بالنسبة الى العوالم الأخرى أصغر من ذرة رمال في صحراء أفريقيا وأن حواسنا قاصرة جدا عن ادراك
كثير مما يقع حولنا

خذ مثلا اهتزازات أوتار العود . فإذا بلغت ٣٣ في الثانية أثرت في طبلة الاذن وأسمعتنا نغما أو صوتا وكلما
زاد عدد الاهتزازات اختلفت الاصوات الى ان تبلغ ١٠٣٤ اهتزازا في الثانية . وتبدأ الاذن تتألم بعد ما يزيد عدد
الاهتزازات على ٧٠٠٠ في الثانية ومتى بلغ عددها ٣٣ ألفا استحال على الاذن أن تسمع شيئا أما الاهتزازات
التي يبلغ عددها ٣٤ مليارا في الثانية فلا تقع تحت حاسة من حواس البشر لانها تصير تموجات كهربائية

وتحدث التموجات التي يبلغ عددها بين ٣٤ مليارا و ٣٥ مليارا في الثانية أشعة موجودة ولكن العلم لم يعرفها
بعد وتختلف تموجات النور بين ٤٥٠ الى ٧٥٠ تريليون في الثانية وتبتدى من الأحمر الى البنفسجى مارة بجميع
الالوان والتموجات الأقل عددا من تموجات النور الأحمر هي أشعة الحرارة والتموجات التي تزيد عددا على تموجات
النور البنفسجى أى على ٧٥٠ تريليون في الثانية هي أشعة لا تؤثر في العين ولكنها تؤثر في الألواح الفوتوغرافية

ومتى بلغت التموجات ٢٨٨ كترليون في الثانية نشأت عنها أشعة رنتجن فلوان بصرتنا يحس بهذه التموجات
لما كان للالوان أثر في الوجود بل كانت الأرض تظهر لنا بمظهر غريب فنرى البشرها كل عظمية والاشجار عبارة
عن سائل متجمد وإذا شئنا حينئذ أن ننستر وجب علينا أن نرتدى لباسا من الزجاج والرصاص وأن نجعل نوافذنا

من الخشب بدلا من الزجاج

أما إذا استطاع بصرنا أن يشعر بتموجات أسرع من هذه التموجات فإنه يرى عجائب لا نخطر على بال إنسان فهل بعد أن يكون للأحياء غير الأرضيين حواس تجعلهم يشعرون بهذه الأشعة التي لا نشعر بها نحن لضعف حواسنا وقلتها

إن الحركة هي أساس كل شيء في هذا الكون فالتموجات نسمع إذا كانت أقل من ٣٠ ألفا في الثانية ومتى زادت عن ذلك تحولت إلى ألوان ثم إلى أشعة كهربية بائية فنورية فكهيمادية ومعظمها لا يقع تحت حواسنا وإن كنا نعرف نتائجها ونراها فإما إذا أصعب على العقل أن يسلم بإمكان وجود حواس غير حواس البشر تحس بهذه المظاهر وأمثالها إن جميع ما في الكون من عوالم ومجرات وشموس ونجوم وأقمار مرئية أو غير مرئية الآن أو سيمر في المستقبل بمثل الدور الذي يجتازه اليوم عالمنا النجمي وعالمنا الشمسي أي دور صالح للنمو والحياة فقبل مئات الملايين من القرون كانت عوالم كثيرة كعالمنا الحالي موجودة في الطبيعة ولكنها ليست العالم الذي نحن فيه لأن تلك العوالم قد دمرت الآن ولأن عالم اليوم لم يكن موجودا في تلك الأثناء

كانت حينئذ نجوم وشموس وأقمار وسيارات وأيام وليال وقرون وفصول وسنوات وأحياء وحوادث ولكن غير النجوم والشموس والكواكب والأحياء الخ الموجودة اليوم الأرض التي نحن عليها لم تكن قد تكونت بعد بل كانت سديما ليس فيه ماء ولا هواء ولا حياة ولا شيء من العناصر التي يسميها الكيمائيون بسيطة كالهيدروجين والأكسجين والحديد والأزوت وغيرها كانت كلها غازا ملتبها يحتوي على جراثيم الحياة وبدور الوجود إذا صح هذا التعبير

الإنسانية وتاريخها والبشر وجهوداتهم وكل ما في الأرض من جاد وحيوان ونبات لم يكن موجودا في هذا السديم الابهية نطفة أو جنين • ولم يكن محل الأرض سوى غاز متموج في وسط الفضاء اللامتناهي • وقد قلنا محل الأرض وذلك خطأ لأن الأرض كسائر النجوم والشموس والسيارات لا تمكث دقيقة في محل واحد بل تسير على الدوام في الفضاء الواسع

لم تكن أرضنا موجودة حينئذ بل كانت نجوم وشموس وسيارات أخرى آهلة بالسكان كما هي الحالة اليوم وكان هؤلاء السكان يعيشون ويموتون ويتألمون ويسرون ويحبون ويكرهون ويتسكثرون جيلا بعد جيل مثلنا تقريبا وكانت لهم حضارة وشرائع وعلوم وآداب تناسب مع درجة رقيهم في مختلف الأدوار التي مروا بها وكانوا يعتقدون كما نعتقد أن الخليقة كلها تنقف عندهم ولا تعدى دائرة فلكهم وقد انقضوا كما سنقرض نحن لأن الأبدية التي لا بداية ولا نهاية لها لا تجرف أمامها الممالك والدول والشعوب فقط بل تجرف العوالم التي توالى وستوالى إلى الأبد أما الطبيعة فهي القوة الخالدة التي تعمل على الدوام إنها باقية وكل ما عداها فان لأن الماضي والمستقبل غير موجودين في نظرها لأن الحاضر هو كل شيء بالنسبة إليها

وإن محاولتنا البحث فيما كانت عليه هذه العوالم كمحاولة النملة درس تاريخ الأرض فكما إن النملة تظن تاريخ البشرية محصورا في تاريخ وكرها كذلك نحن وكما إنها تظن نفسها صاحبة الحقل الذي تعيش فيه وتعتقد أن كل ما في الكون ملك لها وتجهل وجود أحياء أخرى غيرها كذلك نحن بالنسبة إلى العوالم الأخرى فما يمكننا والحالة هذه أن نعرفه عن العوالم المنقرضة أقل بكثير مما قد نعرفه النملة عن عالمنا الأرضي

وليس من السهل على عقلنا المحدود أن يتصور الأبدية التي لا حدها وأن يقتنع بأن عوالم أخرى قبل عالمنا الحالي كانت تدور حول شمسها منذ الأزل وأنه لم يكن لها بداية ولن يكون لها نهاية ولكنها هي الحقيقة التي تدل على عظمة الخالق وجلال الخليقة

وبعد مئات الملايين من القرون تصبح الأرض التي نحن عليها صحرا قاحلة لأن عالمنا الشمسي لا يعود حينئذ صالحا

للحياة بل تنطفئ الشمس وتظلم السيارات وتقرض الأحياء منها . وستظل مواصلة سيرها في الفضاء الواسع ملايين الملايين من القرون أن تصطدم بعالم آخر - بعيدا بها الحرارة والنور والحياة بقوة هذا الاصطدام

ولكن السدم التي نراها الآن تسكون قد تحولت حينئذ إلى شمس تدور حولها كواكب يتعاقب فيها الليل والنهار وتنمو على سطحها الحياة وهكذا على التوالي إلى ما لا نهاية له

فالفضاء ممتلئ الآن بعوالم لا يحصى أعداد منها ما ظهر حديثا أي منذ ملايين من السنين ومنها ما بلغ دور السيخوخة ومنها ما أصبح في حالة الانحلال ومنها ما يزال سدمًا غارية فهنا عوالم ممتلئة حياة وهناك شمس منطقتة وكذلك سدم في حالة التكوين وقوى الطبيعة لا تنقص ولا تزيد بل هي في حالة نشاط أبدي تعمل على تحويل عوالم السكون من حال إلى حال إذا شئنا بخرج من العدم ولا شئنا يعود إلى العدم في هذا الوجود

أذن المستقبل كالماضي والعوالم المقبلة موجودة في الطبيعة كالعوالم المنقرضة فإذا انطفأت شمسنا بعد ملايين من السنين فإن الفضاء لا يكون خاليا حينئذ من شمس ونجوم وعوالم أخرى غير شمسنا ونجومنا وعالمنا ولا من الحياة وإن تكن غير حياتنا فما وجد قبلنا وما سيوجد حتما بعدنا في حالة لا تختلف كثيرا عن حالتنا

ولكن كيف يمكننا أن تصور ذلك بل كيف يمكننا أن نستوعب (الزمان والمكان) إذا أخرجناهما من دائرة عالمنا المحدود إن المكان موجود من تلقاء نفسه أما الزمان فلا وجود له إلا بالنسبة إلينا لأن المكان يمكننا أن نتصوره فنعرف أنه فضاء خال أو ممتلئ كبير أو صغير يسع قليلا أو كثيرا فلو لم يكن العالم موجودا لما عجزنا عن تصور المكان أما الزمان فعلى عكس ذلك إذ لو لم تكن الأرض موجودة تدور على محورها ولولم يكن الليل والنهار لما وجدنا (الزمان) فإذا زال السكون بقي المكان ولكن الزمان يزول معه وما قولنا (اليوم) أو (غدا) أقول نسي لا يمكن أن يقال على إطلاقه فإذا توقفت الأرض مثلا في دورتها على محورها اتفقت ما قصدناه بهذا القول وإذا أسرع الأرض في سيرها أسرع الزمان أيضا معها وهو لا وجود له بالنسبة إلينا ونحن نيام فإذا كنا مليون سنة فكأننا لم نتم سوى دقيقة واحدة ثم إن الحاضر لا وجود له بالنسبة إلينا فهل هو الساعة كالألوان الساعة يمكن تقسيمها إلى ماض ومستقبل وهل هو الدقيقة كالألوان الدقيقة تقسم أيضا وكذلك الثانية والساعة والدقيقة والثانية من مقاييس الزمن على سطح الأرض ولا يمكن أن نتخذ كذلك في الكواكب الأخرى حتى في أقربها إلينا لاختلاف يومنا طول وقصره عن يوم كل منها بسبب السرعة في دوراتها على محورها ودورتها حول الشمس فالزمان بالنسبة إلينا إما أن يكون ماضيا أو مقبلا أما الحاضر فاذا وجد على أرضنا فإنه يكون عشر الثانية على الأكثر على أن الطبيعة لا تعرف إلا الحاضر لأن الماضي وجد والمستقبل موجود في الماضي بالنسبة إليها ولأن المقاييس التي نفيس بها الزمن نسبية لا يمكن إطلاقها على العوالم الأخرى ولا تتفق مع الأبدية التي هي أهم خواص الطبيعة والوجود اه

أقول أفلم تری ان العدل واضح في هذا القول بحيث ان سكان كل كوكب يرون القدر الأول ١٩ والقدر الثاني

٢٠ والثالث ١٨٢ وهكذا يرى سكان كل كوكب كما يرى الآخرون اه

﴿ اللطيفة الثالثة - كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾

قد تقدم الكلام على هذا المقام في سورة البقرة عند قوله تعالى - وكذلك جعلناكم أمة وسطا - وعند قوله تعالى - ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه - وأبنا هناك في هذين المقامين ما ينتظر من أمة الاسلام في مستقبل الزمان وكيف كان أبناء إبراهيم الخليل قد أصبحوا اليوم تحت أمر الفرنجة وإن ذلك بسبب جهلهم في الحجاز والشام ومصر وشمال أفريقيا وأنه قد اقترب الوقت الذي يبذلون فيه مجدهم وأن أوان استيفائهم وإن تأخرهم لأنهم لم يقوموا بما قام به الخليل صلوات الله وسلامه عليه من الخصال الأربعين الموضحة هناك

﴿ اللطيفة الرابعة - في الكلام على اليهود وانهم ضربت عليهم الذلة والمسكنة وبأوا بغضب من الله ﴾

ولقد تقدم الكلام على ذلك هناك في سورة البقرة في الآيات التالية لقوله تعالى - وإذا استنق مومي لقومه

الح - وهناك استبان كيف كان سقوطهم في هاوية الضلالة درجات بعضها فوق بعض بالترتيب الطبيعي وهذا من أعجب العجائب فالنظر كيف ذكر اليهود في سورة البقرة بصفات هي بعينها التي جاءت في سورة آل عمران ولم يجعل لغيرهم كالنصارى والمجوس أو مشركي العرب ذلك دلالة على أن الحقيقة هي لا تحيد عنهم شعرة

﴿ اللطيفة الخامسة - وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾

لقد تقدم الكلام على الجنة والنار في سورة البقرة في قوله تعالى - واتقوا النار التي أعدت للكافرين - وسيأتي شرح أهم للجنة والنار في هذه السورة قريباً ونذكر حقائق تسر الناظرين وكيف كان الكشف الحديث مطابقاً للقرآن والحديث في بيان النار

﴿ اللطيفة السادسة - اتخذ الباطنة من الكافرين ﴾

ولقد تقدم الكلام على ذلك في سورة البقرة في قوله تعالى - إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا الح -

(القسم الثامن من سورة آل عمران)

وفي هذا القسم أربعة فصول * الفصل الأول في نظام الدفاع عن البلاد الإسلامية والعقيدة الدينية والدعاية لها (وهذا هو الجهاد الأصغر) من قوله تعالى - واذ غدت إلى قوله تعالى والله غفور رحيم - الفصل الثاني في الجهاد الأكبر بحفظ ثروة البلاد فلا يكون الريا وبالطاعة وحسن الخلق والعفوانح من قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة إلى قوله تعالى ونعم أجر العاملين - الفصل الثالث في الاعتبار بالأهم السالفة وأنبيائهم فلما صبروا مع أنبيائهم نصرُوا وفازوا من قوله تعالى - قد خلت من قبلكم إلى قوله تعالى وهو خير الناصرين - الفصل الرابع تطبيق ذلك الاعتبار على هذه الأمة مع النبي صلى الله عليه وسلم من قوله تعالى - سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب إلى قوله تعالى وخافون أن كنتم مؤمنين -

(الفصل الأول)

وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّدَ كُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ * بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورَةٍ هَذَا يُبَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ * لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ * وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ *

﴿ تفسير هذا الفصل ﴾

روى أن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء ثاني عشر شوال سنة ثلاث من الهجرة فاستشار الرسول عليه الصلاة

والسلام أصحابه ودعا عبد الله بن أبي بن سلول ولم يدعه من قبل فاستشاره فقال عبد الله بن أبي بن سلول (كثيراً لأخبار
 يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه
 فكيف وأنت فينا فدعهم يا رسول الله فان أقاموا أقاموا وبشر مجلس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم
 النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين) وكان صلى الله عليه وسلم أميل إلى هذا الرأي وقال
 بعض أصحابه أخرج بنا إلى هذه الأكلب للأيروا انا جبناء عنهم وضعفنا وخفناهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 إني قد رأيت في منامي بقرافاً ولهم أخيراً ورأيت في ذباب سيقي لها فأتوها هزيمة ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة
 فأولتها المدينة فان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتهم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد
 أخرج بنا إلى أعدائنا وبالغوا حتى دخل فلبس لامته فلما رأوا ذلك ندموا على مبالغتهم وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت
 فقال لا ينبغي لني أن يلبس لامته فيضعها حتى يقتل فخرج بعد صلاة الجمعة واصبح بأحد يوم السبت ونزل في جانب
 الوادي وجعل ظهره وعسكره إلى أحد وصفهم وأمر عبد الله بن جبير على الرماة وقال ادفعوا عنا بالنبل لا يأتوا من وراءنا
 ثم قال اثبتوا في هذا المقام فإذا عاينوكم ولوا الأدبار فلا تطلبوا المدبرين ولا تخرجوا من هذا المقام فلما علم عبد الله بن أبي
 ابن سلول ذلك شق عليه مخالفة رأيه وقال لأصحابه أطاع الولدان وعصاني وأشار على قومه أن ينهزوا إذا رأوا العدو
 وحينئذ يتبعهم بقية الجيش وفي ذلك ما ينبغي قول النبي صلى الله عليه وسلم انهم إذا عاينوكم ولوا الأدبار وكان عسكر المسلمين
 ألفاً وعسكر المشركين ثلاثة آلاف وانخذل عبد الله بن أبي بثلاثة من أصحابه المنافقين وثبت الله الباقيين وهم سبعمائة
 حتى هزموا المشركين وحينئذ طمع المؤمنون أن تكون هذه كوقعة بدر فطلبوا المدبرين مخالفين النبي صلى الله عليه
 وسلم فرجع المشركون وكروا على المسلمين فانهزم المسلمون وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في جماعة من أصحابه كأبي
 بكر وعلى والعباس وطلحة وسعد رضي الله عنهم وكسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم وشج وجهه الشريف وكان
 من غزوة أحد ما كان فهذا قوله تعالى (و) اذكر (اذ غدت من أهلك) أي من حجرة عائشة رضي الله عنها
 (نبؤي المؤمنين) تنزلهم (مقاعد) مواضع ومواطن (للقاتل) فتخذ عسكرات وسوى صفوفهم وتهيئهم (والله
 سميع) لا قوالكم (عليهم) بنياتكم وما يصيبكم بترككم مركز القتال لما انهزام عبد الله بن أبي ابن سلول فهتت بنو سامة
 من الخرج وبنو حارثة من الأوس وهما كانا جناحي العسكر فقوله (اذ همت طائفتان منكم) متعلق بقوله سميع عليهم
 فهو تعالى يقول اني أعلم ما تقولون وما تضررون يا بني سامة ويا بني حارثة حين هممتا (أن تفشلا) أي تجبنا وتضعفا
 واني أعلم ان ما في قلوب هاتين الطائفتين لم يخرج عن حديث النفس وما كان من حديث نفس فليس بذنوب فلذلك
 أعقبه بقوله (والله وليهما) عاصمهما من اتباع ما خطر من حديث النفس وناصرهما في الحرب وحافظهما ومتولى
 أمورهما بالتوفيق والعصمة على ما تقتضيه الحال فليكن جميع المؤمنين متوكلين على الله اذا فرغوا من المشاورة وأجمعوا
 أمرهم بينهم أن يقوموا بعمل ولا يترددوا بعد تمام المشاورة فهنا معنى قوله (وعلى الله فليتك كل المؤمنين) وهو اذن
 ينصرهم لأن يد الله مع الجماعة فليفتوضوا أمورههم إليه في نتائج ما تمت الاستشارة فيه وتم العزم عليه وليرضوا بما
 يأتي به القدر بعد ذلك فان النصر بيد الله بعد الأخذ بالأسباب المعقولة كما حصل في واقعة بدر وبدر اسم للماء بين مكة
 والمدينة) كان لرجل يسمى بدر افسمى به يقول تعالى (ولقد انصركم الله بيدر وأنتم) ثلثمائة وبضعة عشر أو ثلاثة عشر
 رجلاً (أذلة) بقله السلاح والركوب والمال وعدم القدرة على مقاومة العدو وكان الجماعة منكم يتعاقبون على البعير
 الواحد وماء معكم الا فرس واحد أما عدوكم من كفار قريش فكانوا زهاء ألف مقاتل ومعهم السلاح والشوكة فلم يكن
 نصركم لضعف عدوكم أولقوتكم وكثرتكم بل كان بالانحداد والطاعة وما ترتب عليهم ما من نصر الله لجماعتكم (فاتقوا
 الله) في الثبات كما اتقيتموه في بدر (لعلكم تشكرون) أي لعلكم تنالون نعم الله فتشكرون عليها وقوله (اذ تقول
 للمؤمنين) ظرف لنصركم يقول الله تعالى - ولقد انصركم الله بيدر - حين قلت للمؤمنين تقوية لقلوبهم وتثبيتاً لهم
 (ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) منكر بالاستفهام ألا يكفيهم ذلك موقعا الثبات

والاطمئنان في قلوبهم وقد كانوا كالأيسين من النصر لضعفهم وقوة عدوهم ولقد أمددناهم بألف ثم صيرناهم ثلاثة
آلاف وقد أجاب عن هذا الاستفهام الأكارى فقال (بلى) أى يكفيهم ذلك ثم وعدهم الزيادة على أجرهم وتقواهم
حناء عليهم ما وتقوية لقلوبهم فقال (انصبروا وتقوا يا أيها المؤمنون) أى المشركون (من فورهم هذا) من ساعتهم هذه
وأصله مصدر من فارت القدر اذا غلت فاستعير بالسرعة ثم صار للحال التى لا ريث فيها والمعنى ان يا أيها المؤمنون (يعدكم ربكم
بخمسة آلاف من الملائكة مسؤمين) بكسر الواو مع امين أنفسهم وخيلهم بعلامة تعرف في الحرب والسومة والسيما
العلامة أو بفتحها أى سؤمهم الله (وما جعله الله) أى امدادكم بالملائكة (الابشري لكم) بالنصر (وتطمئن
قلوبكم به) ولتسكن اليه من الخوف (وما النصر الا من عند الله) لامن العدة والعدد فلا حاجة في نصركم الى مدد أو
عدد وانما وعدتكم بالمدد وأمددتمكم رباطا لقلوبكم لأن نظر العامة الى الأسباب أكثر فأما الخاصة فانهم يعلمون
أن النصر من الله (العزير) الغالب (الحكيم) في نصره من يشاء وخفله من يريد على مقتضى سنته التى سنّها
وانما نصركم (ليقطع طرفا من الذين كفروا) بقتل بعض وأسر آخرين فانكم قتلتم سبعين وأسرتم سبعين من صناديد
قريش (أويكبتهم) والكبت شدة الغيظ (فينقلبوا خائبين) فينهزموا منقطعى الآمال فنصركم بقتل
بعض وأسر بعض وخيبة آخرين واذن تكون أولاتنا وبع واذن كنت أنا مالك أمرك وأمرهم والنصر من
عندى وأنا القاهر الحكيم في نصرى من أشاء وخفى من أشاء فاذن (ليس لك من الأمر شيء) أى ليس لك من أمر
خلقى شيء يا محمد الاما وافق أمرى وانما أنت عبدى مبعوث لاذنارهم ومجاهدتهم وأنا أعلم بحسبهم ثم عطف توبتهم
وتعديهم وهماء صدران للمفعلين المنصوبين بأن المضمر على الأمر في قوله - ليس لك من الأمر شيء - فقال (أو
يتوب عليهم أو يعذبهم) لاستحقاقهم ذلك (فانهم ظالمون) وهذه الآية تشير لأمور كثيرة فمنها ما روى أن النبي صلى
الله عليه وسلم دعا على عامر بن الطفيل لما قتل هو ومن معه سبعين رجلا من أصحابه اذ أرسلهم الى بئر معونة وهى بين مكة
وعسفان وأرض حذيل في صفر سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد وانما بعثهم ليعلموا الناس
القرآن والعلم وكان أميرهم المنذر بن عمرو وروى البخارى عن ابن عمر أنه كان يدعو عليهم اذ رفع رأسه من الركوع
في الركعة الأخيرة من الفجر بعد ما يقول سمع الله ان جده بنى لك الحمد وروى أنه قنت شهرافى الصلوات كلها يدعو
على تلك القبائل وفى البخارى ومسلم أنه كان يقول اللهم العن فلانا وفلانا لأحيا من العرب ومنها أنه لما كسرت
رباعيته وشج رأسه وجعل يسيل الدم منه جعل يقول كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم
الى الله ومنها أنه قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو عليهم بالاستئصال ومنها أنه لما قتل عمه حنظلة ومثاوبه أراد
أن يدعو عليهم فهذه الأمور وأمثالها أخرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله - ليس لك من الأمر شيء الآية -
فانا انما ابتليت بعضكم ببعض وأمرتك بالجهاد لحكم أردتها ونتائج أعدتها فاذا استجبت دعائك فاستأصلتهم لم
يكن ذلك موافقا لسنتى التى رتبتهن وأجعل منهم نسلا يدخلون دينك ويحفظون شريعتك ويعمرون أَرْضى
ويساعدون عبادى فافعل ما تؤمر واصبر واذا كنت استجيب الدعاء فى مثل هذا فاعلم أن أعدائك فبطل الجهاد فمن أين
تكون العزيمة والصبر ان كان لا يكون الا حيث يكون الأعداء أقوياء والرجال العظماء لاسيما الأنبياء أعظم ما يتميزون
به الصبر على الشدائد حتى يسموا (ولى العزم) فدور العزيمة هم الذين يغلبون الشدائد الطبيعية والعدو الانسانى
هذا بعض ما قصت به سنتى فى خلقى فليس لك يا محمد ولا لأحد من خلقى أن يقاومها - ولن تجد لسنة الله تبديلا -
ألا وان أعداك يا محمد وأولياك وجيع من فى الأرض والأرض نفسها والسماء ومن فيها خلقى وملكى فى الأمر كله
فلذلك أعقبه بقوله موغلا فى نفي الأمر عن الخلق (ولله ما فى السموات وما فى الأرض) خلقا وملكا فله الأمر لاللاك
فر بما هداهم فغفر لهم (والله غفور) لعباده (رحيم) بهم فلا تبادر الى الدعاء عليهم اه الفصل الأول فى الجهاد
الأصغر

(الفصل الثاني)

﴿ في الجهاد الأكبر لحفظ ثروة البلاد فلا يكون الربا وبالطاعة وحسن الخلق والعفو ﴾
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ *
 وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * وَسَارِعُوا
 إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ
 فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ
 إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ
 إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَئِكَ جَزَاءُ مَن مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتُ
 تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ *

لما فرغ من الكلام على الجهاد والمحافظة على الوطن وهي هنا المدينة وعلى الصبر والثبات في الحرب وإن النصر تابع لهما وإن كل تأييد من الله لن يكون إلا على مقتضاهما وما عدا ذلك فافهموا وغروا شرعاً بذكر أصول ذلك وأساس بنيانه من المحافظة على الاقتصاد في البلاد وحفظ الأموال حتى يتيسر للناس استثمار أموالهم ومن الانفاق في الأمور العامة والفقراء والمساكين ومن تهذيب النفوس بالصبر وكظم الغيظ والعفو فقال (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا بأضعاف مضاعفة) لا تزيدوا زيادات متكررة فانهم كانوا في الجاهلية عند حلول الدين يزيدون المال ويؤخرون الأجل فإذا كان لا إنسان دين وجاء أجله ولم يكن للدين ما يؤدى قال له صاحب المال زد في المال وأنا زيدك في الأجل ويفعلون ذلك مراراً فيصير الدين أضغافاً مضاعفة وإنما كرر هذه الآية هنا وإن كان أصل الربا حراماً وإن لم يضاعف هذه المضاعفة لأن هذا النهي عن أمر واقع كانوا يفعلونه (واتقوا الله) فيما نهيتكم عنه (لعلمكم تفلحون) راجعين الفلاح في الدنيا والآخرة وكيف تفلحون في الدنيا كقتال العدو وأنتم لا تعرفون طرق الحياة ونظام الأمور والحروب لا تقام إلا بالمال ولا مال إلا بصناعة وزراعة وتجارة وعمارة فإذا اغتال الأغنياء منكم الفقراء فأرهمهم بالدين والرباغات أيديهم وشلت وقف دولاب الحركة الصناعية والزراعية والتجارية ولا يظهر ذلك ظهوراً بيناً إلا في أيام الحروب فإن خذلان الأمم يتبع سوء نظامها وضياع أفرادها وماذا يفعل القواد إذا كان الشعب مغلول الأيدي ضعيفاً تقهر أمكسور الجناح إن الدولة الروسية تمزقت شذراً منذ في الحرب الكبرى في هذا القرن لأن الشعب كان حسيماً ذليلاً فقيراً فلم يقو على مقاومة الألمان فقامت الباشنية ورأت أن الربا يجعل المال في يد الأغنياء فمنعته بل جعلت الأموال موزعة تقريباً على الشعب ولذلك قدرت أن تصد الأمم كلها عن فتح بلادها ببعض ما قامت به من نظام الأموال هذا الموجز يريك سر ذلك الربا في هذا المقام وهو سر لا يكاد يفتن له الناس إلا لما قامت هذه الحرب فنهتونا بل عرفتنا لماذا كسر المسلمون وشتوا في القرون المتأخرة ذلك لجهل ملوكهم واستبدادهم وضررهم على أيدي العلماء حتى صار المال قليلاً وهذا القليل في أيدي الأغنياء وهم قليل أيضاً فنهزمتهم الفرنجة وغير الفرنجة فهذا سر قوله تعالى لعلمكم تفلحون - بعد الكلام في مسألة الربا فتعجب من الحكمة ومن العلم المخزون في كتابنا المقدس والمسلمون أكثرهم نائمون . ولما كانت هذه المعاني الشريفة العالية قل أن يتفطن لها الناس أردفه بما يناسب العقول ويفقهه العامة والخاصة معاً فقال (واتقوا النار التي أعدت للكافرين) بأن تنتركوا متابعتهم وتعاطى أفعالهم فإذا عاملتم

الناس بالربا كالجاهلية مستكم النار في الآخرة وخذلتم في الدنيا في حروبكم (وأطيعوا الله والرسول) بترك المحرمات كالربا ونحوه وفعل الصدقات (لعلكم ترحمون وسارعوا) بادروا وأقبلوا (إلى مغفرة من ربكم) أى إلى الأسباب الموصلة إلى ذلك كالنوبة والاخلاص (وجنة عرضها السموات والأرض) أى عرضها كعرضها وهذا كالتمثيل للدلالة على سعتها لا ندادا كان العرض كذلك فكيف يكون الطول (أعدت للتقين) هيئت لهم ثم وصفهم على سبيل المدح فقال (الذين ينفقون في السراء والضراء) في حالتي الشدة والرخاء أى في جميع الأحوال إذ الإنسان لا يخلو من مسرة أو مضرة فهم ينفقون ما قدروا عليه (والكاظمين الغيظ) المسكين عليه الكافين عنه مع القدرة يقال كظمت القربة إذا ملامتها وشدت عليها وفي الحديث من كظم غيظا وعوى يقدر على انفاذه ملائكة الله قلبه أمنا وإيمانا (والعافين عن الناس) التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذاة وعن النبي صلى الله عليه وسلم إن هؤلاء في أمتي قليل إلا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الأمم التي مضت (والله يحب المحسنين) أى جنسهم ومنهم هؤلاء (والذين إذا فعلوا فاحشة) ذمالة بالغة في القبح كالزنا (أو ظلموا أنفسهم) بأن ذنبوا أى ذنب كان دون الكبائر (ذكروا الله) تذكروا وعيده وحنه العظيم وحكمه والحرمان من جواره والطمع في مشاهدته والقرب منه (فاستغفروا لذنوبهم) بالندم والتوبة (ومن يغفر الذنوب إلا الله) أى لا يغفر الذنوب إلا الله وهذه جملة معترضة بحث على الاستغفار ولا طماع الناس في رجه (ولم يصروا على ما فعلوا) أى لم يقيموا على الذنوب ولم يثبتوا عليها بل تابوا منها واستغفروا (وهم يعلمون) أنهم معصية وأن لهم ربيا يغفرها وأن الاصرار ضار (أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) وهذه الجملة بيان للجنة والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم الخ - يقول إن لهم أمرين تخلية وتخلية فالتخلية بالمغفرة والتخلية بالجنات (خالدين فيها) في الجنات (ونعم أجر العاملين) والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ذلك الجزاء والمغفرة • واعلمكم كم من فارق بين جنة عرضها السموات والأرض ينالها المرء بالمسارعة لعمل الخيرات وفعل المبرات وجنة تجري تحتها الأنهار لم يذكروا سعتها وعجائبها بل اكتفى فيها بالأنهار فالأولى هي التي طلبت بالخيرات والثانية هي التي ذكرت أجرا لأولئك الذين أذنبوا ثم تابوا فغفر لهم فعد ذلك أجرا والأجر على التوبة شئ والثواب الواسع على الفضائل والأخلاق العالية شئ آخر فاحداها جنة العارفين والثانية جنة الصالحين الذين يعبدون الله خوفا لا حبا وغراما وعشفا للفضائل والكمال والجمال مبتلين

(الفصل الثالث)

﴿ في الاعتبار بالأثم السالفة وأنبيائهم وأنهم لما صبروا فازوا ﴾

قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَاسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ
 * هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ * وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ
 إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ
 نُدَاوَاهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ
 * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا
 يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ * وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ
 أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ * وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ

أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْفَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ * وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُوَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ * وَكَأَيُّنَ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ مِمَّا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسُنَ ثَوَابُ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

(قد خلت من قبلكم سنن) وقائع سننها الله في الأمم قبلكم (فسيدروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذابين) لتعتبروا بما ترون من آثار هلاكهم (هذا) القرآن عموماً وما جاء فيه من الاعتبار بالسيرة في الأرض خاصة (بيان للناس وهدى) من الضلالة (وموعظة) وهي ما يفيد الزجر (للثقلين) لأنهم هم المستفعدون به (ولا تمهنوا) ولا تضعفوا عن الجهاد (ولا تحزنوا) على من قتل منكم (وأتم الأعلون) بالنصر والغلبة (ان كنتم مؤمنين) مصدقين بأن ناصركم الله (ان يمسسكم قرح) بضم القاف وفتحها جرح يوم أحد (فقد مس القوم) الكفار (قرح) مثله (يوم بدر) ولم تضعف قلوبهم عن معاودتكم الى القتال فأنتم أولى (وتلك الأيام ننادوا بها بين الناس) نصرها بينهم نديل لهؤلاء نارة ولهؤلاء أخرى كما قيل فيوم لنا ويوم علينا * ويوما نساء ويوما نسر والمراد بها أوقات النصر والغلبة وتنادوا بها لنصروب من التدمير (وليعلم الله الذين آمنوا) أى ليميز المؤمن المخلص ممن يرتد عن الدين اذا أصابته نكبة وشدة ومن يصبر على الجهاد من غيره فالمراد بالعلم لازمه مجازاً (ويتخذ منكم شهداء) ويكرم ناساً منكم بالشهادة وهم من استشهدوا يوم أحد يشهدون يوم القيامة مع الأنبياء والصديقين على الأمم ويشهد الله لهم بالجنة (والله لا يحب الظالمين) المشركين ودينهم ودولتهم فيكون نصرهم استدراجاً لاستشهادا (ولنجحص الله) يظهر ويصني من الذنوب (الذين آمنوا) اذا كانت الدولة عليهم (ويمحق) يهلك (الكافرين) ان كانت الدولة عليهم (أم حسبتم) بل أحسبتم استفهام إنكارى (أن تدخلوا الجنة) بلا قتال أيها المؤمنون (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) نفي العلم مجاز يراد به نفي المعلوم أى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يصدر الجهاد عنكم (ويعلم الصابرين) معطوف على ما قبله أى ولما تجاهدوا وتصبروا (ولقد كنتم) أيها الذين لم يشهدوا بدر (تمنون الموت) بالشهادة في الحرب لتناول أمانات شهداء بدر فألحتم يوم أحد على الخروج (من قبل أن تلقوه) من قبل أن تلقوا يوم أحد (فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) أى فقد رأيتموه معانين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وهو تو بسخ لهم على أنهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا فانهمزوا عنها ولم يرحى عبدالله بن قتيبة الخارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر ربايعيته وشج قذبة عنه مصعب بن عمير وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قتيبة وهو يرى أنه قتل النبي صلى الله عليه وسلم فأعلن ذلك في الناس فانكفأ الناس وانهمزوا وجعل الرسول يدعو الى عباد الله نزل قوله تعالى (وما محمد الا

رسول قد دخلت من قبله الرسل) في يخلو كما خلوا بموت أو بقتل ولقد بقي أتباع الرسل على أديانهم بعد ما خلت أنبياءهم ثم أخذوا بنحوهم بالاستغفار الانكارى قائلاً أنجهلون سنن الانبياء والسالفين (فان مات) محمد (أو قتل انقلبتم على أعقابكم) ارتددتم عن الدين الى دينكم الاول تخلوه بموت أو قتل يقال لكل من رجع الى ما كان عليه رجع وراءه ونكص على عقبيه (ومن ينقلب على عقبيه فان يضرب الله شياً) بارئاً داهل يضرب نفسه (وسيجزي الله الشاكرين) على نعمة الاسلام بالثبات عليه كما فعل أنس بن النضر عم أنس بن مالك اذ قال يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده فقاتل حتى قتل (وما كان لنفس أن تموت الا بإذن الله) بمشيئته كتب ذلك (كتاباً موجلاً) مؤقناً لا يتقدم ولا يتأخر فلا الفرار ينسجى منه ولا الاقدام يجلبه . ولقد تقدم أن الرماة خالفوا أمر النبي صلى الله عليه وسلم وأقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانقض المشركون عليهم فكانت الهزيمة فقال تعريضاً لهم (ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها) ثواباً (وسيجزي الله الشاكرين) لنعم الله تعالى فلم تشغلهم الغنائم عن الجهاد (وكأين) أصله أى دخلت عليها الكاف وصارت بمعنى كم والنون تنوين أثبت في الخط على غير قياس (من نبى) بيان لكأن (قاتل معه ربيون كثير) جماعات والربى من الربة وهى الجماعة (فما وهنوا) نثروا لما أصابهم في سبيل الله (وما ضعفوا) عن العدو (وما استكانوا) وما خضعوا للعدو وهو من السكون لأن الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريد (والله يحب الصابرين) لينصرهم (وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وامسرفنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) فاتهم الله بالاستغفار والالتجاء اليه تعالى (ثواب الدنيا) بانفتح والغنيمة (وحسن ثواب الآخرة) فى الجنة (والله يحب المحسنين) الذين يفعلون مثل ما فعل هؤلاء (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا) المنافقين (يردوكم) الى الكفر (على أعقابكم) فتنقلبوا خاسرين) ذلك ان المنافقين قالوا للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبياً ما قتل (بل الله مولاكم) ناصرهم (وهو خير الناصرين) فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره انتهى التفسير اللفظي

كان الله تعالى يقول اذا كنتم ذوى مبادئ شريفة وسنن قوية فكيف تحزنون وليست الحياة الا بثمراتها ولا هذه الدنيا الا بالاعمال فيها فاذا أصاب امرأ الضرر لاجل المناقب الشريفة فكيف يهن وهو من الاعلى أو يحزن الفضلاء وقد امتلأت أفئدتهم بالايان بمبادئهم وأشربت قلوبهم العمل للفضيلة فاما حياة عالية واماموتة عاجلة. على اننى قد قسمت الأمر بين عبادى وجعلت الأيام دولة فمن سره زمن ساءه زمن وكيف لا يكون ذلك ألم أجعل الحياة جهاداً ألم أجعل بعضكم لبعض فتنة ثم قلت لكم أتصبرون أو لست قادر أن أخلقكم نائمين على فراش الراحة فأكون كما يأكل الدود ولكن كلا ان سئنى أن أجعل السعادة تابعة للأعمال ولذلك خلقت البغضاء والحسد والغيرة والمنافسة فلم أذر الوحش فى وجاره ولا الظلي فى كئناسه ولا الأعرابى فى باديته ولا النبى الموحى اليه فى قومه بل سلطت كلا على كل ليكون ذلك سائقاً لأعمالهم باعثاً على فضائلهم مستخرجاً ما يمكن فى غرائزهم وليس يكون هذا الوجود على غير هذا النظام. ألم ترالى أهل قرطاجنة وهى مدينة قرب تونس كانت على شاطئ البحر الابيض يسكنها أناس نزحوا من سواحل الشام يسمون الفينيقيين وقد حصلت بينهم وبين الرومانيين حروب متطاولة وكان من قواد القرطاجنيين (أنيبال المشهور) فذاق منه الرومانيون طعم الموت وقد أصلاهم ناراً حامية وأذاقهم العذاب الهون فانقض الرومانيون على نفس قرطاجنة وخربوها وفرقوا أهلها شذراً مدر واتصر الغرب على الشرق فقال حكيم من حكمائهم ان موت أعدائنا موت لنا وستذهب دولتنا فقالوا له لماذا فقال لأن الامة التى لا عدو لها ينادونها تصبح ساهية لاهية نائمة على وساد الراحة فتهلكها الشهوات وتموت بالحسرات وكيف يظهر فى أبنائها المواهب أو ينبغ من بينها الشجعان المجاهدين الا بالعدو المغير فذلك هو الذى يستخرج منها الفضائل وينقى عنها الرذائل باستعدادها للمناوأة واستبسالها لمحاربتها ولقد كان ما قاله . وسمنت رومة وعظم أمرها وترفت فزقت كل عرق فى الازمان القديمة وقامت على أنقاضها أوروبا الحديثة فهذا كله سر قوله تعالى - وتلك الايام نداولها بين الناس - فاذا لم تكن مداولة وتم الامر لبعض الناس أطعاهم العيش الهنىء - ولو

بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض - ومتى بغوا وظفوا ملكوا بالبطنة والجهالة والترغ والنعيم ثم قال أن تحسبون أن السعادة تذال بغير الاعمال أو الجنة في الآخرة بمجرد الايمان ثم قال كيف تجهلون سنن الامم السالفة في الايام الخالية والدول الفاتنة وما الانبياء الا قواد الامم في العلم والدين والامم ترث ذلك عنهم فالامر ليس الى الانبياء انما هم مبلغون ورسول والرسول عليه البلاغ وعلينا الحساب وكيف نعصون المرسل اذا مات الرسول وكيف تذكرون رسالتى التى أرسلتها وأوامرى التى أمرتكم بها اذا مات رسولى أو قتل وهل ذلك شأنكم فيما بينكم أن تعلقوا صلتكم بمن يكتبونكم من الذين تودونهم من أمثالكم على حياة الرسل الذين يرسلونهم اليكم فكيف تجهلون صلتكم بى وعبادتى وطاعتى معلقات على بقاء رسولى فاذا مات الرسول فأنا الحى الذى لا يموت. أيها الناس انما هى سنن أنزلتها وآيات أحكمتها وعلوم فيكم أفشيتها وحكم أبدعتها فكيف تعكسون الامور وتضلون الجمهور وتذكرون النور وأنا الذى هديتكم فليس ايمانكم بى لأجل حياة محمد بل للسنن المسنونة والاحكام المنصوبة والعلوم الفاشية والآيات القائمة وكيف يضلون بعد أن جاءهم الهدى فيعتمدوا على العظماء وكبار الدولة فاذا كن هذا في حق الانبياء فكيف بغيرهم. فاياكم أن تكونوا أمري الا وهام فتعتمدوا على قوادكم أو تنهوا بآيهم فلتكن الحية في الرؤس كالرؤساء. أقول ولعمري ما أضل أمة الاسلام ولا أخل بنظامها الا الاعتماد على الرؤساء والخضوع التام لملوكهم فاستبدوا بهم خاضعين وأذلواهم مخدوعين وقتلوا رجالهم واستحيوا نساءهم وهم خاضعون ألم تعلموا أن العالم سائر على نظام محدود وسنن ثابتة وان الآجال مقدرة في كتاب وليس ما أنتم فيه الا لترفية أنفسكم وتعليمكم وتنهيكم فكيف تجهلون ولا ينالكم الا ما سيكون وثمرات الاعمال تابعات لها فمن كانت همته للحياة وغنائمها أولارتقاء النفوس للحياة الآخرة أو نى كل منهما على حسب نيته في همته. ألم تروا الى الانبياء قبلكم مع أمهم وجوعهم العظيمة كيف صبروا على القتال وفازوا بالنوال ولم يهنوا لمصيبة ولم يضعفوا للعظيمة ولم يستنيموا لأعدائهم بل ظلوا ثابتين - ولو أنى أيها الناس جعلت الفوز الدائم مكرومة والنعمة والعافية غاية هذه الحياة الدنيا لكان الأولي بهار رسولى فاني منعه أن يدعو على الاعداء وقتل له ليس لك من الامر شئ - ولم يفعل من الامر الا ما أوحىته اليه فاما ألا يكون له عدو فلا فأنا الذى خلقت الاعداء والعداوة وأمرتكم بالمحاربة لظهور الفضائل

فكانه سبحانه لما أمر رسوله بالصبر حتى منعه من الدعاء على الاعداء فلا يدعو باستئصالهم خاطب الشعب كله أمرا لهم بالثبات فلا يفرون من عدوهم كأنه يقال لامناص من العداوة والاعداء للانبياء وأتباعهم . أنظر الى حكم الله عز وجل في القرآن وكيف كان الصبر على مقاومة الاعداء وغيرهم أجل شئ. ولهذا المناسبة أذكر هنا قطعتين من الشعر نظمتهما الاولى مترجمة من كلام (شكسبير) الشاعر الفرنجى والثانية تخميس لآيات عربية

﴿ القطعة الاولى ﴾

(فوائد الآلام الطبيعية للانسان - من شعر شكسبير الشاعر الانجليزى)

يا صاحبيّ تقصيا نظريكما * في حال منقانا وبمسد الدار
أو ماترون البدو في قفرونى * شظف الحياة هنا وخبر قفار
أصفي وأهنا من معيشة حاضر * كالقبر مطليا بدوب نضار (١)
بل هذه الشجرات في الفلوات أبهج منظر في الصبح والاسحار
من ساحة الملك الرفيع عماده * ما بين حساد وبين ضواري (٢)
إنا وان كانت خطيئة آدم * حقت علينا سنة الاقدار
فتتابع نوب الحوادث خلفه * والصيف يتلوه الشتاء العارى
والثلج عضّ بنابه والريح تز * جرنابيطش الصر (٣) والاعصار (٤)

(١) الذهب (٢) الآساد (٣) البرد الشديد (٤) رياح تصعد كالعمود من الارض الى السماء

فأطل مرتعدا وتندرنى فما * ذا كم سوى التعليم والتدكار
عريت عن الملقى الذميم وانما * آيات وعظ فصلت للقارى
ان المواهب كالمعاطب صوّرت * شوها، أقنت أعين النظار
ان النوائب حية رقطاء فى * أنيابها السمّ الزعاف السارى
لكن فى فيها جواهر أخفيت * تزهو على التيجان يوم نثار
هذى الحياة وان تكن فى قفرة * فالعلم فيها صفوة الاسرار
فصوامت الاحجار فيه نواطق * والكتب فى شجر ونهر جارى
فبأى آلاء الاله تكتبنا * ن وأنها قبس من الانوار
(القطعة الثانية - قال بعض القدماء)

عداى لهم فضل على ومنه * فلا أبعد الرحمن عنى الاعاديا
همو بحثوا عن زلتى فاجتنبتها * وهم نافسونى فاجتنبت المعاليا
فلست بهيباب لمن لا يهابنى * ولست أرى للمرء ما لا يرى ليا
كلانا غنى عن أخيه حياته * ونحن اذا متنا أشد تغانيا
(فقلت مخمسا هذه الايات)

اذما اعترفتى فى الحوادث محنة * تبدت لى نفسى فى المعارف سنة
وان يحسد الاعدا بدت لى فطنة * (عداى لهم فضل على ومنه
فلا أبعد الرحمن عنى الاعاديا)

لقد علموا آداب نفس سبرتها * وهذبته حتى استقامت وصبتها
ولم ألم الاعدا لابل شكرتها * (هم بحثوا عن زلتى فاجتنبتها
وهم نافسونى فاجتنبت المعاليا)
ولى همّة فوق الثريا تقلنى * فأثنى عنانى للفتى حين يفتنى
وأضرب عنه الذكر صفحا ولا أنى * (فلست بهيباب لمن لا يهابنى
ولست أرى للمرء ما لا يرى ليا)
وانى امرؤ بالعلم أكمل ذاته * فلا طمع فى الصحب الا أمانه
ولست أدارى المرء إلا تقاته * (كلانا غنى عن أخيه حياته
ونحن إذا متنا أشد تغانيا)

هذا ولنرجع الى أصل الموضوع فنقول

قال الله تعالى أيها الناس لا تطيعوا الذين كفروا وهم المنافقون اذ قال بعضهم استكينوا لأبى سفيان وأشياعه
واستأمنوهم فان تطيعوهم يردوكم الى دينهم وهكذا كل كافر فان مطاوعته تدعو الى التزول على حكمهم وموافقتهم
ولعمري ان هذا هو ما عليه المسلمون الآن فان الله يقول هنا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم
فتنقلبوا خاسرين ولقد صدق الله وعيده وحقت الكلمة على المسلمين الذين فى زماننا والذين قبلهم اذ طاعوا الفرنجة
فاستدلوا لهم وشربوا خمرهم ولبسوا اللباس الذى ينسجونه فى بلادهم ومن الجهل الفاشى فى أمة الاسلام اليوم
الغفلة المستحكمة والنذالة الفاشية والجهالة العاشمة والموتة العمياء والداهية الدهياء ان الفرنجة فتحكوا على
العقول وبصقوا فى الوجوه وأخذوا النفوس فماذا فعلوا زينوا للمسلمين كل فسوق وجور وأواع بهم المترفون
والشرفاء والمتعلمون فى المدارس ولا يزالون يقلدونهم ويشربون فى حاناتهم وبأكلون فى مطاعمهم ويذرون بيوتهم

وإذا احتفلوا بعظمتهم لا يهنا لهم ذلك الا فيما بناه الفرنجة في ديارهم كأنهم لا عقول لهم ولا أسماع ولا أبصار وهم لا يعلمون أن ذلك اخضاع لهم واستنزاف ثروتهم وشين لسجيتهم الأساء ما يعمل الجاهلون فهذه من طاعة المسلمين العمياء وجهالهم حتى صاروا عبيدا خاضعين وأذلاء مسخرين وما تظن لذلك الا الرجل الخازم (غاندي) الزعيم الهندي فهو الذي أمر أهل الهند أن يلبسوا ما يصنعونه في بلادهم فقد عمل بمقتضى هذه الآية وإن كان لا يعلم ذلك والمسلمون في الشرق الأدنى غافلون وسيقوم فيهم مرشدون وسيعلمون ويعملون انتهى تفسير الفصل الثالث

﴿ درس على ما حصل في أحد وتطبيق حال الأمم على هذه الأمة والاعتبار بذلك كله ﴾

(الفصل الرابع)

سَنَلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ * وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ * إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلَوُذَ عَلَى أَحَدٍ وَالرُّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَنَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخَفُّونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قَاتَلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غَزَى لَوْ كَانُوا عِدَدَنَا مِمَّا تَوَلَّوْا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّبُ وَيُعِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ * وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ * فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

الْمُتَوَكِّلِينَ * إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلَّ وَمَنْ يَكُلْ يَكُلْ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَمْكُلُونَ * لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * أَوَلَمْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنْ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعُنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ * الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَاتَلُوا قُلْ فَادْرُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ * الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرُهُ عَظِيمٌ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّهْمُ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانُ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ *

(التفسير اللفظي)

لما قذف الله تعالى في قلوب الكفار يوم أحد الرعب نادى أبو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر لتأبل ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم ان شاء الله ولما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وأرادوا أن يرجعوا فألقى الله الرعب في قلوبهم وهو قوله تعالى (سنلقى) قذف (في قلوب الذين كفروا الرعب) الخوف (بما أشركوا بالله) بسبب إشرافهم به (مالم ينزل به سلطانا) أي آلهة ليس على إشرافهم أصل السلطنة القوة (ومأواهم النار وبيئس مشوى الظالمين)

النار (ولقد صدقكم الله وعده) اياكم بالنصر وشرط التقوى في ذلك والصبر فصبرتم واتقيتم وضر بتموهم فانهمزوا وأتم على آثارهم (اذبحونهم) تقتلونهم من حسه اذا أبطل حسه (بأذنه حتى اذا فسلتم) جبتم لما لم تتقوا خالفتم وانطلقتم من أمكتكم الى الغنيمة (وتنازعتم في الأمر) فقال قوم من لمة منكم ما موقفنا هنا وقد انهزم المشركون وقال آخرون لا نخالف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبت أمير الرماة عبد الله بن جبير في نفر يسير دون العشرة ونفر الباقيون للنهب فلما رأى خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل ذلك جلاوا على الرماة الذين ثبتوا مع عبد الله بن جبير فقتلوا عبد الله بن جبير وأصحابه وأقبلوا على المسلمين فانهمزتم (وعصبتهم من بعد ما أراكم ماتحبون) من الظفر والغنيمة وانهمزوا العدو وجواب الشرط وهو اذا اخذوا أي أمتحنكم فكنتم عند الامتحان فر يقين (منكم من يريد الدنيا) وهم التاركون مرا كزهم (ومنكم من يريد الآخرة) وهو أمير الرماة ومن معه (ثم صرفكم عنهم) كفكم عنهم فغلبوكم (ليبتليكم) على المصائب ويمتحنكم أنصبرون (ولقد عفا عنكم) تفضلا لما علم أنهم ندموا على المخالفة (والله ذو فضل على العالمين) في الابتلاء بالمصائب كإغداق النعم كلاهما فضل منه وقوله (اذ تصعدون) من الأصعد وهو الذهاب والابعاد في الأرض متعلق بقوله ليبتليكم (ولا تلون على أحد) ولا يقف أحد لأحد (والرسول يدعوكم في أخراكم) من خلفكم يقول إلى عباد الله أنار رسول الله من يكر ناله الجنة وكان اذ ذاك فوق الصخرة وأول من عرفه كعب بن مالك رضي الله عنه قال عرفت عينيه تزهرا ن تحت المغفر فناديت بأعلى صوتي يامعشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار إلى أن اسكت فأنحازت اليه طائفة من أصحابه فلامهم صلى الله عليه وسلم على الفرار ثم طفق على قوله صرفكم عنهم قوله (فأثابكم غما) بما فاتكم من الظفر والغنيمة وبما ذقتهم من القتل والجرح وبما سمعتم من الأراجاف بموت الرسول (نعم) بسبب اغتمام أذقتهم الرسول بعصيانكم له وانما أثابكم أي جازاكم هذه المجازاة لتتمرت نوا على الشدائد ولتقووا على النوايب ومن عركه الدهر وأصلت ناره الحامية جسمه بلهيبها وذاق ألوان الشدائد وحلب شطري الدهر أصبح صلبا قويا بل لا سعادة لمن لم تقو الحوادث الجسيمة ولا راحة لمن لم تترك الحوادث عركا ولم تذوب نار الحوادث جوهره في بوائق الآلام فيكون اذ ذاك معدنا نقيبا خالسا خلاصته نار الحوادث وتنفخ عليه الدهر في كبره فصار ذهبا ابريزا فكان ذلك الثمرين (لكيلا تحزنوا على ما فاتكم) من منافع ترجونها (ولما أصابكم) من مضار ذقتهم آلامها (والله خبير بما تعملون) فلذلك جعل عملكم بين السار والصار ابتلاء بالنعم وامتحان بالنقم في سائر أطوار حياتكم ولكن هذه الحادثة أعظم الحوادث أثرا في حياتكم فهي جديرة أن تجعلكم مستغربين كل عظمة من المصائب فانها أقل منها خطرا وأضعف أثرا (ثم أنزل عليكم من بعد النعم أمانة) أمانة (نعاسا) بدل من أمانة عن أبي طلحة رضي الله عنهم قال كنت فيمن يغشاهم النعاس يوم أحد حتى سقط سيق من يدي مرارا يسقط وأخذه يسقط وأخذه - وقال رفعت رأسي يوم أحد فجعلت أراهم وما منهم يومئذ أحد الا يمد تحت جحفته من النعاس وقال نحوه الزبير بن العوام ومن قوله اني لأسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني ما أسمع الا كالحلم يقول لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هنا وهذا قوله تعالى يصف لفظ نعاسا (يغشى طائفة منكم) وهم المؤمنون الخالصون (وطائفة) وهم المنافقون (قد أهمتهم أنفسهم) لا يهتمون بالابحلاصها (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) صفة ثانية لطائفة الذين يزعمون أن الأنبياء متحكمون في قضاء الله وقدره وانه اذا أرسل نبيا فكأنما أخرجه من طور البشرية وأبعده عن كل فتنه وبلية وأصبح يقول للشئ كن فيكون وكيف يكون كذلك ألم يرد في هذه السورة لنفس نبيكم صلى الله عليه وسلم - ليس لك من الأمر شيء - وحرمت عليه أن يدعو على أعدائه بالاستئصال بل قلت فوق ذلك ان ما في السموات وما في الأرض لي في الغفران ولي الرحمة ورحمتي وسعت كل شئ فربما أسلم منهم قوم وربما أسلم أبناؤهم هذا يخاطب رسولكم ثم ترجعون الى سيرة الجاهلية فيقول قاتل منكم (هل لنا من الأمر من شئ) أي النامعاشر المسلمين من أمر النصر والغلبة على العدو شئ (قل ان الأمر) أي النصر والغلبة (كله الله) فليس لكم من الأمر شئ كالم يكن لنبي من الأنبياء ذلك وانما يعطيه الله لأصابين المؤمنين من فضله على

حسب الاستعداد ومقتضى الحكمة وهذه الجملة معترضة بين صاحب الخال في يقولون وبين الجملة الخالية وهي (يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك) لأن هذا القول فاتحة الشك وظن السوء والرجوع للجاهلية الأولى كبعض عاقبة الأمم الذين يرون أن الله متى اصطفى عبدا من عباده أغدق عليه النعم الدنيوية وأزاح عنه العلل البدنية وأرسل على أعدائه كل قاصمة للظهر قاطعة للعمر فأبعده من الوجود كعاد وثمود أو قضى حياته في خود ذلك رأى الجاهلين من أهل مكة الذين قالوا كما في سورة الاسراء - لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا - أي تفجر لنا من أرض مكة وهي قاحلة ينبوعا أو يكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلاها تفجيرا أي يكون لك بستان يشتمل على ذلك - أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا - أي قطعا - أو تأتي بالله والملائكة قبيلا - أي كفيلا بما تدعيه أو شاهد على صحته ضامنا لدركه وهكذا إلى آخر المسائل الست التي فترحوها كما استراه هناك إن شاء الله تعالى فهذا نوع آراء الجاهلية الأولى في الأنبياء فالرسل والأنبياء في نظرهم نوق القدر مسلطون على السموات العلى والأرض وما حوت وهم أشبه بالعظماء في الممالك المستبدة الذين يأمرون فيطاعون وإذا كان هؤلاء مقررين من ربهم فهذا معناه أنهم مسلطون على ملوكهم متى طلبوا أجيبوا هؤلاء لا يألمون من شيء إلا أهلكه الله ولا يطلبون شيئا إلا أحضره الله هذا رأى الجاهلية بل هذا رأى العامة في زماننا وفي كل زمان يرون أن العابدين الصالحين أمرهم كذلك وأن المقرب من الله هكذا يكون فيتملقون للصالحين العابدين لأجل أن يزيحوا عنهم البلاء ويخرجوهم من مضض الشقاوات في الحياة هكذا هؤلاء الذين يقولون هل لنا من الأمر من شيء أي أليس نبينا محبوبا لله والله هو المالك لهذا العالم وكيف يكون المصطفى المختار عنده مهزوما بجيشه مقهورا من أعداء الله وأعداء الرسول فلو كان نبيا مسلط الله عليه هؤلاء الأعداء فهذا هو الذي أخفوه في مضون قولهم - هل لنا من الأمر من شيء - ثم أبان ذلك أشد إبانة وأوضحها فقال على سبيل الاستئناف (يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قلنا هاهنا) أي لما غلبنا وقتل من قتل منا فأجابهم الله على لسان رسوله يقول أنه لم أخلق العالم بلا نظام وإنما أنا أبعده بساقي علم وأحكامه أشد أحكام فلذلك امرئ مصرعه وإكل أجل كتاب ولكني جعلت الأسباب مقدمات المسببات لأربي فيكم الإرادة وأقوى العزيمة وأستخرج من هذه المادة المظلمة نفوسا مشرقة أفعل معها كما يفعل المختبرون فإذا أخرجتكم للحرب وحكمت عليكم بالهزيمة في أحد فذلك لا يبين لكم قوى العزيمة وضعفها وأميزا تخيبت من الطيب وهل يمتاز الذهب البرز إلا بإيقاد النار كما لا يمتاز الشحمان الصادقو الإيمان والعزيمة إلا بالنوازل العظيمة والفواحش العميمة فهذا قوله تعالى (قل لو كنتم في يوتسكم) في المدينة (لبرز) لخرج (الذين كتب) قضى (عليهم القتل إلى مضاجعهم) أي إلى مصارعهم بأحد . وإنما حكم الله بالحرب والقتال لحكمكم عنكم أخفاها وعجائب علمها (وليتلى الله) ويختبر (مافي صدوركم) أي يظهر ما اختبأ في صدوركم حتى يقين لكم وللرسول القوى إيمانه والضعيف في دينه (وليمحص) مافي قلوبكم) يظهرها من الشك والارتباب بما أعطاكم من الأمانة وما غشاكم به من النعاس وما أتم عليكم به من صرف العدو عنكم فهذه دروس الإيمان ليثبت في قلوبكم (والله عليم بذات الصدور) بخفياتها وأنتم لا تعلمون فلذلك أظهرها لكم بهذه الامتحانات التي ألقاها عليكم في أحداث الله عالم من الازل وأنتم تعلمون الآن بما يظهر من العمل واعلموا أيها المؤمنون أن الذنوب يتبع بعضها بعضا فلاحقها تابع لسابقتها حذوا النعل بالنعل وكل ذنب يستتبع ذنبا فيكون اللاحق عفا على السابق كما يكون اللاحق من المبررات كالثواب للسابق منها وهذا معنى قوله مبينا السبب في ترك الرماة صرا كرههم وانطلاقهم إلى الغنيمة (إن الذين تولوا) انهزموا (منكم يوم التقي الجمعان) جمع محمد صلى الله عليه وسلم وجمع أبي سفيان بأحد (إنما استزلهم) دعاهم إلى الزلة وحلهم عليها (الشیطان يبعث ما كسبوا) ولقد عفا الله عنهم) تجاوز عنهم (إن الله غفور) للذنوب (حليم) لا يعجل بالعقوبة ثم إن هؤلاء الذين تركوا أمرا كرههم تبعهم أكثر المحاربين ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا أربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين وسبعة من الأنصار وكان فيهم أبو بكر وعمر وعلي وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبي وقاص (يا أيها الذين

آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم) لأجل اخوانهم في النسب أو المذهب (إذا ضربوا في الأرض) سافروا فيها وأبعدوا للتجارة أو غيرها فماتوا (أو كانوا غزاة) جمع غار كعافو عني فقتلوا (لو كانوا عندنا ماتوا) كما ماتوا في سفرهم (وما قتلوا) كما قتلوا في غزاهم هذه الجملة مفعول قالوا وإنما قالوا ذلك لتكون عاقبته أن يكون حسرة في قلوبهم فهذا قوله (ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم) فاللام العاقبة مثلها في قوله تعالى - ليكون لهم عداوا وخزنا - فرد الله عليهم قاتلا ليس السفر والغزو هما سبب الموت ولا الإقامة سبب الحياة (والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير ولئن قتلتم في سبيل الله أو متتم) في سبيله وجواب القسم قوله (لمغفرة من الله ورجة خير مما يجمعون) من الدنيا (ولئن متهم أو قتلتم) على أي وجه اتفق هلاككم (لإلى الله) لا إلى غيره (تحشرون فيمارة) فبرجة وما زائدة (من الله لنت لهم ولو كنت فظا) سبي الخلق جافيا (غليظ القلب) قاسيه (لا نقضوا من حولك) تفرقوا عنك ولم يسكنوا إليك (فأعف عنهم) فيما يختص بك (واسْتَغْفِرْ لَهُمْ) في الله تعالى (وشاورهم في الأمر) أمر الحرب وفي كل ما يصح أن يشاور فيه (فإذا عزمتم) وطنت نفسك على رأي بعد ما شاورتهم (فتوكل على الله) في امضاء أمرك على ما هو أصلح لك (إن الله يحب المتوكلين) الذين لا يترددون في أمورهم بعد انتمام المشورة واتفاق الرأي فينصرهم (إن ينصركم الله) كما نصركم يوم بدر (فلا غالب لكم) فلا أحد يغلبكم (وإن يخذلكم) كما خذلكم يوم أحد (فإن الذي ينصركم من بعده) من بعد الله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) بامضاء ما عزموا عليه بعد التفكير وأخذ سائر أسباب الحيلة كما حصل يوم أحد من صف الصفوف في الحرب وإقامة كل في مركزه وبالمخالفة انهزم الجيش قيل انه لما ترك الرماة سرا كرههم قال صلى الله عليه وسلم لهم ألم أعهد إليكم ألا تتركوا المراكز حتى يأتيكم أمرى قالوا تركنا بنية اخواننا وقوا قال النبي صلى الله عليه وسلم بل ظننتم أننا نغل فلا نقسم فلذلك قال الله (وما كان لنبي أن يغفل) وما صرح لنبي أن يخون في الغنائم والنبوة تنافي الخيانة (ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة) أي بالشئ الذي غلبه بجمعه على ظهره وقبضه في الحديث المتقدم في سورة البقرة عند الكلام على الشفاعة كالذي ورد في البخاري ومسلم (لا ألفين أحدكم يجي يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك . لا ألفين أحدكم يجي يوم القيامة على رقبته فرس له حممة فيقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك . لا ألفين أحدكم يجي يوم القيامة على رقبته شاة طائفا يقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك . لا ألفين أحدكم يجي يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك . لا ألفين أحدكم يجي يوم القيامة على رقبته رقاغ تحفق فيقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك . لا ألفين أحدكم يجي يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك . اللفظ لمسلم الرغاء صوت البعير والثغاء صوت الشاة والرقاع الثياب والصامت الذهب والفضة وهذا القول كالتمثيل لتلك الحال التي يكون عليها الخائفون بعد الموت وفي يوم القيامة (ثم توفي كل نفس ما كسبت) تعطى جزاء ما كسبت (وهم لا يظلمون) لا ينقص ثواب عملهم ولا يزداد في عقاب العاصين منهم (أمن اتبع رضوان الله) بالطاعة (كن باء) رجع (بسخط من الله) بسبب المعاصي (وما واهم جهنم وبئس المصير) الحال التي يصيرون إليها مخالفة لحالهم الأولى (هم درجات عند الله) ذرود درجات (والله بصير بما يعملون) عالم بأعمالهم ودرجاتهم فيجازيهم (لقد من الله على المؤمنين) أنعم عليهم نعمًا خاصة بالهداية فوق النعم العامة لكافر والمؤمن (إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) من نسبهم وجنسهم ليفهموا كلامه بسهولة (يتلو عليهم آياته) القرآن (ويزكيهم) يطهرهم من سوء الطباع وفاسد العقائد (ويعلمهم الكتاب والحكمة) القرآن والسنة (وإن كانوا من قبل في ضلال مبين) إن للتأكيد مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن أي الشأن كانوا من قبل مبعثه في ضلال ظاهر (أ) تظنون بالله ظنن الجاهلية الأولى وتفعلون كذا وكذا (ولما أصابكم مصيبة) يوم أحد بأن قتل منكم سبعون (قد أصبتم مثلها) يوم بدر بأن قتلتم سبعين وأسرتم

سبعين من كفار مكة (قلتم أئى هذا) من أين هذا أصابنا (قل هو من عند أنفسكم) مما اقترفته أنفسكم من الذنوب السابقة باختياركم الفداء يوم بدر واللاحقة بترك مراكم (إن الله على كل شئ قدير) يقدر على الضر ومنعه (وما أصابكم يوم التقي الجمعان) جمع المسلمين وجمع المشركين (فبإذن الله) فهو كائن بتضائه وقدره ليبتليكم (وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا) وليتميز المؤمنون والمنافقون منهم عطف على قوله نافقوا قوله (وقيل لهم قاتلوا في سبيل الله) للآخرة (أو ادفعوا) عن أنفسكم وأهلكم وأموالكم إن لم تكونوا موقنين بالآخرة (قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم) أى لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالا لاتبعناكم مستهزئين بالقتال لما في قلوبهم من الدغل كما روى أن عبد الله بن أبي بن سلول لما اتخذ بل بأصحابه يوم أحد كما تقدم وهم ثلث القوم وقال ما ندرى علام تقتل أنفسنا تبعه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الانصارى من بنى سلمة وهو يقول يا قوم أذكركم الله أن لا تتخذوا بيكم عند حضور عدوه أجاهه قاتلوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم فقال الله (هم للسكفرة يومئذ أقرب منهم للإيمان) لتوليهم وكلامهم (يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم) يظهر خلاف ما يبطنون (والله أعلم بما يكتمون) من النفاق وما يخلو به بعضهم الى بعض ثم أبدل من فاعل يكتمون وهو الواو قوله (الذين قالوا لاخوانهم) أى لأجل اخوانهم الذين قتلوا يوم أحد (وقعدوا) أى وقد قعدوا هم عن القتال أى حال كونهم قاعدين ومقول القول (لو أطاعونا ما قتلوا) كالم نقتل نحن لما قعدنا وهو لا هم عبد الله بن أبي وأمثاله (قل فادرؤا) ادفعوا (عن أنفسكم الموت) الذى سيأتيكم لا محالة (إن كنتم صادقين) انكم تقرون ان تدفعوا القتل عنكم كتب عليه (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا) كالذين قتلوا فى أحد والذين قتلوا ببدر (بل) هم (أحياء عند ربهم) ذوراني منه (يرزقون) من الجنة وهذا تأكيدهم كونهم أحياء (فرحين بما آتاهم الله من فضله) وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الابدية (يستبشرون) يسرون بالبشارة (بالذين لم يلحقوا بهم) أى باخوانهم المؤمنين الذين لا يزالون أحياء ولم يقتلوا فيلحقوا بهم (من خلفهم) أى الذين من خلفهم فى الزمان (ألا خوف عليهم) من وقوع محذور (ولا هم يحزنون) على فوات محبوب هو المعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من أمر الآخرة وأمر من تركوا من اخوانهم المؤمنين الباقين فى الدنيا انهم اذا ماتوا أوقتلوا أحياء حياة لا يكدر صفوها فلا يخافون من مصائب تحمل بهم ولا يحزنون لفوات منافع لهم بل لا نصب هناك ولا حزن فقوله ألا خوف عليهم بدل من الذين لم يلحقوا بهم ولما ذكر استبشارهم بسعادة اخوانهم الذين هم أحياء سيموتون أخذ يذكركم ما يستبشرون به هم لأنفسهم فقال (يستبشرون بنعمة) ثواب لأعمالهم (من الله وفضل) زيادة (وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين) عطف على فضل وقرئ بالكسر على الاستئناف * روى أن أباسفيان وأصحابه لما رجعوا قبل غوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فنذب أصحابه للخروج فى طلبه وقال لا يخرج من معنا أحد الا من حضر يومنا بالأمس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا جراء الأسد وهى على ثمانية أميال من المدينة وكان بأصحابه القرع فتحاملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الأجر وألقى الله الرعب فى قلوب المشركين ففى ذلك يقول الله تعالى وأصفا المؤمنين (الذين استجابوا لله والرسول من بعدما أصابهم القرع للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم) وروى أيضا أن أباسفيان نادى عند انصرافه من أحد يا محمد موعدا موسم بدر لقابل ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم ان شاء الله فلما كان القابل خرج فى أهل مكة حتى نزل بمر الظهران فأنزل الله الرعب فى قلبه وبدا له أن يرجع فربه ركب من عبد قيس يريدون المدينة للبيرة فشرط لهم جل بعير من زيب ان يبطوا المسلمين وهكذا التى نعيم بن مسعود وشرط له عشر من الابل فلما التقي هؤلاء بالمسلمين يتجهزون قالوا لهم ان أتوكم فى دياركم لم يفلت منكم أحد الا شريدا ففرون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتر المسلمون لما سمعوا ذلك فقال عليه الصلاة والسلام والذى نفسى بيده لا أخرج منى أحد فخرج فى سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل وفى هذا يقول الله تعالى (الذين) بدل من الذين استجابوا (قال لهم الناس) أى الركب من عبد قيس أو نعيم بن مسعود الاشجعي (ان الناس) أى أهل مكة (قد جمعوا لكم) فآخشوهم فزادهم (هذا القول) (إيمانوا وقالوا حسبنا الله) كافينا الله من أحسبه اذا كفاه (ونعم الوكيل) ونعم

الموكول اليه هو (فانقلبوا) رجعوا من بدر (بنعمة من الله) عافية وثبات على الايمان (وفضل) في التجارة فانهم لما أتوا بدرا وجدوا بها سوقا فاتجروا وربحوا وكانت بدر سوقا في الجاهلية يجتمعون اليها كل عام ثمانية أيام فانتظروا يسرا بأسفيان أما هو فقد انصرف من محنة الى مكة وكان مع الصحابة نفقات فباعوا فأصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة غامرين (لم يحسبهم سوء) واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) تفضل عليهم بالثبات وزيادة الايمان والتوفيق (انما ذلككم الشيطان) المثبط لكم كنعمين من مسعود المذكور (يخوف أولياءه) القاعدین عن الخروج مع النبي (فلا تخافوهم) لا تخافوا الناس الذين يخوفكم منهم المثبطون (وخافون) في مخالفة أمرى (ان كنتم مؤمنين) انتهى القسم الثاني بفصوله الاربعة وفي هذا القسم اثنتا عشرة لطيفة

﴿ اللطيفة الاولى - الشورى والتوكل ﴾

الشورى استشار صلى الله عليه وسلم أصحابه أي خرجون من المدينة فيلاقون العدو أم ينتظرونه وكان تأويل الرؤيا أدعى الى البقاء بالمدينة فلما رأى أكثر أصحابه أميل الى الخروج من المدينة أطاع الاغلبية وحكم بأمرهم في القضية فلما أن لبس لامته وعزم الامر أرادوا منه عدولا فقال لهم لا وكيف يرجع الانبياء عن عزمهم وقد لبسوا آلات حربهم فاستمعوا لأمره وقيل له هناك - فاذا عزمتم فتوكل على الله -

فها هنا أصبحت الشورى من الواجبات واذا كان صاحب شرعنا صلى الله عليه وسلم يستشير قومه والوحي ينزل عليه فينزل على حكمهم ويسير بأمرهم فيألت شعري كيف استبد ملوك الاسلام وكيف تركوا الشورى في غابر الايام الا انما القوم كانوا انبياءا والله لقد عجبت العجب كله فكيف ترك بعض المسلمين الشورى واستبدوا بأمورهم وظلموا في حكمهم ألساء مثلا القوم الجاهلون لذلك فاجأهم الغريبيون وأذلّوهم صاغرين وانهضوا عليهم طامعين فجعلوهم حصيدا خا من في القرون الاخيرة لما أقل نجمهم وتفرق جمعهم - فنقبوا في البلاد هل من محيص - وقد آن أن يرجعوا لمجدهم وينالوا عزمهم ويوفوا حظههم وهم سالمون

﴿ التوكل ﴾

أما التوكل فها هو ذا معروف في نفس هذه القضية فان الله أمر بالتوكل بعد أن استشار القوم ورضى القوم ولم يبق إلا العمل فهناك يكون التوكل والسير الى الأمام والاقدام لا الاحجام والرضا بما سيكون فاما الموت واما النصر فيرضى العاقل إذ ذاك بما يأتيه

فأما أولئك الجهال الذين يذرون التفكير والتدبير ويقولون هل من مجبر وقد تركوا حبل الأمور على غاربها فهم المغرورون لا المتوكلون . ان التوكل بعد العزم فهذا قول الرسول الأمين وهذا قول رب العالمين فمن أين للناس بعد هذا تبیان . ولقد فسر الامام الغزالي ما روى في هذا المقام من أن سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب من هذه الأمة وذكر منهم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتون فجعل الرقياس الأمور التي من عادة الشفاء بها أن يكون موهوما لا مظنونا ولا محققا وكذلك السكى ليس طبيا لكل مرض بل لكل داء دواء جرت به العادة وغلب على الظن نفعه هكذا الطيرة والتقاؤل بالشر فذلك ليس دليلا على الشر وانما هو أمر موهوم فأما الأمور المظنونة المعتادة التي يغلب على الظن نفعها فهي التي يصح معها التوكل كالطب المعلوم والزراعة والتجارة والصناعة والامارة وما أشبه ذلك فهذه يكون التوكل معها مشروعا والسير على سبيلها محمودا . ولعمرك ما أجهل أكثر أهل العلم بالدين وما أبعدهم عن التحصيل وكيف يكون ديننا بأمر بالأسباب المقبولة وعلق الدخول في الجنة (في تلك الرواية) بغير حساب على الأمور المقبولة المظنونة فأما ما هو موهوم النتائج كما يفعل السجالون فحكمهم أنهم لا يدخلون الجنة الا بحساب لأنهم لم يحاسبوا أنفسهم في الدنيا بل ظلوا على البلاء عاكفين وبالجهالة قانعين وبالتالي كل راضين وقد انخلعوا عن عقولهم ونزلوا عن نفوسهم وعاشوا بحواسهم ومحسوساتهم ونامت عن المعقول قواهم الناطقة فأتوا وهم غافلون فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين

﴿ اللطيفة الثانية - امداد المؤمنين بخمسة آلاف من الملائكة بعد ثلاثة آلاف أو بألف ﴾
 الامداد بالملائكة يألفه الذي عكف على قراءة الديانات . فأما أهل النظر فأكثرهم يظنون ذلك مجازاً أولاً
 يصدقونه ولقد ذكرنا في سورة البقرة الأدلة التي أدلى بها حكماء الأمم من ظنية وجدلية ووجدانية عند قوله تعالى
 - واذ قال ربك للملائكة فلاتطيل هنا باعاداتها فأمامعاونتهم للناس ومشاركتهم لهم في أعمالهم في هذه الحياة فهو الذي
 يحتاج الى زيادة النظر وتدقيق الفكر فنحن في هذا المقام بين أمرين إما أن نجتزئ بالدين ونكتفي بالإيمان
 ونقول لانكلف فوق ما نطبق ولا نقول الا بالتحقيق وإما أن نجد سبيلاً للبحث وطريقاً للتنقيب ووسيلة للبرهان
 ولقد ذكرت في كتاب الأرواح ما ورد عن أجلة العلماء من أسلافنا والمعاصرين من الفرنجة ولست أذكره على سبيل
 البرهان ولكن لأطلعك على ما وصل اليه البحث البشري ولتدلى دلوك في الدلاء ثم تنظر كما نظروا فاعلم أن العلامة
 الرازي قال في سورة ابراهيم مالم يخلصه ان النفوس بعد الموت تساعد النفوس المشاكلة لها وتعلمها فان كان في باب الخير
 سمى إلهاماً وان كان في باب الشر سمى وسوسة

وهكذا نقلت فيه عن اخوان الصفا أن النفوس المتجسدة الشريرة في هذه الحياة شياطين بالقوة والنفوس
 المتجسدة الخيرة ملائكة بالقوة فاذا فارقت أبدانها صارت الأولى شياطين بالفعل والثانية ملائكة بالفعل أى كالملائكة
 وكالشياطين . ولقد نقلت فيه عن الجمعيات النفسية المنتشرة في أوروپا شيئاً كثيراً من الأسئلة التي وجهوها للأرواح
 التي ظنوا أنهم قد أحضروها بطرق علمية وسألوها أسئلة كقولهم هل ينال المخترع والعالم العون من الأرواح فكان
 الجواب يأتيه متى عمل كل ما في وسعه فانها تلهمه بعض إلهامات فكرية ليكون الفضل اليه منسوباً والعمل له بكسبه
 ولو أن العون أعطى له بلا عمل منه ولا فكر ولا تنقيب لتساوى الجاهل والعليم والخامل والعامل
 فانظر كيف يرى بعض الفرنجة وأهل أمريكا وهم يعدون بعشرات الملايين (آلاف الألوف) ان هناك عالماً
 روحياً يعين الناس في الأعمال الشريفة . ولقد ذكرت ذلك في كتاب الأرواح وأثبت بآية امداد الملائكة للنبي وأصحابه
 وعجبت كيف أصبح العلم الحديث يقول مثل ما في القرآن بل القدماء والمحدثون معاً
 اني لا أطيل القول بنقل محادثات الارواح فان ذلك شرحه يطول ولكن أذكر لك ما كتبتة تعليقا على ذلك
 وهذا نصه

حينئذ قلت يا شير محمد تأمل في هذا الحديث ألم تجد فيه علماً جديداً في فهم القرآن . قال وما ذاك قلت قال تعالى
 - فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خرت تنبت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب
 ما لبثوا في العذاب المهين - فان الجن أيام سليمان عليه السلام بقوا أمداط ولا مسخرين وكان سليمان عليه السلام
 متكئاً على عصاه فلما أكلت دابة الارض تلك العصا خرت على الأرض فلو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في ذلك العذاب
 ولعلموا أن سليمان ميت ولا جرم أن هذه القصة ثمرتها ألا يثق الانس باخبار الجن . هذا هو المقصد الحقيقي منها . ولقد
 تجلّى واضحاً في هذا الحديث ألا ترى انهم لما سألوا الروح هل تستطيع الأرواح أن تكشف أمر المستقبل فكان
 الجواب كلا اذ لو عرف الانسان المستقبل لأهمل الحاضر

ولما سألت الارواح أليس مع هذا من حوادث يقنبا الارواح عنها وتم في حينها . فكان الجواب قد يتفق أحياناً أن
 الروح يستشعر حدوث بعض أمور يرى من الفائدة كشفها وهذا لا يمنع الارواح الماكرة عن نشر النبوات الكاذبة .
 ثم أفاد أن الارواح الرصينة قد تستشعر بأمر يكون في الغالب متعلقاً بحدوث لم تتم ولا يعلمها الا الله فلا تقطع في جوابها .
 أما الارواح الطائشة فلا يهملها أمر الحقائق فتشتر الاخبار الكاذبة . ولا جرم أن ذلك مغزى قصة سليمان عليه
 السلام وشرح ما انطوت عليه من العلم وبرهان صدق لما فيها من التوقف عن تصديق ما تلقى الجن من الأكاذيب اه
 ثم انظر يا شير محمد الى قول الروح ان بعض الناس يستدلون على قرب موتهم ويحددون زمن وقوعه وان هؤلاء
 الذين انطلقت أرواحهم من قيود الجسد لا يهولهم أمر الموت أليس ترى يا شير أن هذا مصداق قوله تعالى - ان الذين

قالوا ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم ومن أحسن قولا لمن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين -

فتعجب يا شبر كيف يقول تنزل عليهم الملائكة ليلهم وهم السرور والبهجة وبخاطبهم وانظر إلى قوله تعالى - ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم - فقد قال صلى الله عليه وسلم لما سئل عن البشري قال (هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو تراه) وتعجب يا شبر محمد من قول الروح في هذا ان الطيب اذا انكب على درسه بالاستقامة لآنية حشد المال وكسب المعارف بدون جد ولا عناء ينال مساعدة الارواح العالوية وليس هذا من مساعدة الملائكة للمجدين وقد قال صلى الله عليه وسلم (انما العلم بالتعلم وانما الحلم بالتحلم) فلا علم بلا جد ونصب ولا حلم بلا تكلف وتصبر وجد وقال تعالى - وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم - وقال - وكل شيء عنده بمقدار - وقد علمت فيما مضى ان الارواح لا تخص من مضوا من عالم الارض بل هناك من هم أعظم وهم الملائكة المكرمون ثم انظر قوله تعالى في سورة النحل - الذين توفاهم الملائكة ظملى أنفسهم فأتقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليهم بما كنتم تعملون - ثم قال - وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة - ثم قال - الذين توفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون - أليس هذا يا شبر يرمي إلى ما يقوله الروح هنا أن ارواحهم تطلع على ذلك عند انطلاقها من قيود الجسد ويبقى فيها ذكره عند اليقظة فهو لا يهولهم أمر الموت ولا يرون فيه الانتقال من حال إلى حال أو تغيير كساء خشن بكساء لطيف • وهل يعطى من لا يستحق الحكمة كلا اه

ثم انظر إلى قوله فالأرواح الصالحة تساعدكم على تحمل المحنة ولكنها لا تدروها عنكم لأن بها خبركم الروحي ونجاح مستقبلكم وهذا قوله تعالى - فعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم - وقوله - ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير - وقوله - ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والتركت وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون - ثم تأمل قول الروح وهذا بدء القصص التي ستدور بهم من تعلقتهم المفرط بالخيرات وقوله ان العدل قائم بخيبة آمالهم فتعجب كيف كان مطابقا أشد المطابقة لقوله تعالى - ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهدى أنفسهم وهم كفرون - وقوله تعالى - المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخيرا مالا - فجعل الله المال والولد عند ابى الدنيا وفي الآخرة لمن تعلق بهم ولم يجعلهما وسيلة لارتقاء روحه ثم جعل المال والبنين زينة الحياة الدنيا ولا خير الا فيما بقى من الصالحات الباقيات

وأما قول الروح ان العلوم الأرضية ليست بشئ بالنسبة إلى العلوم السماوية فهذا قوله تعالى - قل لو كان البحر ممدادا لسكamt ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا - وقول الروح لا يخفى أن غاية الروحانية هي اصلاحكم الروحي والغرض من كل الامثلة والمقالات التي تأتكم هو وقوفكم على حقائق ما بعد الموت لتجردوا من الارضيات وتسعوا وراء السماويات هذا وكثير أمثاله يفهم من قوله تعالى - ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين - ومفهومه أن الذين صدقوا ولم يستكبروا تفتح لهم أبواب السماء - وقوله تعالى - ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأننوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون - ومفهومه أن الذين يرجون لقاء الله ولم يرضوا بالحياة الدنيا وجعلوها حجة واتخذوا صالح الاعمال فيها سفنا ولم يطمئنوا لها ولم يغفلوا عما أودع فيها من آيات

الله فأولئك مأواهم الجنة بما كانوا يكسبون اه

﴿ حكمة ومجزة ﴾

ياشير محمدان قول الروح هنا أيضا ان الطبيب ينال المساعدة من الارواح العلوية وقوله في العالم والمخترع انهما ينالان المعاونة من الارواح العالية اذا آن وقت الاختراع دال على مداخلة الارواح في أعمالنا عند الاستحقاق أليس هذا مطابقا لقوله تعالى في سورة آل عمران - ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسؤمين وما جعله الله الا بشري لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم - ألافانظر كيف رتبت الارواح المعونة للمخترع والعالم على الحد والمثابرة وهي تطابق الآية اذ جعل مساعدة خمسة آلاف من الملائكة موقوفا على الصبر والتقوى وهجوم العدو أولست ترى ان بيان الارواح مجزة للقرآن . لقد كنا نسمع هذا ونكل علمه الى الله تعالى فأصبحنا نروى نظائره عن الارواح العالية أنفسها وقال في سورة الأنفال - إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى يمدكم بألف من الملائكة مردفين وما جعله الله الا بشري ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم اذ يغشيكم النعاس أمدة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام اذ يوحى ربك الى الملائكة انى هم فثبتوا الذين آمنوا سألنى في قلوب الذين كفروا الرعب -

فانظر كيف أمر الملائكة أن يثبتوا الذين آمنوا وأنه سيلقى في قلوب الذين كفروا الرعب فترى ان ما قاله الروح هنا من إلهام الارواح الأحياء ومساعدتهم وانارة بصائرهم موافق للآيات ومجزة في هذا الزمان فتأمل اه

﴿ الحياة بعد الموت ﴾

خطبة للسراويلي فر لودج العالم الانجليزى المشهور في الحياة بعد الموت نقلا عن مجلة المجلات الانجليزية منقولة من كتاب الارواح للمؤلف وقد حذف منها ما تقدم ذكره في هذه السورة منها . اذا صح أن الله موجود فعلا وأنه يوحى الى البشر ويساعدهم وأن اللسان ليس منفردا على هذه الارض السابحة في الفضاء بل حوله كثير من الاعوان يعطفون عليه ويساعدونه وان الله تعالى آخذيده في سيره الى الحقيقة والكمال الادبي اذا صح ذلك كان حقيقة تتضاءل في جنبها جميع الحقائق . وقد يكون من الحضور من يعتقد أن الانسان أرفع الكائنات وليس في الكون أعلى منه وأنه نشأ على هذا السيار أى الارض واذا مات اضمحل . وان ليس في الوجود من يعينه ولا من يفهم أسرار الكون أكثر منه وأنه أرفع الكائنات طرا لأنه أرقى ما وصل اليه النشوء على هذه البسيطة في هذا العصر . ثم قال

وقد عرف الآن أن في الكون أراضى غير أرضنا هذه وقد يكون فيها من يقابل الانسان من الكائنات . ولكن أليس في الكون كائنات تختلف عنا وهل يجوز ان نعتقد أن كل كائن مدرك يجب ان يكون له جسم مادي مثل أجسامنا ان اعتقاد امثل ذلك لا مسوغ له ولا قام عليه دليل

قد أظهر العلم ما في الكون من النظام وأن فيه عوالم كثيرة لا عالم واحد . ولنا في الاجرام الفلكية مثال على أنه قد يكون في الكون كائنات كثيرة لا نعلمها . اذ لو كان الهواء الجوى غير شفاف لما رأينا من الاجرام السماوية شيئا ولا علمنا بوجودها . وليس احتجاب الاجرام الفلكية عن بصرنا أمرا يعز حدوثه فان الضباب والغيم يحجبانها عنا أوقانا كثيرة . ولكن اتفق لنا ان كان في امكاننا رؤية ما وراء الهواء فرأينا شيئا من عظمة الكائنات وانها غير متناهية . ولست ساردا عليكم ما عرف من الحقائق الفلكية فانكم تعرفونها وهي كثيرة غير محدودة . وان عقولكم لتقصردون تصور حقيقة هذا الكون المؤلف من عالم هراء عالم وراء عالم الى ما لا نهاية له . وجميع هذه العوالم خاضعة لنواميس واحدة لأن عناصر النجوم مثل عناصر الأرض وخصائصها في النجوم مثل خصائصها هنا . فهل الانسان هو سيد هذا الكون العظيم ان الانسان حديث العهد بالوجود على الأرض فما كان حال الكون قبل

وجوده ليس الانسان سيد الكائنات بل هو درجة من الدرجات في النشء ثم قال
ان الانسان لا يسود الكون ولا يفهم أسرارہ ولكنہ يتلمس فيه الحقائق تلمسا وقد كشف حديثنا (الراد يوم)
الارغون (أشعة رتنجن) و (بعض طبائع الكهر بائية) وقد بدأ الآن يعرف شيئا عن بناء الجواهر الفردة
وتظهر هذه الامور كماها وجدت وهي غير جديدة بل كانت موجودة قبل أن نكتشفها ولولم نكتشفها لكانت موجودة
أيضا ونحن لا نعرفها . وفي الطبيعة أيضا أمور كثيرة لم نكتشفها حتى الآن

ولكن كم عمر العلم ليس عمره الا قرونا قليلة بل قرونا واحدا لانه لم يتقدم تقدما يذكر الا في القرن التاسع عشر . وقد
عرفنا شيئا من حقائق الكون ، الا ان ما عرفناه جزء من كل فلا يجوز لنا أن ننفي وجود الكل . لنا ان نبحث عن
الحقائق والوجود موجود سواء عرفناه وجوده أم لم نعرفه واعتقادنا بوجود شيء أو عدم وجوده لا يؤثر في الكون
ولكنه يؤثر فينا . نحن لا نعرف تركيب الجواهر الفردة ولكننا قد بدأنا نعرف شيئاً عنه فشكل جوهر يشبه النظام
الشمسي في تركيبه وله نواة تقابل الشمس والكترونات تدور حولها مثل السيارات حول الشمس . وهذه الكترونات
خاضعة في دوراتها لنواميس مثل النواميس التي تخضع لها السيارات ثم ان الجواهر الفردة غير محصورة في الارض
بل توجد في الشمس والسيارات وكل كواكب السماء تتألف منها كما تتألف منها الارض ولا تعلم كل النواميس الجارية
هي عليها حتى الآن ولكننا سائر في السبيل الموصول الى ذلك . ثم قال

ليس منكم الا من رأى النمل يخرج من قريته ويعود اليها ولا نعرف كثيرا من أمور النمل في ذهابه وايابه وأنا أظنه
يدرك ما يعلمه بعض الادراك وهو يدب بين أقدام الناس الذين مداركهم فوق مداركه بكثير وماذا يعرف النمل عن
اعتقادات الناس وآرائهم وأعمالهم ومداركهم ان لنا عبرة في ان الحيوانات التي مثل النمل تعيش بيننا ولا نعرف شيئاً عنها
وعندى ان في الوجود كائنات نسبتنا اليها كذبة النمل اليها ونحن نتسكع بين أرجلها غير عارفين بشيء عنها . ان حواسنا
تعيننا على التوصل الى ادراك بعض الامور ولكنها قاصرة جدا ولذلك نقويها بذرائع عديدة كالتلسكوب
والمكروسكوب . ورغم من ذلك لا نعرف عن الكون الا القليل ولم يزل حولنا أمور كثيرة لا ندركها ولكننا ندرك
بعضها عن طريق غير الحواس وبقية الخطبة قد تقدم في هذه السورة

هذه خطبة السبر أوليقرلودج نقلتها لك من كتاب الأرواح بخلافها ولم أختصرها وتركيتها بطولها لأغراض
ثلاثة الأول انه أثبت فيها ان ارواحنا باقية بعد الموت الثاني انه أثبت ان هناك عوالم أعلى منا وان نسبتنا اليهم
كنسبة النمل اليها وانهم محيطون بنا الثالث انه أثبت ان هؤلاء يساعدوننا ويفكرون في أمرنا هذه أمور ثلاثة جاءت
في الخطبة لذلك أثبتنا كلها ان الله في هذه السورة ذكر فيما يأتي ان الأرواح باقية بعد الموت قال تعالى - ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله وأتوا بل أحياء عند ربهم يرزقون - وهذا هو الأمر الأول وذكر الله في الأمر الثاني والثالث
ان له ملائكة وان هؤلاء الملائكة يساعدون الناس المخلصين في أعمالهم

﴿ عجيبة في أمر الأمم الإسلامية اليوم ﴾

قد قرأت خطبة اللورد أوليقرلودج وهذا العالم عالم طبيعي بل هو أكبر علماء الطبيعة في أوروبا وهذه الخطبة
خطبها أيام الحرب الكبرى كما نراه مصرحاً بذلك فيها
يخطب أوليقرلودج في مجمع من قومه وقنابل الالمان تنساقط في أنحاء بلادهم والعذاب واقع بآمتهم والغازات
الخائفة محيطة بهم يقف فيقول ان ارواحنا باقية وان الله عوالم أرقى منا وان هذه العوالم الروحية تساعدنا وتعاوننا هذه
أعمالهم في بلادهم

أما بعض الذين تعلموا في بلادنا المصرية وبعض البلاد الشرقية فماذا يقولون نحن علماء عظماء لماذا
لأننا قرأنا الانجليزية أو الفرنسية أو الألمانية أو الإيطالية أو لغتين من ذلك وقرأنا بعض العلوم ونحن نحمل
الشهادات فنحن أسمى نظراً وأعقل وأرقى فكراً من جميع المسلمين الجاهلين الذين يؤمنون بأمو لا قبلها العقل

يقولون نحن نبقى بعد الموت أو أن هناك ملائكة أو أن هناك امداد من السماء بأولئك الملائكة ان القرآن والكتب السماوية لم تنزل الا لأهل مناعلة ومدنية فلنفعل كما فعلت أوروبا ولنكفر بهذا كله ومتى كفرنا به انطلقت عقولنا من عقلها وعرفنا هذه الدنيا وحيث نستقل وتكون لنا جيوش جرارة

هذا ما يستره كثير من أهل العلم اليوم وبعضهم به يجهرون . فمثل هؤلاء يقال لهم ان ادعائكم ان هذه الأمور خرافات واستنادكم على تكذيب أوروبا بالها وادعائكم ان التكذيب بهارقي للعمران وسعادة للبلاذكلها قضايا لا يقول بها الصبيان فان أوروبا التي تدعون انكم عرفتم علومها هذه الخطبة نموذج لعلماء الطبيعة فيها ولو كان القوم مغفلين مثل المغرورين من صفار المتعلمين في الشرق لقالوا للخطيب السابق نحن الآن في حرب فدع الخرافات واثبتنا بما يفيدنا في هذه الحياة وليس هذا الوحيد في هذا العمل بل هناك آلاف وآلاف أفضل منه في هذا الشأن فهذه الطائفة من المتعلمين في الشرق مغرورة جاهلة مخدوعة ظنت ان تعلم اللغة ادراك للعلم وهذه أيضا ضيعة فان اللغة ليست علما وانما هي مقدمة للعلم وهؤلاء قرأوا اللغة وما قرؤوا العلوم التي ألقت فيها ولو قرؤوها ما فهموها لأنهم لا إدراية لهم بتلك العلوم كما ان الانسان الذي يجهل الهندسة أو علم الجبر وهما علمان مؤلفان باللغة العربية لا يعرف مقصودهما ولا يعقلهما وكيف يعقلهما وهما محتاجان الى الموقف والمعلم فاللغات شئ والعلوم شئ فاعرف بهذا الميزان أهل زمانك وادرس أخلاق الأمة الاسلامية ونبه المغرورين منها الى طريق الرشاد

﴿ اللطيفة الثالثة - ليس لك من الأمر شيء ﴾

لقد ذكر في تفسيرها ما يفيد أن الرسل يجري عليهم القدر كما يجري على العالمين فالخير والشر مقرونان في قرن يجريان على البر والفاجر والعالم والجاهل ولكن أرباب النفوس العالية من الأنبياء والحكماء يكون الشر مصابحا يضيء لهم والخير سلاحا يجاهدون به في سبيل الإصلاح ومفاتيح كل شئ بيد الله ولم يستثن من الاصابة أحدا وتراه كفا للأساد باقتناص السانحات البارحات من الغزلان وحكم على الفور والصفور أن لا تتناول غير اللحوم فكل لكل رابض وله مجاهدانما للقوى واسعاد بالنفوس والأجسام فالخير من الشر وهما متلازمان صنوان لا يفترقان

﴿ اللطيفة الرابعة - ولله ما في السموات وما في الأرض ﴾

قد قدمت في هذه السورة أن ذكر السموات والأرض يختلف باختلاف المواضع كالاستدلال على وجود الله بآية - هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا - وآية - ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك الخ - للدليل على الوحدة اذ إلى آخر ما قدمناه هناك ونريد الآن ان قوله هنا - ولله ما في السموات وما في الأرض - ذكره ليفيد البرهان على أنه ليس للنبي صلى الله عليه وسلم من الأمر شيء كأنه يقول وكيف يكون لك يا محمد شيء حتى تدعو على أعدائك بالاستئصال ولي ما في السموات وما في الأرض فكيف تطلب مني اماتهم أو تحاول ازهاقهم وارهاقهم وكيف يكون ذلك وأنا الغفور الرحيم فلي أن أرحمهم فأغفر لهم بأن يصبحوا مسلمين فان رحمتي وسعت كل شئ بطرق أخفيها وأعمال محجوبة أخبارها عن العالمين

﴿ اللطيفة الخامسة - تحريم الربا ﴾

لقد مر شرحه في سورة البقرة عند آية الربا وكيف كان تحريمه أعجوبة الدهر وغريبة العصر وكيف أصبحت الدول تحرم استعماله وتريد اجماله وأنه سبب انتقاص العمران وهدم البنيان وفساد هذا الانسان وضياح البلاد وذل العباد فقامت الباشقية وقبلها الاشتراكية وكل ينادى بالويل والثبور وعظائم الأمور . وانظر كيف كان تحريم الربا في هذا المقام مسطورا وبعد الحرب في أحد مذكورا . ولعمري ما علاقة الربا بالحروب ان العلاقة واضحة جليلة ظاهرة بهية ألا ترى ان الحرب لا تقوم لها إلا بالسلاح ولا فوز لها إلا بالكراع ولا بد من جند لها يعملون وفلاحين للأرض يزرعون وصناع للآلات يقومون ومهندسين للسائق والمدن يصلحون وطرق بالبخار يسلكونها وقطرات عليها وعلى الفلك في البحار يحملون

فإذا فشا الربا في البلاد افتقر العاملون وذلة الفلاحون ويئس من الرواج التجار وبارت صناعة الحداد والتجار فهذا سر ذكرا الربا في هذا المقام وقد وفيت المقام حقه في سورة البقرة عند آية الربا

﴿ اللطيفة السادسة - الجنة والنار ﴾

اعلم أن الجنة والنار قد أفضنا الكلام عليهما في سورة البقرة عند قوله تعالى - وأتوا به متشابهها - واليوم نعيد الكرة لهما بتحقيق أجلى وإيضاح أكمل وأحاديث مرفوعة وآراء مشروحة وعلوم حديثة واكتشافات صريحة فنقول (١) قد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى أرواح الأنبياء صلى الله عليه وسلم عليهم ليلة أسرى به في السموات سماء سماء آدم في سماء الدنيا وعيسى ويحيى في الثانية ويوسف في الثالثة وأدريس في الرابعة وهارون في الخامسة وموسى وإبراهيم في السادسة والسابعة قال ابن خزم فصيح ضرورة أن السموات هي الجنات (٢) عن صفوان بن يعلى عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال البحر من جهنم أحاط به سرادقها وقال تعالى - والبحر المسجور - أي الموقد روى أن الله تعالى يجعل يوم القيامة البحر ناراً تسجر بها نار جهنم (٣) عن ابن عباس عن كعب (والبحر المسجور يسجر فيكون جهنم) (٤) قال عبد الله بن سلام (وان الجنة في السماء والنار في الأرض) (٥) قال علي بن أبي طالب ليهودي أين جهنم قال في البحر قال عليه السلام ما أظنه الا قد صدق وعن ابن مسعود قال الأرض كلها يومئذ نار والجنة من ورائها وأولياء الله في ظل العرش (٦) أخبر تعالى أن أرواح الكافرين لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة فاذن من فتحت لهم أبواب السماء دخلوا الجنة كما قاله بعض القدماء (٧) أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن شدة الحر من فيح جهنم وإن لها نفسين نفساً في الشتاء ونفساً في الصيف وإن ذلك أشد من الحر والبرد وإن نارهن أبردنا نار جهنم بتسع وستين درجة (٨) وعنه صلى الله عليه وسلم أن آخر أهل الجنة دخولا فيها بعد خروجه من النار يعطى مثل الدنيا عشر مرات وقال أيضاً إن الدنيا في الآخرة كأصبع في اليم وقال الله تعالى جنة عرضها السموات والأرض وقال أيضاً عرضها كعرض السماء والأرض (٩) عن ابن عباس قال ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء (١٠) قال تعالى - يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات - وقال تعالى - وفتحت السماء فكانت أبواباً - وقال تعالى - يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن - وقال تعالى - رحلت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على أرجائها - وقال تعالى - أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما - وقال تعالى - خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير محذوذ - هذه الآيات والأحاديث هي التي أردت جمعها لتكون أساساً لما نبني عليه من العلوم الحديثة التي كشفها علماء العصر الحاضر في أوروبا لتعجب من أمة الاسلام النائمة نوما عميقاً والامم من حولها باحثون منقبون عارفون بنظام الكائنات وعجائب الآيات وغرائب المصنوعات وهم عن العلم معرضون وعن البحث ساهون لاهون وقد يعلم المرء ثم يجبن أن يدلي بعلمه للناس لقصور في نفسه وخور في عزيمته وجهل باطراف الموضوع فاسمع لما ألقى اليك وتعجب من العلم وهيئته والعرفان وصولته والحكمة وجالها وآيات الله وكما لها

﴿ الأرض كرة نارية ﴾

لم يدرك أحد من العصور السالفة والامم الغابرة أن الأرض التي نحن عليها نار ولم يكن في تصور أحد منهم أننا على قشرة كقشرة البطيخة أو كقشرة البيض في النخن داخلها نار متأججة فانظر كيف ورد في الأحاديث أن البحر نار وإن البحر من جهنم أحاط به سرادقها ولم يكن أحد يعلم أن فوق الهواء برداً قارصاً حتى لو دخلت فيه رأس آدمي لصارت تلجأ في جزء صغير من الثانية

نحن الآن بمقتضى الكشف الحديث بين زمهرير فوق كثرة الهواء البالغة نحو ٦٠ كيلومتراً وبين نار في باطن الأرض وقد ورد في الأحاديث السالفة أن النار تشتعل على أشد البرد وأشد الحر وانظر كيف تجد جبال النار القائمة

في العالم وأقربها اليها في مصر جبال ايطاليا ومن عجب أني قرأت في الجرائد أيام تأليف هذا التفسير ان بركان (اينا) قد غلاوفار فلا سمعك ما قالته الجرائد ووصفته الكتب

﴿ بركان اينا ﴾

هذا البركان واقع الى الشمال الشرقي من جزيرة صقلية (سبيليا) والبركان جبل مخروطي الشكل على الغالب له قمة عالية تحيط بها جبال وهضاب نارية وفي قته فوهة تخرقه الى باطن الأرض فتتدفق منها المواد المختلفة من نار ودخان ومقدورات منبهة أو سائلة وقد يكون في الجبل أكثر من فوهة واحدة كما في بركان اينا الذي أحصى فيه أكثر من ٨٠ فوهة

وتكون البراكين غالباً في الجزر الصغيرة أو على شواطئ البحار . وقلة ما تجد بركاناً في وسط القارات . وإذا وجد كان دليلاً على ان ذلك المكان كان بحراً أو شاطئ بحري في الأزمنة الغابرة

أما على البركان فهي الحرارة الشديدة المستبطنة للأرض التي تصهر المواد وتبخر المياه وتحول الجوامد الى سوائل والسوائل الى أبخره وغازات فتتدفق هذه المواد بتأثير الحرارة ويضيق عليها المكان فتمزق القشرة الأرضية وتفتح فيها منفذات تدفع منه الى الخارج

وتتدفق المواد الذائبة والغازات والحم من باطن الأرض الى علو شاطئ وتتحول الأبخرة الى أمطار غزيرة ثم الى سيول عظيمة تكسح البلاد كما هو واقع الآن في جزيرة سبيليا

ويحسن أن أشير في هذا المقام الى ثخن القشرة الأرضية بالنسبة الى باطنها المشتعل ليقين ضعف هذه القشرة ومطاوعتها للعوامل . فقد ذهب العلماء الى ان ثخنها لا يزيد على ٩٠ كيلومتراً مستدلين على ذلك بما عرفوه بالاختبار من الآبار الارتوازية وغيرها من ان حرارة الأرض ترتفع درجة واحدة بميزان سنتيغراد كلما تعمق فيها الانسان ثلاثين متراً . فعلى عمق ٣٠٠٠ متر الزم ان تكون هذه الحرارة ١٠٠ درجة وعلى عمق ٩٠ كيلومتراً لم يزم ان تكون ٣٠٠٠ درجة بميزان سنتيغراد وهي الحرارة التي تصهر جميع المعادن والصخور لذلك يجزم العلماء بأن القشرة الأرضية لا يمكن أن يزيد ثخنها على ٩٠ كيلومتراً أي أنها أقل من جزء واحد من مائة وأربعين جزءاً من قطر الأرض وأقل من ثخن قشرة البيضة بالنسبة الى البيضة عينا

والمقادير التي تتدفقها البراكين من الحم والسوائل المحرقة أعظم مما يتصوره العقل وفي سيول الحم التي تتدفق من اينا الآن وتقول التلغرافات الأخيرة ان عمقها زاد على ٨٠ قدماً وهرضها على ٦٠٠ متراً عظم دليل على ذلك

وقد ذكر التاريخ ان المواد التي خرجت من بركان (تمبو) في جافانا سنة ١٨١٥ غطت سطح البحر في دائرة بلغ قطرها ٢٠٠ ميل وهذا ما يكفي لأن يغطي بلاد ايطاليا كلها بطبقة من المواد البركانية علوها قسماً ونصف قدم

ومن عجب أن تكثر الزلازل العظيمة أيام هذا التفسير أولم يكن ذلك تدريماً على التفكير وتدبيراً بالعلم بلى فلم يقف الزلزال في هذه السنة عند حد ايطاليا بل تجاوزها بعد ذلك الى اليابان فقامت فيها قيامة الزلازل وأذكرتنا بما في القرآن من تدمير المدن وهلاك الأمم فجأة والناس لا يشعرون

وليس يهمنا الا المباحث العلمية والمجانب الكونية والنار الكروية في باطن الأرض فقد جاء في البرق والبريد انه حدثت زلزلة تقشع من هولها الأبدان وذلك في ٣ سبتمبر سنة ١٩٢٣ فجاء فيها ان اليابان نكبت اليوم بأعظم ما نكبت به الأمم مما لم يسمع به البشر الا في أقدم العصور التاريخية (الذي يقال له الانقلاب الجيولوجي) لما كانت القارات تتحول بفعل الزلازل الى بحار والبحار الى جزر والجزر الى قارات زلزال غارت به الجبال فصارت وهادا وارتفعت البحار فصارت أطوادا وصهرت الصخور فصارت رمادا فهاشع السكان به حتى أصبحوا جماديهوت منازلهم فوقهم فكانت لهم رجافاً أصبحت مدينة (يوكوهاما) خراباً (توكيو) وهي العاصمة الجميلة صارت طعمة للنار وقد قتل في يوكوها ما وحدها أكثر من مائة ألف نسمة غير من قتلوا في توكيو

والزلازل اهتز في الأرض دفعة أو دفتات متوالية بالقوة الطبيعية حدث قبل وقوع الانفجارات البركانية وفي أثنائها وبعدها وتارة يكون بغيرها وقد أحصى علماء طبقات الأرض ستة آلاف وستين زلزالا إلى الآن وأعظم الزلازل ما نكبت به اليابان فقد قتل فيها خمسمائة ألف إنسان ودمر القسم المتوسط من الامبراطورية على مدى ستمائة كيلومتر تقريبا وطففت المياه على مدينتين فدمرت ما تدميرا وعلى شواطئ البحر فدمرت كل مدينة على شاطئه واهل أن جميع بقاع الأرض معرضة للزلازل ونحن ربما لا نشعر بزلزلة تكون في ديارنا مثلا مع أن عدد الزلازل التي تحدث كل سنة تبلغ (٣٠) ألفا أي نحو مائة زلزلة كل يوم وأكثرها هزات لطيفة

وقد تحدث في البحار فلا يشعرا أحدها وذلك لأننا فوق كرة نارية مضطربة دائما وليس يحجزها عنا إلا تلك القشرة التي نرى مستعدة دائما للاهتزاز والاضطراب بما يحصل فيها من الانكماش والاعوجاج في كل حين فوازن أيها الذكي أوصاف هذه البراكين بما جاء في الأحاديث فاقرا كلام ابن عباس وكيف يقول البحر المسجور يسجر فيكون جهنم وكيف يقول عبد الله بن سلام إن النار في الأرض وكيف يروى أن البحر من جهنم أحاط به سرادقها وكيف يقول الكشف الحديث كما ترى أن البراكين لا تكون إلا في الجزر الصغيرة أو على شواطئ البحار وكيف يقول فيينا صلى الله عليه وسلم إن نارنا هذه أبر من نار جهنم ٦٩ درجة ثم ترى فيما قرأت أن عمق ٩٠ كيلو متراتكون النار فيه ٣٠٠٠ درجة بميزان سنتيغراد وإن هذه الحرارة تصهر جميع المعادن والصخور وبيننا وبين تلك النار قشرة الأرض التي لا يزيد سمكها على ٩٠ كيلومترا فهي أقل من جزء واحد من مائة وأربعين جزءا من قطر الأرض وأقل من قشرة البيضة بالنسبة إلى البيضة

فعلى هذا تكون النار هناك في باطن الأرض وفق ما في الحديث فإذا كانت فيما يلي قشرة الأرض تبلغ ٣٠٠٠ درجة أعني قدر النار التي تغلي الماء ٣٠ مرة فكم يكون مقدار ما بعد ٩٠ كيلومترا أخرى وهكذا فإذا قال صلى الله عليه وسلم إن نار جهنم قدر نار الدنيا ٦٩ مرة فإنا نقول قد كشف العلم الحديث وإذا قال الله تعالى - وإن جهنم لمحيطة بالكافرين - فذلك أصبح معروفا فالزمهرير من فوقنا والسعير من تحتنا وكلاهما من جهنم كما في الحديث المتقدم وتعجب من قوله تعالى محيطة والاحاطة أقرب ما تكون في الدوائر والسكرات ولا جرم أنما بين كرتين كرة زمهرير يفصلها عنا الهواء وكرة النار تحجبها عنا القشرة الأرضية وقوله تعالى - لمحيطة بالكافرين - ربما ينقل عليك فتقول هي محيطة بالكافرين والمؤمنين نقول ما نقوله حق ويكون نظير ما قاله الله تعالى في القرآن - ولأنعجبك أمواتهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليغضبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون - فإنه قيل هناك أن الأولاد والأموال معذبة الكافر والمؤمن ولكن المؤمن الذي أدرك الحقائق يرى أن هذا العذاب مع الصبر يورث الأجر في الآخرة فكأنه بهذا ينجم من العذاب باعتبار ما له هكذا هنا أنها تحيط بالجميع ولكن المؤمن يعمل للنجاة

وتعجب أيها الذكي كيف ترى أن ما فوق القشرة الأرضية من المعادن والنبات والحيوان تصير نارا وتنقلب سعيرا متى أحاطت بها النار وترى النار متى لامست الخشب والياب والقش اتقد فصار نارا وذلك كله يشبه أن يكون مؤيدا لقول علماء العصر الحاضر أن الأرض من الشمس والشمس ملتهبة نارا والكواكب في مبدأ أمرها تكون نارا والسيارات كانت نارا ثم أخفت تبرد شيئا فشيئا والقمر من الأرض ويرد قبلها لصغر حجمه أفلمست ترى أن العالم الذي نحن فيه محيط به النار من سائر أطرافه وهذه النار مغمورة في الزمهرير

الماء يكون نارا

والماء مركب كما تقدم من الأكسوجين والأودروجين وقد علمت فيما تقدم أن الأكسوجين وهو الجسم المحرق ٨ اتساع والأودروجين تسع واحد في الوزن فكأن الماء ٨ من ٩ منه نار فالبحر يكاد يكون نارا وتحت البحر القشرة الأرضية ونحن النار المحرقة العظيمة

﴿ قلة علمنا بهذه العوالم ﴾

اعلم اني قبل اطلاعي على هذه الأحاديث ونظري في هذه الآيات ما كان لي خطري أن أذكر مثل هذا القول بل كنت أعدّه كفرا وجهلا وهكذا أنتأيها الذي قبل أن تقرأ هذه الآيات والأحاديث كنت تعدّه كفرا فان الجنة والنار مرجعهما انهما مجهولان جهلا علما ومن فتح باب الكلام فيهما بمثل هذا اعتد كافرا أو مبتدعا أو فاسقا ولكن لما رأيت هذه الآيات والأحاديث التي رأيت ابن خزم جمعها وذهب الى أن الجنة في السماء والنار في الأرض ثم اطلعت في العلم الحديث فرأيت العجب العجيب وان هناك تطابقا غريبا بين الدين وبين العلوم العصرية أردت أن أطلعك عليها وأقرب المعاني بغاية ما يمكنني ثم أحذرك أن تقف عندما رأيت مما ذكر في النار وما سأذكر في الجنة فأننا لست أقول ان هذا هو العلم الذي تقف عنده فربما جاء المستقبل بما تجهله نحن وجاء علم نعهدده والقرآن يجب ألا يقف عند كشف ولا يقطع بأن هذا معناه

فانظر كيف يقول ابن خزم بأن الجنة قسمان قسم هو السموات السبع وهي الجنات السبع وقسم هو الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض وهو الكرسي والقسم الأول وهو السبع عرضها السموات والأرض وان الأبواب الثمانية في كل سماء باب وفي الكرسي باب وان العرش فوق أعلى الجنة وهو محل الملائكة وليس من الجنة في شيء وقوله تعالى - الذين يحملون العرش ومن حوله - بيان جلي بأن على العرش جرما آخر فيه الملائكة وقال ان البرهان قام على ذلك من علم الهيئة

هذا قول العلامة ابن خزم وأنت خير أن هذا مبني على الفلك القديم وقد ظهر بطلانه فانظر كيف طبقه العلامة ابن خزم عليه ولما ظهر بطلانه واطلعنا عليه أردنا أن نطلعك على العلم الحديث في النار وفي الجنة ولكننا نقول لك حذار حذار أن تجعل ما نقوله هو نفسه معنى القرآن والحديث بل هو احتمال نقوله وعليك أنت أن تقرب العلم الحديث والبحث والتنقيب فانك لو جعلت القرآن لا يحتمل الا هذا وأتى العلم بما لم نعرفه في زماننا انقلب علم الناس جهلا فيكون التعليم ضلالا والعلم وبالا والجزم به خبالا ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله فلا سمعك ما اطلعنا عليه في الحديث

﴿ الجنة ﴾

سأسمعك ملخص ما جاء في كتابي المسمى (الارواح) من تعاليم الأرواح فقد أحضروا في أوروبا روح العلامة غاليليو الشهير بالعلوم الفلكية على يد الوسطاء للجمعية الباريسية الروحانية في خلال سنتي ١٨٦٢ و ١٨٦٣ قال غاليليو

أفضل تحقيق أطلق على الفضاء أنه مسافة تفصل ما بين جرمين فاستنتج بعض المغالطين من هذا التحديد أن لا وجود للفضاء حينما اتفقت وجود الأجرام . والى هذا المبدأ أسند بعض اللاهوتيين رأيهم في ضرورة تناهي الفضاء وعدم امكان تسلسل أجرام محدودة الى ما لا انتهاء له . الفضاء لفظة تدل على معنى مفهوم بذاته لا يحتاج الى التعريف وما قصدى بهذه المقالة الا أن أبين لكم عدم حده وتناهيه .

أقول ان الفضاء لا حده بليل أنه من المستحيل تصور حدود محده . الى أن قال . وان شئنا أن نمثل في ذهننا المحدود عدم تناهي الفضاء فلننتصروا أنفسنا طائرين من الأرض نحو إحدى جهات الكون بسرعة الشرارة الكهربائية التي تقطع في الثانية ألوفا عديدة من الفراسخ . فبعد طيراننا بثوان قليلة لا تعود الأرض تراءى لنا الا ككوكب حقير ضعيف النور جدا وبعد قليل تتوارى عن نظرنا بالسكينة والشمس ذاتها لا تلوح لنا الا كنجم حقير متوغل في أقاصى الفلاذعوضها تتجلى لأعيننا نجوم عديدة لانكاد نميزها في المخطط الأرضية واذا لبثنا طائرين بالسرعة ذاتها تقطع في كل هنية عوالم متجمعة وسيارات ساطعة وبقاعا زاهية نثر الله فيها العوالم كما نثر الزهور في مروجكم الأرضية على أنه لم يمض على سفرنا الا دقائق قليلة وقد نأينا عن الأرض ملايين في ملايين من الفراسخ ورأينا ألوفا في

ألوف من العوالم ولكن لدى التحقيق لم نخط بعد ولا خطوة واحدة في الكون وإذا استقام سفرنا البرقي لادقائق وساعات بل سنين وأجيالا وألوف وملايين في ملايين من العصور والدهور فانا لانكون مع هذا قد خطونا خطوة واحدة في طريقنا وذلك الى أى صوب اتجهنا وأية نقطة اتجهنا من تلك الذرة الحبيرة التي بارحناها وأنتم ندعونها أرضا . هذا ما عندي من تعريف الفضاء .

وأما الزمان فهو كالفضاء لفظة معبرة بنفسها غنية عن التحديد وقد يسوغ ان ندعوه تعاقب الأشياء بالانهاية . فلنتصورن أنفسنا في بدء عالمنا أى في عصر بدأت فيه الأرض تتبختر تحت النفحة الالهية وبرز الزمان من مهد الطبيعة السرى . فقبلها كانت الأبدية سائدة ساكنة والزمان يجري مجراه في عوالم أخرى ولما برزت الارض الى حيز الوجود استبدلت فيها الأبدية بالزمان وأخذت السنون والقرون تتعاقب على سطحها حتى اليوم الأخير أى ساعة تبلى الأرض وتمحى من سفر الحياة . ففي ذلك اليوم تتعاقب الأشياء وتزول الحركات الأرضية التي كانت مقياسا للزمان أيضا فينتج من هذا ان الزمان يتولد من تولد الأشياء وينقضى بانقضاءها وهو بقياس الأبدية كنقطة سقطت من عباب الجوفى البحر . فتختلف الأزمنة على اختلاف العوالم . وخارج هذه التعاقبات الغائية تسود الأبدية وحدها وتعملا بضياؤها فلوات الفضاء التي هي غير محدودة . ففضاء لا حده وأبدية لا قرار لها هما الخصيتان العظيمتان للطبيعة العامة وإذا كان الزمان تعاقب الأشياء الزائلة ومقياسها فاذاجعنا ألوف في ألوف من القرون والاحقاب لا يكون هذا العدد الانقطة زهيدة في الأبدية كما أن الألوف في الألوف من الفرائخ تعد نقطة حقيرة في الفضاء . وإذا مضى على حياتنا الروحية عدد من القرون يوازي قدوما يكتب على طول خط الاستواء فانه ينقضى هذا العدد الجسيم والنفس كانتها اليوم ولدت .

وإذا أضفنا الى العدد المذكور سلسلة أخرى من الأعداد ممتدة من الأرض الى الشمس وأكثر فانه ينقضى هذا العدد الذي لا يدرك قياسه من القرون والنفس لا تقدم يوما واحدا الى الأبدية . ذلك لأن الأبدية لا حد لها ولا قياس ولا يعرف لها بدء ولا نهاية . فان كانت القرون المذكورة كلها لا تعد ثمانية بقياس الأبدية فما أهمية عمر الانسان على الأرض اذا ما ألقينا النظر الى ما حولنا رأينا اختلافا جسيما ونميزا جوهريا في كل المواد المؤلف منها العالم . فانظر الى كافة الأشياء الطبيعية كانت أو صناعية . وانظر ما أعظم التغاير في صلابتها وضعفها ووزنها وسواها من الخصائص التي يتميز بها الهواء مثلا من عرق الذهب والنقطة المائية من الحجارة المعدنية والأنسجة النباتية المتنوعة من الأنسجة الحيوانية على اختلاف طبقاتها . ومع هذا نستطيع ان نثبت بوجه الاطلاق ان كل المواد المعروفة والمجهولة مهم ما عظم تباينها وكثرتنوعها ان هي الا أشكال وانماط متفننة تظهر فيها مادة أصلية واحدة تحت فعل القوى الطبيعية المتعددة .

ان الكيمياء التي بلغت اليوم عندكم درجة رفيعة من التقدم وقد كانت تعد في أيامي من متعلقات العلوم السحرية قد قوضت مسألة العناصر الاربعة التي أجمع الأقدمون على تركيب الطبيعة منها وأثبتت أن العنصر الترابي ان هو الا تركيب مواد متنوعة في تفنناتها الى ما لا انتهاء له وان الهواء والماء قابلا للتحويل وهما مركبان من بعض الغازات وان النار ليست بعنصر أصلي بل حالة من المادة ناتجة عن نوع من الحركة العامة يصحبها احتراق حسي أو كامن . وبمقابل ذلك كشفت الكيمياء عددا وافرا من العناصر المجهولة منها تتألف كل الأجرام المعروفة وسمتها عناصر بسيطة اشارة الى أنها أولية غير قابلة التحليل الى ما هو أبسط . ولكن فعل الطبيعة لا يقف حيثما وصلت تقديرات الانسان وحكم ارادته بل المتابع بنظره الى ما تجاوز حد المعرفة البشرية لا يرى في كافة العناصر المركبة والبسيطة الامادة واحدة أصلية تتجمع في بعض النواحي لتنشأ منها العوالم وتتفنن أشكالا وأنواعا في مدارحياتها وتعود الى مأوى الفضاء بهذا اقراضها .

من المسائل ما المعجز نحن الأرواح المغرمين بالعلوم عن التعمق فيها فلانثي حلمها الا بآراء شخصية مبنى أكثرها على أقيسة افتراضية أمام مسألة وحدة المادة فلاشبهة فيها ولا تخمين . ومن يأخذ قولي على محمل الافتراض أقول له استوعب ان أمكن بنظرك تفننات أعمال الطبيعة كلها فتتحقق يقينا أنه بدون وحدة المادة يتعذر عليك شرح نبات أصغر بذرة

وتتاج أحقر دويبة . وأما الباعث على تنوع ما تراه في المادة فهو تبين القوى التي تولت أمر تحولاتها والظروف التي كانت عليها قبل نشأتها ، انما جوهرها في الاصل واحد وكل ما يقع أولا يقع تحت نظرك من الاجرام والسوائل فهو صادر من مادة أصلية واحدة مألثة الكون الذي لا يحد

إذا كانت إحدى الدويبات الخفية التي تقضي حياتها الوجيزة في قعر البحار ولا تعرف من الطبيعة الا أسماكها وغابات المياه نالت جفأة من العقل ما مكنها من درس علمها وأخذت تقيس أفكارها في الكائنات فاعسى يكون تصويرها للعالم الأرضي الذي لا يقع تحت نظرها اذا به عجزة أخرى بها انتقلت هذه الدويبة من القعر الى ما فوق المياه بالقرب من جزيرة غناء اكتسبت بمروج زاهية فأى تغيير يطرأ على أفكارها السابقة ولم تقنع دائرة تصوراتها ولكن مازالت هذه دون الحقيقة . هذا بيان حال علومكم النظرية في الحاضر يابني البشر

ان سيالاعلماء الفضا الذي ليس بمحدود ينفذ في الأجرام بأسرها يدعى الأثير أو المادة الأصلية ومنه تتولد كافة العوالم والكائنات فهذا السيل لا يحد من أبدأ القوى أو النواميس الطبيعية المتولدة من تلك المادة ومسرى العوالم . وهذه النواميس المختلفة على اختلاف تركيبات المادة والمتفنة في أنواع فعلها على مقتضى الظروف والمرا كرتعرف في أرضكم بالثقل والتلاصق والمناسبة والتجاذب والمغناطيسية والكهربائية ثم حركات العامل الاهتزازية تدعى عندكم صوتا وحرارة ونورا الخ

وأما العوالم الأخرى فتظهر هذه النواميس تحت أوجه أخرى وبخاصيات مجهولة عندكم . وان في سعة السموات التي لا تحدد تفننت من القوى تعجز نحن عن إحصائها وتقدير عظمتها كما تعجز الدويبة في قعر البحار عن استيعاب كافة الخواص الأرضية

وكما انه لا وجود في الأصل إلا المادة واحدة بسيطة تتولد منها كافة الأجرام والتركيبات الهيولية هكذا كل القوى الطبيعية صادرة عن ناموس أصلي واحد متفنن في مفاعيله مما لا انتهاء له فرضه الخالق منذ الأزل ليقوم به نظام الخليقة وبها الكائنات ان الطبيعة لا تضاد ذاتها وشعار الكون هو ذا الوحدة في التفنن . فان صعدت في سلم العوالم وجدت وحدة النظام والخلقة مع تفنن لا يعرف حده في تلك الأجرام الفلكية وان أجلت بنظرك في مراتب الحياة من أحقر الكائنات الى أعلاها وجدت وحدة التناسب والتسلسل . كذلك القوى الطبيعية كلها صادرة بالتسلسل عن قوة أصلية واحدة تدعى بالناموس العام

يتعذر عليكم في الحاضر استيعاب هذا الناموس في شمول اتساعه لأن القوى الصادرة عنه والداخله في دائرة أبحاثكم محدودة مقيدة انما قوتها التجاذب والكهربائية تفصحان لكم نوعا عن الناموس العام الأصلي الشامل السموات والكائنات فكل هذه القوى الثانوية أزلية عامة كالخلقة وبما لانها للسيل العام تعمل ضرورة في كل شيء وفي كل مكان وبتنوع عملها بالمقارنة والتعاقب تغلب في مكان وتمحى من آخر يظهر فعلها ها هنا عاملة أبدا في تجهيز العوالم وإدارتها وحفظها وملاشاتها متولدة أعمال الطبيعة ومعجزاتها حيثما قامت ضامنة على هذه الصورة بها الخليقة الأزلية ونظامها الأبدى

بعد أن تأملنا بوجه عام في تركيب الكون ونواميسه وخصائصه بقي علينا أن نشرح كيفية تكوين العالم والبرايا ثم ننتقل بعدها الى تكوين الأرض ومركزها الحالي في المبروات . لقد أبنا سابقا ما الزمان وما نسبته الى الأبدية وان هذه وحدة ثابتة وبالتالي لا بد ، ولانهاية . ثم اذا لاحظنا من جهة أخرى عدم تنامي القدرة الالهية حكمنا ضرورة بوجود أزلية الكون لأنه منذ وجد الله كملت كماله القدسية وبما أن الله من ذات طبعه أزلي سرمدى اقتضى أن يكون عمله أزليا سرمديا أي لا بدأ له ولا نهاية (١) فاذا تصورنا لعمل الله بدأ ومهما كان هذا البدء في تخيلنا بعيدا قاصيا يسبقه دائما أزلية - زنا جيد ذلك بعقلكم - أزلية لا قرار لها لبثت فيها ارادة الله القدوس

(١) هذا رأى خاص

ميتة عن العجز وكلمته بكلمة . ووحية عقيما . ان الله شمس الكائنات ونور العالم فكما ان ظهور الشمس يصحبه ضرورة انشار النور هكذا الله يصحبه ضرورة فعل الخلقة وظهور البرايا

أى انسان يستطيع أن يصف تلك العظام الباهرة المستترقة في دجى الدهور التي تلتأسنهاؤها في عهد لم يكن قد ظهر بعد فيه شئ من عجائب الكون الخالى تلك الدهور القاصية التي أسمع الرب فيها كلمته فاندفعت تيارات الهيا والذرات لتشيد بتجمعها المهندم هيكل الطبيعة الذي لا يحد . ذاك الصوت السرى الكريم الذى تجله ونهواه كل خليقة وبريته المرموقة به ارتجت الأفلاك وسبحت عجائب الرب

إذا اتقلنا بالفكر الى بضعة ملايين من الأجيال قبل العصر الخالى نجد الأرض لم تبرز بعد الى حيز الوجود والكواكب لم تولد من انظام الشمسى فى حين ان شمسنا لا تعددها كانت تسطع فى أقاصى السموات وترسل أشعتها الى كواكب لا يحيط بها احصاء وعاش بها من سبقنا من الأحياء فى مضمار الانسانية وأنظار أخرى تمتعت بعجائب طبيعة وغرائب سماوية لم يبق لها اليوم من أثر . وقلوب وعقول لا تعددها كانت تسجد وتعظم قدرة البارئ التى لا تنهاى . ونحن أولا الحاضرين الذين برزنا الى الوجود بعد أزلية من الحياة نريد أن ندعى معاصرتنا للخلقة لتدركن أمر الطبيعة جيداً . أحباى لتعلمن أن الأبدية وراءنا كما نرى أمامنا وأن الفضاء مرسى تعاقبت وتعاقب فيه خلقات لا تعددها ولا انتهاء

فتلك المجرات التى تميز ونهاى أقاصى السموات ان هى إلا تجمعات شمس منها ماهى فى بدى تكوينها ومنها أهلة بالأحياء ومنها ما بلغت دور الانحطاط

وبالاختصار كما أننا قائلون فى وسط غير متناه من عوالم هكذا نحن عائدون فى دوام أزلى سابق وأبدى لاحق لوجودنا الحاضر وان فعل الخلقة ليس بمقصود عليكم ولا على كرتكم الخفية

ان المادة الأصلية تحوى فى ذاتها العناصر الهيولية والسيالة والحيوية التى تألفت منها كل العوالم المنتشرة فى كل ساحات الفضاء فهى أم تشور لكل الكائنات والولادة الأزلية لكل الأشياء فلا يمكن أن يعثر بها نقص أو تلاش إذ تعطى الوجود من دون انقطاع عوالم جديدة وتستقى بلا فتور من الأصول التكوينية من العوالم التى بدأت تنحى من سفر الحياة وهى المادة الأثرية أو السيل العام المالى الأجرام وفيه مستقر العناصر الحيوى الذى به تحيا كل خليفة عند ظهورها على سطح سيار فها من خليفة معدنية أو نباتية أو حيوية أو غيرها - إذ توجد مواد أخرى ليس فى وسعكم أن تصوروها - ألا تأخذ عند نشأتها نصيبا من هذا العنصر الحيوى وبفاده ينقضى أجلها فالسيل العام اذن لا يحوى فى ذاته فقط النواميس القائم بها حفظ العوالم بل به تنشأ فى كل عالم المواليات الفرزية الأولية التى تنبت من غير زرع وذلك عند سنوح الظروف الملائمة للحياة على سطح الكرة

لقد ضربنا الى الآن صفحا عن ذكر العالم الروحى الذى هو أيضا قسم من الخلقة العامة ويتم برسمه عليه المبدع العظيم من التنادير الأزلية . على انى لا أستطيع أن أتوسم فى كيفية خلقه الأرواح نظرا لجهلى بالمسئلة وعدم اجازتى بأن أبوح بأمور تيسرلى التعمق فيها فقط أقول لمن تطلب الحق بخلوص النية وتواضع القلب ان الروح ان يشرق عليه النور الالهى لينال به مع الاختيار المتوقع معرفة ذاته وادبيه من الاستقبال إلا بعد أن يكون قد جاز بقضا محتوم فى مسجبة النسب السلفية من البرايا وفيها أنجز ببطء فروض شخصيته . فى ذلك اليوم بسم الله جهته بوسم مثاله وينخرط الروح فى سلك الانسانية فقط حذار من أن تبسوا على مقالى استدلالكم النظرية إذ أحب الى ألف مرة أن أطوى كشحا عن مسائل تفوق حد نظرى من أن أعرضكم لفساد تعليمى واستنتاج أقيدة وقواعد لا أس لها

حدث مرة أنه فى نقطة من الفضاء وفى وسط مليارات من العوالم تكاثفت المادة الأصلية فتولد عنها مجرة أى سحابة نيرة لا يكاد يدرك قياسها وبقوة النواميس العامة المستقررة فيها وخصوصا التجاذب فى الدقائق أصابت الشكل الكروى وهو الشكل الذى تصيبه فى البدء كل مادة تجمعت فى الفضاء . ثم تغير شكلها الكروى بقوة

الحركة الدورية الناتجة من التجاذب المتساوي من كل المناطق في الدقائق نحو المركز وأصابت الشكل العدسي وتولد عن حركتها هذه دورية قوات أخرى أخصها قوة الجاذبة والدافعة فالأولى تميل بالأجزاء إلى المركز والثانية تبعدها عنه وتعاضلت سرعة حركة المجرة على قدر تكافئها واتسع نصف قطرها على قدر تقربها من الشكل العدسي إلى أن تغلبت القوة الدافعة على الجاذبة واقتلعت من المجرة الدائرة المحيطة بخط الاستواء كما أن حركة المقلاع تقطع الحبل بتزايد سرعتها وتدفع القذيفة إلى بعد ثم انقلبت تلك الدائرة المنقطعة عن المجرة إلى كتلة قائمة بنفسها ولكنها خاضعة لولاية المجرة الأولى وبقي لها حركتها الاستوائية فتغيرت إلى حركة اعتقالية حول الجرم الأصلي وأكسبها حالتها الجديدة هذه حركة أخرى دورية حول مركزها الدائري

ثم عادت المجرة الأصلية إلى شكلها الكروي بعد أن ولدت عالما جديدا ولما كانت الحركة الأصلية المتولدة عن حركتها المتعقدة لا تضعف الا ببطء كلي كان الحادث الذي أتينا على ذكره يتكرر مرارا متعددة وفي مدة مديدة إلى أن تباغ المجرة درجة من الكثافة تحول بتأثيرها دون التغييرات السكانية الصادرة عن حركة دورانها حول مركزها فليس جرم واحد بل مئات من الأجرام مستقلة على النسق المذكور من المجرة الأصلية . وكل من هذه العوالم لاحتوائه على القوى الطبيعية ذاتها المستقرة في الجرم الأصلي سينتج أجراما ثانوية تدور حوله كالمدور حول المجرة الأصلية . فبعض هذه الأجرام المتفرعة منها . وكل من هذه الأجرام الثانوية سيكون لها مركزا مركزيا كوكبا جديدا تفرع منه بالطريقة المذكورة ذواتها . وما الأرض الا إحدى هذه السيارات كالجدي في حينها في سفرها الحيوان . أتت يحدث مهادا خلافا ضعيفا . ككواكبها عين العناية الربانية اليقظة وجأت وتراجديدا تعترف في عود الطبيعة العاقبة المبيحة لمجائب الله

وقد تفرع من السيارات قبل تجردها أجرام أخرى صغيرة اقتطعت من دائرة خط الاستواء وأخذت تدور على محورها وحول الجرم الأصلي بقوة النوايس العامة ذاتها فتولد من الأرض القمر وجدها قبلها أصغر حجمه . انما القوى التي تولت اقتلاعه من خط الاستواء الأرضي وحركته الاعتقالية في هذا الخط فعلت فيه ما جعلته يصيب الشكل البيضي بدلا من الكروي فأصبح على شكل بيضة مركز ثقلها في أسفلها وفي وسطها . لهذا الستم ثرون في هذا الجرم الاتجاه واحدة وهو أشبه بكرة من الغلين قاعدتها من رصاص وهي الناحية المتجهة دائما إلى الأرض فينتج من ذلك أن على سطح العالم القمري طبيعتين في غاية التباين والاختلاف . الأولى وهي الناحية المتجهة دائما إلى الأرض لا ماء فيها ولا هواء وفيها تجمعت كل الأجزاء الجامدة الغليظة لوجود مركز الثقل فيها والثانية التي لا يقع عليها قط نظر أرضي حاوية كل السوائل والمواد الحقيقية وهي متجهة أبدا إلى الناحية المخالفة لعالمكم الأرضي واختلفت الأجرام المتفرعة من السيارات عددا وأحوالا ومن السيارات ما لم يفرع منها شيء كعطارد والزهرة ومنها ولدت قرا أو أكثر كالأرض والمشتري وزحل الخ . وهذا الكوكب أي زحل ولد عدا الأقار حلقة نيرة وهذه الحلقة عبارة عن منطقة انفصلت في البدء عن خط الاستواء في زحل كالمنطقة الاستوائية التي انفصلت عن الأرض فصارت قرا . انما الفرق ان منطقة زحل متكوّنة عند انفصالها من دقائق متجانسة الجوهر وربما كانت متجمدة بعض التجمد فلها بقيت تدور حول الجرم الأصلي بسرعة تكاد تعادل سرعة الجرم ذاته . فلو كانت المنطقة متسكيفة في إحدى جهاتها أكثر من سواها لتجمعت حالا كتلة واحدة أو كتلات متعددة تصبح أقمارا جديدة تضاف إلى ما كان لزحل من الأقمار الأخرى

وأما النجوم ذوات الأذنان فقد توهمها البعض عوالم في بدء نشأتها يجهز فيها بواغث الوجود والحياة كما في السيارات . وافترضها غيرهم عوالم آخذة في الدروس والتلاشي حتى المنجمون أنفسهم كانوا يتشاءمون بها كدلالة النحس والبلايا . على أن المطلاع على تفننات وأعمال الطبيعة يعتريه العجب لأقيسة افتراضية بناها الطبيعيون والفلكيون والفلاسفة ليؤيدوا بها ان المذنبات سيارات حديثة أو عتيقة في حين أنها ليست هي الا كواكب متقلبة

كرواد في الممالك الشمسية . وما أعدت لتكون كالمسارات مساكن آهلة بالبشر بل اختصاصها أن تنقل من شمس إلى شمس تستقي منها الأصول الجوية المنعشة فتفيضها فيما بعد على العوالم الأرضية فلننتبه عن التفكير أحد النجوم المذنبات عند بلوغه البعد الأقصى من الشمس ولنقطع عن تلك السعة المديدة الفاصلة ما بين الشمس وأقرب النجوم ولنتأمل في سير هذا المذنب المتقل فمجد فعل النواويس الطبيعية ممتدا إلى بعد لا تكاد الخيلة أن تصيبه فهناك يبطئ سيره إلى حد لا يتجاوز بعض الأذرع في الثانية بعد أن كان يسير الألوف من الفراسخ في كل لحظة عند قرب بدو من الشمس ولا يبعد أن تغلب عليه عند هذا الحد شمس أخرى أشد قوة ونفوذاً من التي بارحها فتنجذب إلى دائرة قلمكها وتحصيه في عداد أنبياءها وعيها ينتظر بعدها بنو أرضكم رجوعه في وقت عينه أرواحهم لتأقصة أمانهم فنجوز به التفكير إلى تلك الأقطار المجهولة فنجد فيها من المجائب ما لا يتوصل قط إليه تصورنا حتى

قل منكم من لم يلاحظ في الليل إلى المرافقة الخالية من النمر سحابة نيرة منتشرة من أقصى السماء إلى أقصاها تدعوها درب التبانة أو المجرة وقد كشف لكم عنها مؤخراً المرصاد فرأيتم فيها ملايين من الشموس معظمها أبهى نورا وأوسع حجماً وأهمية من شمسكم . إن المجرة هي بالحق حقل فسيح زرعت فيه زهور شموس وكواكب تتلألأ في أرجائها الرحبة فالشمس وكافة السيارات والأجرام التابعة لها زهرة واحدة من تلك الزهور المشرورة في حقل المجرة وعدد هذه الزهور أي الشموس لا يقل عن الثلاثين مليوناً بعد كل منها عن الأخرى أكثر من ثلاثة آلاف ألف ألف فرسخ فمن هذا يستدل على سعة تلك المجرة الممتنع تصورها وصغر شمسكم بالنسبة إلى باقي الشموس ثم إن حقارة بل عدم أرضكم ليس بالنسبة إلى حجمها وسعتها المادية فحسب بل فوق ذلك إلى أحوال سكانها الادبية والعقلية

ثم إن المجرة ذاتها مع ملايين شموسها ليست شيئاً بالنسبة إلى الألوف من المجرات المنتشرة في أقاصي الفضاء انما يظهر أوفر سعة وسناء من سواها لا حاطتها بكم ووقوعها تحت دائرة نظركم في حين أن المجرات الأخرى متوغلة في أقاصي السموات فلا يكاد يستفهمها من ادكم فإذا علمتم أن الأرض ليست بشئ في عامة المجرات وعامة المجرات أيضاً ليست بشئ في سعة لفضاء الذي لا يتناهى عادمها عليكم ادراك حقارة الأرض وعدم أهمية الحياة الجسدية

إن الملايين من الشموس المألوفة منها مجرتكم يحيط بأكثرها سيارات وعوالم تستمد منها النور والحياة . فمنها نجم سريوس مثلاً الذي يبري وجهه ويهدهد على شمسكم ألوفاً من المرات والسيارات المحيطة به تفوق سيارات الشمس كثيراً وسناء . ومنها شموس مثناه أي نجوم توائم تختلف وظائفها الفلكية عن وظائف شمسكم ففي السيارات المحيطة بتلك الشموس المئاة لا تعد السنين والأيام كما في أرضكم وأحوال الحياة فيها تعد عليكم تصورها

ومن الشموس ما لا سيارات لها انما أحوال سكانها خير الأحوال وبالأجل أن تقننات هذه النجوم واختلاف أحوالها وظوائفها ما يقصر الإدراك البشري عن تخيلها

إن كل ماترون من النجوم والأجرام في القبة الزرقاء يختص بمجرة واحدة تدعى كما قلنا درب التبانة ولكل منها سير مخصوص مصدره قوة الجاذبية فتسير سيرا ليس على سبيل العرض والصدفة بل في طرق معينة مركزها الجرم الأصلي . فقد تحقق لكم مؤخراً أن الشمس ليست بنقطة مركزية ثابتة بل تسير في الفضاء ساحبة معها وكها الحافل بالسيارات والاقمار والمذنبات وليس سيرها بعرضي بل طرقيتها محدودة تسير فيه بصحبة شموس أخرى من طبقته حول جرم آخر عظيم تولدت منه انما حركتها سيرها وسير باقي الشموس رفيقاتها لا تصيبها أرواحكم السنوية اذ يقتضي عدداً عظيماً من الاجيال لا تمام احدي هذه السنوات الشمسية .

ثم إن منها الجرم العظيم الذي تسير حوله شموس مع سائر الشموس رفيقاتها ليس بجرم أصلي بل بدور هو أيضاً بصحبة أجرام أخرى من طبقته حول نجم آخر أعظم منه وهكذا قل عن هذا النجم الثاني إلى أن يحل العجز بخيلتنا عن تصور هذه السلسلة المترتبة المتعاقبة ما بين شموس مجرتكم التي لا يقل عددها عن الثلاثين مليوناً وكل هذه الشموس

مع سيارتها مرتبطة ببعضها في نظام واحد كجموع دواليب آلة واحدة فتظهر لعين الحكيم الناظر إليها عن بعد كحفنة من اللآلئ الذهبية نثرتها النفحة الإلهية في الفضاء كما تنثر الريح الرمال في بلقع الصحارى . ان فلاة يكاد لا يحدها قرار تمد الى كل جهة حول المجرة التي أتينا على ذكرها لان تجمعات المادة الاصلية أى المجرات منشورة في الفضاء كجزر عذيرة الوجود في بحر لا حد لسعته . فالمسافة التي تفصل ما بين كل مجرة وأخرى تفوق مسافة قطر المجرة ذاتها بما لا حد له . فعلوم ان قياس مجرتنا بعد بمئات الف الف الف فرسخ أما قياس بعدها عن باقي المجرات فلا يمكن لعقل أن يدركه بل الخيلة وحدها تستطيع أن تقطع تلك الفيافي السماوية الخالية من مظاهر الحياة

وتتجلى فيما وراء هذه الفلوات عوالم أخرى تتبختر في بحر الاثير وتظهر الحياة فيها تحت مجالى غريبة يستحيل عليكم تصورهما فالمنتقل من مجرتكم الى تلك المجرات بعين ضروبا من الحياة وقوى طبيعية لم تكن قط لتخطر على ذهنه فيدرك هنا قدرة الخالق ويسبح عجائب أعماله

رأينا ان ناموسا أصليا واحدا يتولى تكوين العوالم وخلقها الكون . وان هذا الناموس العام يظهر لحواسنا تحت ضروب مختلفة ندعوها قوى طبيعية وبفعلها تتجمع المادة الاصلية وتنجز تقلباتها الدورية أى تكون في البدء مركزا سيالا للحركة ثم تنفرع منها العوالم وتصبح بعدها جرمما كثيفا يدور حوله ما تولد منه من الاجرام . والآن أريد أن أبين أن هذه النواميس ذاتها التي تولدت نشأة العوالم ستتولى أيضا أمر انحلالها لأن من اجل الموت لا يحصد ذات النفسه فحسب بل المادة الجادية أيضا بانحلال تراكيبتها تخلف يقضى العالم سنن حياته تنحدر منه نار الوجود وتفقد عناصره قواها الاصلية وتزول منه الحوادث الطبيعية بزوال القوى

هل تظنون انه سيلبث دائرا في الفضاء كجرم لا حياة له ويبقى مكتوبا في سفر الحياة بعد ان أصبح حرفا ميتا لا معنى له كلا ان النواميس ذاتها التي انتشلتها من ظلمة العدم وجملة بمظاهر الحياة ودرجت من أجيال الصبوة الى الهرم ستتولى أمر دنوره وارجاع عناصره الجوهرية الى معمل الطبيعة العام ليتكون منها فيما بعد عوالم جديدة الى ما لا انتهاء له . فأبدية الكون تقوم بالنواميس ذاتها المتولية أعمال الزمان أى تعقب الشمس والشموس والعوالم العوالم دون أن يذيب قوى الكون أدنى كلال أو وجود فانزوي في أقاصي السموات من نجوم نيرة ريم تحتها من أمدمديد أصبح الموت وأعقبها العدم وخلقته جديدة تجهلونها بعد . انما البعد الشاسع القائم بينكم وبين الاجرام القاصية الذي لا يقطع النور الا في الوف الالوف من السنين يجعل أشعتها تصل اليوم اليكم

مع انهار بما انبعثت قبل خالق الارض بأمد مديد ففي هذه كفاي غيرها تظهر حقارة الانسان وعدم دنياه انما سيأتي يوم فيه يبقى ذكر الارض في ذهننا كظل بخارى بعد ان نكون قد ندرت جنتنا أجيالا لا عدد لها الى العوالم العليا . وحين نتأمل في المستقبل عند بلوغنا هذا الحد لا نرى نصب أعيننا الاتعاقبا سمرديا من العوالم أو أبدية ثابتة لا انقضاء لها . اه

﴿ هذا ملخص ماجاء في العلم الحديث وفي علم الارواح موازناته ماجاء في القرآن والحديث ﴾
(موازنات)

القرآن والحديث الشريف	العلم الحديث
(١) أولم ير الذين كفروا ان السموات والأرض كانتا رتفا ففقتناهما	(١) الأرض انفصلت عن الشمس والقمر انشق منها
(٢) يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات	(٢) الأرض انجاء أجليها تمور وتصير هباء ثم تصير عالما جديدا وكذا بقية الكواكب
(٣) ان الجنة في السماء وأن النبي صلى الله عليه وسلم رأى أرواح الأنبياء في السموات وآية لا تفتح لهم أبواب السماء	(٣) الأرواح في الأرض تنقل الى عوالم أرقى سماوية

العلم الحديث

القرآن والحديث الشريف

(٤) الأرواح تنقل من عالم الى عالم سماوى على حسب استعدادها (٤) وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً

(٥) بعد الهواء برودة شديدة في الخلاء وفي باطن الأرض حرارة (٥) ان شدة الحر من فيح جهنم وان لها نفسين نفساً في الشتاء ونفساً في الصيف

(٦) نار جهنم أقوى من نارنا عشر المرات (٦) ان نارنا هذه أبرد من نار جهنم بتسع وستين درجة هأنذا الخصلت لك ما جاء في العلم الحديث في الجنة ودرجاتها والنار وحرارتها وإياك أن تظن أنى أرى أن جوف الأرض والزهرير الذي فوق الهواء هما جهنم وان كان ظاهر الأحاديث يوافق ذلك وانكشف الحديث يؤيده فقد يكون ذلك بمثلها أو يكون قطعة منها لأن في العوالم أراضى غير أرضنا كثيرة أوفيهما ناراً أشد من نار أرضنا فربما مضت يوم القيامة كلها فصارت ناراً واحدة وقد يكون هناك من العلم ما لم نصل له وكذلك لا تظن أنى أرى أن هذه النجوم التي هي مسكونة كما ذكرته روح غاليلى وأن أهلها في سعادة ونعيم وأن الأرواح الأرضية ترتقى فيها بحسب استعدادها وان الروح كلما صفت وخلصت ارتقت الى عالم أرفع لا تظن أنى أقطع بأنهم أهل الجنة وان كانت الآيات والأحاديث تكاد تصرح بها كقوله تعالى - ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط - وكقول عبد الله بن سلام ان الجنة في السماء وانما ألم أقل هي الجنة لأن الكشف لم يبين لنا حقيقة هل في السماء سكان وانما ذلك كلام الأرواح التي يناجونها وهذا الكشف لم يتم الآن فاذا ثبت واتضح وظهر حقا أن الأرواح تكتدرى في الدرجات فنقل هذه هي الجنة بل تقول فوق ذلك ان تلك الدرجات ما كان منها فيه تكليف واذلال فهو من جهنم وما كان فيه سعادة فهو من الجنة وكل هذا الى الآن لم يتم عليه دليل

ثم اذا قام عليه دليل تكون تلك جنات حسية وليست مقصودة العارفين ولا محط رحال الحكماء الصالحين لأنهم يرون الخالص من المادة خيراً وان يكونوا في مقعد صدق عند مليك مقتدر ويكونون ملحقين بالملائكة الذين في جوار رحمتهم كما أوضحت ذلك نقلاً عن الامام الغزالي في سورة البقرة عند قوله تعالى - وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة الآية - وبالجملة ان العلم الحديث يكاد يقترب من الآيات والأحاديث * ومحصل ما أراه أننا نعرف هذا ونترصد حتى تنكشف الحقائق ولا نقطع بذلك فان العلم آخذ في الرقي وعلى المسامحين أن يبحثوا في الفلك وفي علم الأرواح حتى يصلوا للحقائق وقد ذكرت هذا ليكون باباً يلج منه الباحثون ومفتاحاً لعلومها ومبدأ - وان الى ربك المنتهى - ومن عجب أن البرد الشديد تحت الصفر بدرجات كثيرة يحرق الاجسام كالنار كما جاء في الكشف الحديث وهذا من أعجب العجائب اه

﴿ عجائب العلم والدين وواجب المسلمين ﴾

ان ظهور هذه الحقائق من أعجب ما أتى به دين الاسلام فكيف يقال ان باطن الأرض نار وان الكواكب عظيمة جدا وفيها سكان (وان كان لم يحق) وكيف يتفق العلم الحديث مع الدين في ارتفاع حرارة جهنم وسواها قلنا ان هذه النار الأرضية وأمثالها هي التي يعذب فيها الناس أم هي مماثلة لما كن أخرى شديدة العذاب وان هذه الكواكب ان صح أن فيها سكانا أرواح الجنات أو قلنا انها أما كن تشبهها فملى كل حال ظهور هذه الحقائق من عجائب الاسلام وغرائبه فعلى عقلاء المسلمين أن يتعلموا ويقرؤا علوم الطبيعة والفلك وطبقات الأرض وعلم الأرواح فوا حسرتاه على أمة الاسلام وأسفاه على دين تركه أهله وضيعه معتنقوه ونسى العلوم التي يظلمها مدرسو وجهله متبعوه ولم يؤمن به الا من أهملوه فإليك اللهم المشتكى وتلك الأمر - ولو شارب بك ما فعلوه والله هو الولي الحميد -

﴿ الدار الآخرة في القديم والحديث - الذات الحسية والخيالية والعقلية ﴾

أنت تعلم أن ما ورد في شريعتنا المطهرة هي الذات الحسية من الجنات والحدائق والولدان وما أشبه ذلك . وهذه الذات الحسية أنكرها قوم وقالوا هذه بتهافتها لا الإنسان بجسمه والجسم قد بلى وإنما يكون الإنسان في الآخرة بروحه وإنما الذات والآلام بالروح لا بالجسد وهي أمورية معنوية . هذا ما يخص ما يقولون .

وقالت طائفة كالإمام الغزالي أن الذات على ثلاثة أقسام حسية وخيالية وعقلية فالحسية معلومة والخيالية ما يتخيلها الإنسان وتخطر في نفسه كما تصور نهر جاريا أو حورا أو جنت وأندلس وانه الصور التي يتخيلها الإنسان لذتها ضعيفة كالتصور لها في المنام ولو أنها دامت تلك الصور المتنامية لسكان لذتها نعمة إنما المنافع من تمام لذتها إنما مطوعة باليقظة

وليس للإنسان من الذات إلا ما انطبع في حسه كالصور الجميلة في العين والمسعودات في السمع والشم والنواعيم في اللس والخلافة في الذوق ولو أن امرأ كانت أمامه صورة من أجل الصور وهو أعشى أو كان مبصرا ولكنه غافل عنها لا يشغاله بأمرهم لم يستلذ بالصورة فاذن لا لذة في الصور المشاهدة إنما اللذة في الاحساس بصورها المنطبعة في السبكية فالتذوق في اللذة على ذلك الانطباع فأما الصور الخارجة في أنفسها فليست فيها لذة بل الأمر قاصر على تلك الصور المطبوعة في النفس فكذلك الحيات وإن أجسام الحيات ليست مؤذية إنما المؤذي الآثار الناشئة في الأجسام من سريان السم فلو لدغت الحية إنسانا ولم يسر السم أو سري ولكن الترياق أبطل فعله كما يقولون إن جسم كل ذي سم يبطل لفعل سمه بجسم الحية إذا وضع على موضع المدغ أبطل فعل السم والإنسان لو شرب سم الحيات لم يضره وإنما الذي يضره أن يسري في الدم كما تفعل الحية إذ تدخل نابه في الأجسام فيدخل السم في الدم فيسري فاذن المنفعة على تأثير السم لا على السم ولا على الحية

ثبت إذن أن الجسم لو حل فيه أثر كثر السم لحصل المقصود من الضر بدون حاجة إلى الحية ولا إلى السم ولو حصلت في الأبصار والسمع صور النفقات المذيدة والصور الجميلة بدون أن تكون تلك الصور وتلك النفقات في الخارج لكافته الذات دائمة لا مقطوعة ولا منوعة ولأصبحت الذات تحت تصرف الإنسان فتشبه صورة أو نعمة أو فاكهة أو ظلا أو نهر أو حوض لديه وهذا أشرف وأرقى من الذات المحسوسة الخارجة لأن هذه إذا تمتع بها زيد حرم منها عمر وكفى هذه الدنيا أما تلك التخيلية فإن الصور الواحدة تمتع بها آلاف في زمن واحد متعنا تمام غير متعنا ولو انتهت مشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم ألف شخص في ألف مكان في حال واحدة لا عدوه كما خطر بباله في أما كنهم المختلفة وأما رؤية صلى الله عليه وسلم وهو موجود خارج الحس فلا تكون إلا في مكان واحد وحل ما في الآخرة على ما هو أتم وأوسع أولى له ما قاله بتصرف وإيضاح

قال وأما الوجه الثالث العقلي فهو الوجود العقلي أن تكون هذه المحسوسات أمثلة للذات العقلية التي ليست بمحدودة والعقليات أقسام كثيرة مختلفة كالحسيات فتكون الحسيات أمثلة لها وكل واحد يكون مثالا للذة أخرى مما رتبته في العقليات توازي رتبة المثال في الحسيات فلورأي في المنام الخضر والماء الجاري والوجه الحسن والأنهار الجارية اللبن والعسل والخمر والأشجار المنزينة بالجواهر والياقوت والآلات والقصور المبينة من الذهب والفضة والأسرة المرصعة لكان المعبر لا يحمد على نوع واحد بل يحمل كل واحد على نوع آخر من السرور وقرّة العين يرجع بعضه إلى سرور العلم وكشف المعلومات وبعضه إلى سرور المنة ونفاد الأمر وبعضه إلى قهر الأعداء وبعضه إلى مشاهدة الأصدقاء وإن شمل الجميع اسم اللذة والسرور فهي مختلفة المراتب مختلفة الذوق لكل واحد مذاق يخالف الآخر وكذلك الذات العقلية ينبغي أن تهتم كذلك وإن كانت مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

فجميع هذه الآلام ممكنة فيجوز أن يجمع بين الكل ويجوز أن يكون نصيب كل واحد بقدره واستعداده

فالمشغوف بالتقليد والجود على الدور الذي لم يفتح له طرق الحقائق يمثل له الصورة والعارفون يفتح لهم لطائف السرور والذات العقلية كما يليق بهم وينبغي شرعهم وشهوتهم اذ حد الجنة ان فيها لكل امرئ ما يشتهي فالاختلفت الشهوات لم يعد ان تختلف العطيات والذات والقدرة والسعة والطاقة البشرية عن الاحاطة بعجائب القدرة قاصرة والرحمة الالهية ألقت بواسطة النبوة الى كافة الخلق القدر الذي احتملته أفهامهم

هذا ما قاله الامام الغزالي في الرسالة المسماة بالمضنون به عن غير أعلمه . فانت ترى انه أثبت اللذة الخيالية وجعلها أفضل من الحسية وجعل فوقها لذة عقلية وهي ادراك الحقائق وجعل لكل من الناس ما وصل اليه ادراكه وفهمه وانظر الى ما قاله ريمند بن اللورد اليشيلودج المات في الحرب الكبرى العامة وأوليفر لودج من كبار الطبيعيين في أوروبا وبلاد الانجليز فانظر كيف يقول له ابنه لما أحضرت روحه فيما نقلته في كتاب الأرواح

أما يا بني أنا فيظهر لي انها مصنوعة من خيوط ثياب بليت عندكم والبعض هنا يقولون عن الثياب انها روحية مصنوعة من النور يكوونها الفكر على الأرض فانظر كيف تقول الأرواح الماتة انها تكون ثيابها بصنع أفكارها وهذا ما قاله الامام الغزالي فتعجب من نوع الانسان وكيف ما كان يظن الغزالي ظنا أصبحت ذوله الأرواح في مخاطباتها . وقال أيضا ومنها ما عمل بعمل كل شيء لا من مواد جامدة بل من مواد روحية وتري في ذلك الكتاب كثيرا يدل على ان الأرواح تصوع ما تشاء أسرع من لمح البصر فها قاله الامام الغزالي وأذكره بعين البصيرة قد اشتهر الآن وشاع بين علماء الأرواح في أوروبا . وقديقول بعض الاخوان ان كتاب الغزالي المذكور ليس له حقيقة فنقول نحن الآن في مقام الجمع بين آراء علماء الشرق والغرب فهو كتاب شرقي

فاذا اعتبرنا عندنا جنة خيالية واعتبرنا ما تقدم في مثال روح غالي جنة حسية في الكواكب العظيمة وانقلنا الى عالم الأرواح في جنتها العقلية وأيضاً مطابقة بين كلام علماءنا وكلام علماء العصر الحاضر فأما أنت فلانك مقلدا ولا تقف عند حد بل اقرأ وزد علماً واعلم أن الله لم يرد بهذا الا زيادة العقل ورياضة الفكر فغموض هذه المسائل يوجب التفكير والتفكير يزبد العلم والعلم هو المقصود الاعظم من الحياة

واعلم اني أطلت الآن في الجنة والنار واستأعيد الكرة عليهما في هذا التفسير الا قليلا بل أكتفي بما كتبتة الآن والله المستعان اه

واعلمك تقول كيف ثبت أن ريمند وهو مسيحي يدخل الجنة وكيف تحكم بذلك أقول على رسلك أنا انما ذكرتها على سبيل النقل ولم أحكم بصحتها ولم يصححها ولم يصححها بأن يكون أسلم قبل موته فليس في ديننا ما يجعلنا نقطع بكفر أحد لا يعلم الغيب الا الله

ولا تترين في الأرض دونك كافرا * ولا مؤمنا حتى تغيب في القبر

فر بما تجاريمند ولم ننج نحن وربما كان سعدودا من أهل الفترة كما نراه في كتاب فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة وهل بلغ اليه الاسلام على وجهه نحن نشك في ذلك واذا كنا لا تزال نرى أن المسلمين يجب أن يكونوا أعلم بكتائبهم مما هم عليه فكيف بمن هم غير مسلمين ومن دخلت هذه الشبهة عقيدت حجابا بيننا وبين العلم وعاش مفتونا بالجهالة محرومين بالحكمة محكوماء عليه بوقوف العقل وركود الذهن وموت الفؤاد والانقطاع عن الانداد انتهى الكلام على الطيفة السادسة

﴿ الطيفة السابعة - والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ﴾

يقول علماء النفس في الجمعيات الامريكية ان النفس كلما حبست عواطفها وكتمت أحوالها وحفظت خطراتها زادت قوة وأناها بأسا وحكمة وأثار بصيرتها وعلى ذلك يأمررون التلاميذ أن يكونوا على جانب من التؤدة والثبات ويقولون ان ذلك يحفظ المغناطيسية الحيوانية أن تفيض من النفس فتبقى محفوظة ليصرف منها الانسان في الأعمال النافعة بدل الآراء الضائعة وانظر كيف أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يكف عن الدعاء على أعدائه حفظا لتلك القوة

النفسية العالية وكيف ذكر بعدها تعاليم الأئمة ما يجب عليها من العفو والمغفرة وكظم الغيظ لتحفظ النفوس وتقوى القلوب وتكمل الكمال الأوفى ومن مقال هذه الجمعيات الذي ترجم حديثاً

ليس الرجل القوي الإرادة الماضي العزيمة هو ذاك الذي يكسر عن أنيابه ويقبض حاجبيه ويصر أسنانه ويقلص عضلاته ووجهه وينظر نظر الغاضب الحائق كلما أراد أن يتغلب على الصعاب ليس هو الذي يتدمر من عمله اليومي فان ذلك قد أضاع قواه ومتى صادفه رجل هادئ مطمئن واثق بنفسه صرع الأول وغلبه ومتى حفظ امرؤ قواه وحبسها برادته ولم يأذن لها بالافلات منه كان ذلك وحده كافياً أن يأتي له بالفوائد الجليلة من جذب النفوس اليه وقبول الناس له والاقبال عليه واحترامه فهذه الصفة كنز ثمين لا يتدر بذهب ولا فضة به تفتح الطرق المادية والمعنوية ومن حرم هذه الصفة ضاعت حياته هباء منثوراً وانما كانت أغلى من الذهب والفضة لأن النفوس لما أحست بفطرتها وغريزتها أن نفسها مخلوقة روحانية ومغناطيسية لشدة محافظتها على السكينة والتزام الاحتباس أقبلت بفطرتها عليه غير عاللة بالسبب ولا مدركة ماذا دفعها الى ذلك الاحترام والحب وان لم يكن في الوجه جمال ولا في الجيب مال وانما ذلك شأن النفس التي ملاها الجمال وحفظت من ضياع ربح الحياة وهي المغناطيسية النفسية كالنهر حفظت ماءه السدود والعزم ذلك قول هؤلاء العلماء فانظر كيف مدح الله الكاظمين للغيظ وقال لنبيه - ولو كنت فظاً غليظ القلب لانقضوا من حولك فاعف عنهم - مدح نبيه بهذا الوصف وأمر المؤمنين به ورتب عليه عدم انقراض الناس من حولنا وهذا تعاليم الجمعية النفسية بحفظ القوى وبقاء الروح في حرز حصين من الاسراف في مواهبها

(اللطيفة الثامنة - ترتيب درجات الطائعين)

أناظر كيف رتب درجات الطائعين فكان أعلاهم (١) النافعين لنوع الانسان القائمين بشأن الجمعية الانسانية وهم خلقاء الله على الحقيقة وأشار اليهم بقوله - الذين ينفقون في السراء والضراء - فهؤلاء خلفاؤه على عباده مقسبون بملائكته ولذلك جعل جنتهم مملكة فهيأها لهم - جنة عرضها السموات والارض - والخليفة أحق بالاطلاع على ملك من استخلفه فبواؤهم جنة تضارع مملكته وذلك هو الجمال والكمال (٢) الدرجة الثانية الذين يصبرون على أذى الناس فهؤلاء وان لم يقوموا بأمر الأمة ويساعدوا المجموع فانهم زكوا نفوسهم وطهروها وقووها فاستعدت الى المعالي وهي المشار اليها بقوله - والكاظمين الغيظ - (٣) الدرجة الثالثة درجة التائبين وليس هناك أحط منها واليها الإشارة بقوله - والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم - وهؤلاء جنتهم ليست كعرض السماء والارض وليسوا متمتعين بحقيقة الخلافة ورعاية الأئمة ونظام المجموع فجنتهم انما تجرى تحتها الانهار فإياك أن تنزل عن المرتبة الاولى وجاء في الحكمة والعلم ولا تقصر في نفع الأمة وازالة الغمة وكن أبا رحماً مقلداً لله في رحته للناس ورعايته للخلق

(اللطيفة التاسعة - ان عيسى سمى قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس)
لعلك تذكر ما قدمناه في سورة البقرة عند قوله تعالى - وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة الآية - فاعلم ان هذه الآيات تنحون نحو ما ذكرناه هناك فراجعه وايسر في الاعادة هنا الا التكرار الذي يجب أن تتجنبه ولقد استبان هناك أن لا سعادة في الحياة ولا في الملمات الا بعوارض الدهر وقوارع المصائب وتربية الله للناس بالخطوب ولقد ظهرت كتب كثيرة في ذلك مثل نزع قابس الذي خصته هناك وكتاب (السكوخ الهندي) لعالم كبير أوروبي وهذه الآيات التي نزلت في غزوة أحد كلها دروس وتطبيقات على ذلك

(اللطيفة العاشرة - أم حسبتم أن تدخلوا الجنة الخ)

هي كسابقتها حث على الصبر والثبات وبإيهما واحد

(اللطيفة الحادية عشرة - ثواب الدنيا والآخرة)

ان القرآن يدعو الى الكمال الدنيوي والآخروي والله يعطي الثواب الدنيوي والآخروي فالثواب في الدنيا

والآخرة معا فان المسلم وهو يجاهد في سبيل الله قد نال ثوابا في الدنيا بالغنيمة وفي الآخرة بالجنة

(اللطيفة الثانية عشرة - كيف تعطى الدروس على حوادث الانسان وآلامه)

لم نمر غزوة أحد بل درس فأنت ترى كيف ظهر المنافقون وامتاز المخاضون وكانوا وقت الشدة أشدا طمئنانا وكان الصبر نعمة والثبات كمالا وذكر أن الحرب سجال وإن الهزيمة من أسبابها ذنوب سابقة ألجأتهم إلى ارتكاب مثلها وإن التوكل والشورى مطلوبان تعلما لنا لئلا نشذ عن الجماعة ففسير مع الأمة ونطأ طي للاجتماع كما هو القانون المسنون في الأمم الحاضرة وبالنسبة لشعري كيف يكون رأي الجماعة مطاعا في الإسلام ولا ينفذ أمره إلا في الأمم الأوروبية كالم يعرف نتائج الخمر إلا الأمم الأجنبية ويظهر أن الأمم الإسلامية بعد القرون الأولى لم يكونوا أعلا هذا الدين ومن الدروس أن المصائب العظيمة كالهزيمة يوم أحد تقمة تنسى المصائب الصغيرة فلا يحفل بها الإنسان وهذا أعظم ما عرفه الحكماء قديما وحديثا ومنها أن يشعر الإنسان بالروح والعزم وعناية الله ومنها أن يوازن مصائبه بما أصاب عدوه ومنها أن يتذكر أن هذه المصيبة بفعل سابق قد كان منه ومنها أنها عتدة له بها يستنير في أمثاله ومنها أن يرجع إلى الله وأن القضاء والقدر سابقان ليقبل الحزن . ومنها أن لا يرجع الإنسان في رأيه بعد أن أحكمه وهكذا من الحكم التي جاءت في هذه السورة درسا على أحد

إن هذا درس لك أيها الذكي فإذا أصابك شيء أو قبلت تقمة فاجعلها من مسائل الدراسة وحافظ على الاستنتاج كما استنتج في القرآن ليعلمنا الله كيف نبحت في كل ما يصيبنا ونستخرج منه الحكمة والعلم ألا نأمل المصائب كمثل النار تصيب الفحم فيكون منه دخان فنار أما الدخان فالغموم وأما النار فالعلم . ألا ترى أن الدخان ينقطع وتبقى النار مضطربة مضيئة وليس الذي نفهمه في الحوادث التي تلم بنا يعطينا علما وحكمة فاما النعم والحزن فانه منقطع انتهى

القسم التاسع ذكر المنافقين واليهود وكيدهم وإن ذلك ابتلاء من الله للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ليصبروا فتقوى قلوبهم وترفع نفوسهم إلى العلا وهذا القسم كسابقه يرجع إلى الصبر وحفظ القوى العقلية من الضياع حتى تستأهل النفس للعلوم والمعارف الآتية في القسم العاشر المتمم للسورة

أنك قد علمت كلام علماء النفس أنهم جعلوا حفظها بالصبر والحيانة والعفة والعفو وحفظ قواها لتكون كالنهر حفظ ماؤه ففسق به المزارع ولن يكون الزرع بلاماء ولا العلوم بلا فكر نقي ونفس كاملة وفي هذا القسم بعد ذم الكفر وتقبيحه (١) أن النعم لن تكون أس الكمال فكم من الخيرات كانت سبب الشقاء (٢) وأن هذه الدنيا جعلت ليمتاز فيها المسيئون من المحسنين بما ينتابهم من الحوادث المؤلمة (٣) وأن المواهب والنعم إذا بخل بها الإنسان أصبحت شرا عليه ووبالا وأورثته نكالا وأصلته نار الطمع والجشع والحرص فأصبح مبغضا مكروها (٤) وأن الكبرياء والفخر من أسباب الشقاء (٥) وأن الأكاذيب على الأنبياء والتعنّت عليهم من أشد الكبرياء مقتنا (٦) وأن الحياة الدنيا غرور (٧) وأن القضاء حتم علينا أن نسمع أذى كثير أو نتلى بنقص الأنفس والثمرات وأهل العزم هم الذين لا يبالون وعند هذه الشدائد يسمون (٨) وأن البخل بالعلم أشد من البخل بالمال ضررا كما حصل من علماء اليهود في زمن الرسالة (٩) وأن من فرح بمدح ليس فيه فاحب أن يحمى بما لم يفعل آثم خلوه من الكمال واتصاله بالحقائق له الألفي الخيال فهذه تسع خصال بعضها يقترب من بعض وبعضها متميز أشد التمييز فلا ذكر الآيات ثم تلوهاتفسيرها

وَلَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا يُنْمِلُ لَهُمْ خَيْرٌ

لِأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ * وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَاوْنَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ * ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنْتُمْ لِلَّهِ لَيْسَ بِظُلَامٍ لِلْعَبِيدِ * الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدٌ إِلَيْنَا إِلَّا نُوْثِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بَقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِى بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ * كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ * لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَكُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيِّضْ مَا يَشْتَرُونَ * لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *

(التفسير اللفظي)

(يسارعون في الكفر) يقعون فيه سريعا حرصا عليه وهم المرتدون المنافقون المتخلفون (انهم لن يضروا الله شيئا) أى لن يضروا أولياء الله كالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بأن يعينوا عليهم كما هو شأن الصديق إذا انقلب عدوا (حظا في الآخرة) لصيبا من الثواب (ولهم عذاب عظيم) أى منضمنا إلى حرمانهم من الثواب وقوله تعالى (ان الذين اشترؤا الكفر بالايمان الآية) فأكيد قبله لعظم الأمر فان كيد العدو الذى كان صديقا عظيما لعلمه بما عند صاحبه الأول فلذلك زاد التاكيد بأنه لن يضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه (تملى) نهل ونوخر وما اسم ان وخبر خبرها وما اسم موصول (وانما) ذنبا وقوله تعالى (يجتبي) يختار وقوله تعالى (سيطوفون ما بخلوا به

يوم القيامة) بيان لكونه شرالهم أي سيلزمون وبال ما يخلوا به الزام الطوق وعنه صلى الله عليه وسلم ما من رجل لا يؤدى زكاة ماله الا جعل الله له شجاعا في عنقه يوم القيامة وفي رواية أبي هريرة من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاع أقرع له زبيبتان (أي نكمتان سوداوان يكونان فوق عين الحية) يطوقه يوم القيامة يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلاوا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله الآية أخرجه البخاري وقوله تعالى (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء) هم اليهود لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا * وروى أنه عليه الصلاة والسلام كتب مع أبي بكر إلى يهود بني قينقاع يدعوهم إلى الاسلام واقام الصلاة وابتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء ان الله فقير حين سأل القرض فلطمه أبو بكر على وجهه وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه ما قاله فزلت (سكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق) جعل الاستنزاء بما جاء في الاسلام وقتل الأنبياء في نط واحد كأنهم بما استقرت في نفوسهم من الرذائل الفاشية وعظائم الذنوب قد استعدوا لمثلها وقوله تعالى (ونقول ذوقوا عذاب الحريق) أي ننتقم منهم بأن نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق وقوله تعالى (ذلك بما قدمت أيديكم الح) أي ذلك العذاب بما قدمت من قتل الأنبياء وسائر المعاصي وقوله تعالى (الذين قالوا ان الله عهدنا لينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقرآن تأكله النار) الذي قال هذا هو كعب بن الأشرف ومالك وحيي وفنحاص ووهب بن يهودا من اليهود وعهدنا لينا أي في التوراة ألا نؤمن لرسول الا بمعجزة خاصة فيقرب النبي القربان ويدعوا الله فتتزل نار سماوية فتأكله (بالبينات) الدلالات الواضحات والمعجزات (الزبر) السكتب واحد هازبور وهو كل كتاب فيه حكمة من الزبر وهو الزجر (والسكتاب المنير) الواضح المضئ (يوم القيامة) يوم قيامكم من القبور وفي الحديث القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار (وزخر) ابعث وقوله تعالى (فقد فاز) أي بالنجاة (وما الحياة الدنيا) أي لذاتها وشهواتها وزخارفها (المتاع الغرور) المتاع كل ما استمتع به الانسان من مال وغيره والغرور ما يغتر الانسان مما لا يدوم أي ان منفعة الانسان بالدنيا كمنفعة هذه الأشياء التي يستمتع بها ثم تزول عن قريب (تلبون) لتختبرن (في أموالكم) بالاتفاق وما يصيبها من الآفات كدودة القطن ببلاد مصر (وأنفسكم) بالجهاد والقتل والأسر والجراح والخوف والمرض (ولتسمعن من الذين أوتوا السكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا) كهجاء الرسول والطعن في الدين واغراء الكفار على المسلمين وإنما أخبرهم بذلك لتتوطن أنفسهم على الصبر والاحتمال (وان تصبروا) على ذلك (وتتقوا) مخالفة أمر الله (فان ذلك) أي الصبر والتقوى (من عزم الأمور) أي معزوماتها التي يجب العزم عليها أو مما عزم الله عليه أي أمر به وبالغ فيه (واذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا السكتاب) أي اذكر وقت أخذه والذين أوتوا السكتاب هم العلماء كعلماء اليهود والنصارى الذين كتموا دلائل النبوة المحمدية في التوراة والانجيل وأخذ الميثاق هو التوكيد والالزام أن يبينوا ما أوتوا من السكتاب وهو قوله تعالى (لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه) أي السكتاب أو الميثاق (وراء ظهورهم) طرحوه وضيعوه (واشتروا به ثمنا قليلا) من حطام الدنيا (فبئس ما يشترون) يختارون لأنفسهم وعنه صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن أهله ألجم بلعاج من النار وعن علي رضي الله عنه ما أخذ الله على أهل الجبل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا (لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا) فعلوا من التدليس وكتم الحق (ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) من الوفاء بالميثاق وإظهار الحق والاعتراف بالصدق (بمفازة) بمنجاة (من العذاب) فائزين بالنجاة منه (ولهم عذاب أليم) بكفرهم وتدليسهم (ولله ملك السموات والأرض) فهو مالك أمرهم (والله على كل شيء قدير) فيقدر على عقابهم وليس فقيرا وهم أغنياء كما قالوا اه التفسير اللفظي يقول الله تعالى لا تحزن يا محمد لأولئك الذين غادروا دينك وسارعوا إلى أعدائك فانك بأعيننا ونحن لا ندعك لهم بل نحفظك من كيدهم ونؤمنك من شرهم وكيف يؤذونك ونحن ننصر الذين ينشرون الفضائل ويزيلون الرذائل ويكونون للناس نافعين معلمين

فأما ترى من اغدق النعم عليهم واظلالهم بظلال الأمن والسلامة وما أمددناهم به من مال وبنين فلم نفعل ذلك لنسارع لهم في الخيرات وانما ذلك ليزدادوا انما كما اتنا جعلنا وفرة الطعام والشراب والماء كل الدسمة للشريهين ليمثلوا الحماوشحما ثم نمنهم بخافه لجهلهم بقوانين الصحة في مطعمهم ومشربهم هكذا هؤلاء نعطيهم الاموال والبنين الى أجل محدود ثم نورد لهم موردا لا مرجع منه وكيف أذر المؤمنين على ما هم عليه فلا سلطان عليهم التكليف والمشايق ولا وردنهم موارد الحرب ومواقع الضرب حتى يمتاز الشجاع من الجبان والمنافق من الخلفاء وكيف تفرقون بين زيد وعمر وتعرفون الشجاع من الجبان والخلفاء من المنافق وهل أطلعكم على غيبى أو أنبأتكم بعلمى وانما أرسلت الرسول لقيادتك وبهذه التكليف يمتحنكم فيكون التمييز ويظهر ذو الورم من السمين والمحق من المبطل

وهل أولئك الذين أغدقت عليهم النعم الى أجل محدود فبخلوا بها وأعطيتهم مالا فمنعوا حقه ينالون خيرا وانما هو شر لهم سيكون ذلك المال غلا في أعناقهم وسجنا لنفوسهم ان كل ما اشتهاه الانسان وأنس به ولازمه من مال أو منصب أو جاه ولم يعالج نفسه بانفاق المال والتفكير في أمر هذه الحياة وزوالها سيكون معلقا بها وهو لا يراى طالبا له ولا يلقاه مغرما به وقد أخطأه

ومن ذلك الأقوال الجارحة والكبرياء بغير حق وقول الزور والجهل والغرور كقول من يقول - ان الله فقير ونحن أغنياء - وأمثال هذا القول يردى صاحبه لأنه يكتب في صحائفه ويكون وبالاعليه لأنه يربى فيه ملكة القول الزور والتطاول الممقوت والتعالى والملكات السيئة العالقة بالنفس تكون وبالاعلى صاحبها فهو مخاطب ليل يحتطب الشوك فيؤذيه ولا يعلم ماذا يأتيه فليس العذاب الا بما قدمت الأيدي ومن لم يهد الله فماله من مهدي ولقد كذبك هؤلاء فلا تبتئس بالكذب واذكر الأنبياء السابقين والرسل الماضين فقد كذبهم التابعون وقد أرسلوا بالمعجزات والآيات الواضحات فصبروا على ما أودوا واستعاضوا به فأعبدوا فاصبر كما صبروا فلا أعبدنك كما أعذبهم ولأنصرك كما أنصرتهم ولا ذيقن المكذبين سوء النكال لأننى أنصر الهداة وأخذل الفواة اذا بلغ الكتاب أجله وأنتم كل عمل بهيئت يكون الأنبياء أدوا ما عليهم والمكذبون بلغوا النهاية في النكابة فيكون الجزاء على مقدار العمل فأحسن للمحسنين وأمسى للمسيئين فلتصبر حتى تستوفى مدة المحنة ويتمادوا في الفتنة فيكون الجزاء لك ولهم عدلا والقصاص منهم والافضال لك حقا جزاء وفاقا

على أن هذا وذاك سيزول والدينا ذاهبة مهمات طاولت الأيام - كل نفس ذائقة الموت - والأعمال بخواتمها والعذاب القليل في جانب النعيم العظيم محتمل ومن ذاق ألوان الأذى قليلا ثم استمتع بالبهجة دائما فأمره جليل فذلك بلوتكم في الانفس بالقتال وفي الأموال بالاتفاق والاتفاق وسطت عليكم الأعداء فسلقوكم بالسنة حداد فان صبرتم على البأساء وثبتم في الضراء وكنتم ذوي عزم حين البأس كنتم عندي من ذوي النفوس العالية وبوأتم منازل الصابرين

ولا يظن امرؤ أنى أجترى بظواهر الامور كالقتال والاتفاق بل هناك ما هو أعلى مقاما وأعز شأننا وأرفع مكانا ألا وهو العلم فاذا عاقبت الاغنياء على شحهم وبلوتهم في أموالهم فليست مخليا العلماء من التعذيب ولا الحكماء من التأديب بل البخل بالعلم أدهى وأمر وأجلب للضرر وأبعد عن العدل وأقرب للآثم وكيف لا يكون كذلك وقد أخنت على العلماء الميثاق فاذا نبذوه وراءهم وناموا عن نشره للناس كنت خصمهم . العلم أصل وما عداه تابع له فلذلك أخذت الميثاق على العلماء وما الاغنياء الا قلاميد العلماء وما المجاهدون الا صدى صوت المعلمين ومنفذوا أوامرهم في الدين فكيف أعطف على العالم البخيل بعلمه انه لأشد عذابا من البخلاء وأقرب الى النار وبئس القرار فهل تحسبهم بمفازة من العذاب كلاب لهم عذاب أليم ان العلم هو الأس للنظام ومدار الاجتماع فكيف أعفون عن عالم أضاع علمه أليس العلم به يعرف جلال الله وانه يملك السموات والأرض وانه على كل شئ قدير فالعلم أمره عظيم جليل

﴿لطيفة في قوله تعالى - واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب - الآية التي نحن بصدد ها﴾
 قال قتادة هذا ميثاق أخذ الله تعالى على أهل العلم فن عمل شيئاً فليعلمه وإياكم وكتبان العلم فانه هلكة وقال
 أيضاً مثل علم لا يقال به كمثّل كنز لا ينفق منه ومثّل حكمة لا تخرج كمثّل صنم لا يأكل ولا يشرب وقال أيضاً طوبى لعالم
 ناطق ومستمع واع هذا علم علمه فبقوله وهذا سمع خبراً فقبله ووعاه
 واعلم أنه لما كان هذا القول يستدعي طلب العلم والتفكير في أصوله وفروعه ناسب أن يؤتى بعده بدرس في
 المعارف العامة وبنظرة في السموات والأرض . وأيضاً لما كانت الآيات السابقة في شؤون غزوة أحد وكان فيها القتال
 ومجاهدة الأعداء وقصص المنافقين والضالين والكافرين ورد الأباطيل والدروس الأدبية كالصبر والثبات والغنائم
 والفوز والهزيمة والتوبيخ وكان من عادة القرآن أن يأتي بعد ذلك بما يخرج النفس من أمثال هذا المقام إلى التفكير
 في أمور شريفة وعجائب وبدائع لتفرج على الجمال وتشرح به بعد ما سمعت من مختلف الأحوال فقيل إن في خلق
 السموات والأرض الخ . وأيضاً إن غزوة أحد مملوءة من الدروس الأدبية والعظات التأديبية والحكم الخلقية
 والقوارع الزجرية وكل ذلك ليس نهاية المقصود من الحياة ولا هو نهاية مقاصد النبوات وإنما هذه أشبه بالتخلية
 والمعارف الطبيعية أشبه بالتخلية فإذا تخلى الإنسان عن الرذائل فلم يشذ عن المجموع وثبت في حروبهم وصبر في
 النوائب كملت نفسه وعظمت قيمته واذن تستعد النفس للرقى في العلياء والعروج إلى أبواب السماء فالأخلاق
 مقدمات والعلوم نهايات والأخلاق بالتجارب العملية كغزوة أحد فذلك أعقبه بآية - إن في خلق السموات
 والأرض - وكذلك أول سورة آل عمران كان فيه ذكر الله وعلمه بكل شيء وأنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا
 في السماء وتصوير الناس في الأرحام كيف يشاء ختمت بمثل ما ابتدئت به ليكون المبدأ بالجمال العلمي والمنتهى بالنظر
 في العالم العلوي والسفلي كأنه يقال أيها الناس إن رسالة الأنبياء والحرب والقتال والتكاليف والاتفاق كل ذلك لكمال
 نفوسكم وجمال عقولكم فلذلك ابتدأت السورة بعلم الكائنات وختمتها بالحكم الكليات وما كان غير ذلك فأنما
 هو مقدمات لتلك المقاصد ومبادئ لتلك الغايات كذلك كانت سورة البقرة فاتهما مبدوءة بالتوحيد محتومة بأن مافي
 السموات وما في الأرض لله وبدعاء المؤمنين أن ينصرهم الله على أعدائهم ويغفر لهم وترى سورة آل عمران
 مبدوءة بما ابتدئت به سورة البقرة من التوحيد وختمت بالدعاء بالغفران وذلك في القسم العاشر وهو

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ *
 الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ
 النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * رَبَّنَا إِنَّنا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ
 آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ
 * رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ *
 فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلٌ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنِّي بِبَعْضِكُمْ مِنْ
 بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَا أَكْفَرُنَّ
 عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دَخَلَتْهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ

حُسْنُ الثَّوَابِ * لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَاؤُهُمْ
جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ * لَسَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ * وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ
اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتهم بآية فنزلت (ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولي الألباب) لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوى العقول الخالصة النيرة من شوائب الحس والوهم وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) يداومون على ذكر الله في غالب الأحوال في القيام والقعود وفي حال نومهم على جنوبهم وليس المراد الاختصاص بهذه الأحوال بل المراد أن يعم الذكر سائر الأحوال، وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكّر الله تعالى في كل أحيائه. وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قعد معي لم يذكّر الله فيه كانت عليه من الله ترة ومن اضطجع مضطجعا لا يذكّر الله فيه كانت عليه من الله ترة وما مشى أحد مشى لا يذكّر الله فيه الا كانت عليه من الله ترة أخرجه أبو داود (والترّة) النقص والمراد به هنا التبعة ومن الذكر الصلاة ولما سأل عمران بن حصين النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة وقد كانت به بواسير قال صل قائما فان لم تستطع فقعدا فان لم تستطع فعلى جنب توى إيماء وقد أخذ الشافعي بظاهره وان المريض يصلى على جنب ويوى برأسه وأبو حنيفة يرى أن يصلى مستلقيا على ظهره فان وجد خفة قعد (ويتفكرون في خلق السموات والأرض) استدلالا واعتبارا وذلك أفضل العبادات قال عليه الصلاة والسلام لا عبادة كالتفكير وذلك مخصوص بالقلب ولأجله خلق الانسان قال عليه الصلاة والسلام بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى السماء والنجوم فقال أشهد أن لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وهذا العلم أشرف العلوم بهذا وأمثاله يتفكرون قائلين (ربنا ما خلقت هذا باطلا) أى ما خلقت هذا الخلق أى المخلوق من السموات والأرض عبثا ضائعا من غير حكمة وانما خلقتة لحكمة عظيمة ومن هذه المخلوقات الانسان فلا بد أن يكون خلقه لأمر عظيم فاذا جهل الحكمة التى خلق لها فانه لابد صائر الى عذابك (سبحانك) تنزيها لك من العبث وخلق الباطل واذا كان علم أننا خلقنا لحكمة فجهلنا بها واخلائنا بما خلقنا له يردنا ويوردنا النكال لأنك لا تخلق إلا لحكمة (فقنا) ياربنا (عذاب النار) الذى نستحقه اذا أخلائنا بالحكمة التى خلقنا لها وغفلنا عن النظر فقائنا الحكمة وحرمانا العلم والتوفيق ولم ندر ما فى السموات والأرض من العجائب ولا جرم ان الناس فى الدنيا يحسون بالعذاب من طريقين طريق أجسامهم كالسجن والضرب والتعذيب وطريق الاذلال والاهانة والافتضاح والناس يشعرون بهما فى الدنيا فنرى الوزراء والأمراء ورجال الحكومات وذوى النفوذ اذا عزلوا أو أهينوا أو طردوا من مجلس رؤسائهم أو قيلت لهم كلمة لا تليق بمقامهم تؤلمهم أشد الايلام وربما مرضوا أو ماتوا وافتضح الانسان وسط الجهور واسقاطه أشد عليه من كل ضرب وسجن بل هو العذاب الحق وليس أضر على الانسان من

جهله وخزيه في المجالس الشريفة ومقام الملوك والعلماء والادباء . ولما كان موقف أولى الألباب عند ربهم يقتضى أن يكونوا على نور وعلم يوافق موافقهم ويناسب مراتب الملائكة ويلتئم مع مالتك الحضرة من الجلال والجلال قال تعالى (ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيت) أهنته وأذلته وأهلكته وفضحته وأبليت في أيدائه والاستخفاف به من الانكسار الذي يلحق الانسان وهو الحياء المفرط فالفضيحة وانما عبر بالاخر لما فيه من معنى الانكسار الذي يعقب الافتضاح وهو نوع من العذاب كما قدمنا وأي افتضاح أشدهولا وأقوى من ظهور الجهل في موطن العلم فالعذاب بالنار المطلعة على الأفئدة بخزي الجهالة لا تنقص عن نار الجسم المحرقة للهياكل المشاهدة فهو لاء لما ظلموا أنفسهم بذنوبها وجهاتها عذبوا واقتضحوا (وما للظالمين) أنفسهم (من أنصار ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان) وهو النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن (أن آمنوا بربكم) أي بأن آمنوا بربكم (فآمنوا ربنا فاعف لنا ذنوبنا) بكأثرنا (وكفر عنا سيئاتنا) صفأثرنا (وتوفنا مع الأبرار) مخصوصين بصحبتهم والأبرار جمع بر أو بار كأرباب وأصحاب (ربنا وآتنا ما وعدتنا على أسفنا) (رسلك) من الثواب لأننا نخاف أن لا نكون من الموعودين بذلك الثواب لقصور في امتثالنا فندعوك بذلك تعبدوا واستكانة عسى أن لا نكون من المقصرين (ولا نخزنا يوم القيامة) لا تفضحنا أمام الأنبياء حين تظهر الخبايا والنيات ويتضح ما غمض من السيئات - وتجد كل نفس ما عملت من خير محضرا - وما عملت من سوء منشرنا تودلوا أن بينها وبينه حسنا مشيدا وتقول يا ليتني كنت عنه مبعدا وكيف لا تجيب دعائنا أو تخيب رجاءنا وأنت قد أمرت بالدعاء ووعدت الاجابة وناديت للإيمان ووعدت بالاثابة وما علمناك تخلف الوعود فيما رأينا من المخلوقات كالنجوم الطالعة والشموس المثلثة فان مواعيدها محسوبة وأوقانها معلومة فوعدك في شروقها وغروبها غير مكذوب فاذا كان هذا دأبك فانا بوعدك مصدقون (انك لا تخلف الميعاد) في كل شئ في البعث وفي الثواب وفي كل ماله أدوار في هذا الوجود (فاستجاب لهم ربهم) الى طلبتهم (أنى) بآنى (لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى) بيان عامل (بعضهم من بعض) جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعدت للعمال من الأجر لما بينهما من اتصال واجتماع واقفاق في الدين ثم أخذ يفصل تلك الأعمال فقال (فالذين هاجروا) الشرك والأوطان والعشائر للدين (وأخرجوا من ديارهم وأوطانهم في سبيل) أى بسبب إيمانهم بالله ومن أجله (وقتلوا) الكفار (وقتلوا) في الجهاد (لا كفر عنهم سيئاتهم) لأخون عنهم سيئاتهم (ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله) أى أيديهم بذلك اثابة من عند الله أى تفضلا منه وهذا مصدر مؤكد (والله عنده حسن الثواب) على الطاعات قادر عليه . ولما كان هذا القول يدل على إقبال الله على عباده وأنه يعطيهم ما سألوا في الدارين بدليل قوله فيما تقدم في هذه السورة فاتمهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وقوله هنا والله عنده حسن الثواب فاذا كان ما عنده حسن الثواب في الآخرة ويؤتيهم أجرهم في الدنيا فكيف يرى المؤمنون تقلب الكافرين في الأرض بالتجارة ولا يختلج في صدورهم الوسواس ويدخلهم الريب فيما يسمعون مما يعارضه ما يرون . ولقد روى أن بعض المسلمين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان أعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع فأجابهم بقوله (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد) والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولأتمته ولكل أحد فان ذلك سحابة صيف عما قليل تقشع أو كسراب بقيعة أو كالزبد يذهب جفاء فذلك التغلب (متاع قليل) بلغة فانية قصيرة المدة قال عليه الصلاة والسلام ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بهم يرجع (ثم ما أواهم جهنم وبئس المهاد) ما مهدوا لأنفسهم (لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها لا يملأون عند الله) النزل ما يهبأ للضيف عند نزوله من طعام أو شراب قال الضبي والنزل أيضا بالسكون وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا * جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

وقد نصب على الحال من جنات (وما عند الله خير للأبرار) مما يتقلب فيه الفجار لقلقلة الثاني وكثرة الأول وسرعة زواله وكثرة الأول ودوامه . ان أصحمة النجاشي لما نعاها جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج فصلى عليه فقال

المنافقون ان هذا يصلي على عجل نصراني لم يره قط ولقد أسلم عبد الله بن سلام اليهودي وأصحابه وأربعون من نجران واثنتان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الروم فأشار الله الى هؤلاء وأمثالهم فقال (وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم) من القرآن (وما أنزل اليهم) من الكتابين التوراة والانجيل (خاشعين لله) حال من الضمير في يؤمن باعتبار المعنى (لا يشترطون بآيات الله ثمنا قليلا) من عرض الدنيا كما يفعل الاحبار اذ يبدلون صفة النبي صلى الله عليه وسلم حفظا للرئاسة (أولئك لهم أجرهم عند ربهم) أى ما خصوا به من أنهم يؤتون أجرهم مرتين (ان الله سريع الحساب) لا يخفى عليه شئ من الأعمال ولا يعوزه تأمل وتفكر واحتياط ولا جرم أن سرعة الحساب تستدعي سرعة الجزاء (يا أيها الذين آمنوا اصبروا) على مشاق الطاعات وعلى الدين الذي أنزلته فلا تصدركم عنه الشدائد وعلى ما يصيبكم من الشدائد فلا تشكوا للناس وعلى القضاء فلا تنجدوا في أنفسكم حرجا منه وعلى صدق الرضا فلا تسخطوا وعلى الفرائض فلا تتركوها وتلاوة القرآن فلا تنهجروها وعلى الجهاد فلا يفجأكم الأعداء وعلى أحكام الكتاب فلا تنعدها (وصابروا) وغالبوا الكفار بالصبر على شدائد الحرب والشيطان بمخالفة الهوى وهذا من ذكر الخاص بعد العام للاهتمام (ورابطوا) وداوموا على الجهاد واثبتوا عليه وأصل المراقبة أن يربط هؤلاء خيولهم وهؤلاء خيولهم بحيث يكون الفريقان مستعدين للانزال فيحارب كل منهما الآخر ثم أطلق على كل مقيم بثغر يدفع عمن وراءه رابطا وان لم يكن له ما يربط من الخيل أو غيرها وفي الحديث رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها يقول رابطوا أبدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين للغزو وأنفسكم على الطاعة ويلحق بالرباط في الثغور انتظار الصلاة في الحديث من الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة (وانقوا الله) بترك المعاصي (لعلكم تفلحون) بنيل المقامات الثلاثة التي هي الصبر على مفض الطاعات ومصابرة النفس في رفض العادات ومراقبة السرعة على جناب الحق لرصد الواردات وهي المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة

ولنا أن نقول ان تكرار هذا ثلاث مرات صبر ومصابرة ومراقبة داع حثيث الى المحافظة على الاوطان وصد العدو والمغير فلعمرك لادين ولادنيا ولا حياة لمن لم يصابروا ولم يربطوا وكأن هذه الغزوات وذكراها والوصايا بالمراقبة لتأخذ حذرنا من الفرنجة الذين هم ذئاب الشرق وآساده نعم نظر الله لنا وعرف ما سنقع فيه فكرر الامر بالصبر والحرب في مواطن كثيرة من القرآن ولعمرك ما أقطع دول الغرب على الشرق فهل أحدثك عن أعمالهم انهم يلقون القنابل النارية من الطيارات على الشبان والشيوخ والاطفال والبهائم في طرابلس ومراكش والعراق والهند قال الاستاذ الزعيم الهندي المشهور المسمى (غاندي) منقولا من مجلة الجامعة الهندية (١) ان ألوفاً مؤلفة من الانجليز لا يمكنهم أن يتحملوا أن يدعى هندي واحدا المساواة وأن يعيش عيشة مساوية لهم اذ سيادة اللون الأبيض أصبحت ديناً لهم (٢) لا شئ يستطيع صد الوطني عن القيام بوظيفته ولو كان قوة الحكومة (٣) ليس هناك مسلم ولا وثني بل الله الواحد الأب الرحيم للجميع (والابوة هنا مجاز) (٤) ان مقاطعة المنسوجات الاجنبية من الانتقام ولكنه لا مفر منه لأنه لازم للوطنية لزوم النفس للحياة اذ بدونه لا يكون الاستقلال وان جاء لا يؤمن عليه (٥) ان الولوع بالمنسوجات الأجنبية يجلب العبودية الأجنبية والفقر المدقع وما هو أقبح من هذا ألا وهو العار على كثير من العائلات (٦) اني أجزم بأن أوروبا اليوم لا تمثل روح المسيحية بل تمثل روح الشيطان وما أعظم نجاح الشيطان اذ اظهر ولسانه يردد اسم الله (٧) ان النجاح يتوقف على الشجاعة والنصيحة والمحبة والايمان لاعلى المهارة القانونية وكثرة العدد والحيل السياسية وكره الناس وعدم الايمان (٨) ان اضطراب البلاد لا يمكن معالجته الا بإزالة الأسباب لا بتقديم حلوليات الوظائف ولا بالعوبات أخرى (٩) ان المدافع البريطانية ليست مسؤولة عن عبوديتنا أكثر من مسؤولية مساعدتنا الاختيارية لبريطانيا انتهى كلامه

أقول ان أهل الهند يقررون (لها غاندي) بالزعامة انتهى التفسير اللفظي للقسم العاشر من السورة وهو آخرها

ولننظر الآن نظرتين نظرة عامة في سورة آل عمران ونظرة خاصة بآخر السورة

(النظرة العامة في سورة آل عمران)

ولنستقدم هذه النظرة العامة مقدمة فنقول . اعلم أن التربية في العالم الانساني اليوم لا تعدو أمرين اثنين الأول التربية الجسدية الثاني التربية العقلية ولانثالث لهما فإن الانسان ماهو الا جسم وعقل ومماثلهما الا كمثل الاعشى والمقعد المذكورين في الاقاصيص في القرون الغيرة والأيام الخالية والحكم المروية والعلوم الحكيمة وقد أباح لهما الملك الدخول في بستانه والتفوي في ظلاله فسرقا معا أجل الفاكهة الخاصة بالملك فالأعشى بقوته والمقعد بإرشاده بحيث كان الأعشى يحمل المقعد وهو يدل على الفاكهة النادرة الوجود الخاصة بالملك فلما علم الملك أمرهما من البستان طردهما في العراء فخطفتهما السباع وأكلتهما الوحوش والضباع وهما قد كانا في الجرم شريكين فأصبحا في الجزاء متفقين فالأعشى تمثيل للجسم والمقعد البصير تمثيل للنفس فالنفس يحملها الجسم كما يحمل الأعشى المقعد فلذلك درجت الأمم المعاصرة لنا على تربية الأجيال بالاسلحمام والرياضة البدنية والسفر على الاقدام والايغال في الجبال والسير في البر والبحر والصناعات الساقة والحادة والبرادة والنجارة وقطع الاخشاب وما أشبه ذلك وقد كان الأمويون يرسلون أبناءهم الى البادية حتى تقوى أبدانهم في ابلان صغرى ثم يرجعونهم الى المدن ليتعلموا هكذا أهل الممالك المتحدة يعلمون أبناءهم الشجاعة فيربونهم عندا لم يكتفوا بالمرحاة كركناك اخواننا الفرس كما قدمنا في سورة البقرة يعلمون أبناءهم الرماية وركوب الخيل وهم في السادسة من عمرهم ويجمعونهم بعض الزمن تقوى بما لأبدانهم وتشجيعا لهم وتعويداً لهم على الصلابة والقوة والعفة والصبر وهكذا ترى انظار المدارس يربون التلاميذ بالألعاب الجنبزية بالحركات المختلفة ولم تجسر أمتنا المصرية ان تعلم الشبان في المدارس تعليماً عسكرياً لتقوى أبدانهم كما قال الله تعالى - وزاده بسطة في العلم والجسم - لأن الأمة الانجليزية اليوم محتلة بلادنا فهذا ممنوع منها لا يحمل أحد سلاحاً في بلادنا إلا نادراً ولكن الآن وأنا أكتب هذا قد حصلت أمتنا على مجلس نيابي وعسى الله أن يجعله فاتحة خير فيتعلم الشبان الأعمال الجندية في المدارس لتقوى أبدانهم وتصح عقولهم ولقد أطنب في هذا المقام الفيلسوف أفلاطون في كتابه الجمهورية إذ وجب كثرة الرياضة البدنية كما أوجب الرياضة العلمية والموسيقى الغنائية وعلم أعظم الآمال على رياضة الأبدان وهكذا الامبراطور غليوم الذي أثار الحرب الكبرى اثني قلبت العالم الانساني اليوم رأيت له خطبة قبل الحرب بحث في بادولته أن يأمرؤا التلاميذ فيتعلموا الجندية في المدارس العالية علماً منه أن رجال الحكومة ان يكونوا نافعين لأوطانهم الا اذا كانوا ذوي أجسام قوية

ولقد اطلعت على ما نقل عن الولايات المتحدة من مدسسين انهم جربوا التلاميذ في المدارس فأرسلوهم الى الحقول عند العطلة أيام الصيف فاذا رأوا أن الذين أمرؤهم بالعمل في الحقول ومساعدة الفلاحين رجعوهم أصح أبداناً وأقوى عقولاً وأكثر درجات في الامتحان وأحسن أخلاقاً كما كانوا قبل ذلك وهم مع ذلك شاهدوا جمال الطبيعة وخبروا مختلف النبات وتمتعوا بالهواء النقي وصاروا قدوة الفلاحين ورغبوهم في أعمالهم وشاركوهم في صناعاتهم وشرحوهم بمشاركتهم فعلت بذلك منزلتهم في أنفسهم هذه شذرة من تربية الاجسام

أما الامر الثاني فهو التربية العقلية فاذا استكمل التلميذ التربية الجسمية وحسن غذاؤه وروعيت العفة في ما كله وملابسه ومشاربه وجميع أحواله هنالك يعطى العلم من الرياضى والطبيعى والعلم الدينى والاخلاقى وما أشبه ذلك على مقتضى البنية والاحوال العامة

هنالك يقبل العقل ما يهدى اليه ويقبل عليه ويأيت الناس يتقدرون هذا حق قدره فانظر كيف يرى الانسان نفسه وعوفى الهواء الطلق كيف تقبل المعاني عليه أى اقبال وتشرق نفسه بالحكمة ويزدان بالجمال والبهاء والصفاء هذا ملخص التربية في الامم الحالية انتهى الكلام على المقدمة

﴿ النظرة العامة لسورة آل عمران ﴾

إذا عرفت هذه المقدمة فاعلم ان القرآن انما جاء لتربية الامة الاسلامية تربية جسمية وعقلية فمن قرأ هذه السورة وظن انها عبارة عن حكاية سيدنا عيسى وغزوة أحد ونبذة من غزوة بدر وبعض أوامر ونواه وهوائهم هائم فلا حظ له من فهم القرآن فلننظر في هذه السورة نجد انها قامت بالامرين معا تربية الجسم وتربية العقل أما التربية الجسمية فانها اقوضت فيها غزوة أحد ولانظن أن ذكرها مجرد التاريخ أو الدلالة على النبوة بل هي للتربية

ان الانسان لا يبدى تربيته من كبح جماح الشهوات من المأكول والملابس والتزواج وهكذا كبح جماح الغضب والوسطية فيه فلن يكون جبانا كما لا يكون منهورا فاذا انتهى من ذلك وجب عليه تنمية قواه العقلية والتحلي بالحكمة والعلم هذا هو الانسان اوله ومنتهاه وبالتأمل في هذه السورة نرى انهم امروا بالاقتصاد في الشهوات أثناء الغزوات ألم تركبهم على انقاعهم من مراكرهم في مصاف القتال حرصا على الغنيمة فهذا وأمثاله من تهذيب النفس الشهوية وتلطيف شهوتها وتكميلها فأما انتظام الصفوف في الجهاد وصبرهم على لقاء الاعداء يوم أحد وطعنهم وقتلهم اعداءهم فكل ذلك رياضة بدنية وطاعة إلهية وقوة بدنية وهمة علمية وأشرف ما يقوى به الانسان بدنه ويهذب به نفسه الاقدام في الحرب والسكفاح والقتال فذلك خبر الرياضات وأفضل مقو للبدن ومتى قوى البدن قويت الروح ولقد أخذت غزوة أحد مقداراً عظيماً من هذه السورة وكلها في الشجاعة والشهامة والمروءة والنجدة وذلك واضح كل الايضاح

وأما التربية العقلية فحسبك أن ترجع الى أولها لتتأمل في خلق الله بما في السماء والأرض وانه يصورنا في الارحام كيف يشاء والمحااجة مع عيسى وقيام الله بالقسط في خلقه وحسن نظامه جل جلاله في هذا الوجود ثم اختتامها بالقسم العاشر الذي فيه عجائب خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ومن عجب أن يكون أسلوب القرآن جارياً على أحسن الأساليب المعروفة في التربية فانك ترى ان سورة يوسف ابتدئ فيها بالتربية الأخلاقية من تربية منزلية الى سياسية مدنية ثم انتهى في آخرها الى أن طلب من الله أن يلحق بالصالحين هكذا سورة البقرة فانه ختمها بذكر السموات والأرض وكيف يدعو المؤمنون في قوله - ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا الخ - ثم طلب المغفرة والرحمة هكذا في سورة آل عمران التي نحن بصددتها نرى السورة تحت على مكارم الأخلاق من الصبر والثبات والجهاد والاخلاص في الاعمال والطاعات حتى اذا انتهى الى آخرها وقد تمت قصة غزوة أحد وفيها حوادث الحرب وما فيها من العبر أخذ يشرح عجائب السموات والأرض وختم السورة بالدعاء كأن يقول العبد - ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار - كما قال تعالى في سورة البقرة - ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا - الى قوله تعالى - واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا الخ - فكأنه يقال في هذه السورة أيها الناس ليس مقصد الحياة والديانات هذه الاعمال الظاهرة ولا ظواهر الدين من الجهاد والصلاة والحج انما هذه مهنات لعقولكم مربيات لنفوسكم سلم اني فهم دروسكم النافعات من الحكم العاليات كالتفكير في النجوم ومعرفة العلوم انتهى الكلام على النظرة العامة في سورة آل عمران

﴿ النظرة الخاصة بالقسم العاشر منها وهو آخر السورة الذي نحن بصدد الكلام عليه ﴾

لقد علمت أن ما جاء في سورة يوسف وهي أحسن القصص يناسب ما جاء هنا وما جاء في البقرة وانه بعد أن أتم دروس الحياة من تهذيب نفسه في السجن وحسن الاخلاق مع المعاشرين فيه ونظامه للحكومة المصرية وهو تمام الحكمة العملية أي تهذيب النفس وسياسة المنزل وسياسة الأمة وبعد أن أفيض عليه العلم لتكميل القوة الناطقة بالحكمة جمع ذلك كله في قوله تعالى - رب قد آتيتني من الملك وعلمتني ما تأويل الاحاديث - فاني ان الملك اشارة الى الثلاثة الاول وتعليم الاحاديث اشارة الى الحكمة والنبوة ثم قال تعالى - فاطر السموات والأرض أنت ولي في الدنيا

والآخرة توفي مسلماً وألحقني بالصالحين - فذكر خلق الله السموات والأرض أولاً ثم طلب أن يلحق بالصالحين بعد الوفاة مسلماً في جوار ربه الذي فطر السموات والأرض حتى يتمتع بنبعة العلم والذات النفسية بعد الخروج من هذا النظام الجسمي وهو المقام المحمود وموقف السعادة وموطن الكرامة والمشاهدة لابتداع فاطر السموات والأرض ومشاهدة الأنوار القدسية

أنظرأيها الذكي كيف كانت نهايات الانبياء أن يلحقوا بالعالم الجليل عالم العلم والحكمة وأن يتخلصوا من هذه المادة بعد أن هذبوا نفوسهم بها فيخرجون من الظلمة الى النور . وتأمل في هذه السورة وانظر أيضا كيف كان في أولها الإشارة الى غزوة بدر فأما غزوة أحد فقد أخذت منها قسطا كبيرا واستغرقت منها جزءا وافرا وفيها درس وانظام الحرب وحفظ المروءة وشرف النفس ومررتوا أجسامهم فقويت أبدانهم وقد رجع من لم يمت منهم سالما ولما انتهى القول فيها أخذت تدريج من العمل الجسمي الى العلم الحكيم أفلا تعجب كيف أخذ يذكرك العلماء بالمية التي التي أخذها عليهم قبل الشروع في الدروس العلمية وكيف قال تعالى - واذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب الخ - وأخذ يقرعهم ويوبخهم ولعمرك ما أضر بأمة الاسلام الا الجهل بمواقع الكلام ظن كثير منهم أن المسألة قصص تاريخية أو منازعات يهودية ومنافرات خريبية وما دروا أن هذا تعليم عام ونظام شامل ان الله تعالى لما أتم القول في الغزوات أخذ يهيئ النفوس للدروس والعقول للفهم فابتدأ يقرع العلماء ويوبخ الرؤساء قائلا لهم كيف أنسيتم ميثاقى ونبذتم عهدي أولستم تعلمون مغبة فعلكم وعاقبة مكركم وسوء طوبيتكم وحرصكم ألم تذكروا ما جاء في سورة البقرة من معاقبة الكافرين منكم باللغات من الله والملائكة والناس أجمعين كما أني جعلت للمؤمنين منكم الناصرين لعالمهم ان العالم أجمع يستغفر لهم حتى حيتان البحر فالعالم أعظم ذنبا وأعظم جرما كما أنه أعظم ثوابا وأقرب زلني اذا وفي بالعهد وقام بالأمر

وبعد - أن انتهى من وعظ العلماء أخذ يسوق الناس من مواطن القتال والجهاد ويدفعهم إلى حفظ العلم ومواطن الحكمة ويأمرهم بدراسة العالم العلوى والسفلى بعد أن أتموا نظام الملك بالجهاد فإذا قال يوسف وعامتي من تأويل الأحاديث بعد نظام الملك هكذا أخذ يعلم المساميين الحكمة بعد الانتهاء من ذكر الحرب وإذا طلب يوسف الوفاة بعد العلم والحكمة هكذا أخذوا بعد أن ذكروا الله كثيرا وتفكروا في خلق السموات والأرض - توفنا مع الأبرار - أولست ترى النظام هنا كالنظام هناك وإن الأمر يرجع إلى ثلاث نظام جسمي وتربية عامية وحقوق بالملأ الأعلى في هجة عامية وسعادة عالية وروح وريحان. فهل لك أن أحدثك ماذا كان من أمر نبينا صلى الله عليه وسلم في هذه الآيات

دروس علم الطبيعة لصاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه بات عند ميمونة أم المؤمنين وهي خالته قال فقلت لأنظرن إلى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فطرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وسادة فأضطجعت في عرض الوسادة واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله في طولها فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى منتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل ثم استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده ثم قرأ العشر آيات الخواتيم من سورة آل عمران ثم قام إلى شن معلة فتوضأ منها فأحسن وضوءه ثم قام يصلي قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقمت فصنعت مثل ما صنع ثم ذهبت فقامت إلى جنبه فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده اليمنى على رأسي وأخذ بأذني فضللها فصلّى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم أوتر ثم اضطجع حتى جاء المؤذن فقام فصلّى ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلّى الصبح ﴿وفي رواية﴾ فقامت عن يساره فأخذني فجعلني عن يمينه ﴿وفي رواية﴾ بت في بيت خالتي ميمونة فتحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أهله ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الأخير قعد فنظر إلى السماء فقال - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار - انتهى

الحديث . أفست ترى أيها الذكي اللبيب كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم بالليل فينظر في السماء ويقرأ الآيات فلماذا هذا النظر للنجوم لماذا هو مؤمن بربه . الا استدلال على وجود الله كلا فانه ليس مؤمنا فحسب بل هو نبي ورسول يدعو الى الله وانما ذلك درس علم الطبيعة واستفتاح لباب السعادة وكأنه يقول لنا ها أنا ذا أيها المسلمون قبل أن أقوم لمحرابي أنظر في السماء ثم أنعبد لربي أي أعلم وأعمل فهو بهذا يرشدنا الى أن نعاود درس الفلك وعلوم الطبيعة ونتجه بالأفئدة الى الملا الأعلى بالعلم والحكمة

أولست ترى ذلك أشبه بالتحلية بعد التخلية يقول الله تعالى لرسوله - ان لك في النهار سمعاً حاضوا يلا - ويأمره بقيام الليل لنستعد النفس للاشراق ان العلم نهاية العقول البشرية والحكمة مرمى أولى الأبواب ألم نركب العلم بالطبيعة والرياضة من الحساب والهندسة والجبر عليها نظام الأمم وسعادتها والرياضة الفكرية فيها جنة الحكماء والعلماء . نينا صلى الله عليه وسلم ينظر في السماء ليستجلى الجمال والمؤمنون ينظرون في العوالم ثم يقولون - وتوفنا مع الأبرار - سعادات الأمم بالعلوم وسعادات الأفراد بالعلوم

وكانهم بعد أن أتوا دروس الاخلاق نالوا مراتب الاشراق . أولست ترى أن هذا الترتيب مقصود الوضع لقرأه ولعمل به وان غزوة أحلم تذكر ويعقبها العلم الالتهجي في الامرين تربية الأجسام ونظام العقول بالعلوم طنا جاء القرآن ﴿ خطاب الى علماء الاسلام في الارض ﴾

أيها العلماء أليس ما ذكرته الآن من النظام والحكمة والابداع من مقتضى البلاغة ثم ان البلاغة ليست قاصرة على الاساليب الكلامية ولقد عكف كثير من العلماء على الالفاظ نشرحوها وعلى الاساليب فبينوها وقالوا للشبان اعرفوا المعاني والبيان والبديع وكلام العرب تعرفوا بلاغة القرآن وهذا حق من وجه ولكن الوقوف عندهذا الحد جهالة عمياء وشبهة براء . القرآن يقوم قـبـاء لتربية الاجسام بالاشيـاب (تقوية الاجسام فتصير كالخشب متانة وقوة) ولتقوية العقول بالعضلات بالحرب والمدافعة والرياضة الجسمية ثم التحلي بالمعارف الطبيعية والفلكية حتى تستكمل الأفراد ويقوم النظام في الدولة فـقـرآن يكون ترتيبه على هذا النسق يدعو أتباعه لكمال الأجسام والعقول كما في قوله تعالى - وزاده بسطة في العلم والجسم - (وضع حد لماضي)

قولوا أيها العلماء لتلاميذكم ان القرآن جاء للقدوة ولا تقصروهم على دلالة الالفاظ بل انقلوهم منها الى المعاني . وبعبارة أصح مرتبوا أجسامهم عملاً وعتقوا عقولهم علماً خذوهم الى الحقول فأروهم نظام المزارع وبهجة الزهر وجمال الشجر . خذوهم الى الفلوات والجبال والخلوات وأروهم صنع ربهم . أيقظوهم في جوف الليل وصلوا معهم التمجيد وأروهم النجوم وشوقوهم لعلم الفلك ولا تعطوهم درسا فيه حتى يهشوا جمال النجوم ويطلبوا ذلك منكم طلبا حثيثا هذا هو دين الاسلام

لما كان الصحابة والتابعون يعرفون مغزاه على سبيل الاجال أطار نومهم وأيقظ أجفانهم فهجروا أوطانهم واستعدبوا العذاب وساروا في الأرض شرقا الى الصين وغربا الى أرض فرانس كل ذلك لأنهم كانوا يعرفون معنى القرآن وكانت بلاغته في نظرهم غير ما تدرسون فغاصوا على ابيه لاعلى الالفاظ

الان ترى الى قوله تعالى هنا - آيات لأولى الأبواب - والعلوم إما قشور وإما أبواب جمع لب هكذا العقول منها القشرية ومنها لينة وأكثر النفوس في الأمم الاسلامية تربت تربية لفظية والالفاظ قشور وقد آن أيها العلماء أن تروا الأبواب فتخطبوا الوجدان والعقل وليقف العلماء عندهذا الحد وليصلوا الحد بالحد

﴿ القرآن والبلاغة والمفسرون ﴾

ان دراسة القرآن في العصور الخالية كانت تكافية وقراءة سطحية وعلوما لفظية فعكف الناس على الالفاظ وكثر الحفظ وقل التفكير فجمدت القرائح وماتت العلوم لاسيما لما تولى أمر هذه الأمة الأمم الأعجمية الذين يجهلون العربية في القرون المتأخرة فطمست الحقائق ونامت البصائر وماتت النفوس وفرت العلم الى الغرب وخلي

الشرق قاعا صفا وصعيدا جزا

فلنجعل اليوم حدا بين الماضي والمستقبل وليفطن العلماء بعدنا الى ماذا كنا ولیدرسوا القرآن بنحو الأسلوب الذي ينهوا وليفتحوا للعاني بصائرهم وليضمو الى تربية الأجسام ترقية العقول . ان لم يفعلوا ذلك لم تعش الأمم الإسلامية قرنا واحدا بل تفنيتها الأمم الأجنبية
أيقظوا العقول أيها العلماء هاأنذا أقول نحن أمة عربية فلندرس القرآن الذي ورثناه درسا يناسب الجيل المقبل ولناخذ بأيدي أبنائنا الى مقام الكمال

﴿ لطائف في هذه الآيات ﴾

(اللطيفة الأولى) اختلاف الليل والنهار (اللطيفة الثانية) ربنا ما خلقت هذا باطلا (اللطيفة الثالثة) ربنا انك من تدخل المارق قد أخزيتهم وما للظالمين من أنصار مع قوله ولا تخزننا يوم القيامة
(اللطيفة الأولى)

هل لك أن أتحدث معك ساعة في اختلاف الليل والنهار وعجائب السموات والأرض بعدما قرأته في تفسير سورة البقرة من عجائب الليل والنهار في الأقطار الجنوبية والشمالية وطول النهار وقصره باعتبار الأقاليم . ففي هذا اليوم أحدثك حديثا آخر غير ما تقدم أتدرى فيما ذا . ذلك في حساب السنة الكبيسة والبسيطة وانما أردت ذكرها هنا لاختصارها خيفة التطويل ولأريك من جلال العلم والحكمة ولأعاود ذكرى جلال السماء كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعاود النظر كل ليلة ليبحث في الجلال . هاأنذا أعاد ذلك لأريك لب العلم ولأنك من أولى الأبواب بدليل سيرك في هذه المقالات مع تشابه القلوب وتجاذب النفوس وتعاشق الافئدة فلا زدك علما ليكون مفتاحا لسعادتك ونبراسا لرقيك في مستقبل حياتك وليجعل لك لاهدا في طلب العلوم ولتكون نورا وسعادة لبلادك ولعولتك ولا تفكلك في ذلك على أبناء جفيسك بل ساعد أيديك الله على ارتقاء نوع الانسان وانشر العلم ليحصلوه فان حال الامية يستوجب البكاء بالدمع فامد يدك لتتعاون على انقاذهم من هاروة الشقاء في بلاد أفريقيا وآسيا فان الفرنجة أدلوهم ليكون هذا مقصد حيتك وصرى آمالك لتكون من خلفاء الله المصالحين واعلم أنك مسئول كما أنى مسئول فسرهم وانشر العلم بين أمتك واحفظ الودعة التي استودعتمها والأمانة التي اؤتمنت عليها وأدّها الى أهلها وهاأنذا أدلى اليك بمسألة الحساب السنوي وبالكلام على الليل والنهار وعلى الفصول الفلكية وعلى نبذة لطيفة من عجائب الأرضية . ولأبدأ بالكلام على الحساب السنوي فأقول

﴿ السنين الكبيسة والبسيطة ونظام أوائل الشهور والسنين العربية ﴾

ان لها أدوارا كبيرة وأخرى صغيرة وكل دور من الأدوار الكبيرة تابع لما قبله بلا دخل في السير ولا خطر في النظام ان السنة الحسابية (٣٥٤) يوما وخمس و سدرس يوم والدور الصغير (٣٥) سنة والدور الكبير (٢١٠) من ضرب (٣٥ في ٧) ويام السنة البسيطة (٣٥٤) يوما لأن الكسر اذا نقص عن النصف ألغى في الحساب التقريبي والسنة الكبيسة (٣٥٥) يوما كما زاد عن النصف من الكسر والكبيسة من الكبس وهو الجمع فاذا أردت معرفة أول سنة من السنين الهجرية فأسقط التاريخ العربي التام (٢١٠) مرة بعد أخرى ولا تخلوا الحال بعد ذلك الاسقاط فاما ان لا يبقى شيء واما أن يبقى أقل من ثلاثين واما أن يبقى ثلاثون فما أكثر فان لم يبق شيء وهي الحال الاولى فان أول السنة التي بعدها يوم الخميس وهو أول التاريخ كما في سنة ١٢٦١ لانها مقسومة على (٢١٠) غير السنة المطلوبة

وان زادت عن ذلك وهي الحال الثانية فليمر بما زاد على هذا البيت

كف الخليل كفه ديانته * عن كل شيء حبه فصانه

(أو هذا البيت) ان رمت مجدافا لترقد دجا أبدا * خوف الفوات لما ترجو من الشرف

والمطلوب ٣٠ حرفاً منها ١٩ حرفاً مهملة و ١١ حرفاً معجمة فالخروف المعجمة تقابل السنين الكبيرة والمهملة تقابل البسيطة ففي كل دور من الادوار الصغيرة ١٩ بسيطة و ١١ كبيرة لان الخمس والستس الذي يهمل في حساب البسيطة ويجبر في حساب الكبيرة يجمع في ٣٠ سنة ١١ يوما فالثلاثون مركبة من عددتين في هذا المقام أوليان أعني لا يقبلان القسمة كما في علم خواص الاعداد وهما ١١ و ١٩

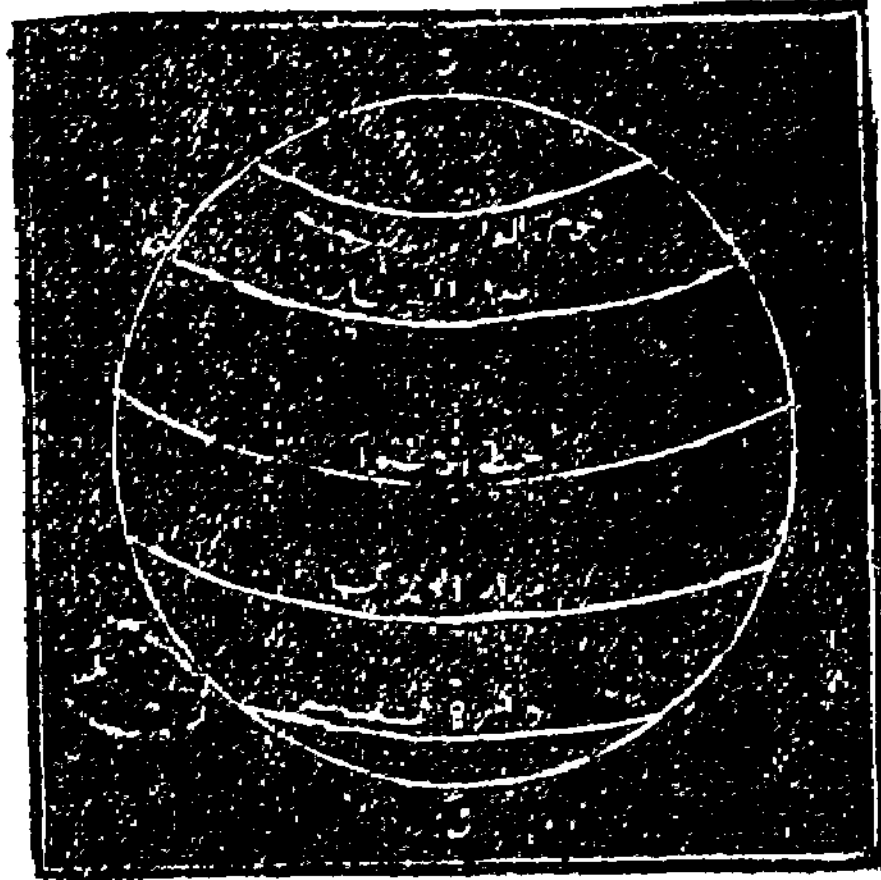
فاذا مررت بالباقي بعد اسقاط التاريخ على هذا البيت ووصلت الى حرف منه مثل الكاف في كفه مثلا وهو التاسع فاجعل لكل سنة بسيطة ٤ ولكل كبيرة ٥ واجمع الحاصلين وزد على الحاصل واحدا دائما واقسم المجموع على سبعة وما بقى فابتدى به من يوم الخميس

الحالة الثالثة أن يكون العدد (٣٠) فأكثر فاجعل لكل دور صغير (٥) ثم افعل بما هو أقل من ٣٠ ما فعلته في الحال الثانية وضم واحدا أبدا واجمع تلك الحواصل واقسمها على سبعة وما بقى ابتدى به من يوم الخميس فيكون مثلاً سنة ١٣٣٩ بقسمة ما قبلها على عدد (٢١٠) يكون الباقي ٧٨ منها ٣٠ في ٢ وهذا دوران صغيران نضربهما في ٥ تساوي ١٠ وهذا حاصل أول والباقي بعدهما ١٨ فيها سبع سنين كبيرة و (١١) بسيطة و ٧ في ٥ تساوي ٣٥ و ١١ في ٤ تساوي ٤٤ و يضمهما الى (١٠) يكون المجموع ٨٩ فضم اليه واحدا لاجل السنة المطلوبة يكون المجموع ٩٠ فقسمة على ٧ يكون الباقي ٦ نبدأ به من يوم الخميس يكون أول السنة يوم الثلاثاء فنظرناه في النتائج المصرية فوجدناه كذلك وهكذا اذا فعل مثل ذلك سنة تأليف هذا التفسير أي سنة ١٣٤٢ وجدنا أول السنة يوم الاثنين لان الباقي خمسة نظرنا في النتائج المصرية فوجدنا أول السنة يوم الثلاثاء فالفرق يوم واحد بحثنا فوجدنا ان الاطلال مكث بعد الغروب ٤٩ دقيقة وهذا دليل على ان اجتماع النيرين كان في ليلة الاثنين حتما لان القمر يتأخر كل ليلة ستة أسابيع الساعة فالشهر الحقيقي أوله يوم الاثنين والشرعي يوم الثلاثاء فانظر الى هذه القاعدة التقريبية كيف وافقت الجداول التي استخرجت من الزيجات وتعجب كيف كانت الادوار الصغيرة والكبيرة لا تختل أمد الدهر في الماضي والحال والمستقبل فهي كالكسرات الاعشاري الدائر فكل سنة من الدور الكبير تطابق نظائرها من الادوار التي قبلها والتي بعدها في الايام فوجدنا سنة تأليف هذا الكتاب تطابق نظيرتها في الدور المقبل بعد (٢١٠) سنة ١٥٥٢ فان القاعدة تقتضي أن يكون أولها يوم الاثنين تحقيقا ويوم الثلاثاء شرعيا

فانظر اختلاف الليل والنهار والسنين القمرية والشمسية وتقلب الاحوال كيف كانت منظمة لا خلل فيها - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - أي تناقض واختلال - والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم -

﴿ الكلام على الليل والنهار ﴾

(١) النهار هو الزمن الذي يمضي من شروق مركز قرص الشمس من الأفق الحقيقي الى غروبه بالأفق المذكور
(٢) تغيرات مدة اليوم - المناطق الأرضية مدة النهار ومدة الليل - تتغير في المحل الواحد وفي العرض الواحد لتغير الوقت من السنة ولهذا التغيرات نهاية عظمى ونهاية صغرى من ستة أشهر الى صفر كما تقدم في سورة البقرة ولما كانت مدة الليل والنهار تنقسم الأرض بالنسبة لها الى خمس مناطق ينفصل بعضها عن بعض بالمدارين وبالدائرتين القطبيتين وجب أن نرسمها هنا اذا أغفلنا الرسم في سورة البقرة فهالك شكلها



شكل ٧

فالمنطقة الاولى المدارية بحدها من الشمال مدار السرطان وعرضه ٢٧ ثانية و ٢٣ درجة عرضا شماليا ومن الجنوب مدار الجدي وعرضه ٢٧ ثانية و ٢٣ درجة عرضا جنوبيا ويقسمها خط الاستواء الى قسمين متساويين وتسمى المنطقة الحارة أو المدارية

والمنطقة الثانية المنطقة المعتدلة الشمالية وهي المحصورة بين مدار السرطان والدائرة القطبية الشمالية ٣٣ دقيقة و ٢٦ درجة الثالثة المنطقة المعتدلة الجنوبية وهي المحصورة بين مدار الجدي والدائرة القطبية الجنوبية ٣٣ دقيقة و ٢٦ درجة . الرابعة والخامسة المنطقة المنجمدة الشمالية والمنطقة المنجمدة الجنوبية وهما المحصورتان بين القطبين والدائرتين القطبيتين فالمنطقة الحارة والمنطقتان المعتدلتان فيها جميع النقط الأرضية التي فيها مجموع مدتي النهار والليل ٢٤ ساعة . وأما المنطقتان المنجمدتان فتشتملان على النقط التي فيها مجموع مدتي الليل والنهار يزيد عن ٢٤ ساعة ويبلغ سنة كاملة ويمكنك معرفة ذلك بالتفصيل في الجدول المذكور في سورة البقرة

﴿ الكلام على الفصول الفلكية ﴾

تنقسم السنة الى أربعة فصول يحدها الاعتدالان والمنقلبان وهي الربيع ويبتدىء من الاعتدال الربيعي وينتهي بالمنقلب الصيفي والصيف ويبتدىء من المنقلب الصيفي وينتهي بالاعتدال الخريفي والخريف ويبتدىء من الاعتدال الخريفي وينتهي بالمنقلب الشتوي والشتاء ويبتدىء من المنقلب الشتوي وينتهي بالاعتدال الربيعي

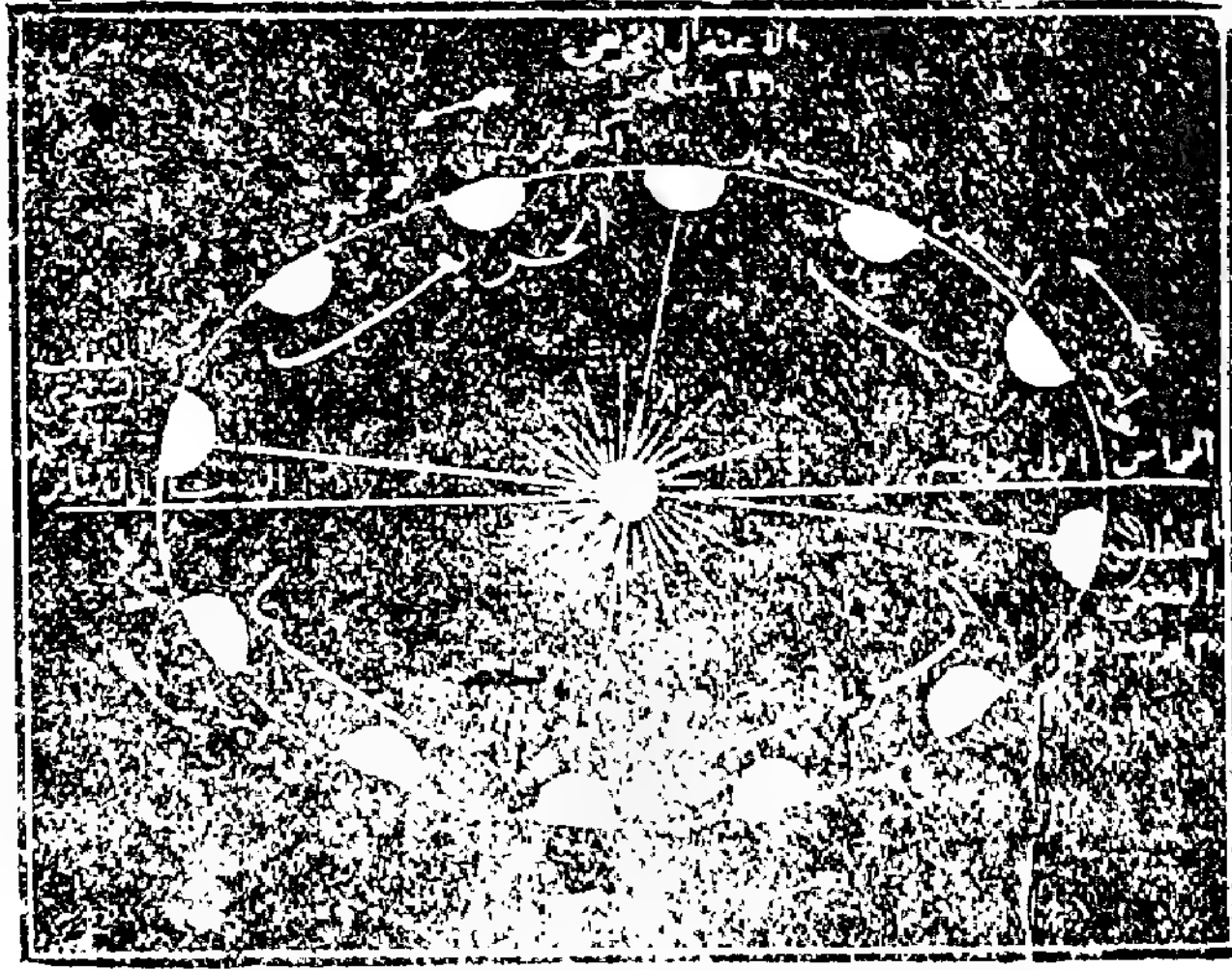
﴿ هذه أوائل الفصول على وجه التقريب وهي تختلف من سنة الى أخرى اختلافا يسيرا جدا ﴾

أول فصل الربيع ١٩ مارس - أول فصل الصيف ٢٠ يونيو - أول فصل الخريف ٢٢ سبتمبر
أول فصل الشتاء ٢٠ ديسمبر

مدة الربيع تقريبا ٢٠ ساعة و ١٩ دقيقة ٩٢ يوم - مدة الصيف تقريبا ٨ ساعات و ٤٤ دقيقة

٩٣ يوم - مدة الخريف تقريبا ١٨ ساعة و ٩ دقائق ٨٩ يوم - مدة الشتاء تقريبا ٤٨ دقيقة ٨٩ يوم

أنظر هذا الشكل تعرف به اتقال الأرض حول الشمس وترتيب الفصول بالنسبة لبعضها



شكل ٨

في بعض أرقام أوائل الفصول في هذا الرسم ما يخالف تقدم ذلك لأنها تختلف من سنة إلى سنة في حدود دقيقة جداً كما قدمنا أيها الذكي تأمل فيما ذكرته لك من علم الفلك إن عادة الناس غالباً أن يقرؤا في الآيات القرآنية الخاصة بالأحكام وهي قليلة جداً اختلاف الأئمة رضي الله عنهم في المسائل ثم اذ ذكروها يقولون وتفصيل هذه المسائل في كتب الفقه فيحيون قارئ التفسير على كتب الفقه ولقد أحسنوا لأن التفسير للإجمال لا لدرس الفروع ومن العجب أن لا تكون العناية موجهة بهمة أشد إلا إلى علم الفقه وهذا هو الخطأ العظيم والداهية الفاصمة التي حلت بالأم الإسلامية فمن أين جاء هذا الخطب للإسلام اللهم إن كل العلوم مطلوبة فهي جميعها فرض كفاية وإن العلوم التي يظهر بها آثار جلال الله وحكمه لاغنى للناس عنها بل تركها أضرباً بأمّة الإسلام فلماذا لا يذكر الإجمال لجميع العلوم في التفسير ويحال القارئ على كتب تلك العلوم فيقال في قوله تعالى - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولى الأبصار -

أنظر ما هنا وأرجع إلى التفصيل في علم الفلك الذي هو من فروض الكفاية في علوم الدين وأنه يجب أن تقوم حكومات الإسلام بتخصيص طائفة لهذا العلم واحضار جميع الآلات والمراد لهم حتى يرجع المجد القديم وحتى تقوم بواجبنا في هذا العلم كما نفعل ذلك في سائر العلوم لافي الفقه وحده فإن القرآن قد شوق إلى علوم الفلك والطبيعة تشويقاً كثيراً بآيات كثيرة

﴿ نبذة في عجائب الأرض ﴾

عانت إذا اطلعت على بعض الجمل في حساب السنين وكيف كانت لها مقادير محصورة بجداول منظمة والقاعدة التي ذكرناها في أوائلها تنطبق على كل زمان وإن كانت تقريبية فيها أنا إذا ذكر لك نبذة لطيفة من عجائب الأرض التي لا تنتهي وأقتصر على مادة لا يعبأ بها الناس لأنها مبذولة لهم في كل مكان يأكلها الغني والفقير والعالم والجاهل والفاسق والصالح كأنهم يأكلون ولا يعلمون ويضعونها في طعامهم وهم لا يدرسون فكأن الناس في هذا العالم مغمورون في الانغاز محبوسون في الاقفاص أو يأكلون وهم مغمضون وكأننا في هذه الأرض نيام وكأن جبال هذه العوالم لا تظهر لنا إلا إذا فارقنا هذه الحياة ولعل الأمم الإسلامية ستستيقظ لذلك قريباً فيرون النور ويشاهدون الكتاب المسطور في رق هذا العالم المنثور ويدركون سر ما يأكلون وما يشربون وهم غافلون لعمري لم يحوجنا الله للطعام وللشراب ولللباس إلا ليوقظنا إلى ما حولنا فنعلمه والا فأن الله يرزق الدود بلا نصب ولا تعب الكرامته ولا منتهانا كدليل الله كرم الإنسان وتكريمه أن يطلع على عجائب هذه الدنيا وهو خلق جهولاً فلا بد له من وازع يزعه وقاهر يقهره ومسيطر يجبره وما ذلك إلا أن تكثر حاجاته

ومطالبه فيستحث الركاب للطلب فيبيناهو يجدل البطن طعاما وشرابا اذا هو قد ملأ عقله من عجائب الحكمة
وبدائع الخلقة

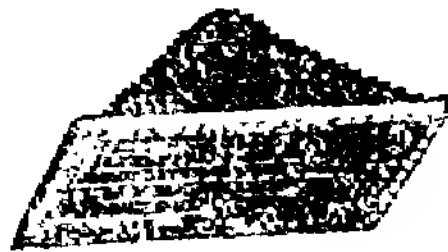
هذا خلقك الله أيها الذكي والاف بالله قل لي فكر في نفسك ما فائدة وجودنا وأي فارقة بين الحيوان والانسان
كلاهما يأكل وأحدهما موفر الغذاء والآخر كتب عليه الجد والنصب لماذا هذا كله ذلك لعناية الله بالانسان ولما
كان المسلمون معرضين عن هذا الجال في القرون الاخيرة فمن عناية الله بهم وحبهم له وأنه يريد أن يرقهم سريعا
أرسل الفرنجة علينا لما ذاح ليوقفوننا فانا تركنا مواهبنا فاذا كانت أغذية الحيوان موفرة أكثر من أغذية
الانسان وكان ذلك عناية بالانسان ورحمة به ليتعلم فهكذا تكون الارزاء المسلمة على أمم الشرق ومنهم المسلمون
من الامم الفرنجية لم تكن الا للعناية بهم ليوقفهم الله حتى يتأملوا في كل شيء فيعلموا أنهم مغمورون في وسط النور
والجمال وهم لا يعلمون . أتدري ماهي المادة التي أنبأتك بها هي

﴿ ملح الطعام ﴾

أنا قلت لك اننا نأكله وقلت لك اننا لانعرف ما فيه من الحكمة والجمال والعلم والبهجة والنور . هذه المادة
تسمى في علم الكيمياء (كلورور الصوديوم) وقد يضعها الطبيب في مذكرته بهذا الاسم فهل تدري ما معنى
(كلورور الصوديوم) ربما كنت قرأته في المدارس ولكن قارى هذا العلم بمر عليه ضرورا كثيرا المسلمين على آيات
القرآن لا ينظر الى الجال الذي ستراه . سمي الملح بذلك لأنه مركب من عنصرين الكلور والصوديوم أما الكلور فهو
جسم غازي لونه أصفر مخضر أثقل من الهواء يؤثر تأثيرا كبيرا في أعضاء النفس فيحدث سعالا ونهيبا في الأغشية
المخاطية واذا استمرت تأثيره أحدث الموت

وأما الصوديوم فهو فلز لين ذولعان فضي اذا ألقيته في الماء اصطهر فيه وتحرك بعضه على بعض فوق سطح الماء
وينتهي بفرقة واذا ألقيته في الماء المسخن فان حرارة الصوديوم تحدث التهابا في الايدروجين فياتهب لهبا أصفر
هذان العنصران هما اللذان تركب منهما الملح فاحدهما يحدث أثرا في الرئة وما والاها وينتهي بالموت وثانيهما
يلتهب في الماء فهذان الجوهران المزعجان هما نفس الملح الذي نأكله وهذا الملح قسمان قسم في ماء البحار بنسب
مختلفة ويستخرج بالتصعيد في الملاحات المعروفة كما في الاسكندرية ورشيد ودمياط والبرلس بمصر فيترك ماء
البحر في حوض مدة الى أن يروق ثم ينقل لغيره ويرسب الملح فيرفع ويجف

وقسم هو الملح الجبلي فيستخرج من أما كنه كما تستخرج الاحجار ونارة يستخرج بتوجيه المياه في دهايز متسعة
مدة حتى يؤثر الماء في كثلة الملح ثم تنقل بواسطة آلات الى قدور من الصاج وتصفى فيها وهذا الملح هو الذي قصدنا أن
نبحث في عجائبه انه قد يكون ملوثا بالصفرة أو السمرة بسبب مواد غريبة ضارة واذن لا يعرض للبيع الا بعد تبلوره
وخلوصه من المواد الغريبة أتدري ما عجائبه التي شوقتك اليها ذلك انه يكون عبارة عن أجسام صغيرة مكعبة وهذه
المكعبات باجتماعها والتصاق بعضها ببعض تترك هرا مجوقا بديع النظام فانظر كيف كانت تلك الاجسام الصغيرة
مكعبة وكيف بنى بعضها على بعض فاصبحت هرا ولم تكون هذه قاعدة مطردة فيه وهل هذا وأمثاله هو الذي علم
المصريين بناء الهرم الاكبر حتى جعلوه أصلا للكايل المصرية والموازين وجعلوه على نمط الدائرة الفلكية
واستخرجوا منه الذراع البلدي والرطل والارنب كما ستقرؤه في سورة الرحمن عند قوله تعالى - والسماء رفعها
ووضع الميزان - ثم أي حكمة جعلت اجتماع هذين الجسمين الضارين بالانسان نافعا للانسان محدثا أجل بنيان وأبدع
نظام وأجل أشكال ذلك كله في الملح الذي نأكله أفلمست ترى هذا عجيبا وهذه صورة الشكل المذكور الهرمي



شكل ٩

وسترى في سورة الشعراء ان شاء الله صورة الزهرة مرسومة وكيف كانت باختلاف أوضاعها وأشكالها قد استخرج منها العلماء رتب النباتات كلها البالغة مثات الألوف مع اننا نتمتع بمنظرها وبرائحتها ولا علم لنا بأنها مفتاح علوم النبات فسترى هناك ان شاء الله العجب العجيب وبعضه يأتي في سورة الأنعام انتهى الكلام على اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية - ربنا ما خلقت هذا باطلا ﴾

هذه الآية ليس يدرك حقائقها إلا من اطلع على علم الطبيعة وعلم الفلك - ولكن أكثر الناس لا يعلمون - يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن عقولهم معرضون -

ولكن لأقص عليك من العجائب الدالة على النظام جلاليه ولعمري ان هذا العلم غاية علم العلماء ونهاية حكمة الحكماء ولكن لست أتعقق فيما صعب من العلوم الطبيعية بل أقص عليك نبأ ما تراه حولك أو تعرفه في نفسك

(١) أنت ترى الدجاج والبط والأوز ترى هذه الحيوانات داجنة في بيوتنا وترى الدجاجة والبط والاوزة يبضن ويققسن ويربين أولادهن وترى الديك ونظائره في الأوز والبط لا يتعرف بأبنائه ولا يتحنن عليهن ولا يبالي بتعليمهن فلم هذا ذلك لأن الفرخ اذا خرج من البيض نراه كامل الزغب وموفر القوة يجري وراء أمه كأنه كان حيا بالأمس (٢) وترى على تقيض ذلك الحمام يساعد ذكره أنثاه في تربية صغارها فلم حصل التباين بين ذكرانها ما السبب السبب ان أفراخ الحمام ضعاف ليس عليهن وقاية تقيهن فان أفراخه تخرج ليس عليها ريش ثم يخرج بعد أيام فلزم معاونته الذكر لئلا تنبت فتعجب (٣) وترى ان النمل والنحل اللذين جرت العادة لهما لا يموتان زمن الشتاء ألهما أن يجمعا القوت ويدخره (٤) فأما الزناير الحمر والسود والصفرة والجراد وأضرابها فانها لما جرت العادة انها لا تعيش سنة كاملة لم تلهم الجمع والادخار بل تركت وشأنها فان الزناير بأنواعها الثلاثة زمن الشتاء تسكن في أماكن نائمة بلا أكل ولا شرب حتى اذا جاء فصل الربيع استيقظت من مرادها وقامت مرة أخرى فأما الجراد فانها بعد وضع بيضها في أرض صالحة له تتقاذفها حوادث الجوع والبرد ولو اذاع الحر فيموت ويبقى البيض في الأرض مدفونا حتى اذا جاء فصل الربيع فقص في الوقت المعلوم وقام كما كان أبواه (٥) ترى الجمجمة الانسانية مركبة من سبعة عظام فواحدة هي قاعدة وهي عظم صلب يحمل سائر العظام وأربعة جدران أحدها عظم الجبهة متمد من طرف القحف الى آخر الحاجب والثاني مقابله مؤخرها وهو أصلب الجدران والآخرا منة ويسرة وفيهما الأذنان وعلى هذه الأربع القحف كالسقف للدماغ وهو عظمان وشكل كل منهما مستدير وقد اتصلت هذه العظام بالشؤون جمع شأن تشبه لسان المنشار دخل بعضها في بعض وأحد الشؤون تراه في مقدم الرأس عند الجبهة ويسمى الاكليل لأنه في موضع الاكليل ويسمى المستقيم فتكون صورته هكذا) --- (وانما تعددت هذه العظام في الرأس لأنها لو كانت عظما واحدا لكانت اذا حل بأحدها كسر اختل العضو بتمامه فأما الآن فان الخلل لا يجاوز موضعه فيمكن علاجه

(٦) أقول أعد نظرا في العين المذكورة أول السورة وتأمل في ان الزجاج الذي يستعمله الناس ويتفخعون به انما هو مواد رملية قد مزجت بالقليل وبالمنيسيا حتى صارت شفاقة تستقبل ضوء الشمس ولا تحجب به فهي كالهواء فالهواء الجوي شفاف والماء شفاف والزجاج شفاف والماس شفاف وهذه كلها لا تحجب ضوء الشمس عما وراءها فتعجب كيف كان الرمل المذكور أو ما يقوم مقامه قد دخل في النبات والحب وسائر ما نأكله بطرق مختلفة فتناولته أعضاؤنا الهاضمة وسرى في العروق والشرابين وأخذت القوى التي في داخل أجسامنا تصطفها وتلتقطها من الدم الجاري في العروق وتؤديها الى العين فتضع في معملها ما هو كالزجاج الشفاف منوعا بأنواع ثلاثة تقدمت لتسا كل الهواء الحامل للضوء الجاري من الكواكب الحامل للصور والأشباح والألوان الداخل من غطاء العين المسمى بالقرنية التي هي كالقرن الأبيض وهي شفاقة كالهواء ثم يدخل على تلك الصور الزجاجية الثلاثة فتعجب معي وقل لي رعاك الله كيف اتفق ان كان الهواء شفافا والقرنية والبيضية والجليدية والزجاجية وكيف اتخبت المادة الزجاجية لتوضع في العين وكيف

جعلت مناسبة الوضع والحجم لرسم الصور فيها بحيث تكون الجليدية محدبة لوجهين لترسم الصور عليها وافقة لما تقرر في علم المناظر قديما وفي علم الطبيعة حديثا هل كان كده اتفاقا أما أنا فأقول كلا فهل أنت معي وأنا لم أخاطبك إلا أن الابل العقل والفهم ووكالت الفهم لعقلك. أولست ترى أن هذا الوضع لم يكن عبثا وباطلا ولغو ابل كل ذلك قد عرفت أنه نتيجة ظاهرة واضحة ولكن أكثر الناس من العامة وصغار أهل العلم ينظرون ولا ينظرون ويقرؤون وهم نائمون من هنا فلتفهم - ربنا ما خلقت هذا باطلا - ومن هنا يكون علم التوحيد ومن هنا يفهم القرآن فأما ما عدا ذلك فأنما يتسلى به الجاهلون ويفرح به الغافلون (٧) تأمل في فقرات الظهر وادرس فقرة واحدة منها فانك تجد عليها أربعة أشياء غشاء غضروفيا يغشيها وشوكة ثابتة من خلفها وجناحين من يمينها ويسارها أما الغشاء الغضروفي (أي الذي هو أصلب من اللحم وأسهل من العظم) فلاجل أن لا تنكسر بسهولة عند مصادمتها وأما الشوكة من خلفها فلتكون وقاية لها بارزة كالجن تتلقى بها الصدمات فلا تضر لها وأما الجناحان فانهم ممدخل لرؤس الأضلاع وتقي الفقرات من جوانبها كما أن الشوكة تقيها من ورائها

أفلا تكفيك دراسة الفقرة ودراسة العين حتى تعرف - ربنا ما خلقت هذا باطلا - هذا هو مقصود القرآن ولهذا أنزل القرآن وبهذا يرتقي المسلمون ويهدأ يكونون خير أمة أخرجت للناس انتهى الكلام على اللطيفة الثانية

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

(في قوله تعالى سبحانه فقنا عذاب النار وقوله تعالى ولا تحزن يا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد)

(وقوله تعالى انك من تدخل النار فقد أخزيته)

لقد كان من عادتي أن أجعل القول محاور في الأمور العظيمة العلمية بيني وبين صديق تسهيلات للفهم ولكني الآن أخالف هذه الطريقة لأحادثك أنت

أريد أن أحادثك دقائق على شريطة أن تخلي بيني وبين قلبك لأجاذبه الحديث فدع عنك كل ما علق به من الآراء التي سمعتها بلاروية ولا تحقيق وارفع الحجب المسدولة والاستار المنصوبة لئلا تحول بيني وبين صفاء قلبك ونور عقلك المرسل من الله اليك فهو هو الذي سيفهم ما أقول الآن فهل فهمت صفاء العين وجهاها في النبذة المتقدمة فاعلم أن عقلك أصفى من عينك العين جسم والنفس غير جسم فهي أجمل وأقبل للعلم لعلك الآن استعددت لسماع قولي فاقول

خذ العلم مما حولك في دارك وجارك وأهل بلدتك خذ مما تراه وتسمعه كل يوم وانظر أيها الذكي أليست ترى أن في الناس حياء يوليهم ذلة وانكسارا وخجلا عند وقوع الامر الذي يورثهم الفضيحة والعار ولا ضرب لك مثلا بالملوك والممالك أولا والسوقة ثانيا والفتيات ثالثا

(١) لقد تعلم أن الدول اذا اهيئ سفيرها في ممالك أخرى أو تاجر من تجارها تعلن الحرب على المهينين لها وقد يكون ذلك خرابا عليها ودمارا لماذا لأنها تأتي أن تفتضح ويقال قدمت بالسوء فرضيت ولست أطيل في الامثال على ذلك فانت تراه وتسمعه كل يوم (٢) ولقد تعلم أن في دول الغرب عادات المبارزة وماهى المبارزة أن يذم زيد عمره فيقول عمرو لزيد لماذا أهنتني لابد أن تبارزني فيتفقا على موعد وكل منهما يحمل سلاحا مثل ماعع الآخر والطبيب حاضر والشهود واقفون ويتبارزان بالسلاح ومتى جرح أحدهما أو مات قضى الامر وانتهى بسلام فان جرح ولم يمض قام وصافح عدوه الذي كان ينازله وحفظ شرفه واذا لم يبارز أصبح مهينا عند قومه فلا يجالسه أصدقاؤه ولا يحبسه الاولياء ولا يأبى به أحد بل يصبح طريدا شريدا ذليلا ولذلك يفضل أن يبارز الذي أهانه ولو كان ذلك الاخر أقوى جسما وأقدر على استعمال السلاح منه لأنه يرى أن الموت أو الجرح أفضل من الذلة والعار وانكسار النفس (٣) وهكذا ترى أن الفتيات في غالب الام اذا أشعرن بخلل في عرضهن أو زلل في سيرتهن اعتراهن من الحزن والألم مالا آخره فيقدمن أنفسهن للموت فائلات الموت خير من العار وتأمل قول السيدة مريم - يا ليتني مت قبل هذا

وكنت نسيانسيا - وهكذا ترى هذا النوع الانساني يسمى كله في كل زمان للشرف ورفعة النفس بين الناس هذا مغروس في الفطر مكتوب في الطبيعة الانسانية بحروف بارزة

أفلمت ترى من هذا وغيره ان الناس جميعا يحافظون على الشرف ويخفون الفضيحة وكشف السر وإذاعة السوء عنهم وان النفوس الشريفة تأبى الذلة وتقدم أجسامها قربانا لذلك انقام الجليل مقام الشرف والكرامة . وان الناس أكثرهم يقولون كما تقول العامة في بلادنا (النار ولا العار) فأحط الناس منزلة كرفعهم مقام متفقون في تلك الفطرة ولقد سمعنا أن التعاشي لما قدم على بلدة من السودان وقد أمر الرجال أن يتنحوا عن نسائهم ليدخل بعسكره الى النساء فيه وكان جعه عظيما ورجال البلدة قليل فإذا فعلوا تقدم الرجال للحرب فأتوا أما الفتيات الأبقار فانهن أخذن بأيدي بعضهن صفوا واحدا وتزأن في نهر النيل ومتم غرقا وهن في ذلك أشرف من (كبلو بتره) التي قالت يدي لا ييدهم لأن كبلو بتره قالت ذلك لما علمت أن عدوها سيقتلها ولوعلمت أنه سيستحيها ويتعشقها كالقائد الذي كان معها من الرومانيين لرضيت وقبلت أما هؤلاء الفتيات السودانيات فانهن علمن أن العدو سيستحيهن ويقضي على عفتهم ففضلن الموت ولست أطيل في ذلك فالشرق أقوى حبا للشهامة وأكثر غراما بالشرف من الغرب وكأهم على الشرف والكرامة متفقون

أفلمت من هذا تفهم معنى هذه الآية ولما إذا ذكرت هنا بعد خلق السموات والارض والتفكر فيهما وأي مناسبة بين نارجهن وبين الخزي والفضيحة والعار انه يبدو للتأمل أول وهلة أن لا مناسبة بينهما فاصغ لما أقول السمع واخل الحجب والاستار مزاحة عن القلب دقائق حتى تفهم الآية من هذه الطبائع الانسانية ان الامور التي تشين الناس ترجع الى أمور يستنكرها العرف كهتك الاعراض ونهب الاموال وما أشبه ذلك وهذه معروفة مقررة بين الناس ومع ذلك تختلف باختلاف الازمنة والامكنة والامم فانك ترى الافرنجي يجالس امرأة غيره في غيبته وحضوره ولا يجد زوجها في نفسه حرجا من ذلك لأن العادة هي التي أطلقته ولو فعل شرقي في بعض الاحوال كذلك لعد ذلك ماسا بكرامته وهكذا عادة الرقص مع الابانب يستنكرها الشرقي ولا يستنكرها الغربي وهكذا وانما الامر الذي يتعالى على جميع العادات وتألفه جميع النفوس انما هو العلم فقل لي رعاك الله أي امرئ لا يحب العلم أولست ترى ان المتوحش والغبى وأجهل الجهلاء يفرحون بالخرافات والاحاديث عن العفاريات والجان ويعنون بالاقوال ذات المعاني المناسبة لأذواقهم أولست ترى ان كل أمة عندها دين يقرؤه جهالهم فيفرحون بذلك أشياءهم وأنبيائهم وبكل خرافة يوردها الشيوخ الجاهلون وقد جوهها لذلك الدين ظلما وزورا والناس بصدق الاحاديث وكذبها فرحون مستبشرون فهل ترى الناس اتفقوا على شيء أكثر من اتفاقهم على استحسان العلم انهم في عادتهم مختلفون - وكل حزب بما لديهم فرحون - أما القوى العاقلة فانها تحب المعارف والصور التي ترسم في أذهانهم حقا أو باطلا كما أن المعدة تهوى الطعام ضارته ونافعه والعالم بقانون الصحة يجتنب الضار وهكذا المتعلمون المفكرون يستمعون القول فيتبعون أحسنه كما اجتنب أولئك الاغذية الضارة فأكلوا أصحها

أفلمت ترى بعد هذا البيان ان الخزي والفضيحة والعار في جهل الناس أشد وأقوى من انكشاف العورات الجسمية وظهور السوات الطبيعية لأن السوات الطبيعية كالاعراض قد اختلفت فيها الاوساط ونوعت أما العلم والمعرفة فقد اتفقت عليها الفطر ولم نر أحدا من الناس الا وهو يأف أن ينسب الى الجهل ويود أن ينسب للعلم وكأن الفطر قد غرس فيها ان النفوس تموت بجهلها كما ماتت الاجسام بمنع أغذيتها وكما ان المعدة اذا خلت من الطعام مدة معلومة فميت الأجسام هكذا النفس الانسانية اذا خلت من أغذيتها بالصور التي تحمل فيها فانها تكون ميتة لا محالة معدودة في ذوى الجهالة فتلخص من هذا (١) ان الناس مفعطرون على الشرف والحرص على العرض والكرامة (٢) الملوك والدول يقدمون أموالهم ورجالهم لحفظ الكرامة (٣) الرجال والنساء في الأمم الغربية يفضلون الموت والجرح على العار (٤) أهل الشرق وأخسهم درجة وأدناهم مرتبة أشد حرصا على العرض والشرف من بعض

أهل الغرب (٥) العادات مختلفات في ذلك وتكون المحافظة على مقتضى الاصطلاح في البيئة (٦) كل امرئ يحب العلم أي الصور التي ترسم في الذهن حقا أو باطلا وهي كالأغذية الضارة والنافعة تقبلها المعدة (٧) إن كل امرئ يأثم من الجهل إذا نسب إليه (٨) إن العلم أقوى ما يرغبه الناس فالفضيحة في الجهل أشد من الفضيحة في سواه لاتفاق الفطر على استحسان العلم بين الناس (٩) فلنعمهم إذن قوله تعالى هنا - فقنا عذاب النار - وقوله تعالى - أنك من تدخل النار فقد أخرجته - وفي آية أخرى يقول - عذاب الخزي في الحياة الدنيا وللعذاب الآخرة أجزى وهم لا ينصرون -

فالخزي من معانيه الافتضاح وهذا المعنى هو الشائع اليوم على ألسنة أبناء العرب في مصر وفي سائر البلاد العربية وهو ظاهر في قوله تعالى - من قبل أن نذل ونخزى - فالخزي راجع للعار والافتضاح وهتك السر وهذا هو الذل الأعظم لاسيما في العرف العربي وقد كان العرب أشد الأمم خوفا من الخزي وهو مشهور ولا يزال معروفا اليوم فالرجل يقدم للضيف في البادية كل ما يملك وأبناء وحياء فلا تطيل به

فها هنا لما ذكر الله تعالى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار وإن الناس يحب أن يذكروا الله في كل الأحوال ليبتلوا من صنعته صور العلم والحكمة ويتفكروا في خلق السموات والأرض فإذا قرؤا منه مثل ما كتبنا اليوم من عالم الأرض والسماء في هذه الآيات ينحجلون من نفوسهم ويحزنون ويكفون على عقولهم التي ضيعوها ويقولون ربنا لقد ظهر لنا ما درسناه أن هذا العالم منظم ولم نجد فيما درسناه مخلوقا عبثا حتى إن الفقرة التي هي إحدى فقرات ظهورنا وجدنا فيها كل شوك الحكمة وكل جناح الحكمة وغطاؤها للنخاع الذي هو داخلها لحكمة فإنه يغنيها وله حكم أخرى فواخجلنا أن نعيش في الدنيا ونموت ونحن نجعل ما بين أيدينا وأيدي عار أعظم من أن نعيش ونحن نجعل أنفسنا وأجسامنا وما حولنا من نبات وحيوان وما فوقنا من سموات وما تحتنا من أرضين ﴿سبحانك﴾ أنت يا الله منزّه عن هذه المادة رقيق فأنك تعلم كل شيء وملاستنا للمادة وشهواتها سترت العلم عنا فغاب ولم نعرف بدائع الحكم فأثر بصائرنا وعرفنا أنفسنا وما حولنا فإن الجهل خزي وعار والذمار المشهورة أسهل لأنها تطلع على الأجسام أما نار الجهل فانها (تطلع على الأفتدة) والمطلعة على الأفتدة دائمة وخزيها دائم فهذه هي النار العميقة الداخلة في أنفسنا وهذه هي النار التي يحس بها الإنسان إذا أخرج من في القبور وحصل ما في الصدور وهي التي بها تحترق الأفتدة يوم تبلى العرائر ويوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا وهي التي ياتهب القلب بها يوم يقال اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فقل لي أيها الذكي كيف يكون الإنسان إذا ذاك وقد انحاج من جسمه وحرم مما كان عنده من المجد والمزب والمال وخلي بينه وبين عقله ونظر فرأى الناس حوله قد طاروا في العوالم بأجنحة العلم ورأى في مكان يماثما كالجناد بجهلهم فقوم كالطائر في الجوّ بالجنّاح وآخرون كالخجارة والحديد بما نالهم من الأثم وما انتابهم من الجهل وما حلّ بهم من الخزي بالصور التي أطلع عليها أخوانهم وقد كانت أعينهم في الدنيا غشا في غطاء من عيوب اقترفوها في حياتهم وسببات اجترموها ومن جهالة وغفلة وعمى عن جمال العالم ومعجائب الخلقة وبدائع الجسم الإنساني هذا هو معنى قوله تعالى - فقنا عذاب النار - وقوله تعالى - أنك من تدخل النار فقد أخرجته وهذا كما يقول الرجل الشريف لمن ضربه بعضا على رأسه مثلاً أمام الناس هذه العصا ألمها أقل من ألم نفسي ومن ضرب بعضا فقد أهين أمام الجمهور والامة هي التي أبالي بها - ربنا أنك من تدخل النار فتعرق جسمه الظاهر فقد فضحته والفضيحة والعار هي العذاب الذي تتحاشاه النفوس وتخشى ما فيه من بؤس فالعذاب إذن عذابان عذاب جسمي وعذاب روحي والثاني أقوى وعليه إجماع المفسرين

ولولا خيفة السامة من التطويل لبسط القول في عذاب جهنم بالنار الجسمية وهل هو منقطع أم أمده لا يزول وماجا فيه من الأحاديث النبوية وآراء العلماء وأكابر الحكماء والصوفية وسأرجى الكلام فيه إلى سورة هود عند

ذكر الأشقياء والسعداء وجههم والجنة في آخر السورة ان شاء الله وطال الأجل . ولكنني قبل أن أفرغ من هذا المقال أذكر عجيبه من عجائب القرآن هناك ذلك اني نقلت عن الامام الغزالي في كتاب الأرواح مالم يخصه ان العذاب بعد الموت ينقسم أقساما ثلاثة الأول أن نحس النفس بعد الموت بفراق ما اشتته من الماء كل والملاذ والصيت والشهرة والعزة فتعزن حزنا شديدا وهذا أول عذاب تلقاه وهو فراق المألوف وهو أشد من العذاب الجسمي فإذا رأى الانسان فجأة انه قد قسم ماله وأخت زوجته وحيل بينه وبين ما يشتهي فذلك أشد من الموت بل هو العذاب الأليم وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياءهم من قبل انهم كانوا في شك مريب * الثانية انه اذا تطاول الزمن واستقرت النفس بعض الاستقرار نظرت في أعمالها فترى صورتها قبيحة من الظلم والذنوب التي اجتاحتها في الحياة وهي تعانها مواجهة فاذا طال الأمد على هذه الفضيحة والعار تبدى للنفس انها ناقصة العلم والعرفان وأنها تجهل ما يجب أن تتحلى بعلمه ونرى غير هاد ارتفع بعلمه الى الدرجات العلى فيحصل لها ألم لا يطاق ولسنا الآن في مقام الرد عليه أو تعصيده ولكننا نقول

تعجب من القرآن كيف ذكر العذاب هنا ثلاث مرات فقل أولاً - فقنا عذاب النار - ثانياً - انك من تدخل النار فقد أخزيت - ثالثاً وهي الأخيرة منها - ولا تخزنا يوم القيامة - فالعذاب الأول جسمي لانه لم يذكر الا النار الجسمية والثاني جسمي وعقلي معا والثالث عذاب نفسي وهو الخزي الذي هو أشد العذاب ويظهر ان ما في الآية بحسب قدرته بالترتيب أشبه بالخشب اذا أحرق فانه أولاً يكون الاحتراق مصحوباً بالدخان والدخان أكثر ثم تصير النار أكثر ثم يصير ناراً صرقة

فلعل الناس في أول الأمر بعد الموت يكون الاحساس والشعور فيهم بالفضيحة أقل ثم يزيد الاحساس والشعور بها ثم يكون العذاب أقوى لادافع له لاستغراق النفس في عارها وشؤمها . فيا أيها الذكي اجعل أول عملك الاخلاق وتهذيبها وتقوية الجسم بالنظافة والرياضة ثم مكملها بالعلوم الشريفة كما رأيت في سورة آل عمران من الغزوات ثم العلوم

وكان عذاب النار الخالد في مقابلة ترك تهذيب النفس بالأعمال الظاهرة كمثل حركات الدفاع عن الوطن والحرم وعذاب الخزي الفاضح الذي لم تذكر فيه النار راجع الى العلم الذي أمرنا بالتفكير فيه فكأنه يقال لاندعوا أجسامكم بالأعمال تقوية كالدفاع والتمارين العسكرية والأعمال الحربية والتهذيبات الخلقية وإياكم وترك العلوم فانها فضيحة وخزي وعار في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فان الذين لا علم عندهم تدوسهم دول الاستعمار في أوروبا وترسل عليهم شواظاً من نار حامية من الطائرات فيصبحون خامدين ان احتراق الأفتدة بالخزي يوم القيامة يلزمه احتراق الجسم بالنار فانك ترى من فوجي بخبر محزن أو فاقوه معشوقه يتقد قلبه ناراً وخزناً والجسم يناله من ذلك نصيب فيقع في الحى فالنيران النفسية تتبعها الجسمية والسعادة الروحية تؤثر السرور في الأبدان وهذا آخر المقال في تفسير سورة آل عمران .

﴿ تم الجزء الثاني من تفسير الجواهر ﴾ ويليه الجزء الثالث وأوله سورة النساء ﴿

(الخطأ والصواب الواقع في الجزء الثاني من جواهر التفسير)

خطأ	صواب	صفحة	سطر
متصلة	منفصلة	٨	١٢
المعزة	الماعز	٨	٢١
معاني	معان	١٢	٣٢
من مسامها	من مسامها وتجمع كنقطة الندى (٣) والذين يجربون	١٨	١٥
	المدافع يضغطون الماء فيها		
والقرحية	والقرحية	٣٣	١
بالقرحية	بالقرحية	٣٣	٢
اللون	اللدن	٣٣	٤
لمن	لن	٣٣	١٥
أوصفت	وضعت	٣٣	١٧
الفيولوجيين	الفسولوجيين	٣٣	٢٨
البطورية	البلورية	٣٣	٣٣
يزمد	يزهد	٣٥	١٢
لجنها	بجمتها	٣٦	١٨
المعدية	المتدة	٣٦	٢٩
المثال	المقال	٣٧	١٩
القلم	العلم	٣٩	٣٤
يقضى	يفضى	٤١	٣٥
الكوسوع	الدرسوع	٤٥	١٤
العلامة	العلاقة	٤٧	٣١
لا يجعله	لا يجعله	٤٩	٣٢
مفاصل	مفاصل	٥٢	٢٥
الحى	الحى	٥٤	٢٤
وأحزابه	وأحزابه	٥٦	٢٤
الدين المسلم	الدين العام	٦٤	٣١
والأمم المستعمرة	والأمم المستعمرة لمن لا يصلحون للرقى	٧٦	٩
وفهم الموت قوة	وفهم الموت فوق	٧٦	٢٧
ويحمد	ويحمدون	٨٠	٢٢
وثيقوه	وثبتوه	٨٥	١٢
الصوفية	والصوفية	٩١	٣٣
مرمزا	مرموزا	٩١	٣٥
أبد الانسان	بد الانسان	١٠٥	٣٥

خطأ	صواب	صفحة	سطر
ليبون	لوبون	١٠٩	٢٠
الطبيعة وتهذيبه	والطبيعة تهذيبه	١٠٩	٣١
اذ والعمل يصبح	والعمل اذ يصبح	١١٢	٧
الأجوان	الأرجوان	١١٦	٢٨
٢٣٠٧	٢٢٠٧	١٢٢	٧
لاسيا وأن	لاسيا أن	١٣٧	١٨
نسي	نسي	١٤١	١٧
سبق	سبق	١٤٣	٦
انهم	انهم	١٤٣	٢٠
يدعوا	يدعو	١٤٩	١٨
ما يعلمه	ما يعلمه	١٦١	١٥
اليها	اليها	١٦١	١٧
نارهن أبردنا	نارنا أبردمن	١٦٢	١٦
أوفيهها	وفيهها	١٧٣	٩
تصوع	تصوغ	١٧٥	١٣
خريه	خريه	١٨٧	١٢

فهرست

(الجزء الثاني من تفسير الجواهر)

صفحة	
٢	تقسيم سورة آل عمران الى عشرة أقسام
٢	ملخص هذه السورة بحيث يلم القارى بمجمل ما في الاقسام العشرة
٤	ابتداء تفسير السورة وبيان مناسبتها للسورة البقرة من حيث نظام التاريخ فهي كالتممة لها وغير ذلك
٤	بيان تفسير الم
٥	بيان ان للنصارى واليهود رموزا حرفية أيام النبوة شائعة فناسب أن يكون للقرآن رموز كذلك علماء اليهود وحساب الجمل وكلامهم مع النبی صلى الله عليه وسلم وبيان أن هذه الحروف ثلاث طرق عند علماء الاسلام
٦	طريقة ابن عباس وطريقة صفات الحروف كالجهر والهس ونحوهما وطريقة العلوم الطبيعية
٧	ملخص الرواية الألمانية التي تنتج أن لغة العرب آخر لغات العالم انقراضا وانها هي الاخرى بتخليد العلوم فيها
٨	تعداد فقرات الحيوانات المختلفة عن علماء فرانس والانجليز
٩	موازنة رموز المسيحيين برموز المسلمين كيف نام المسلمون في القرون الاخيرة - جال هذه الحروف ومجانيها
١٠	ملخص هذا المقال - الاسرار الكيميائية في الحروف الهجائية للائم الاسلامية في أوائل السور القرآنية
١١ و ١٢	المخاليط المعدنية - ذكر خمسة أمثلة منها بحيث يكون خواص المركبات غير خواص المفردات وان التركيب المذكور بحساب منظم لولاه ما صنع مدفع ولا حروف طبع وأشباعها وان هذه الامثلة كمعطار تركب أن العلوم كلها ترجع الى تحليل المركبات ومعرفة أسرار عناصرها كما في ارجاع الكلمات الى حروفها مثل الم
	وناسر القرآن ظهر لأن لا يثاقل المسامير بهذه الحروف الى دراسة جميع العلوم
١٣	منطق حروف الطبع بلسان حالها - حكمة
١٤	الكلام على القسم الثاني من سورة آل عمران (الله لا اله الا هو الحي القيوم الخ) والتفسير اللفظي
١٥	تفصيل الكلام على هذه الآيات في القسم الثاني وبيان انها اشتملت على هداية العوام بالكتب السماوية وهداية الخواص بالنظر في السموات والارض وفي تصوير الاجنة في الارحام
١٦ و ١٧ و ١٨ و ١٩	ذكر عشر اطائف في عجائب المادة ودقتها كدقة خيط العنكبوت وكالهباء في الهواء الذي يصير حقائق يظنها الناس عفونة وآلاف آلاف من الحيوان التي تعيش في قطرة ماء وان المادة منفصلة غير ملتصقة والبعدين ذرائها كالبعديننا وبين السيارات والجواهر الفرد ونظامه كنظام السيارات من حيث دوران أجزائه بعضها على بعض
٢٠	المبحث فيما هو أكبر من الذرة في الآية وبيان ابعاد السدم عن أهل الأرض كما جاء في التقرير الذي رفع الى أكاديمية العلوم في فرانس وان منها ما لا يصل ضوءه لنا الا في ألف ألف سنة تورية ويزيد مئات الألوف أيضا
٢١	قوانين نيوتن وكبلير في بعد الشمس وقربها ونظام سيرها
٢٢	ايضاح ما صعب مما تقدم بوضع قطعتين من الفلين على الماء فانها تمثل بعد السكواكب وقربها في الحساب
٢٣	اللطيفة الثالثة جاذبية الثقل اللطيفة الرابعة في حساب مرعة الأجسام الساقطة وبيان نظام الشفع والوتر وان هذا من أعجب أسرار القرآن

- ٢٤ الأمر الثاني وهو تفسير قوله تعالى هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء الخ سلطان القدرة والمحبة
- ٢٥ الجاذبية العامة - نظام الأجرام في سقوطها وكيف يكون الحجر في نزوله جاريا بحسب منظم جذرا وتربعا على حسب الثواني
- ٢٦ عجائب الماء وهل فيه هواء وكيف اختص الماء بأنه إذا جد كبر حجمه ولماذا فارق بقية السوائل وكيف كان ذلك لأجل حياتنا الندي على النبات يحفظ حرارته فلا تشع كيف يكسر الماء الأحجار
- ٢٧ الثلج وأشكاله والمرسوم هناسة أشكال منها عجيبة زاهية زاهرة ٢٨ نظام جسم الإنسان وهو ١٣ نوعا وكيف كانت له عشر طبقات وأعمدة وجبال وخزائن الخ
- ٢٨ اللطيفة الخامسة لطيفة السمع وهي الأذن وذكر عجائبها وفي آلائها البرقية وهي ثلاثة آلاف وكيف أشبهت مدينتين وبحرا وفي كل منهما مدهشات وغرائب
- ٢٩ ظهوران في الأذن ١٤ عجيبة وكيف غفل المسلمون عن هذه العجائب
- ٣٠ صورة الأذن الباطنة بالرسم اللطيفة السادسة العين هي تشبه ثلاثة أطباق عليها ثلاثة أغطية في داخلها ثلاث رطوبات فوقها منديل شكل العصب البصري
- ٣١ إيضاح عجائب العين تفصيلا بحيث يعرفها العموم
- ٣٢ إتمام حكم العين وهي ٢٦ حكمة موضحة إيضاحا تاما موازنة العين بالخزانة المظلمة التي يستعملها المصور بالصور الشمسية شكل العين بالرسم
- ٣٣ من عجائب العين أحكامها وفيه ذكر العدسية المزدوجة التي تشبه البلورية في العين وكيف كان ابداع عدسية العين لا يوازيه ابداع فاذا عجز المصور عن الرسم الأعلى بعد مخصوص فان العين لا تهجز لبداع عدسيتها واتقانها شبكية العين مركبة من سبع طبقات أبعدها من ثلاثة ملايين مخروط وثلاثين مليون اسطوانة مسارح الفكر
- ٣٤ اللطيفة السابعة الرحمة في قلوب الوالدين حكاية خادمة المؤلف في شهر رمضان مع الأرنبة وكيف عرفت الأرنبة ما يضر أولادها
- ٣٥ الشهوات الغريزية في الحيوان اللطيفة التاسعة القطن وزراعته إجابة لداعية حاسة اللمس والبصر
- ٣٦ كيف تبوأ حشرة أبي دقيق ودودة الموز تلك الأرائك ووضعت فيها بيضها وكيف تعيش الديدان المولدة للبلهارسيا (البول الدموي) في الكبد وفي فروعه والأمعاء الغلاظ الخ فالأذن يزرع ويأكل لمنفعته ولكن يشاركه سواه
- ٣٧ اللطيفة العاشرة حب العلماء والحكام والأنبياء للتلاميذ والأمم
- ٣٨ تبصرة في التعليم في ديار الاسلام الكلام على أن كل ركعة في الصلاة تتضمن دراسة علم الفلك وعلم التشريح وعجائب النفس ثم الغرائز والقوى في العوالم العلوية والسفلية والكلام في أن العقول موازين نصبها الله في الارض
- ٣٩ هل يدرك المسلمون هذه الحكم ولماذا كان ذكر السمع والبصر وما استقلت به القدم في حال الركوع الخ
- ٣٩ إيضاح المقام وبعض أسرار الصلاة الكلام في تفسير قوله تعالى (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات)
- ٤٠ المحكم والمتشابه في الوحي النص والظاهر والمؤول والمجمل والمشارك مثال المتشابه
- ٤١ المتشابهات عند ابن عباس
- ٤٢ المحكم والمتشابه في المظاهر الطبيعية ونظام الحيوان، دور تكوين الارض العصر النباتي العصر الحيواني سلسلة الحيوانات وهي ستة من أعلى إلى أسفل

- ٤٣ جمال نظام السلسلة الحيوانية - تشابه الاطراف في الحيوان - جمال الخمسة من علم خواص الاعداد ومناسبة هذا للخمسة في اليدين والرجلين
- ٤٤ نظام الاجنة في الارحام - مرور الجنين على سلسلة الحيوانات في الرحم مبتدئاً من أدناها مرتقياً الى أعلاها - نظام الجسم الانساني وهندسته وقياسه بالشبر ومضاعفاته وأجزائه - النسبة الفاضلة - ظهورها في هندسة جسم الانسان
- ٤٥ تفصيل بعض ما تقدم للايضاح
- ٤٦ الجنين في الرحم - كتاب يبين الله به آياته للناس كما بينها بالقرآن - أسف المؤلف على جهل المسلمين هذه العلوم ومعرفة أوروبا لها
- ٤٧ المحكم والمتشابه في الطبيعة - تزوير الفيلسوف هيكل لصور الاجنة حتى قدم استغفاله مكرها من السكينة المحكم في الطبيعة الذي يشبه الآيات المحكمة في الوحي وهو القرآن الكريم (حشرة أبي دقيق)
- ٤٨ انقلاب الرأي في أوروبا في القرن العشرين وإبطالهم نظريات دروين في وجود الانواع وترقيتها وذكر عشرين عالماً قالوا بهذا الرأي وأهل الشرق لا يعلمون - أكثر الناس مقلدون - تفسير الآية منطبق على الطبيعة زيادة ايضاً
- ٥٠ النفس الانسانية ومعجزاتها
- ٥١ كيف يفعل الغذاء في الجسم من المعجائب وكيف ينقلب الكيموس فيصير دماً يصل الى سائر الجسم وفيه ذكر القوى السبعة التي شرحها القدماء أولها الجاذبة وآخرها المصورة
- ٥١ تفصيل أفعال القوى الانسانية في الجسم وانما أشبه بما في المدن من الصانع
- ٥٢ جدولان فيهما ٢٣ صناعة من التي ترى في المدن موازنة بنظائرها مما في جسم الانسان وان علماء الاسلام عليهم أن يوقظوا المسلمين لهذه المعجائب
- ٥٣ مناظر الانفس أشبه بمناظر الآفاق
- ٥٤ أنواع المحبوبات من الوجدان الداخلي التي تفرغت من القوة الشهوية والغضبية والعقلية
- ٥٥ الاخلاق المدمومة وبيان ٣٧ منها ٥٦ ذكر آيات قرآنية مطابقة لما تقدم مع تلخيص ماضي بحيث يجمع ما ذكرناه وبه يستغنى اللبيب في علم الاخلاق - القبيح والجميل
- ٥٧ نداء المفسر للمسلمين وبيان أن علم التوحيد هو نفس هذه العلوم من التشریح ووظائف الاعضاء - القسم الثالث من سورة آل عمران (ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم الخ)
- ٥٨ مجمل التفسير في هذه الآيات ٦٠ الحكمة في خلق الشهوات وانما وسيلة لغيرها
- ٦١ شكل مضمن حوله الكلمات الثمان التي أوصى أرسطاطاليس أن تكتب على قبره وهي كافلة نظام المدن والعمران
- ٦٢ ذكر كلام نبي الله سليمان في التوراة في هموم الدنيا وعمر الخيام الذي قفي على آثاره وأبي العلا كذلك - وأبيات للمؤلف في هذا المعنى - مخرج الجهلاء وبعض النابغين من سجن الحياة - مخرج العقلاء والعباد والعلماء - المخرج الذي قصه الله في الحياة
- ٦٣ لامفر الا بالعبادات والعلوم - لطيفتان الاولى صلاة المؤلف عند النهر - الثانية ثناء النجدة وهي في المنيل وبيان أن جميع الناس محبوسون كما حبست هذه النعجة وان كانوا يغنون بجانبها
- ٦٥ نظام النبات بالمواد الداخلة فيه ٦٦ طعامنا والمواد الداخلة فيه - جمال القيام بالقسط
- ٦٧ قيامه تعالى بالقسط في المادة من حيث حجمها قيامه تعالى بالقسط في سلسلة الانسان والحيوان والنبات

- والمعدن - قيامه بالقسط في أنواع الحيوان
- ٦٨ انجاد رؤس الحيوان - قيامه بالتسبط في خلق النبات في الاماكن - قيامه بالقسط بين البر والبحر وفيه العجائب وبدائع الغرائب - ألوان ماء البحر وجمال حيوانه وان من حيواناته الدقيقة تسير بالتيار أسرع من القطار. نبات البحر وأشكاله الهندسية والمرجان وعجائبه وانه يتكون جزائر ونباتات البحر لكثرتها جدا استغرقت بعض السفن في قطعها ثلاثة أسابيع. حشائش البحر
- ٦٩ تقاع البحر - الاشكال الهندسية في البحر المرجان وكيف تكون جزائره مأوى ومأمن للحيوان
- ٧٠ القسم الرابع من سورة آل عمران (فان حاجوك الخ) ٧١ التفسير اللفظي لهذا القسم
- ٧٣ افاضة الكلام في قوله تعالى (بيدك الخير)
- ٧٤ و ٧٥ مسألة الخير والشر - رأى أهل الديانات فيها - رأى الفلاسفة كالرئيس ابن سينا وقوله ان العالم ليس في الاخير المحض أو ما غلب خيره - مناقضة هذه القضية بالحيوانات الضارة ولماذا خلقت - شرح هذا المقام بأسباب مثل الكلام في العصافير والقنابر والخطاف وهكذا يأتى كل بعضها بعضا - الكلام في سم الحيات
- ٧٦ لم كانت الآلام في الحيوان وكيف يشع الظلم من الحكام - أعظم المصائب الموت فلم وقع
- ٧٧ جمال المآل - الكلام في قوله تعالى (وترزق من تشاء بغير حساب) - ذباب يحضر الفريسة لأولاده قبل خروجهما من البيض بحكمة ونظام
- ٧٨ الذباب الذي يعيش اولاده في جوف الحيوان الحي - الأرناب وبعض الحشرات وعجائب صنعها - يعسوب النحل .. أسد النمل ٧٩ الحشرات الآكلة - العنكبوت - حيل النمل في عدوه - كل هذا تبيان لقوله تعالى وترزق من تشاء بغير حساب وقوله تعالى وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها الخ
- ٨٠ القنفذ - الجراد والعنز والزرع والفلاحون في مصر وكيف تنطبق الآية عليهم في حادثة عجيبة - الدرفيل في البحر ٨١ الطير المسمى السقايلاد البانيا وعجائبه
- ٨٢ ملخص هذا الفصل الخاص بقوله وترزق من تشاء بغير حساب بهذا تفهم قنوت صلاة الصبح
- ٨٣ خاتمة هذا القسم وعجائبه - ظهور سر الم في أول السورة وأنها تشير الى قوله تعالى ألم تر الى الذين أتوا نصيبا الخ وان الله خزّن هذه المعاني لتظهر في وقتنا الحاضر من حيث غرور المسلمين كفرور قدماء اليهود وجهالتهم فذهبت دولة كثير منّا كما ذهبت دولتهم ٨٤ سر الم في أول البقرة
- ٨٥ وقوف المسلمين عند علم الفقه وحده جهالة وغرور - الغرور بالنسب
- ٨٦ الاغترار بالشيوخ - ميزان يبين المغترين من المسلمين والموفقين - اعتقاد الشفاعة حق أراد الناس به باطلا كما فعل اليهود ٨٧ في سور يابو له على بن أبي طالب وكيف يخلص الداعي الكاذب فيؤثر وغيره نائم لا تأثير له
- ٨٨ يجب أن يكون التعليم في الاسلام بهيئة غير ما نحن عليه الآن - حكاية تركي قديم
- ٨٩ أصناف المغرورين من كلام النزالي - العباد والعلماء والصوفية والأغنياء وكيف فرق هذا الغرور شمل المسلمين لاسيما أبناء العرب وجع العلم شمل مائة مليون في أمريكا فأين الاسلام اذن
- ٩٠ أبناء العرب سبب نهضة الأمم قديما وهم الآن أجهلها وأبعدا عن الرقي ورؤساء الدين كثير منهم يفرقون الأمة بفرورهم ٩١ دواء هذا الداء وكيف يرتقي أبناء العرب خصوصا وأبناء الاسلام عموما - موازنة هذا المقال برأى ابن خلدون - عجائب البلاغة في القرآن والعجاز وأن العلم أتى بمجزات للقرآن تعجز عنها جميع علماء البلاغة
- ٩٢ كيف يزول الغرور من أمة الاسلام ذلك يكون بدراسة جميع العلوم والصناعات والدين هو الذي يطلب ذلك
- ٩٣ آراء علماء التربية ان المتعلم يجب أن يعرف بعض الصناعات اليدوية

- ٩٤ وصف مدارس أمريكا وكيف يجمعون بين العلم والعمل وكيف يقوم التلاميذ بجميع الأعمال من بناء وخياطة وفلاحة وتجارة الخ ٩٥ بيان أن هذا موافق للإسلام
- ٩٦ بيان أن المسلمين لم يفعلوا مثل ذلك زال ملكهم كما زال ملك قدماء اليهود وإن هذه المعاني كلها سر قوله (الم) الذي ظهر الآن فقط لارتقاء المسلمين
- ٩٦ القسم الخامس من سورة آل عمران (إن الله اصطفى آدم الخ) ٩٧ تفسير الألفاظ
- ٩٨ هنالك دعا ذكر يارب الخ وتفسير لفظه الباب الثاني في عيسى ابن مريم وأمه وإذا قالت الملائكة يا مريم الخ
- ٩٩ تفسير هذا الباب ١٠١ الملائكة والشياطين مقدمة في أن المخلوقات قسمان ضار ونافع
- ١٠٢ آراء علماء الهند ١٠٣ استدلال الرازي بزيارة الأموات على وجود الأرواح وبالروايات المذمومة وكلام الغزالي
- ١٠٤ وقول اخوان الصفاء أن النفوس المتجسدة ملائكة بالقوة أو شياطين بالقوة فإذا ماتوا كملوا في صفاتهم وبعض خطبة للورد أوليفر لودج وإيقانه بأن الأرواح تساعدنا وأنه خاطبها بنفسه وإن لم يكن قد يسا
- ١٠٥ تفصيل الكلام على قوله تعالى (كلما دخل عليها ذكر يا المحراب الخ)
- ١٠٦ خوارق العادات المذكورة في القرآن - الحال الروحية والحال الجسمية
- ١٠٧ خوارق العادات لالقاء الرهبة والقرآن جاء للتفكير كالترية الحديثة
- ١٠٨ خوارق العادات والعلوم الطبيعية - عجائب عباد الهند في الوقت الحاضر وأظهارهم الغرائب
- ١٠٩ فوائد المعجزات في الترية الحديثة - العلامة جوستاف لوبون
- ١١٠ تفصيل الكلام في قوله تعالى (هنالك دعا ذكر يارب الآية) عجائب هذه الآيات وكيف وافقها العلم الحديث وكيف تطرد الهلوسة وتملا قلبك بالسعادة
- ١١١ (قال آيتك ألاتككم الناس الخ) كيف يكون سر هذه الآيات قد ظهر في العلم الحديث وإن الإنسان بحسبه عواطفه ينال رغائبه وتكون تلك العواطف كنزا - (إن الله ربي وربكم فاعبدوه الخ) قد ترجمت الديانات القديمة
- ١١٢ كتاب الفيدافي الهند القسم العملي فيه - دين خرستا - دين بودا
- ١١٣ دين قدماء المصريين رؤيا هرمس - دين (يو) ببلاد الصين - دين (ليوتسو) بالصين
- ١١٤ آية (وما قتلوه وما صلبوه الخ) عدد الأنجيل التي تركت ٣٥ انجيل مثل انجيل ماري بطرس وانجيل المصريين الخ الأنجيل الأربعة المختارة في القرن الثاني لم يعرف مؤلفها فيلسوف في القرن الثاني يلوم النصارى على تلاعبهم بالأنجيل - ترجمت الأنجيل والتوراة سنة ٣٨٤ م ثم تغييرها مرتين
- ١١٥ غير النصارى كتبهم والمسلمون غير وطريق التفكير انجيل برنابا ومسألة الصلب - قد صرح هذا الانجيل بنفس ما في القرآن من صلب ومن إلقاء الشبه على غيره ومن توحيد الله ومن رفع المسيح إلى السماء وهو واضح كل الوضوح إلى صفحة ١١٨ وهذا من أجل معجزات القرآن في هذا العصر مع العلم بأن هذا الانجيل ما رآه المفسرون المسلمون قبل عصرنا هذا
- ١١٨ المذاهب المسيحية قديما وحديثا ومذاهب أوروبا وذكر دولهم ومتى استقلوا ومتى تنصروا مفصلا لكل دولة وأنه لم يبق عندهم الآن إلا الملكانية (الكاثوليكية) ثم أحدثوا (بروتستانت) و (أرثوذكس)
- القسم السادس من سورة آل عمران ١١٩ الفصل الأول (إن مثل عيسى عند الله) تفسيره اللفظي
- ١٢١ الفصل الثاني (يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم الخ) وتفسير ألفاظه
- ١٢٣ الفصل الثالث (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الخ) ١٢٤ ملخص هذا المقال
- ١٢٥ الفصل الرابع (كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم الخ) ١٢٦ تفسير الألفاظ

- ١٢٧ تفصيل الكلام في قوله تعالى (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة الحق) مجلس عام في الاسلام
- ١٢٨ قطعة من التلمود وهو شرح التوراة ان اليهود يرون انهم أفضل أهل الأرض الآن والناس كالأنعام لهم - علم الأخلاق واليهود - حكاية يهودية وكيف أكرم المجوسى اليهودى فأركبه بغلته نخفاه اليهودى وحرب بها فقسم الله ظهره
- ١٢٩ واجب علماء الاسلام والخلق بالله - في الأمة العربية قديمها وحديثها وكيف كانوا سادات العالم فأصبحوا اليوم نهبا مقسما بين الدول
- ١٣٠ القسم السابع من سورة آل عمران (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا الحق) وتفسير ألفاظها
- ١٣٣ (لن يضروكم إلا أذى الحق) وتفسير الألفاظ
- ١٣٥ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن كل علم وكل صناعة واجبان على المسلمين فيجب أن يرشدوا لذلك وهكذا يفعل المفسر اللطيفة الثانية في قوله تعالى وما الله يريد ظلمنا للعالمين والله ما في السموات وما في الأرض بيان ان ذكر السموات والأرض هنا لاثبات العدل في نظامهما وان العدل هناك أمر آخر
- ١٣٦ به دامت السموات والأرض
- ١٣٧ ذكر مقال للعلامة (فلامريون) الفلكي المشهور وصف به السموات والقصد بذلك معرفة العدل هناك لفهم الآية وفيها عجائب مثل أن أقرب الكواكب إلى الشمس لا يصل اليه القطار من أرضنا الا بعد ٧٥ مليون سنة والقنبلة لا تصل اليه الا بعد مليون ونصف سنة عدد العوالم الآهلة بالاحياء ٣٠٠ مليون أرض كما يظن هذا فيما عرف فلما سواه فهو لانه نهاية لعدده
- ١٣٩ بدائع وعجائب كثيرة - هل خلق الله حواس غير حواس الناس على الأرض - الاهتزازات اذا بلغت في الثانية ٣٢ سمعناها واذا بلغت ٣٢ ألفا لم نسمعها وما بين ٣٤ مليارا و ٣٥ مليارا لا نعرف وما بين ٤٥٠ الى ٧٥٠ ترليون في الثانية من موجات النور تدرك وما زاد على ذلك لا يدرك - ذكر أشعة ترتجى الشمس والكواكب وسكانها وانقراضهم وحلول غيرهم محلهم قديما ومستقبلا
- ١٤٠ (كنتم خيرا أمة أخرجت للناس)
- ١٤٢ (واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال الحق) وتفسير الألفاظ
- ١٤٥ في الجهاد الأكبر لحفظ ثروة البلاد فلا يكون الربا وبالطاعة وحسن الخلق والعفو (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا الحق) تفسير ألفاظها
- ١٤٦ الفصل الثالث في الاعتبار بالامم السالفة وأنبيائهم وانهم لما صبروا فازوا (قد خلت من قبلكم سنن الحق) وتفسيرها
- ١٤٨ مقال ضاف في أن موت عدو الأمة موت لها كما في مسألة دولة الرومان لما أهلكوا أهل قرطاجنة هلكوا هم بالاسراف والعظمة
- ١٤٩ زيادة شرح لهذا المقام وشعر لشكسبير مترجم شعرا عربيا في أن الامم منبع السعادات وشعر آخر خسه المؤلف في أن الاعداء يكونون نعمة على العبد لأنهم يحرضونه على الكمال
- ١٥١ دروس على ما حصل في أحد (سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب الحق) وتفسيره اللفظي
- ١٥٢ الشورى والتوكل ١٥٨ امداد المؤمنين بخمسة آلاف من الملائكة بعد ثلاثة آلاف - وهل في العلم الحديث ما يطابق هذا - وهل تخبر الارواح بالغيب وهل تكذب وهل تساعد الناس الحق كل هذا في صفحة ١٥٧ و ١٥٨ - ١٦٠ حكمة ومعجزة - الحياة بعد الموت من خطبة اللورد ألبيرلودج
- ١٦١ بيان أن هذه الخطبة توافق القرآن في ثلاثة أمور بقاء الارواح - وان هناك ملائكة - وانهم يساعدوننا -

تعجب المؤلف من ظهور هذه الحقائق في مجامع أوروبا العظيمة مع احتقار المتعلمين في الشرق لها لغرورهم بجهلهم القاضح

١٦٢ تعلم اللغات شيء وتعلم العلوم شيء آخر - (ليس لك من الأمر شيء) وافادتها أن الانبياء كغيرهم خاضعون لجري القضاء عليهم بالخير والشر - لم ذكر تحريم الربا بعد ذكر الحرب -

١٦٣ الجنة والنار و ذكر الاحاديث والآيات لمعرفة حقيقةتهما - الأرض كرة نارية وهذا موافق للاحاديث والآيات

١٦٤ الكلام على البراكين كبركان اثنا وثوران البراكين في اليابان أثناء هذا التفسير نافع في مباحث النار والجنة

١٦٥ تحقيق أمر أن الأرض كرة نارية ومعرفة قشرتها وكيف يكون هذا المقام مناسباً لقوله تعالى (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) الماء يكون ناراً

١٦٦ قلة علمنا بهذه العوالم - بيان أن آراء ابن خزم في الجنة والنار على المذهب القديم الفلسفي وقد بطل - آراء

روح (غاليلي) التي أحضرها في أوروبا وذكرها النظام في الكواكب بهيئة سياحة استبان بها أن شمسنا

وشمسنا أخرى تجرى حول شمس كهيئته وهكذا شمس وراء شمس في هذه المجرة كأنها دواليب

متلاصقة متحدة ترجع الى شمس كبرى في المجرة هي أصلها كلها - طريق التبانة وهي ٣٠ مليوناً في

الشمس وهناك مجرات أخرى منشورة في الفضاء وسكان ليسوا مثل أهل الأرض بل حياتهم وزمانهم أعجب

وأحوالهم كلها غريبة وفي ذكر الأبدية والزمان والمكان وانهما لانهاية لهما وفي ذكر الارواح وعالمها

ودوامها وان الأرض صغيرة بالنسبة للعوالم الأخرى واننا بعد موتنا نرتقي في تلك العوالم طبقاً عن طبق الخ بعد

خراب الأرض والكلام على منافع المذنبات وان أهل الأرض لم يفهموها وغير ذلك كل هذا من صفحة ١٦٦

إلى صفحة ١٧٢

١٧٢ أيضاً هذا ملخص ما جاء في العلم الحديث وفي علم الارواح موازناته ما جاء في القرآن والحديث

١٧٣ ان ما ذكر من أن النار في باطن الأرض والزهر يرفوق الهواء ومن أن الكواكب مسكونة بعوالم في غاية

السعادة الخ ليس معناه أن ذلك هو الجنة والنار بل ذلك فتح لباب العلم والحقيقة يجب البحث عنها - وذكر

عجائب العلم والدين - وان المسلمين قصرُوا فان العلوم التي تكشف الآن هي نفس القرآن

١٧٤ و ١٧٥ الدار الآخرة في القديم والحديث - اللذات الحسية والخيالية والعقلية وانها كلها يمكن في الآخرة

وكيف يتمتع جمع كثير بصورة واحدة في آن واحد اللطيفة السابعة (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس)

وكيف كان سر هذا يظهر اليوم في علم النفس عند الجمعية النفسية بأمريكا

١٧٦ ترتيب درجات الطائعين وهم ثلاث درجات وجاتهم غير متساوية - (ان بمسك قرح فقد مس القوم قرح مثله

وتلك الأيام ننادوا لها بين الناس)

١٧٧ اللطيفة الثانية عشرة كيف تعطى الدروس على حوادث الانسان وآلامه قوله تعالى (ولا يحزنك الذين

يسارعون في الكفر الخ) ١٧٨ التفسير لهذه الآيات

١٧٩ التعبير عن معنى هذه الآيات

١٨١ لطيفة في قوله تعالى (واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب الآية) التي نحن بصدددها - (ان في خلق

السموات والأرض الخ)

١٨٢ التفسير اللفظي لهذه الآيات

١٨٤ تفسير قوله تعالى (اصبروا وصابروا وابطوا) وانها تشير الى وجوب المحافظة على البلاد لاسباب في هذا العصر

وكلمات من حكم غاندي الزعيم الهندي

- ١٨٥ و ١٨٦ النظرة العامة في سورة آل عمران وفيها ذكر التربية الجسمية والعقلية وإن الجسم والعقل يمثل
لهما بالاعمى والمقعد كلاهما له شأن في المسؤولية وإن التربية الجسمية تقتضيها غزوة أحد والتربية العقلية تؤخذ
من أول السورة وآخرها وموازنة نظام هذه السورة في التربية بنظام سورة يوسف
- ١٨٧ نظام الآيات القرآنية فأولها ذكر فيها الجهاد وتبعه توبيخ العلماء على بخلهم بعلمهم ثم أتبعه بنفس العلم في
السموات والأرض دروس علم الطبيعة لصاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم اذ قام بالليل في رواية ابن عباس
١٨٨ خطاب الى علماء الاسلام في الأرض وختمهم على عدم الوقوف على ألفاظ القرآن بل يجب أن يتغلغلوا في المعاني
القرآن والبلاغة والمفسرون
- ١٨٩ طلب المؤلف وضع حد لماضي الاثنى عشر طائفة في هذه الآيات اللطيفة الاولى في اختلاف الليل والنهار وحساب
السنة الكبيسة والبسيطة ونظام أوائل السنين والشهور العربية
- ١٩٠ الادوار الحسابية الكبرى ٢١٠ والصغرى ٣٠ وحساب أول السنة التي ألف فيها هذا الكتاب الكلام
على الليل والنهار
- ١٩١ شكل ٧ وفيه المنطقة الحارة والمنطقتان المعتدلتان والقطينتان - الكلام على الفصول الفلكية
- ١٩٢ شكل ٨ فيه هيئة الفصول الاربعة وأشهرها ونقطة الرأس والذنب وكل ذلك بهيئة جميلة - نبذة في
عجائب الأرض وكيف يعيش الناس ويأكلون ويشربون ويلبسون وهم جاهلون بجمال ذلك كله
- ١٩٣ وكيف كان ملح الطعام مركب من مادتين كل منهما قاتلة اما بالاحراق واما باضعاف الرثة وقد تتج منهما جسم
عجيب صالح للاستعمال شكله كشكل الهرم صورة رسم الملح الجبلي بهيئة الهرم
- ٤٩١ اللطيفة الثانية (ربنا ما خلقت هذا باطلا) عجائب الذكور والاناث في الدجاج والبط والأوز والحمام وعجائب
النمل والنحل وجمجمة الانسان وتعدد عظامها وفقرة الظهر وذلك كله لفهم قوله تعالى (ربنا ما خلقت هذا
باطلا سبحانه فكنا عذاب النار) الخ
- ١٩٥ استخراج معنى الخزي من طبائع الناس في الدنيا ان الناس يقتضحون يوم القيامة بامر ين صورهم النفسية
المقوتة وجهلهم الفاضح بهذا النظام
- ١٩٦ الناس في الشرق والغرب يأتقون العار ويقدمون أنفسهم للوت من أجله وقد اختلفوا فيما به العار ولكنهم
اتفقوا جميعا على أن الجهل أشد العار وهذا هو سر الآية
- ١٩٧ ايضاح هذا المقام ايضا حيناسب المقام
- ١٩٨ عجائب القرآن في هذه الآيات اذ ذكر الدار أولا ثم ذكرها مع الخزي ثم ذكر الخزي وحده وهذا أمر
عجيب يرتب كترتيب ما يحرق من الخشب الخ وكما ان الجهل عار في الآخرة هو عار في الدنيا فان دول الغرب
سلطت على الجهلاء في الشرق وفضحوهم وأخذوهم في الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وسيبرئى المسلمون بالعلم
ان شاء الله قريب انتهى